الكامل

في

اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٨١٠ م ب ك أ	المبرد. أبو العباس محمد بن يزيد، نحو ٨٢٦ - ٨٩٨. الكامل فى اللغة والأدب/ لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم.ـ ط٣، جديدة. ـ القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٧. ٤ جزء ؛ ٢٤سم. يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية. يشتمل على كشافات. تدمك : ٥ - ٠٩٨٨ - ١٠ - ٩٧٧. ١ ـ اللغة العربية ـ مباحث عامة. الأدب العربى ٢ ـ الأدب العربى ـ مباحث عامة. أ ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق. ب ـ العنوان.

تصميم وإخراج فنى: محيى الشلودى

رقم الإيداع	٤٦٠٠ / ٩٧
الترقيم الدولى I. S. B. N	977 - 10 -0988-5

مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر

بيان

روجع هذا الكتاب على نسخة مخطوطة قيمة محفوظة بمكتبة الأُسكريال فى أسبانيا تحت رقم ٢٢١، كتبها لنفسه أحد العلماء، وهو علىّ بن عبد الله بن خلف بن محمد بن النعمة، سنة ٥١٢ هـ،وقد قوبلت على الأصل، وقرأها بعض العلماء على كاتبها المذكور.

وهذه النسخة مكتوبة بخط أندلسى مضبوط بالحركات، وبحواشيها تعليقات كثيرة، وتقع فى ١٧٢ ورقة، وفى كل صفحة ٢٧ سطرا، وبآخرها خرم يسير بين ورقتى ٤٥ و ٤٦.

وقد اعتبرت هذه النسخة أساسا للمراجعة، ورمز إليها بلفظ الأصل.

ثم قوبل أيضا على النسخة الأوربية التى حققها الأستاذ رايت وتم طبعها فى سنة ١٨٨١م، ورمز لها بالحرف «ر»، وأثبتت الزيادات التى فيها بالحاشية، كما قوبلت على النسخة التى طبعت بالآستانة سنة ١٢٨٦هـ، ورمز لها بالحرف «س».

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

أخبرنا[1] أبو عثمان سعيدُ بنُ جابر[2] قال: حدثنا أبو الحسن عَلىُّ بنُ سليمانَ الأخفش[3] قراءةً عليه قال: قرئ لى هذا الكتاب على أبى العباس محمد ابن يزيد المبرِّد:

الحمد لله حمدًا كثيراً يَبْلُغُ رضاه، ويوجب مَزيده، ويُجِيرُ به من سَخَطِه، وصلى الله على محمد خاتَمِ النبيين، ورسولِ رب العالمين، صلاة تامة زاكية، تُؤَدِّى حقه، وتُزْلِفُ[4] عند ربه.

قال أبو العباس: هذا كتاب ألَّفناه يجمع ضروبا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشِعْرٍ مَرْصوف، ومَثَلٍ سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خُطبة شريفة، ورسالة بليغة.

والنِّيَّة فيه أن نُفَسِّرَ كلَّ ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مُسْتغْلق[5]، وأن نشرح ما يَعْرِض فيه من الإعْراب شرحًا وافيًا، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يُرْجَعَ إلى أحد فى تفسيره مستغنيًا، وبالله التوفيقُ والحول والقوة، وإليه مَفْزَعُنا فى دَرْك كل طَلِبَة، والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا مِنْ عَمَلٍ بطاعته، وعَقدٍ يرضاه، وقول صادق يرفعه عملٌ صالح، إنه على كل شىء قدير.

---

(١) ر ، س: «حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال أخبرنا أبو عثمان...». وأبو بكر محمد بن عمر هو المعروف بابن القوطية، كان إماما فى العربية، وصحب أبا على القالى وتلمذ له، وهو أحد رواة الكامل بالأندلس، توفى سنة ٣٦٧. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٣:١٧٨).

(٢) هو سعيد بن جابر الكلاعى الأندلسى، توفى سنة ٣٢٦. (جذوة المقتبس ٢١٣) هـ .

(٣) هو على بن سليمان أبو الحسن المعروف بالأخفش الصغير، راوى كتاب الكامل وصاحب الحواشى التى فيه. سمع من المبرد وثعلب، توفى سنة ٣١٥. (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢ ٢٧٦).

(٤) ر : « وتزلفه ».

(٥) س : « منعلق »

باب

[وصف رسول الله للأنصار]

قال رسول الله ﷺ للأنصار(١) في كلام جرَى: «إنكم لَتَكْثُرون عنْد الْفَزَع، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَع».

الفزَع في كلام العرب على وجهين: أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذُّعْر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ، من ذلك قول سَلامة بن جَنْدل:

كُنَّا إذَا مــا أتانا صَــارِخٌ فَـزِعٌ ... كَانَ الصُّـرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنابِيب

يقول: إذا أتانا مُـسْتَغِيثٌ كانت إغـاثته الجِدّ في نصرته، يقـال: قَرَعَ لذلك الأمر ظُنْبوبه إذا جدّ فيه ولم يَفْـترْ، ويُشْتقُّ من هذا المعنى أنه يقع «فَزِعَ» في معنى «أغاث»، كما قال الكَلحَبَةُ اليَرْبوعيّ:

* * *

(٢[قال أبو الحسن: الكلحبة لقبه، واسمه هُبَيْرَة، وهو من بني عَرِين بن يَرْبوع، والنسب إليه عَرِينِيّ، وكثير من الناس يقول: عُرَنِيّ ولا يَدْرِي، وعُرَيْنَة من اليَمنَ، قال جرير يهجو عَرِين بن يربوع:

عَــرِينٌ مِـن عُــرَيْنَةَ لَيْـسَ مِنَّا ... بَرِئْتُ إلَى عُــرَيْنَة منْ عَــرِين]٢)

* * *

فَـقلْتُ لكَأْسٍ أَلْجِمِـيهَـا فَإنَّمَــا ... حَلَلْتُ الكَثِيبَ من زَرُودَ لأفْزَعا(٣)

يقول: لأُغـيث. وكَاسٌ: اسم جـارية، وإنما أمرها بإلْجام فـرسه ليـغيث. والظُّنبُوب: مُقَدَّمُ الساق.

---

(١) جماعة منهم، وهم بنو عبد الأشهل، من ولد عمرو بن مالك بن أوس. (وانظر الفائق للزمخشري ٢٧٤.٢).

(٢ - ٢) ما بين الرقمين لم يرد في الأصل، وأثبتناه عن ر.

(٣) زرود: موضع في طريق الحاج من الكوفة. والكثيب: القطعة من الرمل، مستطيلة محدودة.

[حديث: «ألا أخبركم بأحبكم إلى....»]

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أُخْبِرُكُمْ بأحَبِّكُمْ إلىَّ وأَقْرَبِكُمْ منِّى مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا، الـمُـوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إِلىَّ وَأَبْعَدِكُم منِّى مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ الثَّرْثَارُونَ الـمُتَفَيْهِقُونَ».

قـوله ﷺ: «الموطئون أكنـافا» مَـثَل، وحقـيـقتُـه أن التَّوْطِـئَةَ هى التـذليل والتمـهيـد، يقال: دابةٌ وَطِئٌ، يا فتـى، وهو الذى لا يُحرِّك راكبَـهُ فى مَسِـيره، وفرَاش وَطِئٌ إذا كان وَثيراً لا يُؤْذِى جَنْبَ النائم عليـه، فأراد القائل بقوله: «مُوَطَّأُ الأكناف» أن ناحيته يتمكَّنُ فيها صاحبُها غيرَ مُؤْذًّى، ولا نابٍ به موضعُه.

قال أبو العباس: حدثنى العبـاس بن الفَرَج الرِّياشىُّ قال: حدثنى الأصْمَعىُّ قال: قـيل لأعرابىٍّ ـ وهو الـمُنْتَجِعُ بن نَبْـهان(١) ـ: ما السَّـمَيْدَعُ؟ فقال: الـسيِّد الـمُوَطَّأُ الأكناف.

وتأويل الأكناف الجوانب، يقال: فى المَثَل: فلانٌ فى كنف فلان، كما يقال: فلان فى ظل فلان، وفى ذَرَى فلان، [وفى ناحية فلان،](٢)، وفى حَيِّز فلان.

وقوله ﷺ «الثرثارون» يعنى الذين يُكْثِرُون الكلام تكلُّفًا وتَجاوُزًا، وخروجًا عن الحق. وأصل هذه اللفظـة من العين الـواسعـة من عـيون الماء، يـقال: عـينٌ ثَرْثارةٌ، وكـان يقال لنهـر بعينه: الثَّـرْثار(٣)، وإنما سـمى به لكثـرة مـائه، قـال الأخْطَلُ:(٤)

لَعَمْـرِى لَقَدْ لاَقَتْ سُلَيْمٌ وَعَـامِرٌ　　　عَلَى جَانِبِ الثَّرْثَارِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ

قوله: «راغية البكـر» أراد أن بَكْرَ ثمود رَغَا فيهم فأُهْلِكُوا، فـضربته العرب مَثَلاً، وأكثرت فيه، قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الفحل:

رَغَا فَـوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَـاءِ فَدَاحِضٌ　　　بِشِكَّتِـــهِ لمْ يُسْـتَلَـبْ وَسَلِيبُ(٥)

---

(١) من طيئ؛ ذكره الزبيدى فى الطبقة الأولى من اللغويين البصريين ص ١٧٥.

(٢) تكملة من ر.

(٣) الثرثار: موضع عند تكريت.

(٤) زيـادات ر: «واسـمه غـيـاث بن غـوث، يكنى أبا مالك، ويلقب بدوبـل، والدويل. الخنزير»، وكذلك فـى س.

(٥) زيادات ر: «السقب: ولد الناقة، والشكة: ما يلبس من السلاح، والسليب: من سلب سلاحه».

[قال أبو الحسن: الداحض: الساقط، والداحض أيضا: الزالق]

وكذلك إذا لم تُضَعِّف الثاء فقلتَ: عينٌ ثَرَّةٌ: فإنما معناها غزيرة واسعة، قال عَنْتَرَةُ:

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ　　　فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ(١)

قال أبو العباس: وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثَّرْثَارَة، ولكنها في معناها(٢).

وقوله ﷺ: «المتفيهقون» إنما هو بمنزلة قوله: «الثرثارون» توكيد له، ومُتَفَيْهِق مُتَفَيْعِل، من قولهم: فَهِقَ الغَديرُ يَفْهَقُ إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مَزِيد، كما قال الأعشى:

نَفَى الذَّمَّ عَنْ رَهْطِ الـمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ　　　كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

كَذا يُنْشِدُه أهلُ البَصرة، وتأويله عندهم أن العراقيَّ إذا تَمكَّنَ من الماء ملأ جَابِيَتَه لأنه حَضَرِيّ فلا يعرف مواقع الماء ولا مَحالَّه.

قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنْشِد ـ [قال أبو الحسن هي أمُّ الهَيْثَمِ الكلابيَّةُ من ولد المحلَّق، وهي راوية أهل الكوفة] ـ: «كجابية السَّيْحِ» تريد النهر الذي يجري على جابيته، فماؤها لا ينقطع؛ لأن النهر يَمُدُّه. ومثَل قول البصريين فيما ذَكَرُوا به «العراقيَّ الشيخ» قولُ الشاعر ـ [قال أبو الحسن هو ذو الرُّمَّة] ـ :

لَهَا ذَنَبٌ ضَافٍ وذِفْرَى أَسِيلَةٌ　　　وَخَدٌّ كِمرْآةِ الْغَرِيبَةِ أَسْجَحُ(٣)

يقول: إن الغريبة لا ناصحَ لها في وجهها، لبعدها عن أهلها، فمِرْآتُها أبدًا مَجْلوَّة، لفرْط حاجتها إليها.

---

(١) قال في اللسان: «الحديقة من الرياض: كل أرض استدارت وأحدق بها حاجز، أو أرض مرتفعة». وفي رواية التبريزي (شرح المعلقات ١٠٨): «كل قرارة كالدرهم».

(٢) س ، وحواشي ر: «ويجب أن يكون من الثرة ثرارة».

(٣) ديوانه ٨٨. والذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن. وفي الديوان: «لها أذن حشر». والأذن الحشر: المحددة.

وتصديقُ مـا فسَّرنـاه من قول رسول الله ﷺ أنه يريد الصـدقَ فى الـمَنْطق والقَصدَ، وتركَ ما لا يُحْـتاجُ إليه، قوله لجرير بن عبـد الله البَجَلِىِّ: «ياجَرِيرُ، إذا قلتَ فأَوْجِز، وإذا بَلَغْتَ حاجتَك فلا تتكلَّف».

[كلمة أبى بكر فى مرضه لعبد الرحمن بن عوف]

قال أبو العباس: ومما يؤثَرُ من حكيم الأخـبار، وبارع الآداب، ما حُدِّثْنا به عن عـبد الرحمـن بن عَوْف، وهو أنه قـال: دخلت يوما على أبى بكر الصـديق رحمة الله عليه فى علَّته التى ماتَ فيها، فقلت له: أراك بارئًا يا خليفةَ رسول الله، فقال: أما إنِّى على ذلك لَشَديدُ الوَجَع، ولَـمَا لَقِيتُ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَشَدُّ عَلَىَّ مِنْ وَجَعى. إنِّى ولَّيْتُ أموركم خيـركم فى نفسى، فكلُّكم ورِمَ أَنْفُهُ أن يكون له الأمر من دونه، والله لَتَـتَّخِذُنَّ نَضَائدَ الدِّيـباجِ، وستُورَ الحـرير، ولَتَأْلَمنَّ النَّوْمَ على الصُّوف الأَذْرَبِىِّ كمـا يَأْلَمُ أحدُكم النوم على حسَك السَّعْدان، والذى نفسى بيده لأَن يُقَدَّمَ أحـدُكم فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ فى غَـيرِ حَدٍّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَخُـوضَ غَمَرات الدُّنيا. يا هادىَ الطَّريـق جُرْتَ ، إنما هـو والله الفَجْـرُ، أو الْبَجْرُ. فقلتُ: خَفِّضْ عليك يا خليفـةَ رسول الله، فإن هذا يَهِيـضُك إلى ما بك، فوالله مازِلْـتَ صَالِحًا مُصْلِحًا، لاَ تَأْسَ على شىء فاتك من أمر الدنيـا، ولقد تَخَلَّيْتَ بالأمر وحدك فما رأيتَ إلا خيرًا.

قوله: «نضائد الديباج» واحدتها نَضِيدةٌ، وهى الوسادة وما يُنْضَدُ من المتاع، قال الراجز:

وَقَـرَّبَتْ خُـدَّامُـهَـا الـوَسَـائدَا حَـتَّى إذَا مَـا عَلَـوا النَّضَـائدا
سَبَّحْتُ رَبِّى قَائمًا وَقَاعدا

وقد تسمى العـرب جماعة ذلك النَّضَدَ،والمعنى واحـد، إنما هو ما نُضِدَ فى البيت من متاع، قال النابغة:

* وَرَفَّعَتْه إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَد[1] *

---

(١) ديوانه ٢٤، وصدره:

* خَلَّتْ سبيل أتىٍّ كان يحبسه *

ويقال: نَضَـدْتُ المتاع إذا ضـممت بعضـه إلى بعض، فهـذا أصله قال الله تبارك وتـعالى: ﴿لها طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾(١)، وقـال: ﴿فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾(٢)، ويقال: نَضَدْتُ اللَّبِنَ على الميّت.

وقوله: «على الصوف الأذربىّ»، فهذا منسوب إلى أذْرَبِيجانَ، وكذلك تقول العرب، قال الشَّمَّاخ:

تَذَكَّـرتُهَا وَهْنًا وَقَـدْ حَالَ دُونَهَـا ... قُرَى أَذرَبِيجانَ المَسَالِحِ والجالِ(٣)

وقوله: «على حَسَكِ السَّعْدانِ»، فالسَّعدان نَبْتٌ كثيـر الْحَسك تأكله الإبل فتسمن عليـه، ويغذوها غذاءً لا يوجد فى غيره، فمن أمـثال العرب: «مَرْعًى ولا كالسَّعْدان» تفضيلاً له، قال النابغة:

الْوَاهِب الْمِـائَةَ الأبْكَارَ زَيَّنَـهـا ... سَعْدَانُ تُوضِحَ فى أوبارها الِّلبَدُ(٤)

ويرْوَى فى بعض الحديث «أنه يُؤْمَرُ بالكافر يوم القيامة فَيُسْحَبُ على حَسَكِ السَّعْدان»، والله أعلم بذلك.

* * *

[قال أبو الحسن: السَّعْـدان: نبت كثير الشوك ـ كمـا ذكر أبو العباس ـ ولا سَاقَ له، إنما هو مُنْفَـرِشٌ على وجه الأرض. حدثنا أبو العـباس أحمـد بن يحيى الشَّيْـبانىّ عن ابن الأعـرابىِّ، قال: قيـل لرجل من أهل البادية ـ وخـرج عنها ـ: أترجع إلى البادية؟ فقـال: أمَّا مادام السَّعْدانُ مُسْتَلْقِـيًا فلا. يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبدًا، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدًا.

(١) سورة ق ١٠.
(٢) سورة الواقعة ٢٩ ، ٣٠.
(٣) المسالح: مواضع المخافة، والجال، ضبطت فى الأصل بالفـتحة والكسرة، وكذلك فى إحدى النسخ التى قابل بها «ربط» نسخته. وقال المرصـفى: «الجال: اسم لجماعة الخـيل والإبل، أضاف أذربيجان إليـهما إشعارا بأنها مملوءة بهما». وانظر ديوان الشماخ ١١٧، ومعجم البلدان ١:١٥٩، واللسان (سلح)، وتاج العروس (ذرب)، والمعرب للجواليقى ٣٦.
(٤) توضح: من قرى اليمامة.

وقال أبو على البَصير - واسمه الفَضْل بن جعفر، وإن لم يكن بحجة، ولكنه أجاد فذكَرْنا شعْرَهُ هذَا لجَوْدته لا للاحتجاج به - يمدح عُبَيْدَ الله بن يحيى ابن خاقان وآلَه فقال:

يا وُزَرَاءَ السلطان أنتم وآلُ خاقانْ
كبَعْضِ ما رَوَيْنَا في سالفات الأزمانْ
ماءٌ ولا كَصُدَّى مَرْعًى ولا كالسَّعْدانْ

وهذه الأمثال ثلاثة، منها قولهم: «مَرْعًى ولا كالسَّعدان»، و«فَتًى ولا كَمَالك»، و«ماء ولا كَصُدَّى»، تُضْرَبُ هذه الأمثال للشيء الذى فيه فَضْلٌ وغيره أفضلُ منه، كقولهم: «ما من طامَّة إلا فوقها طامَّةٌ»، أي ما من داهية إلا وفوقها داهيةٌ، ويقال: طَما الماءُ وطَمَّ إذا ارتفع وزاد.

ومالك الذى ذكروا هو مالك بن نُوَيْرَة، أخو مُتَمِّم بن نُوَيْرَة.

وصَدَّاء يُمَدُّ،وبعضهم يقول: صُدَّى، فيضم أوله ويَقْصُرُ، فأمّا أبو العباس محمد بن يزيد، فإنه قال: لم أسمع من أصحابنا إلا صَدْءَاء يَا فتى، وهو اسم لماء، معرفةٌ، وهما همزتان بينهما ألف، والألف لا تكون إلا ساكنة، كأنك قلت: صَدْعاع يا هذا](١).

* * *

وقوله: «إنما هو والله الفجر أو الْبَجْرُ» يقول: إن انتظرتَ حتى يُضيء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصْدَك، وإن خَبَطْتَ الظَّلْماءَ، وركبتَ العَشْواء هَجَمَا بك على المكروه. وَضَرَبَ ذلك مَثَلاً لغَمَرات الدنيا، وتَحييرها أهلَها.

وقوله: «يَهيضُكَ» مأخوذ من قولهم: هِيضَ الْعَظْم إذا جُبِرَ ثم أصابه شيء يُعْنتهُ فآذاه فكسره ثانية، أولم يكْسِرهُ، وأكثر ما يستعمل فى كَسْرِه ثانيةً، ويقال: عظم مَهِيضٌ، وَجَنَاح مهِيضٌ فى هذا المعنَى، ثم يشتق لغير ذلك، وأصله ما ذكرت لك، فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كَسَرَ يزيد بن الْمُهَلَّب

---

(١) ما بين العلامتين لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر ، س.

سجْنه وهَرَبَ، فكتب إليه: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَبْقَى مَـا فعَلْتُ، ولَكنَّكَ مَسْمُومٌ، ولَم أَكُنْ لأَضعَ يَدِى فى يَدِ ابن عـاتكة(١). فقال عمر: اللَّهُمَّ إنَّـهُ قَدْ هَاضَنى فَهِضْهُ. فهذا معناه.

وقوله: «فكلّكم ورِمَ أنفُهُ»، يقـول: امتلأ من ذلك غَضَبًـا، وذكر أنفه دون السائر كما يقال: فلان شـامخ بأنفه، يريد رافع، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر:

* ولا يُهاجُ إذا ما أنفُهُ وَرِمَا *

أى لاَ يكَلَّمُ عند الغـضب، ويقال للمـائل برأسه كِبْـراً: مُتَـشَاوِس، وثَانى عطْفه، وثاني جِـيده، إنما هذا كله من الْكِبْرِياء. قـال الله عز وجل: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٢)، وقال الشَّماخُ(٣):

نُبِّـئْتُ أَنَّ رُبَيْـعًـا أَنْ رَعَى إبِلاً ... يُهْـدِى إِلَىَّ خَنَاهُ ثَانِىَ الجِـيـدِ

وقـوله: «أراك بارئًا ياخليـفة رسـول الله»(٤) يكـون من بَـرِئْتُ مـن المرض وبَرَأْتُ، كلاهمـا يقال: فمن قـال بَرِئتُ يقول: أَبْرَأُ(٥) يافتى لا غـير، ومن قال: بَرَأْتُ قـال فى المضارع: أبرأُ وأَبْرُؤُ، يافـتى، مثْلَ فَـرَغَ ويَفْرَغُ. والآية تُقْـرَأ على وجـهـين: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ(٦)﴾، و﴿سَنَفْرَغُ﴾، والمصدر فيهما «البُـرء» يا فتى.

[عهد أبى بكر بالخلافة إلى عمر]

ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عَهِدَ عند موته وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا مـا عَهِدَ به أبو بكر خليفةُ مـحمد رسول الله ﷺ، عند آخر عَـهْده بالدنيـا، وأول عَهْـده بالآخرة، فى الحـال التى يُؤْمنُ فيـها الكافر، ويَتَّقِى فيها الفَاجر. إنى استعملتُ عليكم عمرَ بنَ الخطاب، فإن بَرَّ وعَدَلَ

(١) زيادات ر: «هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز، ولا يعلم أحد أعرق فى الخلافة منه».
(٢) سورة الحج ٩.
(٣) زيادات ر: «يهجو الربيع بن علياء السلمى».
(٤) ر ، س: «يا خليفة رسول الله ﷺ».
(٥) ر ، س: «قال».
(٦) الرحمن ٣١.

فذلك علْمى به، ورأيـى فيه، وإن جار وبَـدَّلَ فلا علْمَ لى بالغيب، والخـيرَ أرَدْتُ، ولكُلِّ امْرِئٍ مَا اكتَسَبَ، وَسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أىَّ مُنْقَلَبٍ ينقَلبُون.

نصبَ «أىّ» بقـوله «ينْقلبون» ولا يكون نَصـبهـا بـ «سيعـلم»؛ لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماءً امتنعت مما قـبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يَعْمَلَ فيه مـا قبله، وذلك[1] قـولك: «علمتُ زيدًا منطلقًـا» فـإن أدخلْتَ الألف قلتَ: «علمتُ أزيـدٌ منطلقٌ أم لا»، فـــأىٌّ بمنزلة زيـد الواقع بعـــد الألف، ألا ترى أن مـعناها: أذا أم ذا. وقال الله عـزّ وجل: ﴿لنَعْلَمَ أىُّ الْحزْبَـيْنِ أَحْصَى لـمَا لَبثُوا أَمَدًا﴾[2] لأن معناها: أهذا أم هذا؟ وَقَـال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾[3] على مـا فسرتُ لك، وتقـولُ: أعْـلَـم أَيُّـهُمْ ضـرَبَ زَيْـدًا، وأَعْـلَمُ أَيَّـهُمْ ضـرب زيـد، تـنـصب أيًّا بـ «ضـرب» لأن «زيدا» فاعل، فـإنما هذا لما بعده، وكـذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء الـمُسْتَـفْهَم بها، نحو: قد علمتُ غلامُ أَيِّهِمْ فى الدار، وقد عرفتُ غُـلامُ مَنْ فى الدار، وقد علمتُ غلامَ مَنْ ضربتَ، فـتنصبه بـ «ضربت»، فعلى هذا مَجْرَى الباب.

[أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب]

ومما يُؤْثَرُ من هذه الآداب ويُقَدَّم قَولُ عـمرَ بنِ الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خُطْبَة خَطَبها ـ حدثنا العُتْبىُّ قال: لم أرَ أقلَّ منها فى اللفظ، ولا أكثر فى المعنى ـ حَمِدَ الله وأثنى عليه وهو أهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

أيها الناس، إنَّهُ وَالله مَا فيكُمْ أَحَدٌ أَقْوَى عندى من الضَّعِيفِ حَتَّى آخذَ الْحقَّ لَهُ، ولا أَضْعَفُ عِنْدِى مِن الْقَوِىِّ حَتَّى آخُذَ الْحقَّ مِنه.

ثم نزل. وإنما حَسُنَ هذا القولُ مع ما يستحقـه من قِبَلِ الاختيار، بما عَضَدَهُ به من الفعل المشاكل له:

[4][قال أبو الحسن: قد رَوَيْنَا هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما، وهو الصحيح][4].

(١) ر ، س: «وذلك نحو قولك».
(٢) الكهف ١٢.
(٣) الكهف: ١٩.
(٤ ـ ٤) لم يرد فى الأصل، وأثبتناه عن ر ، س.

[رسالة عمر فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى]

قال أبو العباس: ومن ذلك رسالتُه فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرىّ، وهى التى جَمَعَ فيها جُمَلَ الأحكام، واختصرها بأجود الكلام، وجَعَل الناسُ بعده يتخذونها إمامًا، ولا يَجِدُ مُحِقٌّ عنها مَعْدِلا، ولا ظالمٌ عن حدودها مَحِيصًا، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قَيْس. سلامٌ عليك، أما بعد، فإن القَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ، وسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، فافْهَمْ إذا أُدْلِيَ إلَيْكَ، فإنه لا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بحقٍ لاَ نفاذ له. آسِ بَيْنَ النَّاسِ بوَجْهِكَ[1]، وعَدْلِكَ، ومَجْلِسِك، حتَّى لا يَطْمَعَ شريفٌ فى حَيْفك، ولا ييئسَ ضعيفٌ من عدلك. البَيِّنَةُ علَى مَنِ ادَّعَى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلاَّ صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا، أَوْ حَرَّمَ حَلاَلاً. لا يمنعنَّك قَضَاءٌ قَضيتَهُ اليومَ فَرَاجَعْتَ فيه عَقْلَكَ، وهُدِيتَ فيه لرُشْدك، أن تَرْجِعَ إلى الحق، فإن الحق قديمٌ، ومراجعةُ الحق خير من التمادى فى الباطل. الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك مما ليس فى كتاب وَلاَ سُنَّةٍ، ثم اعْرِفْ الأَشْبَاهَ وَالأَمْثَالَ، فَقِسِ الأُمُورَ عند ذلك، واعْمِدْ إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق، واْجْعَلْ لمن ادَّعَى حَقًّا غائبًا أو بينةً أَمَدًا ينتهى إليه، فإن أحضر بيِّنَتَهُ أخذتَ له بحقه، وإلاَّ اسْتَحْلَلْتَ عليه القضيةَ، فإنه أَنْفَى للشك، وأَجْلَى للعمى. المسلمون عُدُولٌ بعضُهم على بعض إلاَّ مَجْلودًا فى حدٍّ، ومُجَرَّبًا عليه شهادةُ زُور، أو ظَنِينًا فى وَلاَءٍ أَوْ نَسَبٍ، فإن الله تولَّى منكم السرائر، ودَرَأَ بالبيِّنات والأَيْمان. وإياك والغَلَقَ والضَّجَرَ، والتَّأَذِّيَ بالخصوم، والتَّنَكُّرَ عند الخصومات، فإن الحق فى مَواطن الحق لَيُعْظِمُ[2] الله به الأجر، ويُحْسِنُ به الذُّخْرَ، فمن صَحَّتْ نِيَّتُهُ، وأَقْبَلَ على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانَهُ اللهُ، فما ظنك بثواب غَيْرِ الله عزّ وجل فى عاجلِ رزقه وخزائن رحمته، والسلام.

---

(١) ر ، س: «فى وجهك».
(٢) ر س: «يعظم».

قال أبو العباس: قوله: «آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك»، يقول: سَوِّ بينهم: وتقديره: اجعل بعضهم أُسْوَةَ بعض، والتَّأَسِّى من ذَا أن يَرَى ذُو الْبَلاء منْ به مِثلُ بَلائه، فيكونَ قد ساواه فيه، فَيُسَكِّنَ ذلك من وَجْده، قالت الخنْسَاء:

فَلَوْلاَ كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِى ... عَلَى إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخى ولَكِنْ ... أُعَزِّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَأسِّى

يُذَكِّرُنِى طُلوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا ... وأَذْكُرُهُ لِكلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

تقول: أذكره فى أوَّل النهار للغارَة، وفى آخره للضِّيفان، وتَمَثَّلَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ يومَ قُتِل بهذا البيت:

وَإنَّ الأُلَى بَالطَّفِّ منْ آلِ هَاشِمٍ ... تَآسوْا فَسَنُّوا للْكِرامِ التَّآسِيَا[1]

وقوله: «حتى لا يطْمَعَ شريفٌ فى حَيْفك»، يقول: فى مَيْلك معه لشرفه.

وقوله: «فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك» يقول: تَرَدَّدَ، وأصل ذلك المُضْغَةُ والأكْلَةُ يُرَدِّدُها الرجلُ فى فيه فلا تزال تتردد إلى أن يُسيغَها أو يَقْذفها، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصِلَها بأُخرى، يقال للْعَيِىِّ: لَجْلاَجٌ، وقد يكون من الآفة تَعتَرِى اللسان، قال زُهَيْر:

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ ... أَصَلَّتْ، فَهِىَ تَحْتَ الكَشْحِ دَاءُ

وقوله: «أَنِيضٌ» أى لم تَنْضَجْ[2]. ومن أمثال العرب: الحقُّ أَبْلَجُ، والباطل لَجْلَجٌ. أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَخْرَجًا.

وقوله: «أوظَنينًا فى وَلاء، أو نسب»، فهو المُتَّهَم، وأصله «مَظْنون»، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد، تقول: ظننت بزيد، وظننت زيدا، أى اتَّهَمْتُ، ومن ذلك قول الشاعر ـ أحسبُهُ عبد الرحمن بن حَسَّان ـ:

فَلاَ وَيَمِينِ اللهِ مَا عَنْ جِنَايَةٍ ... هجِرْتُ، وَلَكِنَّ الظَّنِينَ ظَنِينُ[3]

---

(١) البيت فى الأغانى (١٧ ـ ١٦٥) ونسبه إلى سليمان بن قتة، وهو أيضا فى اللسان (أسا) من غير نسبه. قال ابن برى: « وتآسوا، من المؤاساة، كما ذكر الجوهرى، لا من التأسى كما ذكر المبرد».

(٢) كذا ذكره المبرد، وهو يوافق ما فى شرح الديوان، وفى اللسان (أنض): «فيها أنيض أى تغير» واستشهد بالبيت، وهو الأوفق.

(٣) البيت فى اللسان (ظن)، ونسبه أيضا إلى عبد الرحمن بن حسان، ثم ذكر أن ابن برى نسبه إلى نهار بن توسعة.

وفى بعض المَصَاحف: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بظَنِين﴾(١): وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لمَا جاء عن النبى ﷺ: «مَلْعون مَلْعون مَن انْتَمَى إلى غير أبيه، أو ادَّعَى إلى غير مَوَالِيه»، فلما كانت معه الإقامةُ على هذا لم يره للشهادة موضعًا.

وقوله: «وَدَرَأ بالبينات والأيمان» إنما هو دَفَعَ، من ذلك قول رسول الله ﷺ: «ادرَءوا الحُدُودَ بالشُّبهَات»، وقال الله عزّ وجل: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ المَوْتَ إِنْ كُنتمْ صَادِقِين﴾(٢) وقال: ﴿فَادَّارَأتُم فِيهَا﴾(٣)، أى تَدَافَعتُمْ.

وأما قوله: «وإياك والغَلَقَ والضجَرَ» فإنه ضيقُ الصدر، وقلة الصبر، يقال فى سوء الْخُلُقِ: رجل غَلِقٌ، وأصل ذلك من قولهم(٤): غَلِقَ الرَّهْنُ، أى لم يوجد له تَخَلُّص، وأغْلَقْتُ البابَ مِن هذا، قال زُهَيْر:

وَفَارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لاَ فَكَاكَ لَهُ ... يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا

وقوله: «ومن تَخَلَّقَ للناس»، يقول: أَظْهَرَ للناس فى خُلُقِه خلافَ نيته.

وقوله: «تَخَلَّقَ» يريد أَظْهَرَ(٥) مثل تَجمَّلَ يريد أظهر جَمَالا وتَصنَّعَ، وكذلك تَجَبَّرَ، إنما تأويله الإظهار، أى أظهر جَبرِيَّةً، وإن شئت جَبَروتًا، وإن شئت جَبَروتَى [وإنْ شئْتَ جَبَرُوَّةً](٦). ومن كلام العرب على هذا الوزن: رَهَبُوتَى خير لك من رَحَمُوتَى، أى(٧ تُرْهَبُ خيرٌ لك من أن تُرْحَمَ٧). قال أبو العباس وأنشدونا عن أبى زيد(٨):

---

(١) التكوير: ٢٤، وهو مصحف عبد الله بن مسعود، (وانظر الكشاف).
(٢) سورة آل عمران: ١٦٨.
(٣) سورة البقرة: ٧٢.
(٤) ر: «وأصل ذلك من قولهم: اغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم ينفتح، من ذلك قولهم: غلق الرهن...».
(٥) ر، س: «أظهر حلقا».
(٦) تكملة من ر
(٧ ـ ٧) ر، س «لأن ترهب خير لك من أن ترحم».
(٨) زيادات س «الشعر لسالم بن وابصة الأسدى».

يأيهـا المتَـحلِّى غَـيْـرَ شِـيمَـتِـه | إنَّ التَّخلُّقَ يَأْتِى دُونَهُ الْخُلقُ(١)
ولاَ يُؤَاتيكَ فيـما نَابَ مِنْ حَدَثٍ | إلاَّ أَخُـو ثِقَةٍ فَـانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ

قال: وأنْشَدَتْنى أمُّ الْهَيْثَمِ الكلاَبِيَّة:

وَمَنْ يَتَّخِذْ خِيما سِوىَ خِيمِ نَفْسِهِ | يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ علَى النفْسِ خِيمُهَا(٢)

وقال ذو الإصبعِ الْعَدْوَانِىُّ(٣):

كلُّ أمْـرِئٍ رَاجِعٌ يَوْما لِشِيـمَتِـهِ | وَإِنْ تَمـتَّعَ أَخْلاقـا إِلَى حِـينِ

وأما قـوله: «ثواب»، فاشتقـاقه من ثابَ يَثُوبُ إذا رَجعَ، وتأويله مـا يَثُوب إليك من مُكافأة الله وفضله.

[كتاب عثمان إلى على بن أبى طالب حين أحيط به]

وكتب عثمانُ بن عَفَّانَ إلى علىٍ رحمه الله(٤) حين أُحيطَ به:

أما بعدُ: فـإنه قد جاوزَ الماءُ الزُّبَى، وبلَغَ الحزامُ الطُّبْيَـيْنِ، وتجاوزَ الأمرُ بى قَدْرَهُ، وطَمِعَ فِىَّ مَن لا يَدْفَعُ عن نفسه

فَإنْ كُنتُ مَأْكُـولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ | وَإلاَّ فَـأَدْرِكْنِى ولَمَّا أُمَـزَّقِ(٥)

قوله: «قد جاوز الماء الزبى» فالزُّبْيَةُ مَـصْيَدة الأسد، ولا تُتَّخَذ إلا فى قلة أو رَابِيَةٍ أو هَضْبَةٍ، قال الراجز(٦):

كاللَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

---

(١) الشعر فى ر هكذا:

يأيهـا المتـحلى غـير شـيمـتـه | [ومن سـجـيـتـه الإدغـال والملق
دع التـخلـق يبـعـد عنك أوله] | إن التـخلـق يـأتى دونـه الخلـق
ولا يؤاتيـك فـيـمـا ناب من حـدث | إلا أخـو ثقـة، فـانظر بمن تـثق

وانظر رواية الأبيات فى ديوان الحماسة ٢: ٢٣٦ ـ بشرح التبريزى.

(٢) البيت فى اللسان (خيم) من غير نسبة.

(٣) زيادات ر: «ذو الإصبع اسـمه حرثان بن الحـارث بن محرث، وقـيل له ذو الإصبع؛ لأن أفـعى نهشت إصبعه».

(٤) ر. «على بن أبى طالب رحمهما الله»، س: «على بن أبى طالب رضى الله عنهما».

(٥) البيت للممزق العبدى، واسمه شأس بن نهار، (وانظر المؤتلف والمختلف للآمدى ١٨٥)

(٦) قبله فى زيادات ر:

* فأنت والأمر الذى قد كبدا *

وقال الطِّرِمّاح:

ياطَيِّئَ السَّهلِ وَالأجْبَالِ(1)، مُوعِدُكُمْ   كَمُبْتَغِي الصَّيْدِ أَعْلَى زُبْيَةِ الأسَدِ

وتقول العرب: «قد عَلاَ الماءُ الزُّبى»، و«قد بَلَغَ السِّكِّينُ الْعَظْمَ»، و«بَلَغَ الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ»، و«قد انقطع السَّلَى فى البطن».

فالسَّلَى من المرأةِ والشاة ما يَلْتَفُّ فيه الولدُ فى البطن، وقال العَجَّاجُ:

فَقَدْ عَلاَ المَاءُ الزُّبَى فَلاَ غِيَرْ

أى: قد جَلَّ الأمرُ عن أن يُغَيَّرَ ويُصْلَحَ.

وقوله: «وبلغ الحزام الطبيين»، فإن السِّباعَ والخيلَ يقال لموضع الأَخْلاف منها: أَطْباءٌ يا فتى، واحدها طُبْىٌ، كما يقال فى الظِّلْف والْخُفِّ: خِلْفٌ، هذا مكانُ هذا، فإذا بلغ الحزامُ الطُّبيين فقد انتهى فى المكروه، ومثل هذا من أمثالهم: «التَقَتْ حَلْقَتَا البِطَانِ»(2): [ويقولون: التقت حلقتا البطان والحقب](3)، ويقال: حَقِبَ البعيرُ إذا صار الحزامُ فى الحَقَبِ(4)، قال الشاعر(5):

إذَا مَا حَقِبٌ جَالَ   شَدَدْنَاهُ بِتَصْدِير

وقال أَوْس بن حَجَرٍ:

وَازْدَحَمتْ حَلْقَتا الْبِطَانِ بِأَقْوامٍ   وَطَارَتْ نُفوسهمْ جَزَعَا

وَتَمَثُّلُه بالبيت يشاكِلُ قولَ القائل:

فَإنْ أَكُ مَقْتُولاً فكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي   فَبَعْضُ مَنَايَا القَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

---

(1) أجبال طيئ: أجا وسلمى والعوجاء.

(2) البطان: حزام الرحل.

(3) من ر ، س.

(4) الحقب: حزام يشد به رجل البعير.

(5) ر: «قال أبو بكر: هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وأوله.

سُلَيْمى تلْكَ فى العِيرِ   قفى إنْ شئْتِ أو سيرى
فَلمَّا أنْ بَدَا الصبحِ   بأَصْوَاتَ العَصَافيرِ
خَرجْنَا نَبْتَغِي الصيْدَ   بأمْثَالَ اليعَافيرِ
إذا ما حَقَبٌ جَالَ   شَدَدناهُ بتَصْدير
زَجَرْنَا العِيسَ فارمَدَّتْ   بإهْذابِ وتَشْمِيرِ

[عتاب عثمان علي بن أبي طالب]

ويروى عن قَنْبَر مَوْلى عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: دخلتُ مع عليّ بن أبي طالب على عثمــان بن عفّان رضى الله عنهما، فأحَـبَّا الخَلْوَةَ، فأَوْمأ إليّ عَلَيٌّ بالتَّنَحِّي، فتَنَحَّيْتُ غَـيْرَ بَعِيد، فَجَعَلَ عثمـانُ يعاتب عليًّا وعليٌّ مُطْرِقٌ، فَأَقْبَلَ عليه عـثمانُ فقال: ما بالك لا تقول؟ فـقال: إن قلتُ لم أقل إلا ما تَكْرَه، وليس لك عندى إلا ما تُحِبُّ.

تأويل ذلك: إن قلتُ اعْـتَـدَدْتُ عليك بمثل مـا اعـتـددتَ به عَلَيَّ فَلَذَعَك عتابى، وعَقْدى ألا أَفْعَلَ - وإن كنتُ عاتبًا - إلا ما تُحِبُّ.

[خطبة علي بن أبي طالب حين بلغه قتل عامله حسان بن حسان]

وتَحدَّث ابنُ عـائشةَ فى إسنادٍ ذكَره أن عليا رحـمه الله انتهى إليـه أنَّ خيلا لمعاويةَ وردت الأنْبارَ، فقتَلـوا عاملاً له يقال له: حَسَّانُ بن حسان، فخـرج مُغْضَبا يجرُّ ثوبه حـتى انتهى[١] إلى النُّخَـيْلَة، واتَّبـعه الناس، فَـرقِىَ رَبَاوَةً من الأرض، فحَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

أما بعــدُ، فإن الجهادَ بَابٌ من أبواب الجنة، فَـمَنْ تركه رَغْبَة عنه أَلْـبَسَهُ اللهُ الذُّلَّ، وسيمــاَ الخسفِ وديِّثَ بالصَّغار. وقد دعوتكم إلى حَـرْب هؤلاء القوم ليلا ونهارًا، وسراً وإعْلانًا، وقلتُ لكم: اغزوهم مـن قبل أن يَغْزُوكم، فو الذى نفسى بيده ما غُـزِىَ قومٌ قَطُّ فى عُقْرِ دارهم إلاَّ ذَلُّوا. فتـخاذلتم وتَوَاكَلْتُمْ، وثَقُلَ عليكم قولى، واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا، حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ. هذا أخو غامد، قد وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأنْبارَ، وقـتَلوا حَسَّان بن حَسَّان، ورجالا منهم كـثيراً ونساءً - والذى نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يَدْخُلُ على المرأة المُسْلمة والمَعاهَدة، فتُنْتَزَعُ أحجالهما ورُعُثُهــمَا - ثم انصرفوا مَوْفُـورين لم يُكْلَمْ منهم أحدٌ كَلْما . فلو أن امْـرأً مسلمًا مات من دون هذا أسَفًا ما كان عندى فيه مَلُوما، بل كان عندىَ به جَديرا. ياعَجبا كلَّ العَجَب! [عجبٌ يميت القَلْبَ، ويَشْغَلُ الفهمَ، ويكثر الأحزان][٢] من تَضَافُرِ

(١) ر. «حتى أتى النخيله»، والنخلة: موضع قرب الكوفة.

(٢) من ر.

هؤلاء القوم على باطلهم، وفَشَلِكُمْ عن حقكم، حتى أصبحتم غَرَضًا تُرْمَوْن ولا تَرْمُون، ويُغارُ عليكم ولا تُغيرون، ويُعْصَى اللهُ عزَّ وَجل فيكم وتَرْضَوْنَ. إذا قلتُ لكم: اغزوهم في الشتاء قلتم: هذا أَوَانُ قُرٍّ وصِرٍّ، وإن قلتُ لكم: اغزُوهم في الصيف قلتم: هذه حَمَارَّةُ القَيْظ، أنظِرْنَا يَنْصَرِم الحرُّ عنا. فإذا كنتم من الحر والبرد تَفِرُّون، فأنتم من السَّيْف أَفَرُّ، يا أَشْبَاهَ الرجال ولا رجال! ويا طَغَامَ الأحْلام، ويا عُقُول ربَّات الحِجال، والله لقد أفسدتم عَلَيَّ رأيي بالْعِصْيان، ولقد ملأتم جَوْفِي غَيْظًا، حتى قالت قُرَيْشٌ: ابنُ أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا رَأْيَ له في الحرب. لله دَرُّهُمْ! ومَنْ ذا يكونُ أعلَمَ بها مني، أو أشدَّ لها مِرَاسًا! فوالله لقد نَهَضْتُ فيها وما بَلَغْتُ العِشْرين، ولقد نَيَّفْتُ اليوم على الستين. ولكن لا رأي لمن لا يُطاع! - يقولها ثلاثًا.

فقام إليه رجل ومعه أخوه(١)، فقال: يا أميرَ المؤمنين: أنا وأخي هذا كما قال الله عز وجلّ: ﴿رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وأَخِي﴾(٢) فَمُرْنَا بأمْرِك، فوالله لَنَنْتَهِيَنَّ إليه، ولو حال بيننا وبينه جَمْرُ الغضا، وشَوْكُ القَتَاد. فَدَعا لهما بخير، ثم قال: وأين تَقَعَان مما أريد! ثم نَزَل.

قال أبو العباس قوله: «سيما الخَسْف»، قال: هكذا حدَّثوناه، وأظنه «سِيمَ الخَسْفَ» يا هذا، من قول الله عزّ وجل: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العذاب﴾(٣) ومعنى قوله: «سيما الخسف» تأويله عَلاَمَةٌ، هذا أصل ذا، قال الله عزّ وجلّ: ﴿سِيمَاهُمْ في وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾(٤)، وقال عز وجلّ: ﴿يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾(٥).

---

(١) زيادات ر: «الرجل وأخوه يعرفان بابني عفيف من الأنصار» وفي حاشية الأصل: «هو جندب بن عفيف، وأخوه من الأزد».
(٢) سورة المائدة ٢٥.
(٣) سورة البقرة ٤٩.
(٤) سوره الفتح ٢٩.
(٥) سورة الرحمن ٤١.

وقال أبو عبيدة في قوله عز وجل: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾(١) قال: مُعْلِمِينَ(٢) واشتقاقه من السِّيمَا التي ذكرنا. ومن قال: ﴿مُسَوَّمِينَ﴾، فإنما أراد مُرْسَلِين: من الإبل السائمة، أي المُرْسَلَة في مراعيها، وإنما أخذ هذا من التفسير. وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾(٣) القولين جميعًا مع العَلامة والإرسال، وأما في قوله عز وجل: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾(٤) فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحدًا، قالوا: «مُعْلَمَةً»، وكأن عليها أمثالُ الخَوَاتيم، ومن قال: «سيما» قَصَر. ويقال في هذا المعنى: سِيمِياء، ممدود، قال الشاعر(٥):

غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعًا ... لَهُ سِيمِياء لا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرْ(٦)

وقوله رحمه الله: «وقَتَلُوا حَسَّانَ بن حَسَّان»، مَنْ أخذَ حَسَّانًا من الحُسْنِ صَرَفَهُ لأن وزنه «فَعَّالٌ» فالنون منه في موضع الدال من «حَمَّاد»، ومن أخذَهُ من الحِسِّ لم يَصْرِفْهُ لأنه حينئذ فَعْلان فلا ينصرف في المعرفة، وينصرف في النكرة، لأنه لَيْسَتْ لَهُ «فَعْلَى»، فهو بمنزلة سَعْدَان وسِرْحان.

وقوله: «دُيِّثَ بالصَّغَار»، تأويله: ذُلِّلَ يقال للبعير إذا ذَلَّلَتْهُ الرياضَةُ: بعير مُدَيَّثٌ، أي مُذلَّل.

وقوله: «في عُقْر دارهم»، أي في أصل دارهم، والعُقْرُ: الأصل، ومِنْ ثَمَّ قيل: لفلان عَقَار، أي أصل مال، ويُروى عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ بَاعَ دارًا أو عَقَارًا فلم يَرُدَّ ثَمَنَهُ في مِثْله فذلك مالٌ قَمِن ألاَّ يُبَارَكَ [له](٧) فيه». وقوله: قَمَنٌ يريد: خَلِيقٌ، ويقال أيضًا: قَمِين وقَمِن.

---

(١) سورة آل عمران ١٢٥.

(٢) المعلم، بكسر اللام: الفارس الذي أعلم مكانه في الحرب بعلامة أعلم بها نفسه.

(٣) سورة آل عمران ١٤.

(٤) سورة هود ٨٢، ٨٣.

(٥) زيادات ر: «وهو ابن عنقاء الفزاري في عميلة الفزاري».

(٦) بعده في زيادات ر:

كأن الثريا علقت في جبينه ... وفي أنفه الشعرى وفي جيده القمر

(٧) من س.

[قال أبو الحسن: من قال: قَمَنٌ لم يُثَنِّ ولم يَجْمَعْ، ومَنْ قال: قِمنٌ وقَمِينٌ ثَنَّى وَجَمَعَ][1].

ويقال للرجل إذا اتخذ ضَيْعَةً، أو داراً: تَأَثَّلَ فلان، أى اتخَذَ أصلَ مالٍ.

وقوله: «وتَواكَلْتم»: إنما هو مشتقٌ من وكَلْتُ الأمرَ إليكَ ووكلْتَهُ إلىّ [أنت][2] أى: لَم يَتَوَلَّهُ واحدٌ منا دون صاحبه، ولكن أحالَ به كل واحد منا على الآخر، ومن ذلك قول الحُطَيْئة:

فَلأْيًا قَصرْت الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسْرَةٍ   أَمُونٍ إذَا وَاكَلْتَـهَا لا تُواكِلُ[3]

وقوله: «واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا»، أى رَميتم به وراء ظهوركم، أى لم تلتفتوا إليه، يقال[4] فى المَثَل: «لا تَجْعَلْ حاجتى منك بظَهْرٍ»، أى لا تَطْرَحها غير ناظر إليها.

وقوله: «حتى شُنَّتْ عليكم الغارات»، يقول: صُبَّتْ، يقال: شَنَنْتُ الماءَ على رأسه، أى صَبَبْتُهُ، وشَنَنْتُ الشرابَ فى الإناء أى صَبَبْتُهُ، ومن كلام العرب: فلما لَقِيَ فلانٌ فلانا شَنَّهُ السيفَ، أى صَبَّهُ عليه صبًّا.

وقوله: «هذا أخو غامد»، فهو رجُل مشهور من أصحاب معاوية، من بنى غامد بن نَصْر بن الأزْد بن الغَوْث، وفى هذه القبيلة يقول القائل[5]:

أَلاَ هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَأْيِهَا   بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غامِدُ

تَمَنَّيْتُمُ مِائَتَىْ فَارِسٍ   فَرَدَّكُمُ فَارِسٌ وَاحِدُ

فَلَيْتَ لنا بارتباط الخيو   لِ ضَأنا لها حالبٌ قاعِدُ

وقوله: «فَتَنْتَزِعُ أحجالَهما»، يعنى الخَلاَخيل، واحدها حِجْل، ومن هذا قيل للدابة: مُحَجَّلٌ، ويقال للقيد: حِجْل؛ لأنه يقع فى ذلك المَوضع، قال جَرِيرٌ،

---

(١) من ر.

(٢) من ر.

(٣) الجسرة النافة الماضية فى سيرها، والأمون. الوثيقة الخلق وورواية ديوانه ٩٨: «ذلول».

(٤) ر: «ويقال»

(٥) زيادات ر: «هو ربيعة بن مكدم».

يُعَيِّر الفَرَزْدَقَ حين قَيَّدَ فرسه، وأقسم ألا يَحُلَّها حتى يَحْفَظَ القرآن، فلما هاجَى جريرٌ البَعِيثَ هجا [الفرزدق][1] جريراً مَعُونَةَ للبعيث، وذَبًّا عن عَشِيرَتِهِ، فقال جرير:

وَلَمَّا اتَّقَى الْقَينُ الْعِرَاقِيُّ بِاسْتِهِ فَرَغْتُ إلى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِى الحِجْلِ[2]

معنى فرغت عَمَدْتُ: قال الله عزّ وجل: ﴿سَنَفْرُغُ لكم أَيُّها الثَّقَلانِ﴾[3] أى سَنَعْمِدُ[4].

وقوله: «ورُعْثُهُمَا» الواحدة رَعْثَةٌ، وجمعها رِعاث، وجمع الجمع رُعُث وهى الشُّنُوف.

وقوله: «ثم انصرفوا مَوْفورين» من الوَفْرِ، أى لم يُنَلْ أحدٌ منهم بأن يُرْزَأ فى بَدَن ولا مال، يقال: فلانٌ مَوْفور، وفلان ذو وفْر، أى ذو مال، ويكون مَوْفوراً فى بدنه إذا ذكر ما أصيب به غيرُه فى بدنه. قال حاتم الطائى:

وَقَدْ عَلِمَ الأَقوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ المَالِ أمسى لَهُ وَفْرُ

- ويروى: «كان له وَفْرُ».

وقوله: «لم يُكْلَمْ أحد منهم كَلْمًا». يقول: لم يُخْدَشْ أحدٌ منهم خَدْشًا، وكلُّ جُرْحٍ صَغُرَ أو كَبُر فهو كَلْمٌ، قال جرير:

تَوَاصَتْ مِنْ تَكَرُّمِهَا قُرَيْشٌ بِرَدِّ الخَيْلِ دَامِيَةَ الْكُلُومِ

وقوله: «مات من دون هذا أسَفًا»: يقول: تَحَسُّرًا، فهذا موضع ذا. و[قد][5] يكون الأسَفُ الغضبَ، قال الله عزّ وجل: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[6] والأَسِيفُ يكون الأجيرَ، ويكون الأسيرَ، فقد قيل فى بيت الأعْشَى:

أَرَى رَجُلاً مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبًا

---

(1) من ر.

(2) زيادات ر: «يعنى بقوله. «ولما اتقى القين العراقى باسه» البعيث، وسماه القين لأنه من رهط الفرزدق».

(3) سورة الرحمن ٢٤.

(4) زيادات ر: «تميم تقول: فرغ يفرغ [بفتح الراء فيهما] فراغا، وأهل العالية - وهم قريش ومن والاها - يقولون فرغ يفرغ [بالضم فيهما] فروغا».

(5) من ر.

(6) سورة الزخرف ٥٥

المشهور أنه من التأسُّف لقطع يده، وقيل: بل هو أسير قد كُبلَتْ يَدُه، ويقال: قد جَرَحَهَا الغُلُّ، والقول الأوّل هو المُجْتَمَع عليه، ويقال فى معنى أسيفٍ عَسِيفٌ أيضاً.

وقوله: «من تَضَافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم»، يقول: من تَعَاونهمْ وتَظَاهُرِهِم.

وقوله: «وفَشَلِكم عن حقكم»، يقال: فَشِلَ فلان عن كذا [وكذا][1] إذا هابه فَنَكَلَ عنه، وامتنع من المُضِىِّ فيه.

وقوله: «قلتم هذا أوَانْ قُرٍّ وصِرٍّ»، فالصِّرُّ شدة البرد، قال الله عزّ وجل: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[2].

وقوله: «هذه حَمَارَّةُ القَيْظِ»، فالقَيْظُ الصيف، وحَمَارَّتُه: اشتداد حره واحْتِدامُهُ، وحَمَارَّةٌ مما لا يجوز أن يحتجّ عليه ببيت شعْرٍ؛ لأن [كل][3] ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع فى وَزْنٍ إلا فى ضَرْبٍ [منه][4] يقال له: المُتَقَارِبُ: [فإنّه جُوِّز فيه على بُعْدِ التقاءُ الساكنين][5]، وهو قوله:

فَذَاكَ الْقِصَاصُ وَكَانَ التَّقَا صّ فَرْضًا وَحَتْمًا عَلَى المسْلِمِينَا

ولو قال: «وكان القصاص فرضًا وحتما» كان أجود وأحسن، ولكن قد أجازوا هذا فى هذه العَرُوض، ولا نظيرَ له فى غيرها من الأعاريض.

وقوله: «ويا طَغامَ الأحلام» فمجازُ الطَّغَامِ عند العرب مَنْ لا عَقل له، ولامعرِفة عنده، وكانوا يقولون: طَغَامُ أهلِ الشأم، كما قال:

* فَمَا فَضْلُ اللَّبِيبِ عَلَى الطَّغَامِ[6] *

---

(١) من ر ، س.
(٢) سورة آل عمران ١١٧.
(٣) من ر ، س.
(٤) من ر.
(٥) من ر.
(٦) قبله، كما فى زيادات ر:

* إذا ما كان مثلهم رجاما *

وقوله: «ويا عقـولَ ربَّاتِ الحجال» يَنْسُبُهُمْ إلى ضَـعْف النساء، وهو السائر في كلام العرب. وقـال الله تعالى يذكر البنات: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِـلْيَةِ وَهُوَ فى الخِصَامِ غَيْرُ مُبين﴾(١).

(١) الزخرف ١٨.

بابـ

وقال أبو العباس: من كلام العرب الاختصار المُفْهِم، والإطناب المُفَخَّمُ، وقد يقع الإيماءُ إلى الشيء فيُغْنِي عند ذوى الألباب عن كشفه، كما قيل: لَمْحةٌ دَالةٌ. وقد يُضْطَرُّ الشاعرُ المفْلِقُ، والخطيبُ المِصْقَعُ، والكاتب البليغ، فيقعُ فى كلام أحدهم المعنى المُسْتَغْلِق، واللفظُ المُسْتَكْرَه، فإن انعطفتْ عليه جَنْبتا الكلامِ غَطَّتا على عَوَاره، وسَتَرتا من شَيْنه. وإن شاء قائل أن يقول: بل الكلام القبيح فى الكلام الحَسَنَ أظهرُ، ومجاورته له أشهر، كان ذلك له،ولكن يغتفر السيئى[1] للحَسَن، والبعيد للقريب.

[من ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة]

فمن ألفاظ العرب البيِّنَة القريبةِ المُفْهِمَة، الحَسَنَةِ الوصفِ، الجميلةِ الرَّصْفِ، قولُ الحُطَيْئَة:

وَذاكَ فَتًى إنْ تَأْته في صَنِيعَةٍ إلَى مَالِهِ لا تَأْتِه بِشَفِيعِ

وكذلك قول عَنْتَرَةَ:

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِى أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وكما قال زُهَيْرٌ:

عَلَى مُكثِرِيهِمْ رزقُ[2] مَنْ يعْتَرِيهِمُ وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

[مما وقع من الكلام كالإيماء]

ومما وقع كالإيماء قولُ الفرزدق:

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

فتأويل هذا أن بيتَ جرير فى العرب كالبيت الواهن[3] الضعيف، فقال: وقضى عليك به الكتابُ المنزل: يريد به قولَ الله تَبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾[4].

(١) س: «الشين».
(٢) ر: «حق».
(٣) ر: «الواهى».
(٤) سورة العنكبوت ٤١.

ومن كلامه المُسْتَحسَن قوله لجرير:

فَهَلْ ضَربَةُ الرُّومِىّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ ... أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَبًا مِثْلَ دَارِمِ

ومن أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبْعَد المعانى قوله:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكًا ... أَبُو أُمِّهِ حَىٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

مَدَحَ بهذا الشعر إبراهيمَ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المُغِيرة بن عبد الله بن عمرَ بنِ مَخْزوم، وهو خال هشام بن عبد الملك، فقال:

* وما مِثْلُه فى الناس إلا مُمَلَّكًا *

يعنى بالمُمَلَّك هشامًا، أبو أمّ ذلك المُمَلَّك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحًا، وكان يكون إذا وَضَعَ الكلامَ فى موْضعه أن يقول: وما مثله فى الناس حَىٌّ يقاربه إلا مُمَلَّكٌ، أبو أمٍّ هذا المُمَلَّك أبو هذا الممدوح، فدلَّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهَجَّنَهُ بمَا أوقع فيه من التقديم والتأخير: حتى كأنَّ هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تَصَرَّمَ مِنِّى وُدُّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ... وَمَا كَادَ مِنِّى وُدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ

قَوَارِصُ تَأْتِينِى وَيَحْتَقِرُونَهَا ... وَقَدْ يَمْلأُ الْقَطْرُ الإنَاء فَيَفْعَمُ(١)

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِى السَّوَادِ كَأَنَّهُ ... لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

فهذا أوْضَحُ معنًى، وأقْرَبُ مأْخَذ.

وليس لِقِدَم العَهْد يُفَضَّلُ القائلُ، ولا لحدثان عَهْد يُهْتَضَمُ المصيب. ولكن يُعْطَى كلٌّ ما يستحق، ألا ترى كيف يفضل قولُ عَمارَةَ(٢) على قرب عهده:

تَبَحَّثْتُمْ سُخْطِى فَغَيَّرَ بَحْثُكُمْ ... نَخيلَةَ نَفْسٍ كَانَ نُصْحًا ضَمِيرُهَا

وَلَنْ يُلْبِثَ التَّخْشِينُ نَفْسًا كَرِيمَةً ... عَرِيكَتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا(٣)

وَمَا النَّفْسُ إِلاَّ نُطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ ... إِذَا لَمْ تُكَدَّرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

(١) زيادات ر: «القارصة: الكلمة المؤذية»

(٢) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى، من شعراء الدوله العباسة، والأبيات فى معجم المرزبانى ٢٤٧ عن المبرد.

(٣) التخشين: إيغار الصدر، ويستمر: يقوى.

فهذا كلام واضح، وقول عَذْبٌ، وكذلك قوله أيضًا:

بَنِى دارِمٍ إنْ يَفْنَ عُمْرِى فَقَدْ مَضَى ... حَيَـاتِى لَكُمْ مِنِّى ثَنَاءٌ مُـخَلَّدُ

بَدَأْتُمْ فَـأَحْـسَنْتُمْ فَـأَثْنَيْتُ جَـاهِدًا ... وَإِنْ عُدْتُمُ أَثْنَيتُ، وَالْعَـوْدُ أَحْمَدُ

[مما يفضل من أقوال الشعراء لتخلصه من التكلف]

ومما يُفَضَّلُ لتَخَلُّصِـهِ مِنَ التَّكَلُّف، وسلامته من التَّزَيُّدِ، وبُعْدِهِ مِـن الاستعانة قولُ أبى حَيَّةَ النُّمَيْرِىِّ:

رَمَـتْنِى وَسِـتْـرُ اللهِ بَيْـنِى وَبَيْنَهَـا ... عَـشِيَّـةَ آرامِ الْـكِنَاسِ رَمِـيمُ(١)

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَـتْنِى رَمَيْـتُهَـا ... وَلَكِنَّ عَـهْدِى بِالنِّضَـالِ قَدِيمُ(٢)

يقول: رَمَـتْنِى بطَرْفِهـا، وأصابَتْنِى بمَحَـاسنها، ولو كنتُ شـابا لرَمَيْتُ كـما رُمِيتُ، وَفَتَنْتُ كما فُتِنْتُ، ولكن قد تَطَاوَلَ عَهْدِى بالشَّباب. فهذا كلام واضح.

* * *

[قـال أبـو الحسـن: أَنْشَـدَنَا أبـو العبـاس أحـمـد بـن يحيـى ثعلب البـيتيـن عن عبد الله بن شَبِيبٍ: ورَوَى:

* عَشِيَّةَ أَحْجَار الْكِنَاسِ رَمِيمُ *

وزاد فيه بيتًا:

رَمِيمُ الَّتِى قَـالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِـهَا ... ضَـمِـنْتُ لَكُمْ أَلا يَزَالَ يَهِـيمُ

الكِنـاس والمَكنسُ: الموضـع الذى تأوى إليـه الظِّبَـاءُ، وجـمع الـكناس كُنُسٌ، وجمع المَـكنسُ مكَانس. ورَمِيم: اسم جـارية: مأخوذ من العظـام الرَّمِيم، وهى البالية، وكـذلك الرِّمَّةُ، والرُّمَّةُ: القطعة البالية من الحـبل، وكلٌّ ما اشتق من هذا فإليه يَرْجع].

* * *

---

(١) زيادات ر: «قيل فى ستر الله الإسلام، وقيل فيه أنه الشيب، وقيل ما حرم الله عليهما».

(٢) زيادات ر بعد هذا البيت:

يرى الناس أنـى قـد سلـوت وإننى ... لمرمى أحـناء الضلوع سـقـيم

[الاستعانة فى الكلام]

قال أبوالعباس: وأما ما ذكرناه من الاستعانة، فهو أن يُدْخِلَ فى الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليُصَحِّحَ به نَظْمًا [أو وزنا](١) إن كان فى شعر، أو ليتذكرَ به ما بعده إن كان فى كلام منثور، كنحو ماتَسْمَعُهُ فى كثير من كلام العامة قولهم: أَلَسْتَ تَسْمَعُ؟ أَفَهِمْتَ؟ أين أنتَ؟ وما أشبه هذا، وربما تَشَاغَلَ العَيِيُّ بفتْلِ إصبعه ومَسِّ لحيته، وغير ذلك من بدنه، وربما تَنَحْنَحَ. وقد قال الشاعر يَعيبُ بعضَ الخُطَباء فى شعر:

مَلِىءٌ بِبُهْرٍ وَٱلْتِفَاتٍ وَسَعْلَةٍ ... وَمَسْحَةِ عُثْنُونٍ وفَتْلِ الأَصَابِعِ

وقال رجل(٢) من الخوارج يصف خَطيبًا منهم بالجُبْنِ، وأنه مُجِيدٌ لولا أنّ الرُّعْبَ أَذْهَلَه:

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلْ ... لَمَّا رأى وَقْعَ الأَسَلْ

وَيْلُمِّهِ إِذَا ارتَجَلْ ... ثُمَّ أَطَالَ وَٱحْتَفَلْ(٣)

ومما يشاكل هذا المعنى ويُجانسُ هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القَسْرِيِّ، فإنه كان متقدِّما فى الخَطَابة ومُتَنَاهيًا فى البَلاغة، فخرج عليه المُغيرةُ بن سَعيد بالكوفة فى عشرين رجلاً، فَعطْعَطوا(٤) به، فقال خالد: «أطْعمونى ماءً»، وهو على المِنبر، فَعُيِّرَ بذلك، فكَتَبَ به هشامٌ إليه فى رسالة يُوَبِّخُهُ فيها، سنذكرها(٥) فى موضعها إن شاء الله. وعَيَّرَهُ يحيى بن نَوْفَلٍ فقال:

لأَعْلاَجٍ ثَمَانِيَةٍ وَعَبْدٍ ... لَئِيمِ الأَصْلِ فِي عَدَدٍ يَسِيرِ

هَتَفْتَ بِكُلِّ صَوْتِكَ: أَطْعِمُونِى ... شَرَابًا ثُمّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

---

(١) من ر.

(٢) ذكر الجاحظ أنه الأشل الأزرقى من بعض أخوال عمران بن حطان يصف زيد بن جندب الإيادى خطيب الأزارقة، (البيان والتبيين ١: ٤١، ٤٢).

(٣) زيادات ر: «وقال رجل يصف رجلا من إياد بالعى، وكان أبوه خطيبا وخاله:

جَمَعْتَ صُنُوفَ العِيِّ من كُلِّ وجهة ... وكنتَ مليئًا بالبلاغة مَن كَثَبْ

أبوكَ مُعَمٌّ فى الكَلامِ ومُخْوَلٌ ... وخالك وثّابُ الجراثيم فى الخُطَبْ

(٤) العطعطة: تتابع الأصوات واختلافها.

(٥) ر: «وسنذكرها».

فهذا عارِضٌ. وقال آخر[١] يُعَيِّرُهُ:

بَلَّ المَنَابِرَ مِنْ خَـوفٍ وَمِنْ وَهَلٍ ... وَاْسْتَطْعَمَ الْمَاءَ لما جَدَّ في الهَرَبِ
وألْحنُ النَّاسِ كُلَّ النَّاسِ قَـاطِبَةً ... وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّـشْدِيقِ فِى الخُطَبِ

[الأعرابى من بنى كلاب]

ومما يُسْتَحْسَنُ [لفظه][٢] ويُسْتَغْرَبُ معناه، ويُحْمَـدُ اْختِصَارُهُ قولُ أعرابى مِنْ بنى كِلاَبٍ:

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإنِّى وَنَاقَتِى ... بِحَجْرٍ إلى أهْلِ الْحِـمَى غَرِضَانِ[٣]
تَحِنُّ فَتُـبْدِى ما بِهَا مِنْ صَـبَابَةٍ ... وأُخْفِى الَّذِى لَوْلاَ الأسَى لَقَضَانِى[٤]

يريد: لقَضَى عَلَيَّ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحْسَنَ مُخْرَجٍ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٥] والمعنى إذا كَالوا لهم أو وَزَنُـوا لهـم، ألا تَـرَى [أن][٦] أول الآيــة: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَـالُـوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ فهؤلاء أخَـذُوا منهم ثم أعطوهم، وقال الله عز وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾[٧] أى من قومه، وقال الشاعر[٨]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَاْفعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَـدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَـال وَذَا نَشَبِ

---

(١) هو أيضا يحيى بن نوفل، (وانظر البيان والتبيين ٢: ١٦٧).
(٢) من ر، س.
(٣) حجر: هى مدينة اليمامة وأم قراها، ويريد بالحمى حمى ضرية، وكان حمى كليب (وانظر ياقوت). ومن زيادات ر بعد هذا البيت:

هوى ناقتى خلفى وقـدامى الهـوى ... وإنـى وإياهـا لمخـتلفـان

(٤) ر «أنشد صاعد بعدهما زياد» فيهما:

فـيـاكبدينا أجـمـلا قـد وجـدتما ... بأهل الحـمى مـالم يجـد كـبـدان
إذا كـبـدانا خـافـتـا وشك نـيـة ... وعـاجل بـين ظلتـا تجـبـان»

(٥) سورة المطففين ٢.
(٦) من ر.
(٧) سورة الأعراف ١٥٥.
(٨) زيادات ر: «هو أعشى طرود، واسمه إياس بن عامر».

أى أمَرْتُكَ بالخير، ومن ذلك(١) قول الفرزدق:

وَمِنّا الَّذِى(٢) اُخْتِيرَ الرِّجالَ سَمَاحَةً وَجُودًا إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

أى من الرجال، فهذا الكلام الفصيح.

وتقـول العرب: أقَـمْتُ ثلاثًا مـا أَذُوقُهُنَّ طَعـامًـا ولا شَرابًا، أىْ مـا أذُوق فيهنَّ، وقال الشاعر:

وَيَوْمًـا شَهِـدْنَاهُ سُلَيْـمًـا وَعَامِـرًا قَلِيلاً سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نوَافِله(٣)

* * *

[قال أبـوالحسن: قـوله: «لم يَغْرَضْ»، أى لم يَشْـتَقْ، يقال: غَـرِضْتُ إلى لقائك، وحَنَنْتُ إلى لقائك، وعَطِشْتُ إلى لقائك، وجُعْتُ إلى لقائك أى اُشْتَقْت، أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ، وأ نْشَدنَا عنه:

مَنَ ذَا رَسُـــولٌ نَاصِحٌ فَـمُـــبَلِّغٌ عَنِّى عُلَيَّـــةَ غَـيْـرَ قَـوْلِ الْكَاذِبِ

أَنِّى غَرِضْتُ إلَى تَنَاصُفِ وَجْهِهَا غَرَضَ المحبِّ إلَى الْحَبِيبِ الْغَائِبِ

التناصُف: الْحُسْن.

وأما قوله: «لَقَضَانى» فإنما يريد: لَقَضَى علىّ الموتَ، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾(٤)، فالموتُ فى النية، وهو مـعلوم بمنزلة ما نَطَقْتَ به، فلهذا ناسب قولهَ عزّ وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾. وكذلك قوله: ﴿كَالُوهُمْ﴾ فالشىءُ المَكِيلُ معلوم، فهو بمنزلة ما ذُكِرَ فى اللفظ، ولا يجوز: مررت زيدًا وأنت تريد: مـررت بزيد، لأنه لا يتـعدى إلاَّ بحـرف جر؛ وذلـك أنّ فعل الفـاعل فى نـفسه، وليـس فيـه دليـل على المفعول نـفسـه، وليس هـذا بمنزلة مـا يَتَعَدّى إلى

---

(١) ر، س: «ومن ذا».

(٢) س: «ومنا»، وعلى رواية الأصل فى البيت خرم.

(٣) البيت أورده سيبويه فى الكتاب ١: ٩٠، قال الأعلم فى شرحه: «النوافل هنا الغنائم، يقول: يوم لم نضم فيه إلا النفـوس لما أوليناهم من كثرة الطعن، والنهـال المرتوية بالدم، وأصل النهل أول الشرب، والطعن هنا: جمع طعنة».

(٤) سورة سبأ ١٤.

مفعولين، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جَرّ، وإلى الآخر بنفسه، لأنّ قولَك: اختَرْتُ الرجالَ زيدًا، قَدْ عُلِمَ بذكْرك «زيدًا» أن حرف الجر محذوف من الأول، فأما قول الشاعر ـ هو جرير ـ وإنْشادُ أهل الكوفة له، وهو قوله:

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا ... كَلامُكُمُ عَلَيَّ إِذًا حَرَامُ

ورواية بعضهم له: «أتَمْضُونَ الدِّيارَ» فليسا بشيء لما ذَكَرْتُ لك، والسماع الصحيح والقياس المُطَّرِدُ لا تَعْتَرِضُ عليه الرِّوايةُ الشاذة.

أخبرنا أبو العباس محمد بن يَزِيدَ قال: قرأت على عُمَارَةَ بن عَقِيل بن بلال ابن جرير:

* مَرَرْتُمْ بِالدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا *

فهذا يَدُلُّكَ على أن الرواية مُغَيَّرةٌ.

فأما قولهم: أقمت ثلاثًا ما أذوقهن طعاما ولا شرابًا، وقولُ الراجز:

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَهَا السَّلامُ(1) ... بِكَبِدٍ خَالَطَهَا سَنَامُ

* فِي سَاعَةٍ يُحَبُّهَا الطَّعَامُ *

يريد فى ساعة يُحَبُّ فيها الطَّعَام، وكذلك الأوّل، معناه: ما أذوقُ فيهنّ، فليس هذا عندى من باب قوله جَلَّ وعَلا: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ إلا فى الحذف فقط؛ وذلك أن ضمير الظَّرْف تجعله العربُ مفعولاً على السَّعَة، كقولهم: يَوْمُ الجمعة سِرتُه، ومكانُكُمْ قمتُه، وَشهْرُ رمضان صُمْتُه، فهذا يُشَبَّه فى السَّعَةِ بقولك: زيدٌ ضربتُه وما أشبهه، فهذا بَيِّنٌ.

* * *

[لأعرابى من بنى سعد وقد نزل به أضياف]

قال أبو العباس: ومما يُسْتَحْسَن ويُسْتَجَاد قول أعرابىّ(2) من بنى سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم، وكان مُمْلَكًا(3)، فنزل به أضياف فقام إلى الرحَى فطحن لهم،

(1) صبحت: أتت بالتصبيح، تريد به الغذاء.

(2) هو الهذلول بن كعب العنبرى، ذكره أبو تمام فى الحماسة بشرح المرزوقى ٦٩٥ ـ ٧٠١.

(3) من الإملاك، وهو عقد النكاح.

فَمرتْ به زوجتُه فى نِسْوَة، فقالتْ لهنّ: أهذا بَعْلِى؟ فأُعْلِمَ بذلك فقال ـ [قال أبو الحسن: أخبرنا به عن أبى مُحَلِّمٍ له يعنى السَّعْدىّ] ـ:

تَقُولُ وَصكَّتْ صَدْرَها بِيمَينِهَا: أَبَعْلِىَ هذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ!
فَقُلْتُ لَهَا: لا تعجبى وَتَبَيَّنِى بَلائِى إذَا الْتَفَّتْ عَلَىَّ الْفَوَارِسُ
أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسُ
إذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا يَهَابُ حُمَيَّاهُ الأَلَدُّ الْمُدَاعِسُ
لَعَمْرُ أَبِيكِ الْخَيْرِ إنِّى لَخَادِمٌ لِضَيْفِى، وَإنِّى إنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

قوله: «الْمُتَقَاعِس» إنما هو الذى يُخْرِجُ صَدْرَه وَيُدْخِلُ ظهره، ويقال: عِزَّةٌ قَعْسَاءُ، وإنما هذا مَثَلٌ، أى لا تَضَع ظهرَها إلى الأرض. وقوله: «بالرحى المتقاعس»، لو أراد: الذى يَتَقَاعَسُ بالرحى لم يَجُزْ، لأن قوله: «بالرحى» من صلة الذى، والصلة تمام الموصول، فلو قدمها قبله لكان لحنًا وخطأ فاحشًا، وكان كَمَنْ جَعَل آخرَ الاسم قبل أوله، ولكنه جَعَلَ «المتقاعسَ» اسما على وجهه، وجعل قوله: «بالرحى» تَبْيينًا بمنزلة «لَكَ» التى تَقَعُ بعد «سَقْيًا»، وبمنزلة «بِكَ» التى تقع بعد قولك: «مَرْحَبًا» فإن قَدَّمْتَهَا فذلك جيِّدٌ بالغ، تقول: بك مرحبا وأهلا وتقول: لك حَمْدًا، ولزيد سَقْيًا، فأما قولُ الله عزّ وجل: ﴿وأَنَا على ذلكُمْ مِنَ الشَاهِدِين﴾(١) وكذلكَ ﴿وقَاسَمَهُمَا إنّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحين﴾(٢) فيكون تفسيره عَلَى وجهين: أحدهما أن يكون: إننى ناصحٌ لكما، وأنا شاهد على ذلكم، ثم جعل «من الشاهدين» و «لَمِن الناصحين» تفسيرًا لشاهد وناصح، ويكون على ما فسرناه يراد التبيين، فلا يدخل فى الصلة، ويكون على مذهب المازنىِّ.

قال أبو العباس: وهو الذى أختار، على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذى، ألا ترى أنك تقول: نِعْمَ القائم زيدٌ، ولا يجوز: نِعْمَ الذى قامَ زيد، وإنما هو بمنزلة قولك: نِعْم الرجلُ زيد، وهذا الذى شرحناه متصلٌ فى هذا الباب كُلِّه مُطَّرِد على القياس.

---

(١) الأنبياء ٥٦.
(٢) الأعراف ٢١

وقوله:

* أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ *

فإنما اشتقاقُه من السهم يقـال: ارتدَعَ السهمُ إذا رجع متأخرا، ويقال: ركب البعـيرُ رَدْعَـهُ إذا سقط، فدخـل عُنُقُه(١) في جـوفه، والكلامُ مُـشْـتَق بعضُـه من بعض، ومُبَيِّنٌ بعضه بعضًا، فيقال من هذا في المَثَلِ: ذهب فلانٌ في حاجتي فارتَدَعَ عنها، أي رجع، وكذلك: فلان لا يَرْتَدِع عن قبيح، والأصل ما ذكرتُ أوّلا.

ومـثل هذا قـولهُم: فلانٌ على الـدّابة، وعلى الجبـل، أي فوق كل واحـد منهما، ثم تقـول: فلانٌ عليه دَيْنٌ تمثيلاً، وكـذلك رَكِبَهُ دَيْنٌ، وإنما يريد أن الدَّيْنَ علاه وقَهَرَه، وكـذلك فلان على الكوفة إذا كان وَالِيًا عليهـا، وكذلك: عَلا فلانٌ القومَ، إذا علاهم بأمره وقهرهم، أو جُعِل في هذا الموضع.

وقوله:

* وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرارَيْنِ يَابِسُ *

فالغِرار هاهنا الحَدُّ، وللغرار مواضع.

قـال أبـو العباس: وحـدثني الرِّيَاشيُّ في إسـنـاد لـه قال: قـال جَبْـرُ بن حبـيـب ـ وذكر الراعي ـ: أخطأ الأعْـوَرُ ـ قال: ولم يَعْلَمِ الحـاكي عنه أن الراعيَ كان أعوَرَ إلا مِنْ هذا الخبر ـ في قوله:

فَـصَادَفَ سَـهْمُـهُ أَحْجَـارَ قُفٍّ كَـسَرْنَ الْـعَيْـرَ منهُ وَالْغِـرَارَا(٢)

وجَبْرُ بن حـبيب هو المخطئ؛ لأن الغرار ها هنا هو الحـدّ، وذهب جَبْرٌ إلى أنه المثالُ. وقد يكون المثـالَ، وليس ذلك بمانعه من أن يَحْتَمِلَ مَـعانِيَ، يقال: بَنَوْا بيـوتَهُمْ على غِـرار واحد، أي على مـثـالٍ واحد، كـمـا قال عـمـرو بن أحمـر [الباهليّ](٣):

وُضِعْنَ(٤) وَكُلُّهـنَّ عَلَى غِـرَارٍ هِجَـانَ الَّلْونِ قَدْ وَسَـقَتْ جَنِينا

(١) ر «فدخلت عنقه»، والعنق تذكر وتؤنث.

(٢) القف: حجارة بعضها فوق بعض. وعير النصل: ما نتأ في وسطه

(٣) من ر، س.

(٤) كذا ضـبطت في الأصل بالبناء للمجـهول. وفي زيادات ر: [الرواية عن أبي العـباس: «وضـعن» بفتح الضاد والواو، والصحيح: «وضعن» بضم الواو وكسر الضاد].

ويقال: لِسُوقِنَا درَّةٌ وَغِـرَارٌ، أى نَفَاقٌ وكَسَاد، فهـذا معنى آخر، وإنما تأويل الغرار فى هذا المعنى الأخير أنه شىء بعد شىء، ومن هذا: غارَّ الطائرُ فَرْخَهُ، لأنه إنما يعطيه شـيئًا بعد شىء، وكـذلك غارَّتِ الناقة فى الحَلَبِ، ويقـال من هذا: ما نِمْتُ إلا غِراراً، قال الشاعر:

مَــــا أذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِـــرَارًا   مِـثْلَ حَسْـوِ الطَّيْرِ مَـاءَ الثِّمَـادِ

فكَشَفَ فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه.

وقوله:

* يَهَابُ حُمَيَّاهُ الألَدُّ المُدَاعِسُ *

فأصل الحـمّيا إنما هى صَـدْمَة الشىء، يقال: فلان حـامى الحميَّـا، ويقال: صَدَمَتْهُ حُمَيَّا الكَأس، يراد بذلك سَوْرَتُها.

وقوله: «الألدّ» فأصله الشديد الخصـومة، يقال خَصْمٌ ألَدُّ، أى لا ينثنى عن خصـمه. قـال الله عزّ وجل: ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَـوْمًا لُدًّا﴾(١) كمـا قال: ﴿بَلْ هُمْ قَـوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٢)، وقال مُهَلْهِل:

إنَّ تَحْتَ الأحْجَارِ حَزْمًا وَجودًا   وَخَـصِـيـمـًا ألَدَّ ذَا مِـعْـلاَقِ

ويروى: «مغْلاق»، فـمن رَوَى ذلك فتأويله أنه يُغْلِقُ الحـجَّةَ الخَصم، ومن قال: «ذا معْلاق»، فإنما يريد أنه إذا عَلِقَ خصـمًا لم يَتَخَلَّصْ منه، وجعل السعدىّ الألدَّ الذى لا ينثنى عن الحرب تشـبيها بذلك، والمداعِس: المُطَاعن، يقـال: دَعَسَهُ بالرمح إذا طَعَنَهُ، قال عُمَيْرُ بن الحُباب السُّلمىّ:

أنَا عُـــمَـيْـــرٌ وَأبُو المُـغَلِّسْ   وَبالْـقَنَاةِ مَـــازِنِـىُّ مِـــدْعَسْ

* * *

[قال أبو الحسن: تأويل قول السعدىّ:

* أبَعْلِيَ هذَا بالرَّحى المُتَقَاعِس *

---

(١) مريم ٩٧.

(٢) الزخرف ٥٨.

«بالرحى» تبيين ولم يوضحه، فإن تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال: «أبعلى هذا بالرحي المتقاعسُ»، فإن المتقاعسَ يدل على أن تَقَاعُسًا وقَع، فكأنه قال: وقَعَ التقَاعُس بالرحى، ولم يرد أَنْ يُعْمِلَ «المتقاعِس» في قوله: «بالرحى»، لأنه في الصِّلَة، والصلةُ من الموصْول بمنزلة الدال من زيد أو الياء، فكما لا يجوز أن يتقدم حروفُ الاسم بعضُها على بعض، لم يجز أن تتقدَّم الصلةُ على الموصول، فأما قول الله عزّ وجل: ﴿وقاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصحين﴾ وكذلك: ﴿وأَنَا عَلَى ذلكُمْ منَ الشَّاهدين﴾ فإنه يكون على التبيين الَّذى قدَّمَنَا ذكْرَه وهو قول البصريين أَجمعين، إلاَّ أَن أبا عُمر الجَرْمِيَّ أجازَ أن يَجْعَلَ «لكما»، و«على ذلكم» مُعَلَّقين بشيئين محذوفين دلَّ عليهما «من الناصحين»، و «من الشاهدين»؛ لأن «من» مُبَعِّضَةٌ، فكأنه قال ـ والله أعلم ـ: وقاسَمَهُما إنى ناصحٌ لكما من الناصحين، وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين.

وأما اختياره وذكْرُه أنه قولُ المازنيّ، وجَعْلُهُ الألف واللام للعهد مثْلَهُما فى الرجل وما أشبهه، فإن هذا القول غير مَرْضِيٍّ عندى، لأنك إذا قلت: نَعْمَ القائمُ زيدٌ، فجعلتَ الألف واللام كالألف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالإنسان والفرس وما أشبهه، فإنه إذا كان هكذا دخل فى باب الأسماء الجامدة، وهي التى لم تؤخذ من أمثلة الفعل، وامتنع من أن يعمل مُؤَخَّرًا إلا على حيلَة ووَجْه بعيد من التبيين الذى ذَكَرْنَا. وإذا كان فى التأخير لا يَعْمَلُ بنفسه، فكيف يَعْمَلُ إذا تَقدَّم عليه الظَّرفُ! وهذا مستحيل لا وَجْهَ له.

وأما إنشاده:

* لاَ أَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غرَارًا *

فإن هذه أبيات أربعة أَنْشدنَاها عن الزِّيَادِيِّ، وذُكرَ أنه كان يستحسنها وهى لأعرابيّ قال:

مَا لعَيْنِي كُحلَتْ بالسُّهَاد ... ولِجَنْبِى نَابِيًا عَنْ وسَادى
مَا أَذوقُ النَّوْمَ إلاَّ غرَارًا ... مثْلَ حَسْوِ الطَّير مَاءَ الثِّماد(١)
أَبْتَغِى إصلاحَ سُعْدَى بجُهْدِى ... وَهْيَ تَسْعَى جُهْدَهَا فى فَسَادى
فَتَتَارَكْنا عَلَى غَيْرِ شَيءٍ ... رُبَّمَا أَفْسَدَ طُولُ التَّمادى

(١) ر، س: «لا أذوق».

وأما إنشاده:

* وُضِعْنَ وَكُلُّهُنَّ على غِرارٍ *

فإن البيت لِعَمْرو بن أحمر بن الْعَمَرَّدِ الباهِلِىّ.

* * *

[الطخيم بن أبى الطخماء الأسدى يمدح قوماً من أهل الحيرة]

قال أبو العباس: ومن سَهْلِ الشِّعْرِ وَحَسَنِه قول طُخَيْم بن أبى الطخماء الأَسَدِىّ يمدح قوما من أهل الْحِيرَةِ من بنى امْرِئِ القَيسِ بن زَيْدِ مَنَاة بن تميم، ثم من رَهْط عَدِىّ بن زيد العبادىّ، قال:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَوْمٌ بِزُورَةَ صالحٌ ... وَبِالقَصرِ ظِلٌّ دائِم وَصَدِيقُ(١)

ولَمْ أَرِدِ الْبَطْحَاءَ يَمْزُجُ مَاءَهَا ... شَرَابٌ مِنَ الْبَرُوقَتَيْنِ عَتِيقُ(٢)

مَعِى كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ ... إذَا مَا سَرَتْ فِيهِ الْمُدَامُ فَنِيقُ

بَنُو السِّمْطِ وَالحُدَّاءِ، كُلٌّ سَمَيْدَعٌ ... لَهُ فى الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقُ

وَإِنِّى وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أُحِبُّهُمْ ... وَيَرْتَاحُ قَلْبِى نَحْوَهُمْ وَيَتُوقُ

قال أبو العباس: أَنْشَدَنِى هذا الشِّعْرَ أبو مُحَلِّم، ثم أَنْشَدَنِيه رجلٌ نصرانىّ يُكْنَى أبا يَحْيَى، شاعرٌ من هؤلاء القوم الذين مُدِحُوا به، وَذَكَر أنه يَذْكُرُ طُخَيْما، وهو يَتَرَدَّدُ إليهم ويَظَلُّ عندهم. قال هذا النصرانىّ - وهو رجل من بنى الحُدَّاء - قال: أَذْكُرُه وأنا صغير جِدًّا، والسلطانُ يطلبه لقوله:

* له فى العروق الصالحات عروق *

يقول: أتقول هذا لِقَوْمٍ من النصارى! وكان هذا النصرانىُّ قد قارَبَ مائة سنة فيما ذُكِر.

---

(١) زورة: موضع قرب الكوفة، ضبطه ياقوت بفتح الزاى، وقال: «وقرأته بخط بعض أعيان أهل الأدب «زورة» بضم الزاى»، وأورد الأبيات.

(٢) البروقتان: موضع قرب الكوفة، وضبطه ياقوت بواوين، الأولى مضمومة، وأورد البيت.

وقوله: «معى كل فضفاض القميص» يريد أنّ قميصه ذو فُضولٍ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الْخُيَلاء، كما قال زُهَيْر:

يَجُرُّونَ الْذُّيُولَ وَقَدْ تَمَشَّتْ ... حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ

ويقال: إن تأويل قول رسول الله ﷺ: «فَضْلُ الإزارِ فى النار» إنما أراد معنى الْخُيَلاء، وقال الشاعر:

وَلاَ يُنْسِينِىَ الحَدَثَانُ عِرْضِى ... وَلاَ أُرْخِى مِنَ المَرَحِ الإزَارَا

وقد رُوِىَ عن النبى ﷺ أنه قال لأبى تَمِيمَةَ الهُجَيْمِىِّ: «إيَّاكَ وَالمَخِيلَةَ» فقال: يا رسول الله، نَحْنُ قَوْمٌ عَرَبٌ، فما المَخِيلَة؟ فقال ﷺ: «سَبَلُ الإزار»، والحَدِيث يَعْرِضُ لما يَجْرِى فى الحَدِيث قَبْله، وإن لم يكن من بابه، ولكن يُذْكَرُ به.

قال أبو العباس: رُوِىَ لنا أنَّ رَجُلاً من الصالحين كان عند إبراهيم[1] بن هشام، فأنشدَ إبراهيمُ قولَ الشاعر:

إذْ أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنهاكِ عَاصِيَةٌ ... وَإذْ أَجُرُّ إلَيْكُمْ سَادِراً رَسَنِى

فقام ذلك الرجل فَرَمَى بشِقِّ رِدائه، وأَقْبَلَ يَسْحبه حتى خرج من المجلس، ثم رجع على تلك الحال فجلس، فقال له إبراهيم بن هشام: ما بكَ؟ فقال: إنِّى كنتُ سمعتُ هذا الشعر فاستحسنته، فآلَيْتُ ألاَّ أسْمَعَهُ إلاَّ جَرَرْتُ ردائى كما تَرَى، كما سَحَبَ هذا الرجل رَسَنَه.

وأما الفنيقُ فإنه الفحل من الإبل[2]، وإنما أراد خَطَرَانَه بذَنَبه من الْخُيَلاء، فشبَّه الرجلَ من هؤلاء إذا انْتَشَى بالفحل، وهو إذا خَطَرَ ضَرَبَ بذَنَبِه يَمْنَةً وشَأْمَةً، قال ذو الرُّمَّة:

وَقَرَّبْنَ بِالزُّرْقِ الجَمَائِلَ بَعْدَمَا ... تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِهَا الخَطْرُ[3]

---

(١) كان والى المدينة، والشاعر هو الأحوص، والخبر فى الأغانى (٤٠٠٢١٦) طبعة الدار.

(٢) سقطت كلمة «الإبل» من ر، س

(٣) الزرق: أكثبه بموضع يقال له الدهناء. والجمائل: جمع جمل، كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت. والغربان هنا: رءوس الأوراك، وتقوب: تقطع، يريد أن خطر الجمال بأوراكها أحدث فيها قوبا فتقطعت. (وانظر ديوانه ٢٠٩).

[قول مخيس بن أرطاة الأعرجي لرجل من بني حنيفة]

ومنْ حَسَنِ الشعر وما يَقْرُب مَأْخَذه قولُ مُخَيِّسِ بنِ أرْطاةَ الأعْرَجيِّ ـ وَالأعْرَجُ الحارِثُ بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم ـ لرجل من بنى حَنيفَة يقال له يَحْيى، وكان يَصيرُ إلى امرأة فى قرية من قُرَى اليمامةِ يقال لها: بَقْعَاءُ: ـ [قال أبو الحسن: أُنْشِدْتُه عن الرِّيَاشيِّ: «نَقْعَاء»(١)، وسألت رجلاً من أهل اليمامة فَصيحًا من بنى حنيفة عن هذا، فقال: ما نعرفه(٢) إلا «نقعاء»] ـ(٣):

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّى لِيَحْيَى ... فَقَالَ: غَشَشْتَنِى وَالنُّصْحُ مُرُّ
وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيى ... وَيَحْيى طاهِرُ الأثواب(٤) بَرُّ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِى أَنَّ يَحْيى ... يُقَالُ عَلَيْهِ فِى بَقْعَاءَ شَرُّ
فَقُلْتُ لَهُ: تَجَنَّبْ كَلَّ شَىْءٍ ... يُعَابُ عَلَيْكَ، إنَّ الْحُرَّ حُرُّ

فهذا كلام ليس فيه فَضْلٌ عن معناه.

وقوله: «إن الحرَّ حرٌّ» إنما تأويله أن الحُرَّ على الأخلاق التى عُهِدت فى الأحرار، ومثلُ ذلك:

* أنا أبو النَّجْم وَشِعْرِى شِعْرِى(٥) *

أىْ شِعْرِى كما بلَغَك، وكما كُنتَ تَعْهَدُ، وكذلك قولهم: الناسُ الناس، أى الناس كما كُنت تعهَدُهُمْ. [قال أبو الحسن: ومنه قول الله عز وجل: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ ٱلْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ﴾](٦).

وقوله:

فقلتُ له تجَنَّبْ كل شيء ... يعاب عليك ...

(١) ر: «نقعاء ، بالنون».
(٢) ر: «ما أعرفه».
(٣) س: «نقعاء ، بالنون». ر: «بقعاء ، بالباء».
(٤) ر: «الأخلاق».
(٥) بعده:

* لله درى ما يجن صدرى *

(وانظر معاهد التنصيص ١: ١٩)
(٦) سورة طه ٨٧.

كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وَصَفَ عبدَ المَلِك [بن مروان][1] فقال: آخذٌ بثلاث، تاركٌ لثلاث: آخذٌ بقلوب الرجال إذا حَدَّث، وبحسنِ الاستماع إذا حُدِّثَ، وبأيسرِ الأمرين عليه إذا خُولِف، تاركٌ للمِراء، تاركٌ لمقاربة اللئيم، تاركٌ لما يُعتَذَر منه، كقوله:

.... تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيكَ إنَّ الحُرَّ حُرُّ

[قول ابن ميادة لرياح بن عثمان المرى]

ومما يُستَحْسَنُ إنشادُه من الشعر لصحة معناه، وجزَالة لفظه، وكثرة تردُّد ضَرْبِه من المعانى بين الناس، قولُ ابن مَيَّادةَ لرِياحِ بن عثمان بن حَيَّانَ المُرِّىِّ[2]، من مُرَّة غَطَفانَ، يقوله فى فتنة[3] محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، وكان أشار عليه بأن يعتزِل القومَ فلمْ يفعل فقتل، فقال ابن مَيَّادة:

أَمَرْتُكَ يا رِيَاحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ فقُلْتَ: هَشِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدِ
نَهَيْتُكَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَحْبُوكَةِ الأَصْلاَبِ جُرْدِ
وَوَجْدًا مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا غَيْرَ وَجْدِ

وقوله[4]:

* فقلتَ هَشِيمَةٌ من أهل نجد[5] *

تأويله ضَعَفَةٌ، وأصل الهشِيم النَّبْتُ إذا وَلَّى وَجَفَّ وتكسَّر، فذَرَتْه الرِّياحُ يمينًا وشِمَالاً. قال الله عز وجل: ﴿فأَصْبَحَ هَشِيما تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾[6] والنَّجْدُ أعالى الأرض.

وقوله:

* عَلَى مَحبُوكَةِ الأَصْلاَبِ جُرْدِ *

---

(١) من ر ، س.
(٢) كان واليا على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور سنة ١٤٤ (وانظر زامبور ١: ٣٦).
(٣) ذكر ابن الأثير هذه الفتنة مفصلة فى حوادث سنة ١٤٤. والخبر والأبيات فى الأغانى ٢: ٣٣٧ ، ٣٣٨ (طبعة الدار)، واللسان (هشم) عن المبرد.
(٤) ر. «قوله» س. «فوله».
(٥) فى اللسان. «ضعف».
(٦) الكهف ٤٥.

فالمَحْبُوك الذى فيه طَرَائق، واحدها حِباكٌ، والجماعة حُبُك، وكذلك الطرائق التى على جَناح الطائر: من ذلك قول الله عز وجل[١]: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[٢].

* * *

[قال أبو الحسن: ابن مَيَّادَةَ اسمه الرَّمَّاحُ، وأمه مَيَّادَة، وأبوه أَبْرَد، وكان عاقًّا بأمه، ولها يقول:

* اعْرَنْزِمى مَيَّادَ لِلْقَوافِى[٣] *

وأصل الاعْرِنْزَامِ التَجَمّع والتَّقَبُّض، يقول: اسْتَعِدِّى لها وتَهَيَّئى.

وأنْشَدَنا أبو العباس محمد بن يزيدَ له:

وَنَوَاعِمٍ قَدْ قلن يَوْمَ تَرَحُّلِى ... قَوْلَ الْمُجِدِّ وَهُنَّ كَالْمُزَّاحِ
يَالَيْتَنَا مَنْ غَيْرِ أَمْرٍ فَادِحٍ ... طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعِيسُ بالرَّمَّاحِ

فى أبيات له، يعنى نفْسَه.

قال أبو الحسن: وتمام الأبيات:

بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْتَنِى مُتَعَصِّبًا ... بالخَزِّ فَوْقَ جُلالَةٍ سِرْداحِ[٤]
فِيهِنَّ صَفْرَاءُ المَعَاصِمِ طَفْلَةٌ ... بَيْضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ التُّفَّاحِ[٥]
رَيَّشْنَ حِينَ أَرَدنَ أَنْ يرمينني ... نَبْلاً بِلاَ رِيشٍ وَلاَ بِقِدَاحِ
وَنظَرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ ... مَرْضَى مُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحِ

* * *

(١) ر: «تبارك وتعالى».

(٢) الذاريات ٧

(٣) حاشية الأصل: بعده

* واستسمعيهن ولا تخافى *

وفى ر:

واستسمعيهن ولا تخافى ... ستجدين ابنك ذا قذاف

(٤) الجلالة: الناقة الضخمة والسرداح: الناقة الطويلة.

(٥) صفراء المعاصم: هى التى طليت بالزعفران. والطفلة: الناعمة. والغريض: الطرى.

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: ثم نَذْكُرُ من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صَدْرًا، ونعود[1] إلى المُقَطَّعات إن شاء الله.

[يروى عن ابن عمر أنه كان يقول: إنَّا معشرَ قريش، كنا نعدّ الجود والحلم السُّؤدد، ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة][2].

قال الأحْنَفُ بن قَيْسٍ: كثرةُ الضّحكِ تُذْهِبُ الْهَيْبَة، وكثرة المَزْح تُذْهِبُ المُرُوءة، ومن لَزِمَ شيئًا عُرِفَ به.

وقيل لعبد الملك بن مَرْوانَ: ما المُرُوءَة؟ فقال: مُوَالاَةُ الأَكْفَاءِ، ومَدَاجاةُ الأعْداء.

وتأويل المُدَاجاة المُدَاراة، أى لا تُظْهِر لهم ما عندك من العداوة، وأصله من الدُّجى، وهو ما ألْبَسَكَ الليلُ من ظلمته.

وقيل لمعاوية: ما المُرُوءَةُ؟ فقال: احتمال الجَرِيرَةِ، وإصلاَحُ أمْرِ الْعَشِيرة. فقيل له: وما النُّبْل؟ فقال: الْحِلْمُ عند الغضب، والْعَفْو عند القُدْرة.

وكان أبو سُفيَان إذا نزل به جارٌ قال له: ياهذا، إنك قد اخْترتنى جاراً، واخترتَ دارى داراً، فَجِنَايَةُ يَدِكَ علىَّ دونَكَ، وإن جَنَتْ عليك يَدٌ فاحْتَكِمْ علىَّ حُكْمَ الصبىِّ على أهله.

وذلك أن الصبىّ قد يَطْلُبُ ما لايوجد إلاَّ بعيداً، ويطلب ما لا يكون ألْبَتَّةَ، قال الشاعر[3]:

وَلاَ تحكُمَا حُكَم الصَّبىّ فَإنَّهُ ... كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَجَاهِلُه

وروى[4] أن معاوية بن أبى سفيان لما نَصَبَ يزيدَ لوَلاية الْعَهْدِ أقْعَدَه فى قُبَّة حمراء، فَجَعَلَ الناسُ يُسَلِّمُونَ على معاوية، ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل

---

(١) ر: «ثم نعود».
(٢) ما بين العلامنين تكملة من ر
(٣) زيادات ر: «هو الأعرج المعنى».
(٤) ر: «ويروى».

ففعل ذلك، ثم رجع إلــى معاوية، فقال: يا أمــير المؤمنين، اعْلَمْ أنك لو لم تولّ هذا أمورَ المسلمين لأَضَعْتَهَا ـ والأحْنَفُ جالس ـ فقال له معاوية: ما بالكَ لا تقولُ يا أبا بَحْر! قــال: أخاف الله إن كَذَبْت، وأخــافُكُم إن صَدَقْتُ. فقــال: جزاكَ الله عن الطاعة خيرًا! وأَمَرَ له بألوف، فلما خــرج الأحنفُ لَقِيَهُ الرجلُ بالباب، فقال: يا أبا بحْر، إنــى لأَعْلَمُ أن شَرَّ مَنْ خَلَقَ الله هذا وابنُه، ولكنهم قــد استَــوثَقُوا من هذه الأموال بالأبواب والأَقفال، فلَسْنا نَطْمَعُ فى استخراجها إلا بما سمعت، فقال الأحنف: يا هذا أمِــسك عليك(١)، فــإن ذا الوجــهــين خَلِيــقٌ ألاَّ يكونَ عند الله وجِيــهًــا.

[الرجل يهجو بلال بن البعير المحاربى]

وقال رجل يَهجو بلال بن البَعِير المحاربِىِّ(٢):

يقــولون أَبْنَاءُ الْبَــعِــيــرِ ومَــالَهُ ... سَنَامٌ ولاَ فِى ذِرْوَةِ المَجْدِ غَارِبُ
أَرَادَتْ ـ وَذَاكُمْ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا ... لأَهْجُوَهَا ـ لَمّا هَجَتْنِى مُحَارِب
مَــعَــاذَ إلَهِى إنَّنــى بِعَــشْــيــرَتِى ... ونَفْسِىَ عَنْ هَذَا المَــقَامِ لَرَاغِبُ

[لأبى الطمحان القينى يفخر بقوله]

وقال أبو الطَّمَحَان الْقَيْنِىُّ(٣):

وَإِنِّى مِنَ الْـقَـوْمِ الَّذِيـنَ هُمُ هُمُ ... إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَــيِّدٌ قَامَ صَاحِــبُهْ
نُجُــومُ سَمَاءٍ كُلَّــمَا غَارَ كَــوْكَبٌ ... بَدَا كَــوْكَبٌ تَأْوِى إلَيــه كَــوَاكِبُــهْ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثَاقِبه
وَمَازَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كــانُوا مُسَوَّدٌ ... تَسِيــرُ المَنَايا حَيْثُ سَارَتْ كَتَــائِبُهْ

---

(١) كلمة «عليك» ساقطة من ر ، س.

(٢) زيادات ر: «الشاعر الرماح بن ميادة»، ورواية الأغانى (٢: ٣٣٠ ـ طبعة الدار) للبيتين الأخيرين عن أبى حذافة السهمى:

أظنت سفاها من سفاهة رأيها ... أن اهجوها ـ لما هجتنى محــارب
فــلا وأبيــها إننــى بعشيــرتى ... ونـفسى عن ذاك المقــام لراغــب

(٣) زيادات ر: «اسمــه حنظلة بن الشرقى، والطــمحان فــعلان، من طمح بأنفــه وبصره إذا تكبــر، والقين: الحداد، وكل صانع قين، والقين أيضا: مواضع القيد من البعير».

[لإياس بن الوليد يمدح قومه]

وقال إياس بن الولِيد يمدح قومه:

إنِّى وَجَـدِّكَ مِنْ قَوْمٍ إذَا طَلَبُـوا ... بَعْدَ النَّسِـيئَةِ دَيْنًا أَحْـسَنُوا الطَّلَبَا

لاَ تَحْسِبُوا هَجْمَ أَبْـيَاتِى علاَنِيَةً ... ولاَ اسْتِلاَبَ سِلاَحِى ذَاهِـبًا لَعِبَا

تَبْقَى الَمـعَايِرُ بَعْدَ القَوْمِ باقِـيَةً ... ويَذْهَبُ المَالُ فِيـمَا كانَ قـدْ ذَهَبَا

[لرجل يهجو]

وقال آخر:

لَيْسُوا لِعَمْرٍو غَـيْرَ تَأْشِيبٍ نِسبَةٍ ... ولْكِنَّ عَـمْـرًا غَـيَّبَـتْـهُ المَقَـابِرُ

إذَا عُيِّـرُوا قَالُوا مَقَـادِيرُ قُدِّرَتْ ... ومَـا العَارُ إلاَّ مَـا تَجرُّ المَقَـادِرُ

[لرجل من بنى نهشل بن دارم ينأى بنفسه]

وقال رجل من بنى نَهْشَلِ بن دارِم:

إذَا مَـوْلاَكَ كَـانَ عَلَـيْكَ عَـوْنًا ... أَتَاكَ القَـوْمُ بالعَـجَبِ العَـجِيبِ

فَـــلاَ تَخْنَـعْ إلَيْـــهِ ولاَ تُرِدْهُ ... ورَامِ بِرأْسِـهِ عُــرْضَ الجَـبُــوبِ

فَـمَـا لِشَـآفَـةٍ مِنْ غَـيْـرِ ذَنْبٍ ... إذَا وَلَّى صَـــدِيقُكَ مِنْ طَبِـــيبِ

قوله:

* ورام برأسه عرض الجبوب *

يريد الأرضَ ـ وهو اسم من أسمـائها ـ أنشدنى التَّـوَّزِىُّ لرجل من بنى مُرَّةَ يَرْثى ابنه:

بُنَىَّ عَلَـى عَـيْنِى وَقَلْبِـى مِكَانهُ ... ثَوَى بَيْنَ أَحْجَـارٍ وَرَهْنَ جَبُوبِ

وقوله: «فـما لشـآفة» يقـول: لبُغْضٍ، يقال: شَـئِفْتُ الرجُلَ أشْـأَفُهُ شـآفةً وشَأْفًا، وقد يقال فى هذا المعنى شَنِفْتُهُ، قال الرَّاجز:

لَمَّـا رَأَتْنِى أُمُّ عَـمْرٍو صَـدَفَتْ ... وَمَنَعَـتْنِى خَـيْـرَهاَ وَشَنِفَتْ(١)

---

(١) البيتان فى اللسان (شنف).

وقال آخر:

* وَلَمْ تُدَاوِ غُلَّةَ الْقَلبِ الشَّنِفْ[1] *

[النبهان بن عكى فى النسيب]

وقال نَبْهَانُ بن عكِّيّ العَبْشَمِيُّ:

يُقِرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى مَنْ مَكَانهُ ... ذُرَا عَقِدَاتِ الأَبْرَقِ الـمُتَقَاوِدِ
وَأَنْ أَرِدَ المَاءَ الَّذِي شَرِبَتْ بِهِ ... سُلَيْمَى، وَقَدْ مَلَّ السُّرَى كُلُّ وَاجِدِ
وَأُلْصِقَ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تُرابِهِ ... وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسُمِّ الأَسَاوِدِ

قوله: «ذُرَا عَقِدات»، فالذِّرْوةُ من كلّ شيء أعلاه، فَذُرْوةُ السنام أعلاه، وذُرْوَة المَجْدِ أَرفَعهُ وأسناه، ويقال: فلان فى ذُرْوة قومِه إذا كان فى الموضع الرفيع منهم، وأما قولَ لَبيد:

مُدْمِنٌ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الذُّرَا ... دنَسَ الأَسْؤُقِ عن عَضْبٍ أَفَلّ

فإنما يقول: هذا رجل يُعَرْقِبُ الإبل لِيَنْحَرَهَا ثم يمسح ذرَا أَسْنِمَتِهَا بسيفه، لِيَجْلُوَ ما عليه من دم الأسؤق.

وقوله: «عَضْب» أى قاطع، ومن ذلك رجل عَضْبُ اللسان، وجعله أَفَلَّ لكثرة ما يُقَارِعُ به الحُروبَ، كما قال النابغَة:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فلولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقوله: «عقَدات» فهو ما انْعَقَدَ وَصَلُبَ من الرمل، والواحدة عقِدَة، وأعْقادٌ أيضًا وَعَقِدَات، قال ذو الرُّمَّة لِهِلاَلِ بن أَحْوَزَ المازنِيِّ يمدحه:

رَفَعْتَ مَجْدَ تَمِيمٍ يا هِلاَلُ لَهَا ... رَفْعَ الطرَافِ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْعَمَدِ[2]
حَتَّى نِسَاءُ تَمِيمٍ وَهْيَ نَازِحَةٌ ... بِقُلَّةِ الحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالْعَقِدِ
لَوْ يَسْتَطِعْنَ إِذَا ضَافَتْكَ مُجْحِفَةٌ ... وَقَيْنَكَ المَوْتَ بِالآبَاءِ وَالْوَلَدِ

(١) البت فى اللسان (شنف)، ورواه «علة القلب» بالمهملة.
(٢) الطراف: بيت من جلد، والعلياء: المكان المرتفع.

وقوله: «الأبرق» فالأبْرَقُ حجارة يَخْلطُها رَمْلٌ وطين، يقال لتلك: بُرْقَةٌ، وأبْرَقُ، وبَرْقَاء، يافتى، كما يقال: الأمْعَزُ والمعْزَاء، وهى الأرض الكثيرة الحَصْباء، ومثل ذلك الأبْطَحُ والبَطحَاء، وهو ما انْبَطَحَ من الأرض، فمن قال: أبْرَقُ فإنما أراد المكان، ومن قال: بَرْقاءُ فإنما أراد البقعة.

وقوله: «المتقاود» يريد المنقاد المستقيم، ومن ذلك قولهم: قُدْتُهُ أى جَرَرْتُهُ على استقامة، وكذلك طريق مُنْقاد، وفلان قائد الجيش، قال حاتم بن عبد الله الطائىّ: يضرب هذا مثلا:

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَفَّتَ حَوْلَهُ ... وَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ(١)

وقوله:

* ولو كان مخلوطا بسمّ الأساود *

يريد جمع أسْوَدَ سالخٍ، وجَمَعَهُ عَلَى أساود؛ لأنه يجرى مُجْرَى الأسماء، وما كان من باب «أفْعَل» اسْمًا فَجمْعُهُ على أفاعِلَ، نحو أفْكَل وأفاكِل(٢)، والأكْبَر والأكابِر، وكذلك كلُّ ما سَمَّيْتَ به رجلا، تقول: أحْمَد وأحامد، وأسْلَمُ وأسالِمُ، فإن كان نعتا فجمعُهُ «فُعْل»(٣) نحو أحْمَرَ وحُمْر، وأصْفَر وصُفْر، ولكن أسْوَد إذا عَنَيْتَ به الحيّة، وأدْهَم إذا عَنَيْتَ به(٤) القَيْدَ، وأبْطحَ إذا عنيت(٥) المكان المنْبَطِح، والأبرق(٦) إذا عنيت المكان، مُضَارِعَة للأسماء، لأنها تدل على ذات الشيء، وإن كانت فى الأصل نعتًا محضا(٧)، تقول فى جمعها: الأباطِح والأبَارق والأدَاهِم والأسَاود، فإن أرَدْتَ نعتًا مَحْضًا يَتْبَعُ المنعوت، قلت: مررت بثياب سُودٍ، وبخَيْلٍ دُهْم، وكل ما أشْبَهَ هذا فهذا مجراه، قال جرير:

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لاَ قَيْنَ مِثْلُهُ ... لِفَطْحِ المَسَاحِى أو لِجَدْلِ الأدَاهِمِ(٨)

---

(١) حاشية الأصل: «الأقود من الرجال: الذى لا يلتفت».

(٢) الأفكل: اسم لرعدة من برد أو خوف.

(٣) ر، س: «فجمعه على فعل».

(٤) ر، س: «إذا عنيت به القيد»

(٥) ر: «إذا عنيت المكان»

(٦) ر. «وأبرق إذا عنيت به المكان».

(٧) ساقطة من ر.

(٨) المساحى: «جمع مسحاة، وهى المجرفة من حديد يجرف بها الطين عن وجه الأرض».

وقال الأَشْهَب بن رُمَيْلَة ـ [قال أبو الحسن: رميلة اسم أمّه] ـ(١):

أُسُودُ شرًى لاقَتْ أسود خَفِيَّةٍ تساقت(٢) عَلَى حَرْدٍ دماءَ الأَسَاوِدِ

قوله: «على حرد» يقول: على قَصد، فأما قولُ الله عز وجل: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قادِرِينَ﴾(٣)، فإن فيه قولين: أحدهما ما ذكرنا من القصد، قال الشاعر(٤):

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ(٥)

وقالوا: «على حَرْدٍ»: أى على مَنْعٍ، من حارَدَتِ السنةُ إذا مَنَعَتْ قَطْرَهَا، وحاردت الناقة إذا مَنَعَتْ دَرَّهَا.

* * *

[قال أبو الحسن: رواية أبى العباس: «يُقِرُّ بعينى» يريد يُقِرُّ عينى، ثم أتى بالباء توكيدًا، وقال لنا: هكذا سمعته، ويقال: أقرَّ الله عينَهُ يُقِرُّها، وقَرَّتْ عينُهُ تَقَرُّ، وقَرِرْتُ بالمكان أقِرُّ، وقال الأصمعيّ: قَرَّتْ عينُهُ من القُرِّ وهو البَرْدُ، أى جَمَدَتْ فلم تدمع، وهو بحذاء سَخِنَتْ عينُهُ. وأجْوَدُ مما رَوَى عندى: «يَقَرُّ بعينى»، وهو الأصل، والباء فى موضعها غيرُ مؤكدة.

وقال أبو العباس: الذى رَوَيْتُ: «وقد مَلَّ السُّرَى كُلُّ واحد»، وهو المنفرد فى السير المُتَوَحِّدُ به، وروَى غيره: «كلُّ واجِد»، أى عاشق، ورُوِىَ أيضًا: «كل واخد»، وهو من الوَخْد والوَخَدَانِ، وهو السير الشديد، والوخْدُ المصدر، والوَخَدَانُ الاسم].

* * *

(١) ما بين العلامتين من ر ، س.

(٢) ر ، س: «تسافوا».

(٣) سورة القلم ٢٥.

(٤) س: «قيل: هو قطرب».

(٥) زيادات ر: «قال أبو حاتم: هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره ـ يعنى قطربا»، وفيها «قطربا» تصحيف.

[القتال الكلابي يفخر بنفسه وقومه]

وقال القَتَّالُ الكلابيُّ[1]، واسمه عُبَيْدُ بن مَضْرَحِيّ:

أَنَا ابْنُ أَسْمَاءَ أَعْـمَامِي لَهَا وَأَبِي ... إِذَا تَرَامَى بَنُـو الإِمْـوَانِ بِالْعَـارِ
لا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلاَّ ثَدْيَ وَاضِحَةٍ ... لِوَاضِحِ الخَدِّ يَحْـمِي حَوْزَةَ الجَارِ
مِنْ آلِ سُفْـيَانَ أَوْ وَرْقَاءَ يَمْنَعُـهَا ... تَحْتَ الْعَجَاجَةِ ضَرْبٌ غَيْر عُوَّارِ
يَالَيْـتَنِي وَالْمُنَى لَيْـسَتْ بِنَافِـعَـةٍ ... لِمَـالِكٍ أَوْ لِحِـصْنٍ أَوْ لِسَـيَّـارِ
طِوَالُ أَنْضِيَـةِ الأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا ... رِيحَ الإِمَـاءِ إِذَا رَاحَـتْ بِأَزْفَـارِ

قوله:

* إذا ترامى بنو الإموان بالعار *

فالإِمْوَان: جـمع أَمَة، وأصل أَمَة «فَـعَلَةٌ» متحركـة العين، وليس شيء من الأسماء على حرفين إلاوقـد سقط منه حرف يُسْتَدَلُّ عليه بجمـعه، أو بتثنيته، أو بفعل إن كان مـشتقًا منه، لأن أقل الأصـول ثلاثة أحرف، ولا يَلْحَقُ التصغـيرُ ما كان أقلَّ منها، فأَمَةٌ قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم: «إِمْوَان»، كما علمنا أن الذاهب من أبٍ وأخٍ الواو بقولهم أَبَوَان وأَخَـوَان، وعلمنا أن أَمَة «فَعَلَةٌ» متـحركة بقولهم في الجميع: آمٍ، فوزن هذا أَفعُلٌ، كـما قالوا: أَكَمَةٌ وآكُمٌ، ولا تكون فَعْلَةٌ على أَفعُلٍ، ثم قالوا إِمْوانٌ: كما قـالوا في المذكَّر الذي هو منقوص مثله: إِخْوان، واستوى المذكـر والمؤنث؛ لأن الهاء زائدة، كما استَوَيَا في «فَـعْل» الساكن العين، تقول: كَلْـبٌ وكِلاب، وكَعْبٌ وكِـعابٌ، كـما تقول في المؤَنث: طَـلْحَةٌ وطِلاَحٌ، وجَفْنَةٌ وجِفان، وصَـحْفَةٌ وصِحَافٌ. ونظير ذلك من غـير المعتل ورَل[2] ووِرْلان، وبَرَق وبِرْقَان وخَـرَب وخِرْبان، وهو ذَكَرُ الحُـبارَى، والبَرَقُ الحَـمَل. ومن أنشد:

---

(١) ر، س: «وقال أبوالعباس، قال القتال . . .».

والأبيات فى أمالى القـالى (٢: ٢٢٥، ٢٢٦)، وذكر فيـها: «نازع القـتال الكلابـي ـ وهو عبيـد بن المضرحى ـ رجلا من قومـه، فقال له الرجل: أنت كلٌّ على قومك، والله إنك لخـامل الذكر والحسب، ذليل النفر، خفيف على كاهل حصمك، كلٌّ على ابن عمك»، فقال هذه الأبيات.

(٢) الورل: دابة على خلقة الضب، إلا أنه أعظم منه، يكون فى الصحارى.

«أُمْوَان» فقد غلط، لأنه يَحْتَجُّ بقولهم: حَمَلٌ وحُملانٌ، وفَلَقٌ وفُلْقانٌ، وهذا إنما يحمل على ما كان معتلاً مِثْلَهُ، نحو أخ وأخْوان. وقد رَوَى أبو زيد: أُخْوان، فإلى هذا ذهبوا، والقياس المطرد لا تَعْتَرِضُ عَلَيْه الرِّوايةُ الضعيفة.

وقوله: «لا أرْضِعَ الدَّهْرَ» فهذا على لغته، لأن قيْسًا تقول: رَضِعَ يَرْضِعُ، وأهل الحجاز يقولون: رَضَعَ يَرْضَعُ، ويُنشِدون بيت عبد الله بن هَمَّام [السلوليّ](1) على وجهين، وهو:

إذَا نَصَبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا ... ولكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ

وذَمُّوا لَنا الدُّنْيَا وهُمْ يَرْضِعُونَها ... أَفَاوِيقَ حَتَّى ما يَدِرَّ لَهَا ثُعْلُ(2)

وبعضهم يقول: «يَرْضَعُونَها».

وقوله:

« لا أَرْضِعُ الدهر إلا ثدْيَ واضحة »

يقول: إنما تُرْضِعُني أمّي، وليست غير كريمة، كما قال الأعْشَى:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِيَّ ولاَ ... يَشْرَبُ كَأْسًا بكَفِّ مَنْ بَخِلاَ

يقول: إنما تَشْرَبُ بكفك، ولَسْتَ ببخيل، ومثل هذا قولُ التَّميميِّ لِنَجْدَةَ بن عامرٍ الحَنَفِيّ الخارجيّ(3):

مَتَى تَلْقَ الحَرِيشَ حَرِيش سَعْدٍ ... وعَبَّادًا يَقُودُ الدَّارِعِينا

تَبَيَّنْ أَنَّ أُمَّك لَمْ تَوَرَّكْ ... ولَمْ تُرْضِعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا(4)

وقوله: «واضحة» أي خالصة في نَسَبِها، وليست بأمة، وهذا توكيد لبيته الأول، وقد أنشد بعضهم: «لواضح الجدِّ» والمعنى قريب.

---

(1) من و. وفي س «بيتي ابن همام».

(2) الثعل، مثلثة. خلف زائد صغير في أخلاف الناقة.

(3) هو نجدة بن عامر الحنفي، من رءوس الخوارج، كان ممن لقبوه بأمير المؤمنين قتل سنة ٧٢.
(وانظر تاريخ الطبري ٧: ١٩٤).

(4) هو الحرش بن هلال القريعي الشاعر، وعباد بن علقمة المازني، وسيأتي ذكرهما في أخبار الخوارج.

وقوله: «يَحْمى حَوْزَة الجار» أى ما يَحُوزه، يقال: فلان مانع لحوْزَته، أى لما صار فى حيِّزِه، ويُرْوَى عن علىّ بن أبى طالب رحمة الله عليه(١) أنه قال: للأزْد أربعٌ ليْست لحَىّ، بذْلٌ لما ملكَتْ أيديهم، ومَنْعٌ لِحَوْزَتِهِمْ، وحَىٌّ عِمَارةٌ(٢) لا يحتاجون إلى غيرهم، وشُجْعَانٌ لا يَجْبُنُونَ.

وقوله:

* لمالكٍ، أو لِحصْنٍ، أو لسيَّار *

فهؤلاء بيت فزَارَة، وبُيُوتات العرَب فى الجاهلية ثلاثة، فبيتُ تميم بنوعبد الله ابن دارم، ومَرْكَزُهُ بنو زُرَارَةَ، وبيتُ قَيْسٍ بنو فَزَارَةَ ومركَزُهُ بنو بدْرٍ، وبيت بكْر بن وائِل شَيْبان ومركزُه بنو ذى الجَدَّيْنِ.

وقوله: «طوالُ أنْضيةِ الأعناقِ» فالنَّضِىُّ مُركَّبُ النَّصْل فى السِّنْخ، وضَرَبَهُ مَثَلاً، وإنما أراد طِوال الأعناق، كما قال الأعشى:

الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ   يَمْشُونَ في الدفَئِيِّ والأَبْرَادِ(٣)

يريد السُّودَدَ والنِّعْمَةَ ولم يَخْصُصِ الصدورَ، وإنما أراد النعال كلها، وقال الشاعر(٤):

يُشَبَّهُونَ مُلُوكًا فِى تَجِلَتِهِمْ   وطُولِ أَنْضِيَةِ الأَعْنَاقِ والْلِّمَمِ

إذَا بَدَا المِسْكُ يَنْدَى فِى مَفَارِقِهِمْ   رَاحُوا كَأَنَّهُمُ مَرْضَى مِنَ الْكَرَمِ

[قال أبو الحسن: وغيره يروى: يُشَبَّهُونَ قريشًا فى تجِلَّتهم].

وقوله: «بأزفار» فالزِّفْرُ الحِمْل، ويُضْرَبُ مثلا للرجل، فيقال: إنه لَزُفَر، أى حَمَّالٌ للأثقال، ويقال: أتى حِمْلَهُ فازْدَفَرَهُ، قال أبو قُحافة أعْشَى باهلَةَ:

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيها ويُسْأَلُها   يَأْبَى الظُّلاَمَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

(١) ر: «رضى الله عنه».

(٢) العمارة هنا: الحى العظيم يمكنه الانفراد بنفسه، بفتح العين وكسرها. قال ابن الأثير: «فمن فتح فلالتفاف بعضهم على بعض كالعمارة والعمامة، ومن كسر فلأن بهم عمارة الأرض» (وانظر النهاية ٣: ١٢٨).

(٣) الدفئى: ضرب من الثياب، قيل هى المخططة.

(٤) زيادات ر: «هو الشمردل بن شريك اليربوعى، عن ابن قتيبة».

وإنما يريد بعينه، كقولك: لئن لقيتَ فلانا ليَلْقَيَنَّكَ منه الأسَدُ.

وقوله: «النَّوْفَلُ» من قولهم: إنه لذو فَضْل ونَوَافِلَ.

* * *

[الرجل من بني عبس، وكان عروة بن الورد قد شتمه]

وقال رجل من بنى عَبْسٍ، يقوله لعُرْوَةَ بنِ الوَرْد:[1]

لا تَشْتُمَنِّى يا بن وردٍ فَإنَّنى ... تَعُودُ عَلَى مَالِى الْحقُوقُ الْعَوَائدُ

ومَنْ يُؤْثِرِ الحَقَّ النَّؤوبَ تَكُنْ به ... خَصَاصَةُ جِسْمٍ، وهُوَ طَيَّانُ ماجِدُ[2]

وإنِّى امْرُؤٌ عافِى إنَائِىَ شِرْكَةٌ ... وأَنْتَ امْرُؤٌ عافِى إنَائكَ وَاحِدُ[3]

أُقَسِّمُ جِسْمِى فى جُسُومٍ كَثِيرَةٍ ... وأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ والماءُ باردُ

قوله: «النؤوب» يريد الذى ينُوبه، وكل واو انْضَمَّتْ لغير علَّة فأنت فى همزها وتركها بالخيار، تقول فى جَمْع دارٍ: أدْؤُر، وإن شئت لم تَهْمِزْ، وكذلك النَّؤُوب والقَؤُولُ لانضمام الواو، فأمَّا الواو الثانية فإنها ساكنة قبلها ضمة، وهى مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو التَقَتْ واوانِ فى أوّل كلمة، وليستْ إحداهما مَدَّةً لم يكن بُدٌّ مِنْ هَمْزِ الأولى، تقول فى تصغير واصِلٍ وواقد: أُوَيْصِلٌ وأُوَيْقِدٌ، لابُدَّ من ذلكَ، فأما وُجُوهٌ فإن شئت هَمَزْتَ فقلتَ: أُجوهٌ وإن شئتَ لم تَهْمِزْ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[4] والأصل وُقِّتَتْ، ولو كان فى غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت. وقوله عز وجل[5]: ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾[6] والواو الثانية مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها، ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو.

وقولى: «إذا انضمت لغير علة»، فالعلة أن تكون ضمتها إعرابا، نحو هذا غَزْوٌ يا فتى، ودَلْوٌ كما ترى، فهذا مما لا يجوز هَمْزُهُ؛ لأن الضمة للإعراب فليستْ بلازمة، أو تَنْضَمُّ لالتقاء الساكنين، فذلك أيضًا غير لازم، فلا يجوز

---

(١) ر ، س: «قال أبو الحسن: يقوله لعروة بن الورد».

(٢) الخصاصة: سوء الحال. والطيان: الجائع.

(٣) العافى: طالب المعروف.

(٤) سورة المرسلات ١١.

(٥) ر ، س: «وقوله تعالى».

(٦) سورة الأعراف، ٢٠.

همـزه: نحو اخْـشَـوُا الرجل، و﴿لَتُـبْلَوُنَّ فى أَمْـوَالِكُمْ وَأَنْفُـسِكُمْ﴾(١) و﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾(٢) ومَنْ هَمَزَ من هذا شيئًا فقد أخطأ.

[الرجل من بنى تميم يهجو ثعلبة بن مسافر]

وقال رجل من بنى تَميمٍ:

أَلْبَـانُ إِبْـلِ تَعِلَّةَ بْنِ مُـسَـافِـرٍ مَـادَامَ يَملِكُهَـا علَىَّ حَـرَامُ
وطَعَامُ عِـمْرَانَ بْنِ أَوْفَى مِـثْلُها مَـادَامَ يَسْلُكُ فِى الْبُطُونِ طَعَـامُ
إِنَّ الَّذينَ يَسُـوغُ فِـى أَعنَاقِـهِمْ زَادٌ يُمَـنُّ علَـيْـهِمُ لَـلِئَـامُ
لَعَنَ الإلَه تَـعِلَّةَ بْنَ مُـسَـافِـرٍ لَعْنًـا يُشَنُّ علَيْـهِ مِنْ قُـدَّامُ

وهذا كلام فصيح جداً.

قوله: «يسوغ فى أعناقهم» يريد حُلُوقَـهُمْ؛ لأن العُنُقَ يحيط بالحلْق، ويُشْبِهُ هذا الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القُطَامِىِّ:

لمْ تَرَ قَـوْمًا هُمُ شَرٌّ لإِخْـوَتِهِمْ منَّا عَـشِيَّةَ يَجْـرِى بِالدَّمِ الْوادى
نَقْـرِيهِمُ لَهْـذَمِـيَّات نَقُـدُّ بِهَـا مَا كَـانَ خَاطَ عَلَيْـهِمْ كُلُّ زرَّاد

لأن الخِيَـاطة تَضُمُّ خِرَقَ القَمِيص، والسَّـرْد يضم حلَقَ الدِّرْع، فَضَرَبَهُ مَـثلاً فَجعَلَهُ خِيَاطةً.

* * *

[قال أبو الحسن: رَوَى أبو العباس:

* وطعام عمران بن أوفى مثلُها *

ردّ الهـاء والألف على الألبان، وهذا لا نـظر فيـه، ورَوَى أيضًا مـثْله لأن الألبان تجرى مُجْرَى اللبن، فَحَمَلَهُ على المعنى. وقـد يجوز أن تجْعَل الألبَان جَمْعًا فتُذَكَّرَ لتذكير الجمع. ورُوِىَ أيضًا.

* مادَامَ يَسْلُكُ فى الحلوق طَعَامُ *

(١) سورة آل عمران ١٨٦

(٢) سورة التكاثر ٦.

ورَوَى الفَرَّاءُ فى هذا الشِّعر:

* إنَّ الَّذِينَ يَسُوغُ فى أَحْلاقِهِمْ *

وإنما كان ينبغى أن يكون: «فى أحْلُقِهِمْ» كقولك: فَلْسٌ وأفْلُسٌ، وما أشبهه ولكنه شَبَّهَ باب «فَـعْلٍ» بباب «فَعَلٍ»، كما قالوا: زَنْدٌ وأَزْنَادٌ، وفَـرْخٌ وأَفْرَاخٌ، قال الحُطَيْئَةُ لعُمَرَ بن الخطاب رضى[1] الله عنه:

مَـاذَا تَقُولُ لأَفْـرَاخٍ بِذِى مَـرَخٍ ... حُمْـرِ الحَوَاصِلِ لا مَاءٌ ولا شَـجَرُ

ففعلوا هذا تشبيـهًا بباب «فَعَلٍ» كما شَبَّهُوا فَعَـلاً بِفَعْلٍ فى الجمع، فقالوا: جَبَلٌ وأجْبُلٌ، وزَمَنٌ وأزْمُنٌ، كما قال:

إنِّى لأَكْنِى بِأَجْـبَالٍ عَنْ أجْبُـلِهَا ... وبِاسْمِ أَوْدِيَـةٍ حُـبًّـا لِوَادِيهَـا

فَأَتَى به على الأصل، وتشبيهًا بغيره على ما أخْبَرْتُك، قال ذو الرُّمَّة:

أَمَنْزِلَتَـىْ مَىّ سَـلامٌ عَلَيْكُـمَـا ... هَلِ الأَزْمُنُ الَّلائِى مَضَيْنَ رَوَاجِعُ!

والباب «أزمان» كما قال رُؤْبَةُ:

أزْمَـانَ لا أدرى وإن سَـألتِ ... مـا فرْقُ بين جُـمـعةٍ وسَـبْتٍ

ورَوى أبو العبـاس البيتَ الأخـير مُـقْوًى، وجَعَلَهُ نكرة، وهـو قوله: «من قُدَّامٍ، كـما تقول: جئتك من قَبْلٍ، ومن بَعْدٍ، ومن عَلٍ، وما أشـبهه، كمـا قرأ بعضهم: ﴿لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ ومِنْ بَعْدٍ﴾[2]، كما تقول: أوَّلًا وآخرًا، ورواه الفراء: «من قُدَّامُ»، وجعله معـرفةً، وأجراهُ مُجْرَى الغايات، نحو: «قَبْلُ وبَعْـدُ» كما قال [طرفة بن العبد][3]:

ثُمَّ تَفْـرِى الُّلحْمَ مِنْ تَعْـدَائِهَـا ... فَهْىَ مِنْ تَحْتُ مُشِـيحَاتُ الحزُمْ

وكما قال عُتَىّ بن مَالكٍ العُقَيْلِىُّ، أنشده الفراء أيضًا:

إذَا أَنَا لَمْ أُومَنْ عَلَيْكَ ولَمْ يكُنْ ... لِقَـــاؤُكَ إلاَّ مِـنْ وراءُ وراءُ

---

(١) ر ، س: «العمر رحمه الله».

(٢) سورة الروم ٤.

(٣) من ر، وعجز هذا البيت صدر لبيت آخر، ورواية الديوان ٥٩.

وحلّ الصـنعـة فـى مـشـتـاتهـا ... فـهى من تحت مـشيـحات الحـزمْ

وتفــرّى اللـحم من تعـــدائهـا ... وتعـالـى فَـهْى قُبٌّ كـالعَـجم

فهذا الضـرب مما وقع معرفة عـلى غير جهَة الـتعريف، وجهَةُ الـتعريف أن يكون مُعَرَّفًـا بنفسه، كزيد وعـمرو، أو يكون مُعَرَّفًا بـالألف واللام أو بالإضافة، فهذه جهة التعريف، وهذا الضرب إنما هو مُعَرَّفٌ بالمعنى، فلذلك بُنِى إذْ خَرَجَ من الباب، ويُرْوى: «لَعَنًا يُسَنُّ عليه» بالسين، ويُسَنُّ ويُشَنُّ واحد، أى يُصَبُّ، إلا أن بعضَهم قـال: السَّنُّ: الصَّبُّ على جهة واحدة، وقالوا: يـقال: شَنَنْتُ عليه الماء، وسَنَنْتُه، وسَنَنْتُ عليه الدِّرْعَ لا غير، وقالوا: شَنَنْتُ عليه الغارَةَ لا غير].

* * *

[القطامي يفتخر]

قال أبو العباس، وقال القُطاميُّ:

فـمنْ تَكُنِ الحضَـارَةُ أَعْجَـبَتْـهُ ... فَـــأَىَّ رِجَـــالِ بَادِيَة تَـرانَا!

ومَنْ رَبَطَ الْجِـحَـاش فَإِنَّ فِـينَا ... قَنًا سُلُبًـا وأَفْـرَاسًا حِسَـانَا(١)

وكُنَّ إذَا أَغَـرْنَ عَلَى قَـبِـيلٍ(٢) ... فَـأَعْوَزَهُنَّ كَـوزٌ حَيْثُ كَـانَا(٣)

أَغَرْنَ منَ الضِّبَـابِ عَلَى حِلالٍ ... وضَـبَّـةَ، إنَّهُ مَـنْ حَـانَ حَـانَا

وأَحْـيَـانًا عَلَى بَـكْرٍ أَخِـينَا ... إذَا مَـا لمْ نَجِـدْ إلاَّ أَخَـانَا

قوله: «الحضَارةُ» يريد الأمْصارَ، وتقـول العرب: فلانٌ بادٍ، وفلانٌ حاضرٌ، وفى الحديث: «ولا يبـيعنَّ حَاضرٌ لبـادٍ»، وتأويلُ ذلك أن البادىَ يَقْدَمُ وقـد عرف أسْعار مـا مَعَهُ وما مـقْدارُ رِبْحه، فإذا جـاءه الحاضرُ عَرَّفَـهُ سُنَّةَ البَلَد فَأَغلَى على الناس. ومِثْلُ ذلك النَهى عن تَلَقِّى الجَلَـب، ومثله: دَعُوا عِبَادَ الله يُصِـبْ بَعْضُهُمْ من بَعْضٍ. ويقال: حَىٌّ حَلالٌ، إذَا كانوا متَجَاوِرين مُقِيمين، وأنشد الأصمعىّ:

أَقَـوْمٌ يَبْـعَـثُـونَ الْعِـيـرَ تَجْـراً ... أَحَبُّ إِلَـيْكَ أَمْ حَىٌّ حِـــلالٌ

---

(١) القنا: جمع قناة، وهى الرمح: السلب: الطوال، واحده سلب، بفتحتين.

(٢) القبيل: الجماعة من الناس.

(٣) كوز. رجل من أسد وفى ر. «كون» تحريف وانظر الديوان ٥٨.

باب
[نبذ من أقوال الحكماء]

قيل لمعاوية رحمةُ الله عليه: ما النُّبْلُ؟ فقال: الحلْمُ عند الغضب، والعَفْوُ عند القدرة. ويُرْوَى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أُخْبِرُكُمْ بشرَارِكُمْ؟[1]: من أكَلَ وَحْدَهُ، ومَنَعَ رِفْدَهُ، وضَرَبَ عَبْدَهُ. ألا أُخبِرُكُمْ بشَرٍّ من ذلكُمْ؟: مَن لا يُقيلُ عَثْرَة، ولا يَقْبَل مَعْذرَةً، ولا يَغْفرُ ذَنْبًا، ألا أُخبِرُكُمْ بشَرٍّ من ذلكُمْ؟: «مَن يُبْغض الناسَ ويُبْغضُونَه». ويُرْوَى عنه عليه السلام أنه قال: «المُسْلمون تَتَكَافأُ دماؤُهُمْ، ويسعى بِذِمَّتِهِمْ أدْناهُمْ، وهُم يَدٌ عَلَى مَنْ سِواهُمْ، والمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخيه».

قوله ﷺ: «تَتَكَافَأُ دماؤُهم»، من قولك: فلان كُفْءٌ لفلان، أى عَديلُهُ، وموضوع بحذائه، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ويقال: فلان كفاءُ فلان، وكَفِيءُ فلان، وكُفْءُ فلان.

ويروى أن الفَرَزْدَقَ بَلَغَهُ أَنَّ رجلاً من الحَبِطَات بن عَمْرو بن تميم خَطَبَ امرأة من بنى دارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيدة مَنَاةَ بن تميم، فقال الفرزدق:

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤهُم آلُ مِسْمَعٍ ... وَتَنْكِحُ فى أَكْفَائِهَا الحَبِطَاتُ

فآل مِسْمَع بيت بكْرِ بن وائِلٍ فى الإسلام، وهم من بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَة بن عُكَابَةَ بن صَعْبِ بن علىّ بن بكر بن وائل، والحَبطات هم بنو الحَارِثِ بن عمرو ابن تميم. فقوله: «أكفاؤهم» إنما هو جمع كفْء يا فتى، فقال رجل من الحَبِطاتِ يجيبه:

أَمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِيئًا لِدَارِمٍ ! ... بَلَى وَلأَبْيَاتٍ بِهَا الحُجُراتُ

يعنى بنى هاشم، من قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرات﴾[2].

وقال علىٌّ بن أبى طالب رحمه الله: مَنْ لانَتْ كَلِمَتُهُ، وَجَبَتْ مَحَبَّتُه. وقال: قِيمة كلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِن.

---

(١) ر: «ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى، قال من أكل وحده . . .».

(٢) سورة الحجرات ٤.

وقــال عــمر بــن الخطاب رضى الله عنه: ثلاثٌ يُثْـبِـتْنَ لَكَ الْوُدَّ فى صَــدْرِ أخيك: أنْ تَبْـدأَهُ بالسَّلام، وتُوَسِّعَ له فى المجلس، وتَدْعُوَه بأَحَبِّ الأسمــاء إليه. وقال: كَفَى بالمرْءِ غَيًّا أن تكون فيه خَلَّةٌ من ثلاث: أن يَعِيبَ شيئًا ثم يَأْتِيَ مِثْلَهُ، أو يَبْدُوَ لَهُ من أخيه ما يَخْفَى عليه من نفْسه، أو يُؤْذِيَ جليسه فيما لا يَعْنيه.

وقال عــبد الله بن العباس لبـعض اليمانيَـة: لكم من السماء نَجْمُـهَا، ومن الكَعْبَة رُكْنُهَا، ومن السُّيوف صَمِيمُـهَا. يعنى سُهَيْلاً من النجوم، والرُّكْنَ اليَمانِيّ، وصَمْصَامَةَ عمرو بن مَعْدى كَرِب.

ويروى أن عمــر بن الخطاب رحمه الله قال يــوما: مَنْ أجْوَدُ العرب؟ فـقيل له: حاتِم، قال: فَمَنْ شاعِرُها؟ قيل: امْرؤُ القَـيْس بن حُجْرٍ، قال: فمَنْ فارِسُهَا؟ قيل: عمرو بن معدى كرب. قال: فأَيُّ سُيوفِها أَمْضَى؟ قيل: الصَّمصامة.

وقال مُعَاوية بن أبـى سُفيان رحمه الله للأَحْنَف بن قَيْـسٍ وجارِيَة بن قُدَامَةَ ورجال من بنى سَعْد معهما كَلاَمًا أحفظهم، فَرَدُّوا عليه جوابًا مُقْذِعًا، وبنت قَرَظَةَ فى بَيْت يَقْرُبُ منــه، فَسَمِعَتْ ذلـك، فلما خرجـوا قالت: يا أميــر المؤمنين، لقد سَمِعْتُ من هؤلاء الأجْلاف كلامًا تَلَقَّوْكَ به فلم تُنْكِر، فكِدْتُ أَخْرُجُ إليهم فأسْطو بهم. فقال لها معاوية: إنَّ مُضَرَ كَاهِلُ العَـرب، وتميمًا كاهِلُ مضر، وسعدًا كاهل تميمٍ، وهؤلاء كاهلُ سَعْدٍ.

وكان معــاوية يقول: إنِّى لا أحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لا سَـيْفَ معه، وإن لم تكن إلا كلمةٌ يَشْتَفِى بها مُشْتَفٍ جَعَلْتُها تَحْتَ قَدَمِى، وَدَبْرَ أُذُنِى.

المُقْذِعُ: الذى فيه إقْذَاعٌ، وهو السيئ من القول.

باب

[الرجل من بنى سعد يرثى رجلا]

قال أبوالعباس: قال رجل ـ أحْسِبُهُ من بنى سَعْد ـ يرثى رجلا:

ومُـحْـتَـضَـرِ المَنَـافِعِ أَرْيَحِىٍّ ... نَبِـيلٍ فِـى مَـعَـاوِزَةٍ طِوَالِ
عَـزِيزٍ عِـزَّةً فِى غَـيْـرِ فُـحْشٍ ... ذَلِـيـلٍ لِلـذَّلِـيلِ مِـنَ المَوَالِـى
جَـعَلْتُ وِسَـادَهُ إِحْـدَى يَدَيْهِ ... وَتَحْتَ جَمَـائِهِ خَشَبَـاتُ ضَالِ
وَرِثْتُ سِـلاَحَـهُ، وَوَرِثْتُ ذَوْدًا ... وَحُـزْنًا دَائِمًـا أُخْـرَى الَّلَيَـالِى

قوله: «أرْيَحِىّ» هو الذى يَـرْتَاح لِلْمَعْرُوف، أى يَخِفُّ له، ويقـال: أخَذَتْ فلانا أرْيَحِيَّـة، أى خِفَّةٌ وحركةٌ لفعل المعـروف. والمَعاوِزُ: الثياب التى يَتَبَذَّلُ فـيها الرجل، وهى دون الثياب التى يَتَجَمَّلُ بها، واحـدها مِعْوَزٌ، قال الشَّمَّاخُ فى نعت القَوْسِ:

إِذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ صِينَتْ وَأُشْعِرَتْ ... حَبِيرًا وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ(١)

وقوله: «فى مَعَاوِزَة»: فَزَادَ الهاء، فإنما يُفْعَلُ ذلك لتحقيق التأنيث، لأن كل جَمْعٍ مـؤنث، كمـا تقول فى جـمع صَيْقَلٍ صَـيَاقِل وصَـيَاقِلَة، وكـذلك جَوَارِب وجَـوَارِبَة، إلا أن أكثـر الأعجـمىّ يختص بـالهاء، وهو فى العـربىّ جَيِّـدٌ، وفى العَجَمىّ أكثر استـعمالا نحو المَوَازِجَة(٢)، فإن كان منـسوبًا كان الباب فـيه إثبات الهاء، وتركها جائز، نحو المهالبـة والأَحَامِرَة، وقالوا: السَّبَابِجَة(٣) لأنه قد اجتمع فيه النَّسَبُ والعُجْمَة.

---

(١) الأنداء: جمع الندى، وهو مـا يسقط ليلا. وأشـعرت. ألبست الشعار، وهو الثوب الذى يلى الجسد. والحبير. البرد الموشى.

(٢) الموازجة: جمع موزج، وهو الخف، وأصله: «موزة» (وانظر المعرب ٣١١).

(٣) قال فى اللسان. السبابجة: قوم دوو جلد من السند والهند يكونون مع رئس السفينة البحريه، واحدهم سبيجى، ودخلت فى جمعه الهاء للعجمة والنسب، كما قالوا· البرابرة».

وقوله: «تحت جَمَـائه» يعنى شخصه، والضالُ: السِّدْرُ البَـرِّىّ، وما كان من السِّدْرِ على الأنهـار فليس بِضَالٍ، ولكن يقال له: عُـبْرِىٌّ. قال ذو الرُّمَّةِ: «عُـبْريا وضالا»(١).

وقوله:

* ورِثْتُ سلاحه ووَرِثْتُ ذَوْدَا *

يصف قُرْبَ نَسَبِـه منه، والذَّود: القطعة من الإبل، وأكثر ما يُسْـتعمل ذلك فى الإنَاث، ويجوز فى السائر، ومنه قولهم: ٱلذَّوْدُ إلى ٱلذَّوْدِ إبِل، ثم قال:

* وَحُزْنًا دَائمًا أُخْرَى الَّلَيَالِى *

كما قال الأول ـ وغُبِطَ بميراثٍ وَرِثَه من أحد أهله:

يَقُـولُ جَـزْءٌ ـ ولَمْ يَقُلْ جَلَلاً ـ إِنِّى تَزَوَّجْتُ نَـاعِـمَـا جَـذِلا
إِنْ كُنْتَ أَزْنَـنْتَنِى بِهَـا كَـذِبًا جَـزْءِ، فَلاقَـيْتَ مِثْلَهَـا عَجِـلاَ
أُغْـبَطُ أَنْ أرْزَأَ الْـكِرَامَ وأَنْ أُورَثَ ذَوْدًا شَـصَـائِصَـا نَبَـلا

قوله: «ولم يقل جللا» أى صغيرًا، والجَلَلُ يكون للصـغير، ويكون للكبير، ومن ذلك قوله:

* كُلُّ شَىْءٍ مَا خَلا ٱللهَ جَلَلْ *

أى صغير، وقال لبيدٌ فى الكبير:

وَأَرَى أَرْبَدَ قَـدْ فَـارَقَـنِى وَمِـنَ الأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَـلَـلْ

وقولـه: «شصـائصًا»، يعنى حـقيـرةً دَميـمة. وزعم التَّـوَّزِىُّ أَنَّ النَّبْلَ من الأضداد، يكون للـجليل والحقيـر، واحْتَجَّ بهـذا البيت الذى ذكـرناه، قال: يريد هاهنا الحقيرة.

وقوله: «أَزْنَنْتَنِى». أى قَرَفْـتَنِى ونَسَبْتَنِى إليه، يقـال: فلان يُزَنُّ بكذا وكذا، أى يُسَمَّى به، ويُنْسَبُ إليه، قال امْرُؤ القيسِ بن حُجْر:

كذَبْتِ، لَقَدْ أُصْبِى عَلَى المَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِ أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِى

---

(١) ر: «قال ذو الرمة»:

قطعت إذا تجـوفـت العَـواطى ضُـروبَ السِّـدْر عُـبْـرِيًّا وضَـالا

والعواطى: الظباء تمد أعناقها إلى الشجر. (وانظر ديوانه ٤٤٠).

وفى معنى قوله: «ورثت سلاحه» قولُ الشاعر:

يَفْــرَحُ الْوَارِثُ بِالْمــالِ إذَا ... وَرِثَ المالَ ويَبْكِى إنْ غَضِبْ

ومثله قول نَعَلمَةَ الفَزَارِىِّ:

* يَاحَبَّذَا التُّرَاثُ لَوْلاَ الذِّلَّهْ *

[الجميل بن معمر فى النسيب]

وقال جَميلُ بن مَعْمَرٍ:

مَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ ... يَدٌ، وَمُمَرُّ العُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ

لَهُ مِنْ خَوَافِى النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ ... وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِىِّ فَتِيقُ

عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ، أَيْمَا خطامُهَا ... فَمَتْنٌ، وَأَيْمَا عُودُهَا فَعَتِيقُ

بِأَوْشَكَ قَتْلا منْكِ يومَ رَمَيْتِنى ... نَوَافِذَ لَمْ تُعْلَمْ لَهُنَّ خُرُوقُ

كَأَنْ لَمْ نُحَارِبْ يَابُثَيْنُ لَوَ انَّهَا ... تَكَشّفُ غُمَّاهَا وَأَنْتِ صَدِيقُ

قوله: «ما صائب» يريد قاصداً، يقال: صابَ يَصوبُ إذَا قَصَدَ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماء﴾(١) وقد قالوا: النازلُ، والقَصْدُ أَحْكَمُ كما قال بِشْرُ بن أبى خازِمٍ الأسَدِىُّ:

[تُؤَمِّلُ(٢) أَنْ أَؤُوبَ لَهَا بِغُنْمٍ] ... ولَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ السَّهْمَ صَابَا

وقوله: «ومُمَرُّ العُقْدَتَين» يعنى وَتَراً، والمُمَرُّ: الشديد الفَتْل.

وقوله: «من خَوَافِى النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائر» يريد ريش السهم، والحُمُّ: السُّود، وذلك أخْلَصُهُ وأجْوَدُهُ، وجَعَلَهَا نظائِر فى مقاديرها، لأنه أَقْصَدُ للسَّهْمِ، وإذا كانت الريشات بَطْنُ الواحدةِ منها إلى ظهر الأخرى فهو الذى يُخْتار، وهو الذى يقال له اللُّؤَام، وإنما أخذَ من قولهم: مُلتئِمْ. وإن كان ظهرُ الواحدة إلى ظهر الأخرى، وبَطْنُها إلى بطن الأخرى فذلك مكروه، يقال له اللُّغَاب.

---

(١) سورة البقرة ١٩.

(٢) ر. «صدرالبيت عن أبى الحسن».

وقوله: «كنصل الزاعبىّ»، شَبَّهَ نَصْلَ السَّهْمِ بِنَصْلِ الرُّمْحِ الزَّاعِبِىّ، وهو منسوب إلى رجل من الخَزْرَجِ، يقال له زاعِبٌ، كان يَعْمَلُ الأَسِنَّةَ، هذا قول قوم، وأما الأصمعىّ فكان يقول: الزَّاعِبِىُّ: الذى إذا هُزَّ فكأنَّ كعُوبَهُ يَجْرِى بعضُهَا فى بعضٍ للِينِه وتَثَنِّيه، يقال: مَرَّ يَزْعَبُ بحمْلِه إذَا مَرَّ به مَرًّا سَهْلا.

وقوله: «فتيق» يعنى حاداً رقيقًا، ويقال: فَتِيقُ الشَّفْرَتَيْنِ، وتأويله أنه يَفْتُقُ ما عُمِدَ به له. و«فَعِيلٌ» يقع اسما للفاعل، ويقع للمفعول، فأمَّا الفاعل فمِثْلُ رَحِيمٍ وَعَلِيمٍ وَحَكِيمٍ وَشَهِيدٍ، وأما ما كَان للمفعول، فنحو جَرِيحٍ وقَتِيل وصَرِيع.

وقوله: «زَوْرَاء» يريد مُعْوَجَّةً، وكلمًّا كانت القَوْس أشَدَّ انعطافا كان سَهْمُها أَمْضَى.

وقوله: «على نَبْعَة»، يعنى قَوْسًا، وأَكْرَمُ القِسِىِّ ما كان من النَّبْعِ.

وقوله: «أيْمَا» إنما يريد «أمَّا»، واستثقل التضعيف، فأَبْدَلَ الياء من إحدى الميمين، ويُنْشد بيت ابن أبى رَبِيعَة:

رأَتْ رَجُلاً، أَيْمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى، وَأَيْمَا بِالْعَشِىِّ فَيَخْصَرُ

وهذا يقع، وإنما بابه أن تكون قبل المضاعف كَسْرَةٌ فيما يكون على فِعَّال، فيكرهون التضعيفَ والكَسْر، فيُبْدلون من المُضَعَّفِ الأول الياء للكسرة، وذلك قولهم: دِينارٌ وقِيرَاطٌ وديوانٌ وما أشبه ذلك، فإنْ زالت الكَسْرَة وانفصل أحد الحرفين عن الآخر رَجَعَ التضعيفُ، فقلت: دَنانير وقَرَاريط ودَوَاوين، وكذلك إن صَغَّرْتَ قلتَ قُرَيْرِيطٌ ودُنَيْنِير.

وقوله: «وأيْما عُودُها فعَتِيق»، يصف كَرَمَ هذه القوس وعِتْقَهَا، ويُحْمَدُ منها أن تُتْرَك ولِحَاؤُهَا عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه، كمال قال الشَّمَّاخ:

فَمَظَّعَهَا حَوْلَيْنِ مَاءَ لِحَائها وَيَنْظُرُ مِنْهَا أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ

مَظَّعَهَا: شَرَّبَهَا(١).

---

(١) زيادات ر: «قوله: «فمظعها حولين»، أى تركها فى الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء، يقال: مظع الرجل الظل إذا تحول من مكان إلى مكان».

وقوله: «بأوشكَ قتلا منك»، يقول: بأسرع، يقال: أمرٌ وشيكٌ أى سريع، ويقال: يُوشك فلان أن يفعل كذا، أى يقارِبُ ذلك، ويُوشِك يفعل، كذا بطرح «أنْ» كلّ ذلك جيِّد، قال(١):

يُوشكُ مَنْ فَرَّ منْ مَنيَّتِه ... فِى بَعْضِ غِرَّاته يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا ... لِلْمَوْتِ كأسٌ فَالْمَرْءُ ذَائقُهَا

* * *

[قال أبو الحسن: هذه أبيات أربعة، وهى لرجل من الْخَوارج قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ:

مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِى الحَيَاة وَإنْ ... عَاشَتْ قَليلاً فَالْمَوْتُ لاَحقُهَا
وَأيْقَنَتْ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا ... كَانَ بَرَاهَا بِالأمْسِ خَالقُهَا]

* * *

قوله: «عَبْطة»، أى شابًّا، يقال: اعتُبِط الرجل، إذا مات شابًّا من غير مرض، وأصل العبيط الطَّرِىُّ من كل شىء.

وقوله:

* نَوَافذَ لم تُعْلَم لهنَّ خروقُ *

معنى طَرِيفٌ، وقد أخذه أبو حيَّة منه فكشفه فى أبيات مختارة، وهى(٢):

وَإنَّ دَمًا ـ لَوْ تَعْلَمينَ ـ جَنَيْتِه ... عَلَى الحَىِّ جَانِى مِثْله غَيْرُ سَالِمِ
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كانَ غَيرك أَرْقَلَتْ ... إِلَيْه الْقَنَا بالرَّاعِفَات اللَّهَاذم(٣)
ولكنْ لَعَمْرُ اللهِ مَا طَلَّ مُسْلمًا ... كَغُرِّ الثَّنَايَا واضِحَات الملاغِمِ
إذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الحَدِيثَ كَأَنَّهُ ... سِقَاط حَصَى المَرْجَان مِنْ سِلْك نَاظِمِ

---

(١) زيادات ر: «هو أمية بن أبى الصلت»، وكذا فى حاشية الأصل أيضا.

(٢) زيادات ر: «اسم أبى حية الهيثم بن الربيع» وفى س: وهو قول أبى حية النميرى».

(٣) اللهاذم: القواطع.

رَمَيْنَ فَأَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ فَلَمْ تَجِدْ   دَمًا مَائِرًا إِلاَّ جَوًى فِى الْحَيَازِمِ(١)

* * *

[قال أبو الحسن: وأول هذه الأبيات المختارة أنشدناه غيْره:

وخَبَّرَكِ الْواشُــونَ أَنْ لَنْ أُحِبَّكُم   بَلَى وسُــتُورِ اللّهِ ذَاتِ المَحَــارِمِ(٢)
أَصُدُّ ومَــا الصَّدُّ الَّذِى تَعْلَمِــينَهُ   شِــفَاءٌ لَــنَا إِلاَّ اجْتِــرَاعَ الْعَــلاَقِمِ]

* * *

قال أبو العباس: فهذا مأخوذ من ذلك.

وقوله:

* ولكن لَعَمْرُ اللّهِ ماطَلَّ مسلمًا *

يقول: ماطَلَّ دَمَهُ، يقال: دَمٌ مَطْلُولٌ، إذا مَضَى هَدَرًا، كما قال الراجز:

* بِغَيْرِ عَقْلٍ وَدَمٍ مَطْلُولِ *

وحدّثنى التَّــوُّزِىُّ قال: قــال يَحْيى بن يَعْمَــر لرُجل نازَعَتْــه امرأته عنده: آنْ طَالَبَتْكَ بِثَمَنِ شكْرِهَا وَشَبْرِكَ أَنْشَأْتَ تَطُلُّهَا وتَضْهَلُهَا!

قوله: «ثمن شكْرها» فإنما يعنى الرَّضاعَ، والشَّبْرُ: النكاح، والشَّكْرُ: الفَرْج.

وقوله: «أنشأْتَ تطلُّها» أى تَسْعَى فى بطلان حقها.

وقوله: «تضهلها»، أى تغْطيها الشىء بعد الشىء: يقال: بئر ضَهُولٌ إذا كان ماؤها يَخْرُجُ من جِــرابها شيئًا بعــد شىء، وجِرَابُها جَوَانِبُهَــا، وإنما يَغْزُرُ ماؤها إذا خرج من قَرَارتها فتَعْظُم جَمَّتُهَا(٣).

---

(١) زبادات ر: «الكاف فى قوله: «كغر» فاعلة بقوله: «طل»، ومنه قول الأعشى:

أتنتــهـونَ ولَنْ ينهى ذوى شطَطٍ   كــالطعن يذهب فــيه الريتُ والفــتل

وقول امرىء القيس:

وإنك لم يفــخر عليك كــفاخــرٍ   ضــعيف، ولـم نغلــبْك مثل مُــغلَّبِ

(٢) ر: دكَر بعده عن أبى الحسن:

حــيــاء ويقــيا أن تشــبع نمبــمــةٌ   بنــاديكُم، آفّ لأهــل النمــــائِم!

وأورد هذا البيت فى حاشية الأصل عن أبى على.

(٣) الجمة. كثرة الماء.

وقوله: «واضحات الملاغم»، يريد العَوَارض، قال الفَرَزْدَق:

سَقَتْهَا خُرُوقٌ فى المَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ　　عِلاَطًا ولاَ مَخْبُوطَةً فى الملاَغِمِ

يقول: عَلِمَ أربابُ الماء لِمَنْ هِيَ فَسَقَاهاَ ما سمـعوه من ذكر أصحابها لِعِزِّهِمْ ومَنَعَتِهِمْ، ولم تَحْتَجْ أن تكون بها سِمَةٌ.

والعِلاَطُ: وَسْمٌ فى العُنُق والخِبَاطُ فى الوجه.

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبوالعباس(١): قال بعض الحكماء: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صغيراً سر به كبيراً.

وكان يقول: منْ أَدَّبَ ولده أَرْغَمَ حَاسِدَهُ.

وقال رجل لعَبْد الملك بن مَرْوان: إنى أريد أن أُسِرَّ إليك شيئًا، فقال عبد المَلك لأصحابه: إذا شئتم، فَنَهَضُوا، فأراد الرجلُ الكلامَ، فقال له عَبْدُ الملك قفْ، لا تَمْدَحنى، فأنا أعْلَمُ بنفسى منك، ولا تكْذبْنِى، فإنه لا رأىَ لمكْذوب، ولا تَغْتَبْ عندى أحداً. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أفتأذن لى فى الانصراف؟ قال له: إذا شئت.

وقال بعض الحكماء: ثلاثٌ لا غُرْبَةَ معهنَّ: مجانَبَةُ الرِّيَبِ، وحُسْنُ الأَدَبِ، وكَفُّ الأَذَى.

وقال عمرو بن العاص لدهْقَان(٢) نَهْر تيرَى(٣): بِمَ ينْبُلُ الرجلُ عندكم؟ فقال: بترك الكَذب، فإنه لاَ يَشْرُفُ إلا مَنْ يُوثَقُ بقوله، وبقيامه بأمر أَهْله، فإنه لا يَنْبُلُ مَنْ يحتاجُ أَهلهُ إلى غيره، وبمجانبة الرِّيَب، فإنه لا يَعزُّ مَنْ لا يُؤْمَنْ ألاَّ يُصَادَفَ على سَوْأة، وبالقيام بحاجات الناس، فإنه مَنْ رُجِىَ الْفَرَجُ لَدَيْه كَثُرتْ غاشيَتُهُ.

وقال بزُرْجَمهْر: مَنْ كثُرَ أَدبُهُ كثُرَ شرَفُهُ، وإن كان قَبْلُ وَضيعا، وبَعُدَ صيتَه وإن كان خَاملاً، وسادَ وإن كان غريبًا، وكَثُرَت الحاجةُ إليه وإن كان مُقْتِراً.

وكان يقال: عَلَيْكُمْ بالأَدَب، فإنه صاحبٌ فى السَّفر، ومُؤْنسٌ فى الوحدة، وجَمَالٌ فى المَحْفِل، وسَبَبٌ إلى طلَب الحاجة.

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: منْ أفضل ما أُعْطِيَتْهُ العربُ الأبياتُ يُقَدِّمُهَا الرجلُ أَمامَ حَاجَتِه. فَيَسْتَعْطِفُ بها الكريم، ويستنزِل بها اللئيم.

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) الدهقان: زعيم فلاحى العجم، ويطلق على رئيس الإقليم.

(٣) نهر تيرى: موضع بناحية الأهواز.

وكان شُعْبَةُ بن الحجاج، أو سِماكُ بن حَرْب ـ [قال أبو الحسن: هو سماك بلا شكّ] ـ(١) إذا كانت له إلى أمير حاجة اْستنزلهُ بأبيات يقولها فيه.

وقال بعض الملوك لبعض وُزَرَائه ـ وأراد مِحْنَتَهُ ـ: ما خَيْرُ ما يُرْزَقُه العبدُ؟ قال: عَقْلٌ يعيش به. قال: فإن عَدِمَه؟ قال: فَأَدَبٌ يَتَحلَّى به. قال: فَإنْ عَدِمَه؟ قال: فمالٌ يسترهُ. قال: فإن عَدِمَه؟ قال: فصاعِقَةٌ تَحْرِقهُ، فتُرِيحَ مِنَهُ العِبَادَ والبلاَد.

وقيل لرجل من ملوك العجم: متى يكونُ الْعِلْمُ شَرًّا من عَدَمه؟ قال: إذَا كَثُرَ الأَدَبُ، ونَقَصَت القرِيحةُ.

وقال أرْدَشير: مَنْ لم يكن عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِلالِ الخير عليه، كان حَتْفُهُ فى أغلب خلال الخير عليه.

وقال محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ـ وذكر رجلا من أهله: إنى لأكرهُ أن يكون لِعِلْمه فَضْلٌ على عَقلْه، كما أكره أن يكون للسانه فَضْلٌ على عمله.

وقال محمد بن علىّ بن الحسين: جميع التَّعَايُشِ والتَّنَاصُف والتَّعَاشُرِ فى مِلْءِ مكْيال، ثلثاه فِطْنَةٌ، وثلث تَغَافُلٌ. فلم يَجْعَلْ لغير الفطْنَة نَصيبًا من الخير، ولا حَظًّا فى الصلاح؛ لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عَرَفَهُ وَفَطِنَ به.

(١) من ر: وحاشية الأصل.

باب

[الرجل من بنى عبد الله بن غطفان، وكان قد جاور فى طيئ]

قال أبوالعباس(١): قال رجل(٢) من بنى عبد الله بن غَطَفان وجاوَرَ فى طيئ وهو خائف:

جَزَى اللهُ خَيْراً طَيِّئًا مِنْ عَشِيرَةٍ ... وَمِنْ صَاحِبٍ تَلْقَاهُمُ كُلَّ مَجْمَعِ
هُمُ خَلَطُونِى بِالنُّفُوسِ وَدَافَعُوا ... وَرَائِى بِرُكْنٍ ذِى مَنَاكِبَ مِدْفَعِ(٣)
وَقَالُوا تَعَلَّمْ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبْ ... نُفِدْكَ، وَإِنْ تُحْبَسْ نَزُرْكَ وَنَشْفَعِ

[الرجل من بنى سلامان يمدح طيئا]

وقال رجل من بنى سَلاَمانَ بن سعد هُذَيْم(٤) من قُضَاعةَ، وجاوَرَ فى طَيِّئٍ:

كَأَنَّ الْجَارَ فى شَمَجَى بن جَرْمٍ(٥) ... لَهُ نَعْمَاءُ أَوْ نَسَبٌ قَرِيبُ
يُحَاطُ ذِمَارُهُ وَيُذَبُّ عَنْهُ ... وَيَحْمِى سَرْحَهُ أَنِفٌ غَضُوبُ(٦)
أَلِفْتُ مَسَاكِنَ الْجَبَلَيْنِ إِنِّى ... رَأَيْتُ الْغَوْثَ يَأْلَفُهَا الْغَرِيبُ(٧)

[العبيد بن العرندس الكلابى يصف قوما نزل بهم]

قال أبو العباس(٨): وأنشدنى عبد الوهاب بن جَنْبَة الغَنَوىّ لعُبَيْدِ بن العَرَنْدس الكلاَبِىّ يصف قوما نزَل بهم:

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) نسبه أبو تمام إلى ابن دارة، (وانظر الوحشيات ٢٠٣).

(٣) قال المرصفى فى شرح البيت: «بركن، يريد بجيش يعتصم به، تشبيها بركن الجبل، والمناكب فى الأصل: جمع المنكب، وهو ما ارتفع من الأرض، شبهه بها مبالغة فى الاعتصام، ومدفع، كمنبر: اسم آلة الدفع، يريد أنه قوى فى الدفاع».

(٤) حاشية الأصل: «سعد هذيم أضيف إلى عبد كان لأبيه يحتضنه».

(٥) شمجى بن جرم: قبيلة من قضاعة.

(٦) الذمار: ما يلزم الإنسان حمايته من عرض ومال. والسرح: ما يسام فى المرعى من الأنعام.

(٧) زيادات ر: «الجبلان: سلمى وأجأ، وهما لطيئ، والغوث: قبيلة من طيئى».

(٨) ساقط من ر، س.

هَيْنُونَ لَينُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو يَسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ(1)
لا يَنْطِقُونَ علَى الْعَمْيَاءِ إنْ نَطَقُوا ... وَلا يُمَارُونَ إنْ مَارَوْا بِإكْثَارِ
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُوم الَّتِى يَسْرِى بِهَا السَّارِى

* * *

[قال أبو الحسن: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حُدِّثْتُ عن أبى الفَضْل العَبَّاس بن الفرج الرِّيَاشِىِّ قال: قَصَد رجل(2) من الشعراء ثلاثة من غَنِىٍّ، إخوَةَ وكانوا مُقِلِّين، فامتدحهم، فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذَوْدًا ! فكان يأتى فيأخذ الذَّوْدَ. والشِّعْر الذى امتدحهم به قوله:

يا دَارُ بَيْنَ كُلَيَّاتٍ وأَظْفَارِ ... وَالحَمَّتَيْنِ، سَقَاكِ اللهُ مِنْ دَارِ
علَى تقَادُمِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عُصُرٍ ... مَعَ الَّذِى مَرَّ مِنْ رِيحٍ وَأَمْطَارِ
عنًّا(3) غَنِيتِ بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ أَجَلَى(4) ... وَالْعَهْدُ مِنْكِ قَدِيمٌ مُنْذُ أَعْصَارِ
وَقَدْ نَرَى بِكِ وَالأَيَّامُ جَامِعَةٌ ... بِيضًا عَقَائِلَ مِنْ عِينٍ وَأَبْكَارِ(5)
فِيهِنَّ عِشْمَةٌ لاَ يَمْلَلْنَ عِشْرَتَهَا ... وَلا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمًا بِأَسْرَارِ
إذْ يَحْسبُ النَّاسُ أَنْ قَدْ نِلْتَ نَائِلَهَا ... قِدْمًا وَأَنْتَ عَلَيْهَا عَاتِبٌ زَارِ
بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُفْنِى شَبِيبَتَهُ ... يَبْكِى على ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ
خَبِّرْ ثَنَاءَ بَنِى عَمْرٍو فَإِنَّهُمُ ... أُولُو فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارِ(6)
هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

---

(1) هينون لينون قال فى اللسان (هبن) عن ابن الأعرابى: «العرب تمدح بالهين اللين (مخفف)، وتذم بالهين واللين (مثقل)، وقال النبى ﷺ: «المسلمون هينون لينون» جعله مدحا لهم، وعن غير ابن الأعرابى أنهما بمعنى واحد.

(2) ذكر البكرى فى معجم ما استعجم ٨٦٢ أنه عقيل بن العرندس، وأورد أبياتا منها.

(3) حاشية الأصل: «يريد أنى». وفى ر: «أراد «أنى» فقلب الهمزة عينا» وقال المرصفى: «هذه لغة قيس، وأسد وتميم يقلبون همزة «أن» المفتوحة عينا، شددت النون أو خففت و«أنى» كذلك».

(4) غنيت: أقمت، والرمث: الكلأ. وأجلى: موضع. وفى س: «أجل». وفى حاشيتها (من نسخة): «أجأ».

(5) عين: جمع عيناء، وهى الواسعة العين، ومن نسخة بحاشية الأصل: «عون»، وتكون جمع عوان، وهى المرأة النصف فى سنها.

(6) الأنفال: العطايا. والأخطار: المنازل الرقيفة، جمع خطر بالتحريك.

فِـيـهِمْ ومنهُمْ يُـعـدُّ المَجْـدُ مُـتَّلدًا ... ولا يُعَـدُّ نَثَـا خِـزْى ولا عَـارِ(١)
لا يَظْعَنُونَ على الْعَـمْيَـاء إنْ ظَعَنُوا ... ولا يُمَـارُونَ إنْ مَـارَوْا بإكْـثَـارِ
وَإنْ تَلَيَّنْتَـهُمْ لانُوا وَإنْ شُـهِـمُـوا ... كَشَّفْـتَ أَذْمَارَ حَرْب غَيْـرَ أَغْمَارِ(٢)
إنْ يُسْألوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ وإنْ جُهِدُوا ... فالْجُـهْدُ يَكْشِفُ منهُمْ طِيبَ أَخْـبَارِ
مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تَقُلْ لاَقَيْتُ سَـيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُوم الَّتِى يَسْرِى بِهَا السَّارِى]

* * *

[المكعبر الضبي يمدح بني مازن ويذم بني العنبر]

قال أبو العباس: وكان قوم نزلـوا ببَنِى الْعَنْبرِ بن عَمْرِو بن تميم، والقومُ من بنى ضَبَّةَ، فأُغِير عليهم، فاستغاثوا جيرانهم فلم يُغِيثُوهُمْ، وجعلوا يُدافعونهم حتى خافـوا فَوْتَها، فاسـتغاثوا بنى مـازِن بن مالك بن عمـرو بن تميم، فركِبُـوا فَرَدّها عليهم، فقال المُكَعْبر(٣) الضَّبِّىُّ فى ذلك:

أَبْلغْ طَرِيفًـا حَيْثُ شَطَّتْ بهـا النَّوَى ... فلـيْسَ لِدَهْـرِ الطَّالِـبِـيـنَ فَـناءُ
كُـسَـالَى إذَا لاقَيْـتَـهُمْ غَـيْـرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّـى بِهِ المَحْـرُوبُ وَهْـوَ عَنَاءُ
وإنِّى لأَرْجُـوكُمْ على بُطْءِ سَعْـيكُمْ ... كمـا فى بُطُونِ الْحَامِـلاَتِ رَجَاءُ
أُخَـبِّـرُ مَنْ لاقَـيْتُ أَنْ قَـدْ وَفَـيْـتُمُ ... ولَوْ شِئْتُ قـالَ الْمُخَبِّـرُونَ أَسَاءُوا
فَـهَلاَّ سَـعَيْـتُمْ سَـعْىَ أُسْرَةِ مَـالك ... وهَلْ كُـفَلاَئِى فِـى الْوَفاءِ سَـوَاءُ
كَـأَنَّ دَنانِيـرًا على قَسِـمَـاتِهِمْ ... وإنْ كَـانَ قَدْ شَفَّ الْـوُجُوهَ لِقَـاءُ
لَهُمْ أَذْرُعٌ بادٍ نَـوَاشِـرُ لَحْـمِـهَـا ... وبَعْضُ الرِّجَالِ فى الْحُرُوبِ غُثَاءُ

---

(١) المجد المتلد: القديم المؤثل. والنثا: إشاعة حديث.

(٢) شهموا. أفزعوا. والأذمار: جمع ذمر وهو الشجاع.

(٣) ضبط فى الأصل بفتح الباء وكسرها معا. وفى حاشـية الأصل. «قال أبو الحسن: حفظى: المكعبر [بكسر الباء]. وفى زيادات ر. «اسمه حريث بن عفوظ».

والأبيات فى حماسه أبى تمام (٤ : ٣٠) ـ بشرح التبريزى منسوبة إلى محرز بن المكعبر الضبى، واولها بروايته.

أبلغْ عـدِيًّا حيث صارت بهـا النَّوى ... وليـس لدهر الطـالبــين فـناءُ

قال التبريزى: «كـان محـرز بن المكعبر جارا لبنى عدى بن جندب بن العنبر بن عـمرو بن تميم، فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله فذهبوا بها، فطلب إليهم أن يسعوا له، فوعدوه أن يفعلوا، فلما طال ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئا أتى المخارق والمساحق ابنى شهاب المازنيين ـ وهما من بنى خزاعة ـ فسعيا له بإبله، فرداها عليه»، فأنشد الأبيات.

قولـه: «حيث شَطَّتْ بهـا النَّوَى»، معنى شطَّتْ: تبـاعَدَتْ، ويقـال: أشَطَّ فلان فى الحكمِ إذا عَدَلَ عنه متباعدًا، قال عز وجل: ﴿ولا تُشْطِطْ﴾.(١)

وقال الأحْوصُ:

أَلاَ يالَقَوْمِى قَدْ أَشطَّتْ عوَاذِلى ... ويزْعُمنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّىَ باطِلِى

ويَلْحَـيْنَنِى فى اللَّهْـوِ أَلاَّ أُحِبَّـهُ ... ولِلَّهْـوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَـيْـرُ غـافِلِ

والنَّوَى: البُـعْد، ويـقال: شطتْ بهِمْ نِـيَّةٌ قَـذَف، أى رحْلَة بعـيدة، قـال الشاعر(٢):

* وَصَحْصَحَانٍ قَذَفٍ كَالتُّرْسِ *

وليس بمأخوذ من «نأيت» فى اللفظ، ولكنه مثله فى المعنى.

وقوله:

* فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالبِينَ فَنَاء *

يقـول: الطالب فى إثْرِ طَلَبَـته أبدًا. ويُرْوَى أن رجـلاً من قُـرَيْشٍ بَعَثَ إلى رجل منهم ـ وكان أخَـذَ له غلامـا ـ: يا هذا، إن الرجل ينام على الثُّكْلِ ولا ينام على الحَرَبِ، فإمَّا رَدَدْتَهُ، وإمـا عَرَضْتُ اسمك على الله فى كل يوم وليلة خمس مرات.

* * *

[قال أبو الحسن: الرجل الذى آخذ منه الغلام هو جـعفر بن محمد بن على ابن الحسين، والآخذ سليمان بن على بن عبد الله بن العباس].

* * *

ومن أمـثال الـعرب: «لا ينام إلا مَنْ اثَّـأَرَ». ويقال لَمِنْ أدرك ثـأرًا نَبِيـلاً: أصاب ثأرًا مُنِيمًا، وأنشد:

---

(١) سورة ص ٢٢.

(٢) هو العجـاج، والصـحصحـان: المكان المستوى الأملس، وللامـسـتـه شبهـه بالترس. (وانظر مـشارف الأفاويز ـ ١).

تَقُولُ لِيَ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَمْرٍو   لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّأْرِ الْمُنِيمِ

وقوله:

وَإِنِّي لأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ   كما فى بُطُونِ الْحَامِلاتِ رَجَاءُ

يقول: هذا رَجاءٌ غيرُ صادقٍ ولا موقوف عليه، كما أن هذه الحَوَامل لا يُعْلَمُ ما فى بطونها وليس بِمَيْئُوسٍ منه، وإنما يَتَهكَّم بهم وهو يَعْلَم أنَّ سَعْيَهُمْ غير كائن، ألا تراه يقول:

أُخَبِّرُ مَنْ لاَقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ   وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبَرُونَ أَسَاءُوا

وقوله:

* كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ *

زعم أبو عبيدة أن القَسِمَاتِ مَجَارِى الدُّمُوع، واحدتها قَسِمَة، وقال الأصْمَعِيّ: القَسِمات أعالى الوجه، ولم يُبَيِّنْهُ بأكثر من هذا. وقول أبى عبيدة مَشْرُوح، ويقال من هذا: رجل قَسِيمٌ، ورجل مُقَسَّمٌ، ووجه قَسِيمٌ ومُقَسَّمٌ، قال الشاعر:

وَيَوْمًا تُوَافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ   كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمْ

قوله: «تعطو» أى تتناول، ويقال: عَطَا يَعْطُو إِذَا تَنَاوَلَ، وأعْطيتُه أنا، أى ناولته، قال امْرُؤ القَيْس:

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ   أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ(١)

والسَّلَمُ: شجر بعينه كثير الشَّوك، فإذا أرادوا أن يَحْتطبوهُ شَدّوه ثم قطعوه، فمن ذلك قولُ الحَجَّاج: وَٱللهِ لأَحْزِمَنَّكُمْ حَزْمَ السَّلَمةِ، وَلأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الإِبِلِ(٢).

---

(١) برخص، أى ببنان رخص، والرخص: الناعم. والشثن: الغليظ الخشن. ظبى. اسم رملة، والأساريع، دود مفصل الألوان بياضا وحمرة، تشبه به أصابع النساء. والإسحل: شجر يستاك بعيدانه.

(٢) غرائب الإبل: هى الإبل الغريبة التى تدخل بين الإبل حال ورودها الماء، فتضربها الرعاء ضربا شديدا.

قال: وحـدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد قال: سـمعت العرب تُنْشِـد هذا البيتَ فتنصب «الظَّبْيَة» وترفعها وتخفضها.

قال أبو العباس: أما رفعها فعلى الضمير، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾(١) وهذا الباب قد شرحناه فى الـكتاب «المُقْتَضَب» فى باب «إنّ وأَنّ» بجميـع عِلَله، ومَنْ نَصَبَ فعلى غير ضـمير، وأعمَلَهـا مخففة عَـمَلها مُثَقَّلـةً؛ لأنها تَعْمَلُ لشَبَـهها بالفعل، فإذا خُـفِّفَتْ عَمِلَتْ عَمَلَ الـفعل المحذوف، كقولك: لم يَكُ زيدٌ منطلقًا، فالفعل إذا حذف يَعْمَلُ عَـمَلَهُ تامًّا، فيصير التقدير: كأنّ ظَبْيَةً تَعْطُو إلى وارقِ السَّلم هذه المرأةُ. وحَـذَفَ الخبر لما تقدم من ذكره. ومن قال: «كأَنْ ظَبْيَةٍ» جعَلَ «أن» زائدةً، وأعْـمَلَ الكاف، أراد: كظبية، وزاد «أنْ» كما تزيدُها فى قولك: لَمَّا أنْ جاء زيدٌ كَلَّمْتُهُ، ووالله أنْ لو جئتَنى لأعطيتك.

وقوله:

* لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لُحَمِها *

فكلُّ شىء كان على «فِعَال» من المؤنث فَجَمْـعُهُ أَفْعُل، وكذلك فُعَال تقول: ذِرَاعٌ وأَذْرُعٌ، وكُرَاعٌ وأَكْرُعٌ، لأنهما مـؤنثتان، ومن أَنَّثَ اللسانَ قال: أَلْسُن، ومن ذَكَّرَهُ قال أَلْسِنَة، وَشِمَالٌ وأشْمُلٌ، كما قال الشاعر:(٢)

* يَأْتِى لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وأَشْمُلِ *

فأمـا المُذكر فـعلى أفْعِلَة فـى أدنى العَدَد وفُـعُل فى الكثيـر، يقال: حِـمارٌ وأحْمِرَةٌ وحُمُر، وفِرَاشٌ وأفْرِشَـةَ وفُرُش. والنَّوَاشِرُ: ما يظهر من العُرُوقِ فى ظَهْرِ الذِّراع مما يُدَانِى «المِعْصَم»، وذلك الموضع يقال له أَسَلَة الذِّراع، قال زُهَيْر:

وَدَارٌ لَهَـا بِالرَّقْـمَـتَـيْنِ كَـأَنَّهَـا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِى نَوَاشِرِ مِعْصَمِ(٣)

---

(١) المزمل ٢٠.

(٢) زيادات ر . «هو أبو النجم العجلى»، وبعده:

* وهى حِيالَ الفرْقَدينْ تعتلَى *

وانظر الطرائف الأدبية ٦٣.

(٣) الرقمتان: روضتان بناحية الضمان.

وقوله:

* وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِى الحُرُوبِ غُثَاءُ *

فالغُثَاءُ: مـا يَبِسَ من البَقْل حتى يصير حُطَاما، وينتهىَ فى اليُـبْسِ فَيَسْوَدّ، فيـقال لـه: غثَـاء وهَشِيم ودنْدن وثِنٌّ، على قَـدْر اختـلاف أجناسه، ويقـال له: الدَّرين، قـال الله عز وجلّ: ﴿فَجَعَلَهُ غثاءً أَحْوَى﴾(١)، وقال: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾(٢)، وقال الشاعر يصف سحابا:(٣)

إِذَا مَا هَبَطْنَ الأَرْضَ قَدْ مَاتَ عُودُهَا بَكَيْنَ بهَا حَتَّـى يَعِيشَ هَشِيمُ

وقال الراجز:

* تكفِى الْفَصِيل أُكْلَةٌ مِنْ ثِنٍّ *

وقد يقـال للشىء الذى لا خيـر فيه: هذا غُـثَاء، أى قد صـار كذلك الذى وَصَفناه، ويُضْرَبُ هذا مَثَلاً للكلام الذى لا وَجْهَ له.

[لرجل تميمى فى الرثاء]

وقال رجل أَحْسِبُه تَميميًّا(٤):

لَوْ لَمْ يُفَـارِقْنِى عَطِيَّـةُ لَمْ أهِنْ وَلَمْ أُعْطِ أعْدَائِى الَّذِى كُنْتُ أَمْنَعُ

شُجَاعٌ إِذَا لاَقَى، وَرَامٍ إِذَا رَمَى، وَهَادٍ إذا مـا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْـدَعُ

سَأَبْكِيكَ حَتَّى تُنْفِـدَ الْعَيْنُ مَاءَهَا وَيَشْـفِىَ مِنِّى الـدَّمْعُ مَـا أَتَوَجَّعُ

أَحسَنُ الإنشـادَيْنِ عندى: «لَمْ أَهِنْ»، يأخذه من وهَـنَ يَهِن، لأنه إذا قال: «لم أهُنْ» فهو من الهَوَانِ، ومن قال: «لم أَهِـنْ» فإنما هو من الضَّعْف، وهو أشبه

(١) الأعلى: ٥

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) زيادات ر: «هو ابن ميادة، وقبله:

سحـائب لا من صيِّف ذى صـواعق ولا مـحـرقـات مـاؤهُنّ حـمـيمُ

(٤) نسب هذه الأبيات أبو على القالى إلى حكيم بن معية أحد بنى ربيعة الجوع يرثى أخاه عطية بن معية. وانظر ذيل الأمالى ١. ٧٥. وفى زيادات ر «هو الفرزدق»، قال المرصفى: «يرثى صديقه ونديمه عطية بن جعال، وكان من سادات تميم».

بـقـولـه:

* وكَمْ أُعْطِ أَعْدَائِى الَّذِى كُنْتُ أَمْنَعُ *

والآخـر غـير بعـيـد، يقـول: لم أَهُنْ على أعـدائى، وإذا قـال «لم أَهِنْ» فالأصل: «لم أوْهِـنْ»، ولكنَّ الواو إذا كانت فى مـوضع الفاء من الفـعْل، وكان ذلك الفعل علـى «يَفْعِل»، فالواو مـحذوفة، وإنما تُحْـذَف الواو لوقوعـها بين ياء وكسرة، وتصير حروف المُضَارَعة الباقية تابعة للياء، لئلا يختلف الباب، وهى التاء من قولك: «تَفْعِل» إذا عَنَيْتَ مخاطبًا أومـؤنثًا غائبًا، نحو: أنت تَعِد، وهى تَعِد، والهمـزة إذا عنيت نفسك، نحو: أنا أعِـد، والنون إذا أخْبَرْتَ عن نَفْـسك ومعك غَيْرُك، نحو: نَحْنُ نَعِد.

فإن قـال قائل: إنما هذا لأن الفعل المتعـدى تحذف منه الواو، فإن كان غـيْرَ مُتَعَدٍّ ثبتت، فـقد قال أقْبحَ قول؛ لأن التَّعَدِّىَ أو غيْـرَ التعدى لايُحْدِثُ فى أنْفُسِ الأفعـال شيئًا، ولو كـان كما يقول لأثْـبَتَّ الواوَ فى «وَهَنَ يَهِنُ»، لأنك لاتقول: وهَنْتُ زيدًا، وكـذلك ورَمَ يَرِمُ، ووكف[1] البـيتُ يكِفُ، ونَمَّ[2] الذُّبابُ يَنِم، وهذا أكثـر من أن يُحْصَى. فإن لم تكن بعـد الواو كسرةٌ لم تُحْـذَف، نحو وَحِلَ يَوْحَل، ووَجِلَ يَوْجَل، ووَجِعَ الرجل يَوْجَع، وقـد يجوز يَيْجَعَ ويَـاجَع ويِيْجَع لما نذكره إذا جَرَى ذِكْرُ هذه المفتوحة إن شاء الله، فأمَّا الحذف فلاَ يكون فيها.

فإن قال قـائل: فما بالُ يطأ ويَسَعَ حذفتْ منهـما الواو، ومثلهما ثَبَـتَتْ فيه الواو، فإنما ذلك لأنه كـان فَعِلَ يَفْعِلُ مثل ولِىَ يَلِى، وورَمَ يَرِم، فَـفَتَحتْـه الهمزة والعـين، والأصل الكسـر، فـإنما حذفت الواو ممـا يَلْزَم فى الأصل، ألاترى أنك تقول: ولَغَ السَّبُعُ يَلَغ، فهذا فَعَلَ يَفْعَـلُ والأصل يَفْعِلُ، ولكن فَتَحتَهُ العين، لأن حروف الحَلْقِ تَـفْتحُ ما كـانَ على يَفْعِل ويَفْـعُل، ولولا ذلك لم تقع فَعَـلَ يَفْعَل. وحروف الحَلْقِ سـتة: الهـمزة، والهاء، والعـين، والغين، والحـاء، والخاء، وهُنَّ يُفْـتَحْنَ إذا كُنَّ فى مـوضع العين والـلام، فأمـا العين فنحـو سَأَلَ يَسْـأَلُ وذَهَبَ

---

(١) وكف البيت: قطر منه الماء.

(٢) ونم الذباب: سلح.

يَذْهَبُ، وأما اللام فمثل قَرأَ يَقْرأُ، وصَنَعَ يَصْنَعُ، وسائر هذا الباب على ما وَصَفْت لك.

وقوله:

* وَهَادٍ إذَا مَا أظْلَمَ اللَّيلُ مصْدَعُ *

فتأويل «مصدع» أى ماض فى الأمر، قال الله عز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(١) ويقال: أَحْزَمُ الناس مَنْ إذا وَضَحَ له الأَمْرُ صَدَعَ به.

وقال أعرابى(٢) يمدح سَوَّار بن عبد الله القاضى، وسَوَّارٌ أحد بنى العَنْبَرِ بن عَمْرِو بن تميم:

وأَوْقَفُ عِندَ الأَمْرِ مَالَمْ يَضِحْ لَهُ ... وأَمْضَى إذَا مَا شَكَّ مَنْ كانَ مَاضِيَا

فاستَجْمَعَ فى هذا المَدْح رَكانَةَ الحَزْم، وإمْضاءَ العَزْم، ومثله قول النابغة الجَعْدِىِّ:

أَبَى لِى الْبَلاءُ وأَنِّى امْرُؤٌ ... إذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أرْتَبِ

ومن أمثال العرب السائرة الجَيِّدة: «رَوِّ تَحْزُمْ، فإذا استَوْضَحْتَ فاعزِمْ» ومن أمثالهم: «قد أَحْزُمُ لَوْ أَعزِمُ»، وإنما يكون هذا بعد التَّوَقُّفِ والتَّبَيُّن، فقد قال الشَّعْبِىُّ: أصَابَ مُتَأَمِّلٌ أو كاد، وأخطأ مُسْتَعْجِلٌ أو كاد.

ومثل قوله:

* وَيَشْفِىَ مِنِّى الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ *

قولُ الفَرَزْدَقِ:

أَلَمْ تَرَ أَنِّى يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ(٣) ... بَكَيْتُ فَنَادَتْنِى هُنَيْدَةُ: مَالِيَا!

فَقُلْتَ لَهَا: إنَّ الْبُكاءَ لَرَاحَةٌ ... بِهِ يَشْتَفِى مَنْ ظَنَّ أَلا تَلاقِيَا

* * *

(١) الحجر ٩٤.

(٢) حاشية الأصل «هو سلمة بن عياش».

(٣) جو سويقة: موضع بالصمان.

[قال أبو الحسن ويَتْلُو هذين البيتين مما يُسْتَحْسَن:

فَعِيدكُمَا ٱللهَ الَّذى أَنْتُمَا لَهُ ... أَلَمْ تَسْمَعَا بالبَيْضَتَيْنِ المُنَادِيَا!(١)

حَبِيبٌ دَعَا، وَالرَّمْلُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ... فَأَسْمَعَنِى، سَقْيًا لذلكَ دَاعِيَا!

يقال: قَعيدَكَ ٱللهَ، وقَعْدَكَ ٱللهَ، ونَشْدَكَ ٱللهَ، أى سألتُكَ بالله، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ، وهو من بنى يَرْبُوعٍ:

قَعِيدَكِ أَلاَّ تُسْمِعِينى مَلاَمَةً ... ولا تَنْكَئِى قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيَيْجَعَا

ويروى: «فَقَعْدَكِ أَلاَّ تُسْمِعِينِى»، والبيضتان: موضع معروف].

* * *

قال أبو العباس: وقال أبو بكْر بن عَيَّاش: نَزَلَتْ بى مصيبةٌ أَوْجَعَتْنى، فَذَكَرْتُ قول ذى الرُّمَّة:

لَعَلَّ ٱنْحِدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً ... مِنَ الْوَجْدِ، أَوْ يَشْفِى نَجِىَّ الْبَلابِلِ

فَخَلَوْتُ فَبَكَيْت فَسَلَوْت.

[النضلة السلمى فى يوم غول]

وقال نَضْلَةَ السُّلَمِىُّ(٢) فى يوم غَوْلٍ ـ وكان حقيرًا دَمِيما، وكان ذَا نَجْدَةٍ وبأسٍ:

أَلَمْ تَسَلِ ٱلْفَوارِسُ يومَ غَوْلٍ(٣) ... بِنَضْلَةَ، وَهْوَ مَوْتُورٌ مُشِيحُ

---

(١) قعيدك الله، قال الجوهرى: «هى يمين العرب، وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر، (وانظر اللسان قعد).

(٢) الأبيات فى مجالس ثعلب ٧ ـ ٨، روى أنه «مر قوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة فى إبل له، فاستسقوه لبنا فسقاهم، فلما رأوا أنه ليس فى الإبل غيره اردروه، فارادوا أن يستاقوها، فجالدهم حتى قتل منهم رجلا، وأجلى الباقين عن الإبل، فقال فى ذلك رجل من بنى سليم . . .»، وأورد الأبيات. ونسبها الجاحظ فى البيان (٣ : ٣٣٨) إلى أبى محجن الثقفى، ولم ترد فى ديوانه.

(٣) الغول: ماء للضباب فيه نخل وعيون.

وروايه ثعلب:

* ألم تسألْ فَوَارِسَ من سُلَيْم *

ورواية الجاحظ:

* ألم تسل الفوارس من سُلَيْم *

رَأَوْهُ فَـازْدَرَوْهُ وَهْـوَ حُـرٌّ[1]		وَيَنْفَـعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَـبِـيحُ
فَـشَدَّ علَـيْهِمُ بالسَّـيْفِ صَلْتًـا		كما عَضَّ الشَّبَا الفَرَسُ الْجَمُوحُ
فَـأَطْلَقَ غُلَّ صَـاحِـبِـهِ وأَرْدَى		قَـتِـيـلاً مِنْهُمُ وَنَجَـا جَـرِيحُ
وَلَمْ يَخْـشَوْا مَـصَـالَتَهُ عَلَيْـهِمْ		وَتَحْتَ الرَّغْـوَةِ اللَّبَنُ الصَّـرِيحُ

قوله: «وهو مَوْتور مُـشِيح»، فالْمُشِيح الحاملُ الجادُّ، يقـال: أَشاحَ يُشِيحُ إذا حَمَل، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ قال: أنشدنى أبو زَيْدٍ ـ وهو لأبى العِيَال الهَذَلِىِّ:

مُـشِـيحٌ فَـوقَ شِـيَـحَـانٍ		يَـشُـدُّ كَـأَنَّـهُ كَلِـبُ

قال: وشِيحان اسم فرسه.

* * *

[قـال أبو الحسن ويروى: «شَيْـحان»[بفتح الشين][2]، وحقه[3] على رواية أبى زيد ألا يَنْصَرِفَ لأنه فَـعْلان، فالألف والنون زائدتان، وهـو معرفة، فَـضَارَعَ عَطْشان ومـا جَرَى مَجْـرَاه، وإنما اضطرَّ فَصَـرَفَه. وعن[4] أبى زيد أيضًـا يرويه: «شَيْحان»، وهو الجاد، وهو صفة شائعة، وليس كالأول، فالأول معرفة مشتق من الـنـعـتْ[4]].

* * *

وقال ابن الإطْنَابة، واسمه عمرو:

وَإِجْـشَامِى عَلَى المَكْرُوهِ نَفْـسِى		وَضَـرْبِى هَامَـةَ الْبَـطَلِ الْمُشِـيحِ

ويقال فى هذا المعنى: رجل شِيحٌ، كما يقال: ناقة نِقْضٌ، إذا كانتْ هَزِيلا، قال أبو ذؤَيْبٍ[5]:

* وَشَايَحتَ قَبْلَ الْيَومِ إِنَّكَ شيحُ *

---

(1) ثعلب والجاحظ: «وهو خرق». والخرق: الفتى الكريم الخليقة.

(2) من ر.

(3) س: «وجب على رواية أبى زيد».

(٤ ـ ٤) ساقط من ر

(5) صدره:

* بدرْتَ إلى أولاهُمُ فسبقْتَهُمْ *

وانظر دبوان الهذليين ١:١١٦.

وقـولـه: «بالسـيف صَلْتًا» يقـول: مُنْتَضًى، ورجل صَـلْتُ الجَبِيـنِ إذا كَانَ نَـقِيَّـه.

وقوله: «كما عَضَّ الشَّبا» يريد حَدَّ اللجام، وشبَا كُلِّ شىءٍ حَدُّه.

وقوله: «وأَرْدَى» أى أهلَكَ، يقال: رَدِىَ يَرْدَى إذا هَلَكَ، والردى: الهَلاك، قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا يُغْنِى عَـنْهُ مَالهُ إذَا تَرَدَّى﴾[1]، قيل فيه قولان: إحداهما إذا تَرَدَّى فى النار، والآخر إذَا مات، وهو «تَفَعَّل» من الرّدَى.

وقوله:

* وَلَمْ يخشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ *

فهى «مَفْعَلَةٌ» من صالَ يَصُولُ، ويقالُ: صالَ البعيرُ إذَا عَضَّ.

وقيل للمغيرَة بن شعْبَة: إنَّ بوَّابَـكَ يَأْذَنُ لأصحابه قبل أصحابك، فقال: إن المَعْرفة لتَنْفَعُ عندَ الكلب العَقُورِ، والجَمَلِ الصَّئُولِ، فكيف بِالرجُلِ الكريمِ!

وقوله:

* وتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللبَنُ الصَّرِيحُ *

يقول: إذا رأيت الرَّغْوةَ ـ وهو ما يَرْغُـو كَالجلدة فى أعلَى اللَّبَنِ ـ لم تَدْرِ ما تحـتهـا، فربمـا صادفْتَ اللبنَ الصـريح إذا كَـشَفـتَـها، أى أنهم رأَوْنى فـازْدَرَوْنى لدَمَامَتِى، فلما كَشَفُوا عنى وَجـدُوا غير ما رأوا. والصَّريح: المَحضُ الخالص، من ذَلك قولهم: عَرَبِىٌّ صَرِيحٌ أى خالص، ومَوْلًى صَرِيح.

ومن أمثال العرب: «إنه لَيُسرُّ حَسْوًا فى ارْتغاء»، ومعنى ذلك أنه يُوهمُك أنه يأخذ بِفيه تلك الجلدة عن اللبن ليُصْلحَهُ لك، وإنما يَـحْسُو من تحتها، يُضْرَبُ هذا المَثَلُ لمن يُرِيك أنه يُعِينُك، وإنما يَجْتَرُّ النفع إلى نفسه.

[الأعرابى من بنى سعد فى خلاف الدمامة]

وقال أعرابى ـ خُـبِّرْتُ أنه من بنى سعْد ـ وقد تَمَثَّلَ بهـذا الشِّعْرِ الْخَنَّوَتُ، وهو تَوْبَةُ بن مُضَـرِّسٍ، أحد بنى مالك بن سعْـد بن زيد مَنَاة بن تميم، فى خلاف الدَّمامة:

---

(١) سورة الليل: ١١.

وَلَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا ... نِهَـالاً وَأَسْبَـابُ الْمَنَايَا نِهَـالُهَـا

تَبَـيَّنَ لِى أَنَّ الْقَـمَـاءَةَ ذِلَّةٌ ... وَأَنَّ أَشِـدَّاءَ الرِّجَـالِ طِوَالُهَـا

دَعَوْا: يَالَسَـعْدٍ! وَانْتَمَـيْنَا لِطَيِّئٍ ... أُسُودُ الشَّـرَى إِقْدَامُهَـا وَنِزَالُهَا

قوله: «نهالا»، يريد أنها قد وَرَدت الدَّمَ مرة ولم تُثَنَّ، وذلك أن الناهلَ الذى يَشْرَبُ أوّل شَرْبة، فإذا شَـرِبَ ثانية فهو عالٌّ، يقال: سقـاه عَلاًّ بَعْدَ نَهل، وعللا بعد نهل، وفى المثل: «سُمْـتُه سَوْمَ عالَّة» إذا عَرَضْتَ عليه عَرْضًـا يستحى منه أن يُقْبلَ مـعه، والعالَّةُ لا حـاجة بها إلى الشُّرْب، وإنما يُعْـرَضُ عليها تَعْـزيزًا. قال: «وأَسْبَابُ المَنَايَا نِهَـالهَا»، أى أول ما يقع منها يكون سـببًا لما بعده، وأنشـدنى غير واحد:

* وَأَنَّ أَشِداَّء الرِّجَالِ طِيَالُهَا *

وليس هذا بالجَيِّد، وإنما قَلَبَ الواو ياء لوقوعهـا بين كسرة وألف كقولهم: ثِيَابٌ، وحِيَـاضٌ، وسِيَاطٌ، والواحد ثَوْبٌ، وحَوْضٌ، وسَـوْط، وهذا جيد؛ لكون الواو فى الواحد، فأما فى مثل طوال، فإنما يجوز على التـشبيه بهذا، وليس بجيد لتَحَرُّكِ الواو فى الواحد. وأنشدنى مسعود بن بِشْرٍ المازِنِىّ:

لَهُمْ أَوْجُـهٌ بِيضٌ حِسَـانٌ وَأَذْرُعٌ ... طِيَالٌ وَمَنْ سِيمَا الْمُلُوكِ نِجَارُ(٢)

ومجاز هذا فى النحو عَلَى ما وصَفْتُ لك.

[العرب تمدح الطول]

والعرب تَمْدَحُ الطول، وتَـضَعُ من القِصَرِ، فـلا يَذكُره منهم إلا مُـحْتَجٍ عن نفسه، ولا يمدَحُ به غيرَهُ، قال عَنْتَرَة:

بَطَلٌ كَـأَنَّ ثِيَـابَهُ فى سَـرْحَـةٍ ... يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءمِ(٣)

يقول: لم يُشَارَكْ فى الرَّحِمِ، وقال جَرِير:

تَعَـالَوْا فَفَـاتُونا فَـفِى الحُكْمِ مَـقْنَعٌ ... إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَهْـلِ البِطَاحِ الأَكَارِمِ(٤)

فَإِنِّى لأَرْضَى عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ ... وَأَرْضَى الطِّوَالَ الْبِيضَ مِنع آلِ هَاشِمِ

(١) حاشية الأصل: «ذكـر أبو رياش فى شرح الحماسة أن هذا الشعر لأنيف بن حكـيم النبهانى» وانظر شرح التبريزى ١٨٩:١.

(٢) النجار: الأصل.

(٣) السبت: الجلد المدبوغ بالقرظ.

(٤) فاتونا: حاكمونا.

وقال حَسَّان بن ثابت:

وَقَـدْ كُنَّا نَـقُـولُ إِذَا رَأَيْـنَا ... لِذِى جِـسْمٍ يُعَـدُ وَذِى بَـيَـانِ
كَـأَنَّكَ أَيُّهَـا المعْـطَى بَيَـانًا ... وَجِـسْمـا مِنْ بَنِى عَـبْـدِ المَدَانِ

ويقال إن عليَّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطَّلب كان إلى مَنْكِب عبد الله، وكان عبد الله إلى مَنْكِب العباس، وكان العباس إلى منْكِب عبد المُطَّلِب.

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال: طافَ عليُّ بن عبد الله بالبيت، وهناك عجوزٌ قديمةٌ، وعليّ قد فَرَعَ الناسَ، كأنه راكبٌ والناسُ مُشَاة، فقالت: مَنْ هذا الذى فرَعَ الناسَ؟ فقيل: عليُّ بن عبد الله بن عباس، فقالت: لا إلَه إلا الله، إن الناس لَيُرْذَلُونَ! عَهْدِى بالعباس يَطُوفُ بهذا البيت كأنه فُسْطاطٌ[1] أبيض.

وحدثنى عليُّ بن القاسم بن عليّ بن سُلَيمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس قال: كان يُقال: صار شَبَهُ عليّ بن عبد الله فى عظم الأجسام فى العَلِيَّيْنِ - يعنى عليّ بن أمير المؤمنين المَهْدِىّ المنسوب إلى أُمِّه رَيْطَةَ، وعلى بن سليمان بن عليّ.

ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ - وهو الأُسْوَة والقُدْوَة - كان فوق الرَّبْعةَ[2]، ولم يكن بالطويل المُشَذَّب[3]، وكان إذا مَشَى مع الطِّوَال طَالَهُمْ. ولم يختلف أهل الحِكْمَة والنَّظَر من العربِ والعَجَم أن الكمال فى الاعتدال، ولا يقال غير هذا عن حكيمٍ. وأبْيَنُ ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد ﷺ.

وقد يقال: الكَيْسُ فى القصَرِ. وقد قيل فى خبر قَصِيرٍ[4] وكَيْدِه ومَكْرِه ما قد سار به المَثَل، واستغنى عن الإعادة.

[الأعرابى يرد على مغنية عابته بالقصر]

وحدّثنى العباس بن الفَرَج الرِّيَاشِىُّ قال: حَدثنى أبو عثمان المازنى قال: كان أعرابىّ يختلف إلى مُغَنِّيَة لآل سليمان، فأشرفت إليه[5] ذات مَرَّة، فأَوْمَأَتْ إليه بيدها إيماءَ عائبٍ له بالقِصَرِ، فأنشأ يقول:

(١) الفسطاط: ضرب من الأبنية.
(٢) الربعة: الرجل بين الطول والقصر.
(٣) المشذب: المفرط فى الطول.
(٤) هو قصير بنى سعد اللخمى، وانظر خبره مع جذيمة بن مالك والزباء فى مجمع الأمثال: ٨٥.
(٥) ر: «عليه».

يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرُ   إنْ أَكُ رَبْعَةً فَأَنْتِ أَقْصَرُ
أَوْ أَكُ ذَا شَيْب فَأَنْتِ أَكْبَرُ   غَرَّكِ سِرْبالٌ علَيْك أَحْمَرُ
ومِقْنَعٌ مِنَ الحَرِيرِ أَصْفَرُ[1]   وتَحْتَ ذَاكِ سَوْأَةٌ لَوْ تُذْكَرُ

* * *

[قال أبو الحسن: أَنْشَدَنِى أبو العباس محمد بن الحسن الْوَرَّاقُ الشِّعْرَ الذى فيه قوله:

* ولَمَّا الْتقى الصَّفَّانِ واختلف القنَا *

بتمامه، وهو شعرٌ مختارٌ لرجل من طيِّئ، ويدل على ذلك ما تَسْمَعُه فى الشعر وهو قوله:

جَمَعْنَا لَهَمْ مِنْ حَىٍّ غَوْث ومَالِكٍ   كَتَائبَ يُرْدِى الْمُقْرِفِينَ نكالُهَا
لَهَمْ عَجُزٌ بالحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى   وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّىْ جَدِيسَ رِعالُها
وتَحْتَ نحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ   تُتَاحُ لحَبَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا
أَبَى لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ   بَنُو ناتقٍ كَانَتْ كَثِيراً عِيَالُهَا
فَلَمَّا أَتيْنَا السَّفْحَ مِن بَطْنِ حَائِلٍ   بحَيْثُ تَنَاصَى طَلْحُها وسَيَالُهَا
دَعَوْا لنِزارٍ وانْتَمَيْنَا لطَيِّئٍ   كَأُسْدِ الشَّرَى إقْدَامُهَا ونِزَالُهَا
فلمَّا الْتَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيْفُ فِيهِمْ   لِسَائِلَةٍ عنَّا حَفِىٍّ سُؤَالُهَا
ولَمَّا عَصَيْنَا بالرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ   صُدُورُ الْقَنَا منهمْ وعلَّتْ نِهَالُهَا
ولَمَّا تَدَانَوْا بالسُّيُوفِ تقَطَّعَتْ   وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا
فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ علَيْهِمُ   قَوَادِمُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

الكتائب جمع كَتيبة، سميت كَتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض، يقال: تَكَتَّبَ القومُ إذا تضامُّوا، ومنه أُخِذَ الكِتابُ لانضمام حروفه، ولذلك قالوا:

---

(١) المقنع. ما تغطى به المرأة رأسها وتستر محاسنها.

بَغلة مكتوبة إذا شُدَّ حَياؤها وضُمَّ . ويُرْدى: يُهْلكُ، يقال: رَدِىَ الرجل إذا هَلَكَ، والرَّدَى: الهَـلاَكُ، والإرْدَاءُ: الإهْـلاكُ. والمُقْـرِفـون: الذين دخلوا فـى الفـسـاد والعَيْثِ،وهو فى الأصل الهُجْنةُ، يقال: فرس مُقْرِفٌ إذا كان هَجينًا، ثم يَشِيعُ فى الفسـاد.

والعَجُزُ: مُؤَخَّرُ الْعَسْكرِ هاهنا، وهو مستعار. والحَزْنُ: مَا خَشُنَ من الأرض وغَلُظَ، واللِّوَى: مُسْتَدَقُّ الرَّمْلَة حـيث ينقطع، يقال أَلْوَيْتُمْ فانزلوا، أى صرتُمْ إلى آخر الرملة، وهو اللِّوى. وجَدِيس: قبيلة معروفة، فلذلك لم يَصْرِفها. والرِّعالُ: الجماعات المتفرقة، واحدها رَعْلَةٌ.

والحَرْشفُ: نبت يكثر فى البادية، وإنما شَـبَّهَ النَّبْلَ به فى الكثرة، والرَّجْلَةُ: الرَّجَّالَةُ. وتُتاح: تقَدَّرُ، يقال أتَاحَ اْللهُ له كذا وكذا، أى قَدَّرَ له،والنِّبالُ جمع نَبْلٍ.

والنَّاتِقُ: الوَلودُ، فإذا أسْرَفَتْ فى ذلك وكثر ولدها جداً قيل منتاقٌ.

والسَّفْحُ: أصل الجبل من الوادى. وحائل: موضع. وتَناصى: تقَابَلَ وتَقَرَّبَ حتى يَعْلَقَ هذا بهـذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح، يقال: تَناصَـى الرجلان نصاءً وتَناصيًا إذا اقتتلا فَأَخَذَ كُلٌّ وَاحدٍ منهما بناصيةِ صاحبه، والطلْحُ والسَّيال: ضربان من الشجر معروفان.

وانْتَمَى ونَمَى: انْتَسَبَ. والشَّـرَى: موضع كثير السبـاع، وإنما يريد: كإقْدامِ أسْدِ الشَّرَى إقْدَامُها، ثم حَذَفَ لعلم السامع.

وعَصَيْنا: جعلنا الرماح كالْعِصِىِّ. والعَلَلُ: الشُّرْب الثانى، والنَهَلُ: الأول، يريد أنَّا أَعَدْنَاها إلى الطعن مرة بعد أخرى.

وقوادم: ذاتُ إقْدامٍ، فجاء به على الأصل، كما قال:

* يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوَازِ لَيْلٍ غَاضِ(١) *

أى مُغْضٍ، فجاء به على الأصل وهو كثير.

---

(١) البيت لرؤبة.

وبعده

* نَضْوَ قداح النابل النواضى *

وانظر ديوانه ٨٢.

والمَرْبوعات: المُعْتَدِلَةُ التى لم تَبْلُغ أن تكون رُمْحًا، وهو رفْعٌ، كأنه قيل له: ما هى؟ فقال: هى مربوعاتهـا وطِوالها، ولو خَفَضَ وجَعَلَهُ بدل البعض من الكلّ لكان حَسَنا، وكان يكون مُـقْوًى، ولكن هكذا أنشدناه مرفوعًـا على التقدير الذى ذكرناه].

* * *

باب

[صبرة بن شيمان عند معاوية]

قال أبوالعباس: حُدِّثْتُ أن صَبرَة بن شَيْمَانَ الحُدَّانيَّ دخل على معاوية، والوُفودُ عنده، فتكلَّموا فأكثروا، فقام صَبِرَة فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا حَيُّ فِعالٍ، ولَسْنا بِحَيِّ مَقالٍ، ونحن بأدْنَى فِعالنا عند أحسن مقالهم. فقال: صَدَقْت.

[كلمة يزيد بن أبي سفيان حين أرتج عليه]

وحُدِّثْتُ أن أبا بكر رضى الله عنه، ولَّى يَزِيدَ بن أبى سفيان رُبْعًا من أرباع الشام، فَرَقِىَ الْمِنْبَرَ فتكلَّمَ فَأُرْتِجَ عليه، فاستَأْنَفَ فَأُرْتِجَ عليه، فقطع الخطبة، فقال: سَيَجْعَلِ اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْرًا، وبعد عِيٍّ بيانًا، وأنتم إلى أميرٍ فَعَّالٍ أحوجُ منكم إلى أميرٍ قَوَّالٍ.

فَبلَغَ كلامُه عمرو بن العاص، فقال: هُنَّ مُخْرِجَاتِى من الشام! استحسانًا لكلامه.

[جواب عامر بن قيس لعثمان بن عفان]

وقال عثمان بن عَفَّانَ رحمه الله[1] لعامر بن عَبْدِ قَيْسٍ العَنْبَرِيِّ ـ ورآه ظاهرَ الأعْرابِيَّةِ: يا أعرابىُّ، أين ربُّك؟ فقال بِالْمرصاد!

[جواب على بن أبي طالب حين سئل: أين ربنا؟]

وقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رحمه الله: أين كان ربُّنا قبل أن يَخْلُقَ السماواتِ والأرضَ؟ فقال علىّ: أينَ، سُؤالٌ عن مكانٍ، وكان اللهُ ولا مكان.

[للحسن البصري في المواعظ]

وحُدِّثْتُ أن راهبين دخلا البَصْرَةَ من ناحية الشام، فنظرا إلى الحسن البصرىّ، فقال أحدهما لصاحبه: مِلْ بنا إلى هذا الذى كأنّ سَمْتَهُ سَمْتُ المَسِيحِ، فَعَدَلاَ إليه، فَأَلْفَيَاهُ مُفْتَرِشًا بذَقَنِهِ ظاهرَ كَفِّه، وهو يقول: ياعَجَبًا لقوم قد أُمِرُوا

---

(١) س: «رضى الله عنه».

بالزاد، وأُوذِنُوا بالرحيل، وأقام أوّلهم على آخرهم! فليت شِعْرِى ما الذى ينتظرون؟

ونَظَرَ الحَسنُ إلى الناس فى مُصَلَّى البَصْرَة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد، فقال الحسنُ: إن الله جَعَلَ الصوم مضْماراً لعباده ليَسْتَبِقُوا إلى طاعته، فَسَبَقَ أقوامٌ ففازوا، وتَخَلَّفَ آخرون فخابوا، ولَعَمْرِى لو كُشِفَ الغطاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بإحسانه، ومُسِيءٌ بإساءته عن تَجْدِيد ثوب، أو تَرْطيل شَعَرٍ.

قوله: «ترطيل شعر» إنما هو تليينُ الشَّعَر بالْدُّهْنِ وما أشبهه، ويقال للرجل إذا كان فيه لينٌ وتوضيع: رجل رَطْلٌ، والذى يُوزَنُ به ويُكالُ بقال له: رِطْلٌ، بكسر الراء.

وكان الحسن يقول: اْجْعَلِ الدنيا كالْقَنْطَرَة تَجُوزُ عليها ولا تَعْمُرُها.

قوله: «القنطرة» يعنى هذه المَعْقودة المعروفة عند الناس، والعرب تُسَمِّى كل أَزَجٍ[1] قنطرة، قال طَرَفَةُ بن الْعَبْد:

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِىِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا ... لَتُكْتَنَفَا حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدِ

قوله: «حتى تشاد»، يقول: تُطْلَى، وكلُّ شيء طَلَيْتَ به البناء من جِصٍّ أو جَيَّار. وهو الكِلْسُ، فهو المشيد، يقال: دار مُشَيَّدَةٌ، وقَصرٌ مَشِيدٌ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[2]، وقال الشَّمَّاخ:

لاَ تَحْسِبَنِّي وَإنْ كُنْتُ اْمْرَأً غرِراً ... كَحَيَّةِ المَاءِ بَيْنَ الطِّينِ وَالشِّيدِ

وقال عَدِىٌّ بن زيد العبادىّ:

شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْسـاً ... فَلِلطيْرِ فى ذَرَاهُ وُكُورُ

والمُقَرْمَدُ: المطْلِىُّ أيضًا، فمن ثَمَّ قال: «حتى تُشاد بقَرْمَدِ» فى معنى حتى تُطْلَى، ومن ذلك قول النابغة:

* رَابِى المَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرْمَدِ[3] *

(١) الأزج. نوع من الأبنية يطول بناؤه.

(٢) سورة النساء ٧٨.

(٣) قبله:

* وإذا طعنت طعنتَ فى مستهدَف *

وانظر ديوانه ٣٢.

وقـال الحسن: تَلْقَى أَحَـدَهُمْ أبيضَ بضًّا، يَمْـلَخُ فى الباطل مَلْخًـا، يَنْفُض مِذْرَوَيْه، ويَضْرِبُ أَصْدَرَيْـهِ، ويقول: هأنذا فاعْرِفونى. قد عَرَفْـناك، فَمَقَتَكَ الله، ومَقَتَكَ الصالحون.

قوله: «أبيض بضا» فالبضُّ الرقيقُ اللون، الذى يُؤَثِّرُ فيه كلُّ شىء.

وفى الحديث أن معاوية قَدِم على عمر بن الخَطَّاب رحمهما الله(١) من الشام وهو أبَضُّ الناسِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بيده على عَضُدِه، فَأَقْلَعَ عن مثل الشِّراب، أو مثل الشِّـراكِ، فـقال: هذا واللهِ لِتَشَـاغُلِكَ بالحَمَّـاماتِ، وذَوُ الحـاجاتِ تُقَطَّعُ أَنْفُـسُهُمْ حَسَرَاتٍ على بابك!

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلاَلِىُّ:

مُنَعَّـمَةٌ بَيْـضَاءُ لو دَبَّ مُـحْوِلٌ ... عَلَى جِلْدِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا

وقوله: «يَمْلَخُ فى الباطل مَلْخًا»، يقول: يَمُرُّ مَرًّا سَرِيعًا، يقال: بَكْرَةٌ مَلُوخٌ إذا كانت سَهْلَة المَرِّ.

وقوله: «يَضْرِبُ أَصْدَرَيْه وأَزْدَرَيْه»، فإنما يقال ذلك للفارغ، يقال: جاء فلانٌ يَضْرِبُ أَصْـدَرَيْهِ وأَزْدَرَيْه، ولاَ يُتَكَلَّمُ منه بواحـد، ويقال: فلانٌ يَنْـفُضُ مِذْرَوَيْه، وهما ناحيتاه، وإنما يوصف بالْخُيَلاء، وقال عَنْتَرَة:

أَحَوْلِى تَـنْفُضُ اسْتُكَ مِـذْرَوَيْهَا ... لِتَـقْـتُلَنِـى، فـهـأنذا عُـمَـارَا

ولا واحد لهـما، ولو أُفْرِدَتْ لقلتَ فى التثنيـة مِذْرَيان، لأن ذوات الواو إذا وقَعتْ فيهنَّ الواو رابعةً رَجَعَتْ إلى اليـاء، كما تقول فى مَلْهًى: مَلْهَيان، وهو من لَهَوْتُ، وفى مَغْزًى: مَغْزَيان، وهو من غَزَوْتُ، وإنما فعلتَ ذلك؛ لأن فعْلَهُ تَرْجِعُ فيه الواوُ إلى الياء إذا كـانتْ رابعةً فصاعدًا، نحو غـزوت، فإذا أَدْخَلْتَ فيه الألف قلتَ: أغـزَيْتُ، وكـذلك غـازَيْتُ واسْتَـغْـزَيْتُ، وإنما وجب هذا لانقـلابهـا فى المضارع، نحو يُغْزِى، ويَسْتَغْزِى، ويُغازِى، وإنما انقلبتْ لانكسار ما قبلها.

---

(١) ر ، س: «رحمه الله»

فإنْ قال قائلٌ: فَمَا بالُ يَتَرَجَّى ويَتَغَازَى، يكونان بالياء، نحو: هُما يَتَغَازَيان ويَتَرَجَّيَان، فإنما ذلك لأنهما فى الأصل: رَجَّى يُرَجِّى، وغازَى يُغازِى، ثم لَحِقتْ التَّاء بعد ثَبات الياء. والدليلُ على ذلك أن التاء إنما تَلْحَقُهُ على معناه، فقولك: مِذْرَوان لا واحد له لما أَعْلَمْتُكَ، وثَبات الواو دليلٌ على أن أحدهما لا يُفْرَدُ من الآخر، فلذلك جاء على أصله[1].

(١) انظر أمالى المرتضى ١ : ١٥٦.

باب

[ليزيد بن الصقيل، وكان يسرق الإبل ثم تاب]

قال أبوالعباس: قال يزيد بن الصَّقِيلِ الْعُقَيْلِىُّ ـ وكان يَسْرِقُ الإبل ثم تاب، وقُتِلَ فى سبيل الله:

أَلا قُلْ لأَرْبَابِ المخائِضِ: أَهْمِلُوا ... فَقَدْ تَابَ مِمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ

وَإِنَّ امْرَأً يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ ما ... تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ

وفى هذا الشِّعر[1]:

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ ... حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

قوله: «أَلا قُلْ لأرباب المخائض»، فإن الناقة إذا لَقِحَتْ قيل لها خَلِفَةٌ، وللجميع مخاضٌ، وهذا جَمْعٌ على غير واحده، إنما هو بمنزلة امرأة ونساء، ثم جَمَعَ الجَمْعَ فقال: مخَائض، كقولك فى رِسَالة: رَسَائل، وكما تقول فى قوم: أقوام، فتَجْمَعُ الاسم الذى هو للجَمْعِ، وكذلك أعْراب وأعاريبُ، وأنعامٌ وأناعيم.

وقوله: «أَهْمِلُوا»: أى اسْرَحُوا إِبلكُمْ، والهَمَلُ ما كان غير مَحْظُور، وهو السُّدَى، ويُرْوَى فى مِثْل قوله:

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ ... حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

عن بعض الصالحين[2] أنه كان يقول: إذا مات له جار أو حَمِيمٌ: أوْلَى لى! كِدْتُ وَاللهِ أكون السوَادَ المخْتَرَمَ[3].

* * *

[لابن حبناء التميمى فى مكارم الأخلاق]

وقال ابن حَبْنَاءَ التميمى:

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالٍ تُزَيِّنُ لِى ... لَوْمِ الْعَشِيرَةِ أَوْ تُدْنِى مِنَ النَّار

(١) س: «وفى هذا الشعر يقول».

(٢) حاشيه الأصل: «هو محمد بن الحنفية»، وهو من زيادات ر

(٣) يقال: اخترقن المنية، أى أخذنه من بين أصحابه.

لاَ أَقْرَبُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ ... وَلاَ أُكَسِّرُ فِى ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِى

إِنْ يَحْجبِ اللهُ أَبْصَاراً أُرَاقِبُهَا ... فَقَدْ يَرَى اللهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارِى

قوله:

* لا أقرب البيت أحبُو من مؤخَّره *

يقول: لا آتيه لِريبةٍ. ومثْلُ ذلك قولُ الشاعر[١]:

وَلَسْتُ بِصَادِرٍ مِنْ بَيْتِ جَارِى ... كَفِعْلِ الْعَيرِ غَمَّرَهُ الْوُرُودُ

يقول: لا أخرُجُ خُروجَ الخائف، لأنه إنما يقال: تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يَرْوَ، ويقال للقَدحَ الصغير: الغُمَرُ من هذا.

وقوله:

* ولا أُكسِّر فى ابن العم أظفارى *

يقول: لا أغتابه، وهذا مَثَلٌ كما قال الْحطَيْئة:

مَلّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلاَبُهُمُ ... وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ

وقوله:

* فقد يَرى الله حال المدلج السارى *

فالمدْلجُ: الذى يسير من أول الليل، يقال: أدْلَجْتُ، أى سِرْتُ من أول الليل، وادَّلَجْتُ، أى سرت فى السَّحَر، قال زهير:

* بكَرْنَ بُكُوراً وادَّلَجْنَ بسُحْرةٍ[٢] *

والسُّرَى لا يكون إلا سير الليل، قال الله عز وجل: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾[٣] من قولك أسْرَيْتُ، وهى اللغة القرَشيَّةُ، وغَيْرُهُمْ من العرب يقول سَرَيْتُ، وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٤] فهذا من سَرَى،

(١) زيادات ر: «وهو عقيل بن علفة»، والبيت من كلمة له فى حماسة أبى تمام (١: ١٥١ ، ١٥٢) - طبعة الرافعى.

(٢) رواية الديوان ١٠: «واستحرن بسحرةٍ»، وبقيته:

* فهنّ ووادى الرسِّ كاليد فى الفم *

(٣) سورة الحجر ٦٥.

(٤) سورة الفجر ٤.

ولو كان من «أسْرَى» لكان «يُسْرى»، كما قال لبيد:

فَبَاتَ وأُسـرى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ   وَمَا كَـانَ وَقَّافَـا بغيـر مُعَـصَّر

والمُعَصَّـرُ المَلْجَأُ، والسارى إنما هـو من قولك سَرَى، كـقولك: قَضَى فـهو قاض، ومن أسْـرَى يقال للفاعل: مُـسْرٍ كمـا تقول: أعْطى فهـو مُعْطٍ،كمـا قال الأخْطَلُ:

نَازَعْتُهُمْ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ   صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَة السَّارِى

والدجـاج ها هنا: الديُوك، يـريد وَقْتَ السَّـحَـر، لأنه يقـال للديك: هذا دَجـاجـةٌ، فإن أردت الأنثـى قلت: هذه، وكـذلك هذا بقـرة، وهذا بَطَّةٌ، وهذا حَمامةٌ إذا أردت الذكر، ولهذا باب يُذْكَرُ فِيه إِنْ شاء الله.

قال جَرير:

لَمَّـا تَذَكَّـرْتُ بِالَّديْرَيْـنِ أرَّقَنِى   صَـوْتُ الدَّجَاجِ وَقَـرْعٌ بِالنَّوَاقِـيسِ

قوله: «أرقنى صـوت الدجاج»، والأرق لا يكون فى آخـر الليل وإنما يكون فى جميعه.

وكذلك النواقيس لا تقرع أيضًا إلا فى السحر فإنما أراد: أرقنى انتظارى هذا الوقت؛ لأنه وعد فيه وعدًا فهو منتظر له.

* * *

[قال أبو الحسن: أنشدنا أبو العباس أحمـد بن يحيى الأبيات الرائيَّةَ المتقدمة بتـمامها على مـا أذكُره لك عن أبى عـبد الله بن الأعرابىّ، وهى لأحد أبْنَىْ حَبْنَاءَ - أحْسبُهُ صَخْرا - وهما من بنى تميم، وكانا من الأزَارِقة. قال:

إنَّى هَزِئَتْ مِنْ أُمِّ الْغَمْرِ إِذْ هَزِئَتْ   بِشَيْبِ رَأْسِى، ومَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارِ

مَا شَـقْوَةَ الَمْـرءِ بِالإِقْـتَارِ يُقْـتَرُهُ   وَلاَ سَـعَـادَتُهُ يَوْمَـا بِإِكْـثَـار(١)

إنَّ الشَّـقِىَّ الَّذِى فِى الـنَّارِ مَنْزِلُهُ   والفَـوْزَ فَـوزُ الَّذِى يَنْجُـو مِنَ النَّار

(١) زيادات ر: «يقتره، الهاء تعود على الإقتار».

أَعُــوذُ بِاللهِ مِنْ أَمْــرٍ يُزَيِّنُ لِى لَوْمَ العَشِيــرَةِ أَوْ يُدْنِى مِنَ الْعَار
وَخَــيْــرِ دُنْيَــا يُنْسِّى شَــرَّ آخِــرَةٍ وَسَوْف يُنَبِّئُنِى الجَبَّارُ أَخْـبَارِى

ثم يتفقان بَعْدُ فى الرواية، وكان ربما أَنْشَدَنا: «إِنِّى هَزَأْتُ مِنْ أُمِّ الغَمْرِ»].

* * *

[لأعرابى من بنى الحارث بن كعب]

قال أبو العباس: وقال أعرابىٌّ من بنى الحارث بن كَعْب:

رَئِمْتُ لِسَلْمَى بَوَّ ضَيْمٍ وإِنَّنِى قَـدِيمًـا لآبِى الضَّـيْم وابْنُ أُبَاة
فَقَـدْ وقَّفَتْنِى بَيْنَ شَكٍّ وَشُبْـهَةٍ وَمَا كُنْتُ وَقَّافًا عَـلَى الشُّبُهَات
فيـا بَعْلَ سَلْمَى كَمْ وكَمْ بِأَذَاتِهَا عَـدِمْتُكَ مِـنْ بَعْلٍ تُطِيلُ أَذَاتِى
بنفسى حَبِـيبٌ حَالَ بَابُكَ دُونَهُ تَقَطَّعُ نَفْــسِى دُونَهُ حَـسَـرَاتِ
وَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ تُسَـاءَ لَـرُعْـتُـهُ بِمَا لَيْسَ بِالْمَـأْمُون مِنَ فتكَاتِى

قوله: «رَئِـمْتُ لِسَلْمَى بَوَّ ضَيْم» فـإنما هذا مَثَلٌ، وأصله أنّ الناقـة إذا أَلْقَت سَقْبَها فَـخِيفَ انقطاع لبنها أخذوا جِلْدَ حُوَارٍ(١) فَحَشَـوْهُ تِبْنًا، ولَطَخوهُ بشىء من سَلاها، ثم حَشَوْا أنفـها بخِرْقة، فتَجد لذلك كَرْبًا، ويقـال للخرقة التى تُجْعَلُ فى أنفها: الغمامةُ، ثم تُسَلُّ تلك الخرقة من أنفها فتجد رَوْحًا، وتَرَى ذلك البَوَّ تحتها، وهو جلد الحُوار المَحْشُوُّ فَـتَرْأَمُهُ، فإن دَرَّتْ عليه قيل: ناقـة درور، وتَرْأَمُهُ تَشُمُّهُ، ويقال فى هذا المعنى: ناقة ظئور، فَيُنْتَفَعُ بلبنها، ويقال: ناقة رائمٌ ورءوم إذا كانت تَرْأَمُ ولدها أو بَوَّها، فإن رَئِمَتْ ولم تَدُرَّ عليه فتلك الْعَلُوقُ، ولا خير عندها.

وأنشـدونا عن أبى عـمرو ـ وكـان يقـرأ: ﴿ثُمَّ كَـانَ عَاقِـبَةَ الَّذِينَ أَسَـاءُوا السُّوءَى﴾(٢) على «فعْلى»(٣):

---

(١) الحوار. ولد الناقة من حين تضعه إلى أن ينفطم

(٢) الروم: ١٠.

(٣) زيادات ر. «لأفنون التغلبى»، والبيتان فى أمالى القالى: ٢ ـ ٥١، وشواهد المغنى للسيوطى ٥٤.

أَنَّى جَزَوْا عَـامِراً سَوءى بِـفِعْلِهِمْ ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِى السُّوءى مِنَ الحَسَنِ

أمْ كيْفَ يَنْفَعُ ما تُعْطِى الْعَلوقُ بِهِ ... رِئْمَـــانَ أَنْفٍ إذَا مَـا ضُـنَّ بِاللَّبنِ(١)

فقوله: «رئمتُ لسلمى بَوَّ ضيم»، أى أقمتُ لها على الضَّيمِ، ويقال: فلان رَءومٌ للضَّيمِ، إذا كان ذليلاً راضيًا بالخَسفِ.

[لأحد الأعراب]

وقال أعرابى - أحْسبُهُ تَميميًّا:

وَدَاهِيَــةٍ دَاهَى بِهَا الْـقَوْمَ مُـفْلَقٌ ... شَـدِيدٌ بعُورَانِ الْـكَلاَمِ أَزُومُهَــا

أَصَخْتُ لَهَا حَتَّى إِذَا مَـا وعَيْتُهَا ... رَمَيْتُ بِأُخْـرَى يَسْتَدِيرُ أميـمُهَا

تَرَى الْقَوْمَ مِنْهَـا مُطْرِقِينَ كَـأَنَّمَا ... تَسَاقَـوْا عُقَـارًا لا يَبِلُّ سَلِيمُـهَا

فلَمْ تَلْقَنِى فَهًّا، ولَمْ تَلْقَ حُجَّتِى ... مُلَجْلَجَةً أَبْغِى لهـا منْ يُقِيمُـها

قوله: «وداهية» يعنى حُـجَّةً داهَى بها القوم. مُفْلَقٌ: يريد عَجِـيبَةً، والفِلقُ: اسم من أسماء الدواهى، ويقال: فَلْقٌ فى هـذا المعنى، ويقال: داهية فَلِيقٌ، وجاء القوم بالفَلِيق، وهذا مشهور كثير فى الكلام، ومنه قول خَلَف الأحمر:

* مَوْتُ الإِمَامِ فِلْقَةٌ مِنَ الْفِلَقْ *

وأنْشَدَنِى مُنْشِدٌ:

إِذَا عَرَضَــتْ دَوِّيَّةٌ مُدْلَهِــمَّةٌ(٢) ... وغَرَّدَ حَادِيهَــا عَمِلنَ بِنَا فَلْقَا(٣)

بفتح الفاء.

---

(١) فى حاشية الأصل: «قال ثعلب: اجتمع الكسائى والأصمعى بحضرة الرشيد، وكانا ملازمين له، يرحلان برحله ويقيمان بإقامته، فأنشد الكسائى «أنى جزوا عامرا... البنن» فقال الأصمعى: إنما هو «رئمان» بالنصب، فقال له الكسائى: اسكت ! ما أنت! وهذا! يجوز فه الرفع والنصب والخفض، أما الرفع فعلى الرد على «ما» لأنها فى موضع رفع بـ «ينفع»، والنصب بـ «التعطى»، والخفض على الرد على الهاء فى «به». قال ثعلب: فسكت الأصمعى». وانظر المعى ١: ٤١.
وفى أمالى القالى: «العلوق: التى ترأم بأنفها وتمنع درها، يقول: فأنتم تحسنون القول ولا تعطون شيئا فكيف ينفعنى ذلك!».

(٢) شطر هذا البيت لم يذكر فى س، وفى ر بين علامتى الزيادة، ورواه: «داوية».

(٣) عرض: نعرض. وغرد حاديها: طرب فى حدائه. والبيت فى إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٢، ٢٦٤، وروايته فيه: «قربن بها فلقا». وقال فى شرحه: «أى عملن بها داهبه من شدة سيرهن. والفلق: التضيب يشق فيعمل منه قوسان، ويقال لكل واحدة فلق». وهو أيضا فى اللسان (فلق).

وقوله: «شديدٌ بُعوران الكلام»، العَوْراءُ هى القبيحة، قال حاتم بن عبد الله الطائىُّ:

وعَوْرَاءَ قَدْ أَعرَضْتُ عَنْهَا فلمْ تَضِر ... وَذِى أود قَـومَّـتُـهُ فَتَـقَـوَّمَـا

وأَزُومُهَا: إمْساكُهَا(١)، يقال: أزِمَ به إذَا عَضَّ به فـأمسكه بين ثَنِيَّتَـيْه. وفى الحديـث أن أبا بكر رحمـه الله قال فى يوم أُحُـد: فنَظَرْتُ إلى حَلْقة مـن درعٍ قد نَشِبَتْ فى جَبين رسول الله ﷺ، فانكَبَبْتُ لأنْزعَهَا فأقْسَم علىَّ أبو عبيدة، فأَزَمَ بها أبو عبيدة بثَنِيَّتَيْه، فَجَذبها جَـذْبًا رفيقًا، فانتزعها، وسَقَطَتْ، ثم نَظَرْتُ إلى أخرى فأرَدْتُها فأقْـسَم علىَّ أبو عبيدة، ففعل فـيها ما فعل فى الأولى، وكان مُـشفقًا من تحريكها لئلا يُؤْذِىَ بذلك رسول الله ﷺ، فكان أبو عبيدة أهْتَمَ.

وقوله: «فَأَزَمَ بها»، يقال: أَزَمَ يَأْزِمُ، وأزِمَ يَأْزَمُ.

وقوله: «أصَخْتُ لها»: يقول استَمَعْتُ لها، قال العَبْدِىُّ(٢):

يُصِـيخُ للنَّبْـأة أسْـمَـاعَــهُ ... إصَـاخَـةَ النَّاشِـد للْمنْشِــد

والإصاخة: الاستماع، والناشد: الطالب، والمنشد: المُعَـرِّف، يقال نشَدْتُ الضالة إذا طلبتها، وأنْشَدْتُها: إذا عَرَّفْتها. والنَّبْأةُ: الصوت، قال ذو الرُّمَّةُ:

وقَدْ تَوَجَّسَ رِكْـزًا مُقْـفِرٌ نَدُسٌ ... بِنَبْأة الصَّوْت ما فى سْمعه كذبُ(٣)

وقوله: «حتى إذا مـا وعَيْتُها»، يقول: جَـمَعْتُها فى سمـعى، يقال: وعَيْتُ العلْمَ، وأوْعَيْتُ المَتاع فى الوعاء، قال الله عز وجل: ﴿وَجَمَعَ فأوْعَى﴾(٤)، وقال الشاعر(٥):

الْخَيْرُ يَبْـقى وإنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ ... والشَّرُّ أخْـبَثُ مَا أوْعَـيْتَ مَنْ زَادِ

وقوله:

* رَمَيْتُ بأخرى يستدير أمِيمُهَا *

---

(١) قال المرصفى. «أخطأ أبو العباس فى تفسير الوصف بالمصدر والصواب: تمسكها».

(٢) زيادات ر: «وهو المثقب».

(٣) توجس: تسمع. والركز. الصوت الخفى. مقفر: أخو قفرة. والندس: السريع الاستماع للصوت الخفى، يصف الصائد.

(٤) المعارج ١٨.

(٥) زيادات ر: (هو عبيد بن الأبرص).

يريد يستدير، من الدُّوار، ويقال فى هذا المعنى: يستديم، ومنه سميت الدُّوَّامَةُ(١)، وفى الحديث: «كُرِهَ البول فى الماء الدائم»؛ لأنه كالمستدير فى موضِعه، قال جرير:

عوَى الشُّعَرَاءُ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ ... عَلَىَّ فَقَدْ أصَابَهُمُ انْتِقَامُ

إذَا أرْسَلْتُ صَاعِقَةً عَلَيْهم ... رَأوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فاسْتَدَامُوا(٢)

وقوله: «أميمها» يريد المأموم بها، ويقال: أميمٌ ومأموم، كقولك: قَتيلٌ ومقتولٌ، ومَجْروح وجريح، ويقال: للشَّجَّة التى قد وَصَلَتْ إلى أُمِّ الدماغِ - وأُمُّ الدماغ جُلَيْدَةٌ رقيقةٌ تُحيط بالدِّماغ - فإذا وُصِلَ إلى تلك فالشَّجَّةُ آمَّةٌ ومأمومة، قال الشاعر:

يَحُجُّ مَأْمُومَةً فى قَعْرِهَا لَجَفٌ ... فَاسْتُ الطَّبِيبِ قَذَاهَا كالْمَغَارِيدِ(٣)

المغاريد: صغار الْكَمْأة.

وقوله: « فى قعرها لجف»، أى تَقَلُّع، يقال: تَلَجَّفَتِ البئر، إذا انقلع طَيُّها من أسفلها، ولَجَّفَ القومُ مِكْيالهم، إذا وَسَّعوه من أسفله.

وقوله: «تَسَاقَوْا عُقارًا» يريد: كأنهم سُكارى لما نالهم من تلك الحُجَّة. وَالْعُقارُ: اسم من أسماء الخمر، وإنما سميت عُقارا لِمُعَاقَرَتِها الدَّنَّ.

وقوله: «ما يَبِلُّ» يقال: بَلَّ وَأَبَلَّ من مرضه، وكذلك اسْتَبَلَّ.

والسَّليمُ الْمَلْسوع، وقيل له سَليم على جهة التَّفاؤل، كما يقال لـلمَهْلكَة مَفَازةٌ، وللغراب: الأعورُ على الطِّيَرَةِ منه لِصِحَّةِ بَصَرِه.

وقوله: «فلم تلفنى فَهًّا» يقول: ضَعيفًا، يقال: فَهَّ فلانٌ عن حُجَّتِه إذا ضَعُفَ عنها، ويقال: رجل مُفَهَّةٌ إذا كان عاجزًا.

وقوله: «مُلَجْلَجَة»، وهو أن يُرَدِّدَها فى فيه، وقد مضى تفسيره.

---

(١) الدوامة: فلكة يرميها الصبى بخيط فتدور.

(٢) استداموا: أخذهم الدوام، وهو الدوار.

(٣) البيت فى اللسان (غرد) ونسبه المرصفى إلى غذار بن دارة السنائى.

[لأبي مخزوم النهشلي يفخر بقومه]

وقال رجل يُكْنَى أبا مَخْزُوم، من بنى نَهْشَلِ بن دارمٍ(١):

إنا بَنى نَهْشَلَ لا نَدَّعِى لأبٍ ... عَنْهُ، ولا هُوَ بالأبْنَاء يَشْرِينَا
إنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْمًا لِمكْرُمَةٍ ... تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
ولَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا ... إلا افْتَلَيْنَا غُلامًا سَيِّدًا فِينَا
إنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أفْنَى أوَائِلَهُمْ ... قِيلُ الْكُمَاةُ: إلا أيْنَ الْمُحَامُونَا؟
لَوْ كَانَ فى الألْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: ... مَنْ فَارِسٌ؟ خَالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونَا
وَلا تَرَاهُمْ وَإنْ جَلَّتْ رَزِيَّتُهُمْ ... مَعَ الْبُكَاةِ عَلَى مَنْ مَات يَبْكُونَا
إنَّا لَنرخصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أنْفُسَنَا ... وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فى الأَمْنِ أُغْلِينَا
إذَا الكُمَاةُ تَنَحَّوْا أنْ يَنَالَهُمُ ... حَدُّ الظُّبَاة وَصَلْنَاهَا بِأيْدِينَا
فَرْضٌ عَلَى مُكْثِرِينَا نَيلُ بَذْلِهِمُ ... وَالْجُودُ وَالْبَذْلُ فى طَبْعِ الْمُقلِّينَا
إنِّى وَمَنْ كَأبِى يَحْيَى وَعِتْرَتِهِ ... لا فَخْرَ إلا لَنَا أم من يُوَازِينَا

قوله: «إنا بنى نهشل»، يعنى نهْشَل بن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك ابن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَميم، ومن قال: «إنَّا بَنُو نَهْشَلٍ»، فقد خَبَّرَكَ، وجَعَلَ «بنو» خبر «إنّ»، ومن قال: «بنى»، إنما جَعَلَ الخبرَ

إنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يوما لِمكْرُمَةٍ ... تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا والْمُصلِّينَا

ونَصَبَ «بَنِى» عَلَى فِعْلٍ مضمر للاختصاص، وهذا أمْدَحُ ومثله:

* نَحْنُ بَنِى ضَبَّةَ أصْحَاب الْجَمَلْ(٢) *

---

(١) زيادات ر: «هو بشامة بن حزن النهشلى». والأبيات أوردها أبو تمام منسوبة إلى بعض بنى قيس بن ثعلبة، مع اختلاف فى الرواية وترتيب الأبيات وعددها، وانظر الحماسة ١: ٩٧ - بشرح التبريزى.

(٢) من رجز رواه ابن جرير الطبرى لعمرو بن يثربى الضبى قاله فى وقعة الجمل، وبعده:

ننزل بالموت إذا الموت نزل ... القتل أحلى عندنا من العسل
نَنْعى ابن عفان بأطراف الأسل ... ردّوا علينا شيخنا ثم بَجل

وانظر تاريخ الطبرى، وحوادث ٣٦.

أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان مَنْ يَخْتَصُّ بهذا، فقال: أعنى بنى ضبة. وقرأ عيسى بن عمر: ﴿وَامْرَأَتُه حَمَّالَةَ الْحَطَب﴾[1] أراد وامرأتُه. ﴿فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَد﴾ ثم عرّفها بحمّالة الحطب، وقوله: ﴿والمقيمينَ الصَّلاةَ﴾ بعد قوله: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2] إنما هو على هذا، وهو أبلغ فى التعريف، وسَنَشْرَحُهُ على حقيقة الشرح فى موضعه إن شاء الله.

وأكثر العرب يُنْشِدُ[3]:

إِنَّا بَنِى مِنْقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ ... فِينَا سَرَاةَ بَنِى سَعْدٍ وَنَادِيهَا

وقرأ بعض القراء: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخَالِقِين﴾[4].

وقوله: «يشرينا» يريد يَبِيعُنا، يقال: شراه يَشْرِيه إذا باعه، فهذه المعروفة، قال الله عزّ وجل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِم﴾[5]. وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيَرِىُّ:

شَرَيْتُ بُرْدًا وَلَوْلا مَا تَكَنَّفَنِى ... مِنَ الحَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدَا[6]

ويكون «شَرَيْتُ» فى معنى اشْتَرَيْتُ، وهو من الأضداد، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ:

أَشْرُوا لَهَا خَاتِنًا وَأَبْغُوا لِخُتْنَتِهَا[7] ... مَوَاسِيًا أَرْبَعًا فِيهِنَّ تَذْكِيرُ[8]

وقوله:

* تَلْقَ السوابقَ منَّا والمصلِّينا *

فالمُصَلِّى الذى فى إِثْرِ السابق وإنما سُمِّىَ مصلِّيًا؛ لأنه مع صَلَوَىِ السابق، وهما عِرْقان فى الرِّدْف، قال الشاعر:

تَرَكْتُ الرُّمْحَ يَعْمَلُ فى صَلاهُ ... كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرِ

---

(١) سورة المسد ٤ ، ٥.

(٢) سورة النساء ١٦٢.

(٣) زيادات ر: ·هو (لعمرو بن الأهتم المنقرى). وانظر. .

(٤) سورة المؤمنون ١٤.

(٥) سورة يوسف ٢٠.

(٦) بعده فى س وزيادات ر:

يا بُرْدُ ما مسَّنَا دَهْرٌ أَضَرَّ بنَا ... من قبلِ هذا، ولا بعنا له ولدا

(٧) كذا فى الأصل. وفى ر: «لخنتتها»، وهى المرة من الختن. وفى الزيادات: «كان ابن جابر يروى: «لختتها» [بضم الخاء وتاءين]، ويقول: الختت: «العفل». والعفل. لحم ينبت فى قبل المرأة.

(٨) تذكير: صلابة وحدة.

وقوله:

* إلا اُفتَلَينا غلاما سيّدا فينا *

مـأخوذ من قـولهم: فَلَوْتُ الفُـلُوَّ(١) يَا فـتى، إذا أخـذتَه عن أمّـه، قـال الأَعْشَـى:

مُـلْـمِـعٍ لاعَـةِ الـفُـؤَادِ إلَـى جحْــــشٍ فَلاهُ عَنْهَا، فَبِئْسَ الْفَالى(٢).

وأخذ هذا المعنى من قول أَبى الطَّمَحان الْقَيْنِيِّ:

* إذَا مَاتَ مِنهُمْ سَيِّدٌ قامَ صَاحِبُهْ *

وقوله:

لَوْ كَانَ فى الأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: مَنْ فَارِسٌ؟ خَـالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

مأخوذ من قول طَرَفَة:

إِذَا القَوْمُ قالُوا: مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنَّنِى عُنِيتُ، فَلَمْ أَكْسَـلْ ولَمْ أَتبَلَّدِ

ومن قول مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَة:

إِذَا القَـوْمُ قالُوا: مَنْ فَـتًى لِعَظِيمَـةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى، وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

وقوله: «حَدُّ الظبْات» فـالظُبَةُ الحَدُّ بعينه، يقال: أصابتـه ظُبَة السيف، وظُبَةُ النَّصْلِ، وجمـعه ظُباتٌ. وأرا دَ بالظبَـةِ هاهنا موضع المَضْرِب من السـيف. وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك:

نَصِلُ السُّـيوفَ إِذَا قَصُـرْنَ بخَطْوِنَا قُدُمًـا، وَنُلْحِقُهَـا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

وقوله:

* إنَا لنرْخصُ يوم الرَّوْع أَنْفُسنَا *

---

(١) الفلو: المهر.

(٢) البيت فى وصف الناقة، ملمع: فى ضرعها لمع سود. واللاعة: الملتاعة. والفالى: الطارد.

أخذه من قول الهَمْدانىّ ـ وهو الأَجْدَع(١) ـ أبو مَسْروق بن الأجدع الفقيه:

لَقَدْ عَلِمَتْ نِسْـوَانُ هَمْدَانَ أَنَّنِى لَهُنَّ غَـدَاةَ الرَّوْعِ غَـيْرُ خَـذُولِ
وَأَبْذُلُ فى الهَيْجَاءِ وَجْهِى وإِنَّنِى لَهُ فى سِوَى الْهَيْجَاءِ غيرُ بَذُولِ

ومن القتَّالِ الكِلاَبِىِّ حيث يقول:

أَنا ابْنُ الأَكْـرَمِـينَ بَنِى قُـشَيْـرٍ وَأَخْـوَالِى الْكِرَامُ بَنُو كِـلاَبِ
نُعَـرِضُ لِلطِّعَــانِ إِذَا الْتَـقَـيْنَا وُجُـوهًا لا تُعَـرَّضُ لِلسِّـبَـاب

(١) هو الأجدع بن مالك بن أمية الوداعى، من بنى نوف بن حمدان. فارس شـاعر، أدرك الإسلام، وبقى إلى زمن عمر بن الخطاب. (المؤتلف والمختلف للآمدى ٤٩).

بابـ

[من كلام عمر بن عبد العزيز]

قال عمـر بن عبد العزيز رحـمه الله: ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه فـقد كَمَل: من لم يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ(١) عن طاعة الله، ولـم يستنزلْه رضاه إلى معـصية الله، وإذَا قدر عفا وكَفَّ.

[من كلام الحسن البصرى]

قال الحســن: نِعَمُ الله أكثرُ منْ أنْ تُشْكَرَ إلا ما أعــانَ عليه، وذُنوبُ ابن آدم أكثر من أنْ يَسْلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه.

[كلام عمر بن ذر حينما دخل على ابنه وهو يجود بنفسه]

وقال عمر بن ذَرّ(٢) ـ ودخل على ابنه وهو يَجُود بنفسه، فقال: يا بُنَىَّ، إنه ما علينا من موتك غضاضةٌ، ولا بنا إلى أحد سوى الله حاجةٌ. فلما قضى وصَلَّى عليه وواراه وَقَفَ على قبره، فقال:

ياذَرُّ، إنه قد شَغَلَنا الحُـزْنُ لك عن الحزن عليك؛ لأنّا لا نَدْرِى مَا قُلْتَ ولا ماقيلَ لك، اللّهُمَّ إنى قد وَهَبْتُ له مَا قَصَّرَ فيه مما افترضْتَ عليه من حقّى، فَهَبْ له ما قَصَّــرَ فيه من حقّك، واجعل ثوابى عليــه له، وزِدْنى من فَضْلك، إنِّى إليك من الراغبين.

وسُئِلَ: ما بَلَغَ من بِرِّه بك؟ فقال: مــا مَشَى معى بِنَهارٍ قَطْ إلاَ قَدَّمَنى، ولا بليل إلا تَقَدَّمَنى، ولا رَقِىَ سَطْحًا وأنا تحته.

[جواب أبى دلامة حينما سأله المنصور عما أعده ليوم القيامة]

وماتــت بنــت عَـمّ للمنـصور، فَـحَـضـر جَـنَـازتها، وجلس لدفنها، وأقبل أبو دُلامةَ الشاعر، فقال له المنصور: ويْحَكَ! ما أعْدَدْتَ لهذا اليوم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ابْنةَ عَـمِّك هذه التــى واريْتَهــا قـبَـيلُ! قــال: فَضَـحِكَ المنصـور حـتى استُغْرِب(٣).

---

(١) ر: «من».

(٢) هو عمر بن ذر بن عبـد الله الهمدانى، من أقران أبى حنيفة وابن عيـينة، وكان رأسا فى الإرجاء، توفى سنة ٥٠. (تهذيب التهذيب ٧:٤٤٥).

(٣) استغرب فى الضحك: أكثر منه.

[الفرزدق في سجن مالك بن المنذر بن الجارود]

ودخل لَبَطَة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن الْمُنْذر ابن الجارود(١)، ومالك عاملٌ على البصرة لخالد بن عبد الله القَسْرِيِّ، فقال: يا أَبَت، هذا عمَرُ بن يزيد الأَسَيْدِىُّ، ضُرِبَ آنفًا أَلْفَ سَوْط فمات فَشُدَّ على حمار، فقال الفَرَزْدَقُ: كأنك والله يا بُنَيَّ بمثلِ هذا الحديث قد تُحَدِّثُ به عن أبيك ـ والحَسَنُ(٢) إذ ذاك عند محبوس له ـ فقال: يا أبا فراس: ما عندك إن كان ذلك؟ فقال: والله يا أبا سعيد، للهُ أحَبُّ إليَّ من سمْعِى وبَصَرِى، ومن مالى وولدى، ومن أهلِى وعَشيرتى، أَفَتَرَاهُ يَخْذُلُنِى! فقال الحسن: لا.

[للفرزدق حين قتل عمر بن يزيد الأسيدى]

وكان عمر بن يزيد الأسَيْدِىُّ شريفًا، حدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبَيْدَةَ قال: كان رجلُ أهلِ البَصْرَةِ عُمَرَ بن يزيد الأُسَيْدِىَّ، ورجلُ أهلِ الشام عمرَ بن هُبَيْرة الفَزَارِىَّ، ورجلُ أهل الكوفة بلالَ بن أبى بُرْدَةَ بن أبى موسى الأشعرىّ، فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز، فقال: أَجَلْ، لَوِلا خِبٌّ(٣) فى بلال، فقال بلالٌ لَمَّا بلغه ذلك: «رمَتْنى بدائها وانسَلَّت» وقتله مالك(٤) بن الْمُنْذر تَعَصُّبًا فيما تذكره الْمُضَرِيَّةُ. فلما دُخِلَ بمالك على هشام أَقْبَلَ على أصحابه، فقال: أما رأيتم عمر بن يزيد؟ أمَا إنى ما تَمَنَّيْتُ أن تكون أُمِّى ولدَتْ رجلا من العرب غَيْرَهُ. ثم قال لمالك: قَتَلْتَ والله خيرًا منك حَسَبًا، ونَسَبًا، وريشًا(٥)، وعَقبًا! فقال: وكيف يا أمير المؤمنين! أَلَسْتُ ابنَ المنذر بن الجارود، وابنَ مالك بن مِسْمَعٍ! ـ وكان جَدَّهُ أبا أمِّه ـ وجعل عمر والسِّياطُ تأخذه ينادى: يا هشَامَاهُ! ففى ذلك يقول الفَرَزْدَق:

أَلَمْ يَكُ مَقْتَلُ الْعَبْدِىِّ ظُلْمًا ... أَبَا حَفْصٍ مِنَ الْكُبَرِ الْعِظَامِ

قَتيلُ جَمَاعَةٍ فِى غَيْرِ حَقٍ ... يُقَطَّعُ وَهْوَ يَدْعُو: يا هشَام!

(١) حاشية الأصل: «كان السبب فى سجن الفرزدق أنه كان قد هجا خالد بن عبد الله القسرى، فكتب خالد إلى مالك بن المنذر يأمره بحبسه، فأمر مالك أيوب بن عيْسى الضبى فأتاه به، فأمر به إلى السجن، ففى ذلك يقول الفرزدق يهجو أيوب بن عيسى:

فلوْ كنتَ قيسيًّا إذا ما حبستني ... ولكنّ رلجيًّا غليظًا مشافرهْ

مَتَتُّ له بالرَّحْم بينى وبينهُ ... فألفيتُه منّى بعيدًا أواصرهْ

(٢) هو الحسن البصرى.

(٣) الخب. الخداع والمكر.

(٤) أى قتل مالك عمر بن يزيد الأسيدى.

(٥) الريش: اللباس والزينة. وفى ر ، س: «ودينا».

[لقاء الحسن البصري والفرزدق في جنازة]

وَالْتقى الحَسَن والفرزدق فى جنازة، فقـال الفرزدقُ للحسن: أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قـال: يقولون: اجتمع فى هذه الجنازة خيرُ الناسٍ وشَرُّ الناس! فقال الحسن: كَـلاَّ، لَسْتُ بخيرهم، ولَسْتَ بشرّهم، ولكن ما أعْدَدْتَ لهـذا اليوم؟ فـقال: شهـادة أن لا إِلّه إلا الله مذ[١] ستُّـون سنة، وخَمْسَ نَجَائِبَ لا يُدْرَكْنَ ـ يعنى الصلواتِ الخمس ـ فيزعم بعض التَّميميَّة أن الفرزدق رُئِىَ فى النوم، فقـيل له: ما صَنَعَ بك رَبُّكَ؟ فـقال: غَـفَرَ لى. فقـيل له: بأىِّ شىء؟ فقال: بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن.

[الفرزدق وأولاد بنى تميم]

وحدثنى العبـاس بن الفَرَجِ فى إسنادٍ له ذَكَرَهُ قال: كـان الفرزدق يَخْرُجُ من منزله فيرى بنى تميم والمصَـاحِفَ فى حُجُورِهم، فَيُسَـرُّ بذلك ويَجْذَلُ به، ويقول: إيه فِدًى لكم أبى وأمّى! كذا والله كان آباؤكم.

* * *

[قال أبو الحسن: إنما هو فِداءٌ لكم، لكنه قَصَرَ الممدود على هذه الرواية].

* * *

[الفرزدق وأبو هريرة الدوسى]

ونظر إليه أبو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِىُّ، فقال [له][٢]: مَهْما فَعَلْتَ فَقَنَّطكَ الناسُ، فلا تقنطْ من رحمة الله، ثم نظر إلى قدميه فقال: إنى أرى لك قَدَمَيْنِ لطيفتين، فابْتَغِ لهما مَوْقِعًا صالحًا يوم القيامة.

يقـال: قَنطَ يَقْنَطُ، وقَنَطَ يَقْنِطُ، وكـلاهما فـصيح، فـاقرأ بأيُّهـما شـئت، وكذلك نَقِمَ يَنْقَمُ، ونَقَمَ يَنْقِمُ.

---

(١) ر. «منذ».

(٢) من ر ، س.

[قول الفرزدق حينما تعلق بأستار الكعبة]

والفرزدق يقول فى آخر عُمْرِهِ حين تَعَلَّقَ بِأَسْتار الكعبة، وعاهَدَ ٱللهَ أَلاَّ يَكْذِبَ، ولا يَشْتِمَ مُسْلِمًا:

أَلَمْ تَرَنِى عاهَدْتُ رَبِّى وَإِنَّنِى ... لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائمًا وَمَقَامِ

عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتِمُ ٱلدَّهْرَ مُسْلِمًا ... ولا خارجا من فِيَّ زُورَ كَلامِ

وفى هذا الشعر:

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ تِسْعِينَ حِجَّةً ... فَلَمَّا ٱنْقَضَى عُمْرِى وَتَمَّ تَمَامِى

رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِى ... مُلاقٍ لأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِى

قوله: «لَبين رتاج»، فالرِّتاجُ غَلَقُ الباب، ويقال: باب مُرْتَجٌ، أى مُغْلَقٌ، ويقال: أُرْتِجَ على فلان، أى أُغْلِقَ عليه الكلامُ، وقولُ العامة: «ارْتُجَّ عليه»، ليس بشىء، إلا أن التَّوَّزِىَّ حدثنى عن أبى عُبَيْدَةَ، قال: يقال: أُرْتِجَّ عليه، ومعناه وَقَعَ فى رَجَّةٍ، أى فى ٱختلاط، وهذا معنى بعيد جدًّا.

وقوله: «ولا خارجًا» إنما وَضَعَ اسم الفاعل فى موضع المصدر، أراد: لا أشْتِمُ الدهر مُسْلمًا، ولا يَخْرُجُ خروجًا من فِيَّ زُورُ كلامٍ، لأنه على ذا أَقْسَمَ، والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل، يقال: ماءٌ غَوْرٌ، أى غائر، كما قال الله عزّ وجل: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾(١)، ويقال: رجل عَدْلٌ، أى عادل، ويوم غَمٌّ، أى غامٌّ، وهذا كثير جدًّا، فعلى هذا جاء المصدر على فاعِلٍ، كما جاء اسم الفاعل على المصدر، يقال: قُمْ قائمًا، فيوضع فى موضع قولك: قُمْ قيامًا، وجاء من المصدر على لفظ «فاعِلٍ» حروفٌ منها: فلجَ فَالِجًا، وعُوفِىَ عافِيَةً، وأَحْرُفٌ سوى ذلك يسيرة. وجاء على «مَفْعول»، نحو رجل ليس له مَعْقُول، وخُذْ مَيْسُورَه، ودَعْ مَعْسورَه، لدخول المفعول على المصدر، يقال: رجل رضًا، أى مَرْضِىٌّ، وهذا درهم ضَرْبُ الأمير، أى مَضْرُوبٌ، وهذه دراهم وزن سَبْعة، أى مَوْزونةٌ. وكان عيسى بن عمر يقول: إنما قوله: «لا أَشْتِمُ» حال، فأراد: عاهدت ربى فى هذه الحال وأنا غير شاتِمٍ ولا خارجٍ مَنْ فِيَّ زُورُ كلام، ولم يَذْكُر الذى عاهَدَ عليه.

---

(١) سورة الملك ٣٠.

[الفرزدق فى أيام نسكه]

وقال الفرزدق فى أيام نُسكه:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنى ... أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهَابًا وَأَضْيَقا
إِذَا قَادَنى يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيفٌ، وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلاَدِ آدَمَ مَنْ مَشَى ... إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلاَدَةِ أزرقا(١)
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الْحَمِيمَ رَأَيْتُهُمْ ... يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الحَمِيمِ تَمَزُّقَا

[الفرزدق حين طلق النوار]

وحدثنى بعض أصحابنا عن الأَصْمَعِيِّ عن الْمُعْتَمِرِ بن سليمان عن أبى مَخْزومٍ عن أبى شَفْقَلٍ راوية الفرزدق، قال: قال لى الفرزدَق يوما: امض بنا إلى حَلْقَةِ الحَسَنِ، فإنى أريد أن أطلِّق النَّوَار، فقلتُ: إنى أخاف عليك أن تَتْبَعَهَا نَفْسُكَ، ويَشْهَدَ عليك الحسنُ وأصحابه، فقال: امْضِ بنا فجئنا حتى وقَفْنا على الحسن، فقال: كيف أصْبَحْتَ يا أبا سعيد، فقال: بخير، كيف أصبحتَ يا أبا فراسٍ؟ قال: تَعلَّمُنْ أن النَّوَار منى طالق ثلاثًا، فقال الحسنُ وأصحابه: قد سمعنا، قالُ: فانطلقنا، قال: فقال لى الفرزدق: يا هذا، إن فى قلبى من النَّوَار شيئًا، فقلت: قد حَذَّرْتك، فقال:

نَدمْتُ نَدامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا(٢) ... غَدَتْ مِنِّى مُطَلَّقَةً نَوَارُ(٣)
وَكَانَتْ جَنَّتِى فَخَرَجْتُ مِنْهَا ... كَآدَمَ حِينَ أَخرَجَهُ الضِّرَارُ
وَلَوْ أَنِّى مَلَكْتُ يَدِى وَنَفْسِى ... لَكَانَ عَلَىَّ لِلْقَدَرِ الخِيَارُ

قال الأصمعىّ: ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجْلِ هذا البيت.

---

(١) ر: «موثقا»

(٢) الكسعى: رجل من كسع، حى من اليمن، اسمه غامد بن الحارث، وكان اتخذ قوسا وخمسة أسهم وكمن فى طريق قطيع، فرمى حمارا منه، فنفذ فيه السهم وصدم الجبل، فأورى نارا فظن أنه أخطأ، فرمى ثانيا وثالثا إلى آخرها وهو يظن خطأه، فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة، وأسهمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه، وأنشد:

نَدمْتُ ندامةً لو أنَّ نفسى ... تطاوعنى إذًا لقطعتُ خمسى
تبيَّن لىَ سَفَاهُ الرأى منِّى ... لعمرُ أبيكَ حينَ كسَرْتُ قوسى

وانظر مجمع الأمثال (٢: ٢٧٤).

(٣) فى زيادات ر بعد هذا البيت:

وكنتُ كفاقئٍ عينيه عمداً ... فأصبح لا يضىء له النهارُ
وما فارقتَها شبعًا ولكنْ ... رأيت الزهد يأخذ ما أعارُ

بابـ

[ما قيل في الخمر]

قال لقيط بن زرارة:

شـربتُ الخـمـرَ حـتَّى خِلتُ أنيٍّ — أبُو قَـــابُوسَ أوْ عـــبـــدُ المدانِ
أَمـــشِّي في بنـي عُــدسِ بنِ زَيْدٍ — رَخيَّ البـــالِ منطـلقَ اللِّســـانِ

وحدَّثني أبو عثمان المازني قالَ أسر رَجُلٌ يَوْمَ الحُسَيْنِ بن على رضى الله عنه فَأُتِيَ به يزيد بنُ معاوية فقال له: أليس أبوكَ القائلَ:

أرجِّلُ جُـــمَّــتِي وأجـــرُّ ذيلى — وتحـــملُ شكَّــتى أُفقٌ كُــمــيْتُ
أُمَــشِّي فــي ســراةِ بنى غُــطَيفٍ — إذا مـــا ســـامَنى ضَـــيْــمٌ أبَيْتُ

قال: بلى. فأمرَ به فقتل.

[خبر هانئ بن عروة المرادي مع معاوية]

قال أبو العبَّاسِ: ونُمِيَ إليَّ أن معاويةَ ولَّى كثير بن شهاب المذحجيَّ خُراسانَ فَاخْـتَانَ مـالا كثـيراً، ثم هرب فاسـتتـر عندَ هانئ بن عُروةَ المراديَّ، فـبلغَ ذلك مُعاويـةَ، فنذَرَ دمَ هانئٍ، فخرج هَانِئ فكانَ في جوار مـعاوية، ثم حَضَرَ مـجلسه ومعاوية لا يعرفُـه، فلَمَّا نهضَ الناسُ ثبتَ مكَانَهُ، فسألهُ معـاوية عَنْ أمْرِه، فقال: أنا هَانئُ بنُ عُـروةَ، فـقــال: إنَّ هذا اليـومَ ليسَ بِيـومٍ يقـول فـيـه أبوكَ: أرجِّلُ جمَّـتي. . . الشعرَ، فـقالَ لهُ هانِئٌ: أنا اليـومَ أعزُّ مني ذلكَ اليومَ، فـقَالَ له: بِمَ ذَاكَ؟ فقال: بالإسلامِ يا أمير المؤمنين، فقـالَ له: أينَ كثيرُ بن شهابٍ؟ قال: عندى في عسكرِكَ يا أميرَ المؤمنينَ. فقال له مُعَاوِيةُ: انظره إلى ما اختانه فخُذْ منه بعضًا، وسوِّغْه بعضًا.

[نبذ من أقوال الشعراء في الخمر وشاربيها]

وقالَ أعرابيٌّ:

ولقــد شـرِبْتُ الراحَ حَـتَّى خلْتُنى — لـمَّـا خـرجْتُ أجرُّ فَـضلْ المئـزرِ
قَــابوسَ أو عَمْـرَو بنَ هندٍ مـاثِلا — يُجْـبَى لهُ مـــا دونَ دَارة قَـيْـصَـرِ

وقال آخر:

شربْنَا منَ الدَّاذىِّ حتَّى كأننا ... مُلُوكٌ لهم بَرُّ العراقين والبحرُ
فلمَّا انجلَتْ شمس النَّهار رأيتُنا ... تولَّى الغنَى عنَّا وعاودَنا الفقْرُ

وقال آخر، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ الحكم:

وكأسٍ ترى بينَ الإناء وبينها ... قذى العَيْنِ قدْ نَازعتُ أم أبانِ
ترى شاربيَها حين يَعْتورانِها ... يميلان أحيانًا ويَعْتدلانِ
فما ظنّ ذا الواشِى بأروعَ ماجدٍ ... وبدَّاءِ خَودٍ حينَ يلتقيانِ

وقالَ آخرُ:

دَعتْنى أخاهَا أمُّ عَمْرو ولَمْ أكنْ ... أخاهَا ولم أرضَعْ لها بلَبَانِ
دَعَتْنِى أخاها بعد ما كان بيننَا ... مِنَ الأمْرِ مالا يفعلُ الأخَوَانِ

وقالَ آخرُ (أنشده أبو علىٍّ لأم ضيغم البلوية):

فبتْنا فُوَيْقَ الحىِّ لا نحنُ منهمُ ... ولا نحنُ بالأعْداء مختلطان
وبات يقينا ساقط الطل والنَّدى ... من الليْلِ بُردَا يُمنَةٍ عَطِرانِ
نعدِّى بذكرِ اللهِ فى ذات بيننا ... إذا كان قلبانا بنا بردَانِ

قال أبو الحسن: وزادنى فيه غير أبى العباس:

ونَصْدرُ عن زِىٍّ العفافِ وربما ... نَقَعْنَا غليلَ النفْسِ بالرشفانِ

قال أبو العباس: نعدِّى أى نصرفُ الشرَّ بذكر الله، يقال: فعدِّ عما ترى، أى انصرفْ إلى غيره. ويقال: لا يعدونَّك هذا الحديثُ، أىَ لا يتجاوزنك إلى غيرك.

قال أبو العباس: وقال رجلٌ من قريش:

مَنْ تقرعِ الكأسُ اللئيمةُ سنَّهُ ... فلابدَّ يومًا أن يسىءَ ويجهَلا
ولم أرَ مطلوبًا أخسَّ غَنيمَةً ... وأوضع للأشراف منها وأخْمَلا
وأجدَرَ أن تلقى كريمًا يذمهَا ... ويشربَهَا حتَّى يخرَّ مُجدَّلا
فو اللهِ ما أدْرى أخبْلٌ أصَابهمْ ... أم العيشُ فيها لم يلاقُوه أشكلا

وقال آخر:

إذَا صدمتنى الكأسُ أبدت محاسنى ... ولم يخشَ ندمَانى أذَاتى ولا بُخْلى
ولستُ بفحَّاشٍ عليه وإن أسَا ... وما شكلُ من آذى نداماه من شكلى

وقال آخر:

كلْ هنيئًا وما شربتَ مريئا ... ثُمَّ قُمْ صاغراً فَغَيْرُ كَرِيمِ
لا أحبُّ النديم يومِضُ بالعَيْـ ... ـنِ إذَا ما انتشَى لعرِس النَّدِيمِ

الإيماض: تفتحُ البرقِ ولمحُهُ، يُقَالُ: أوْمضَت المرْأة إذا ابتسَمَتْ، وإنَّما ذلك تشبيه لِلَمع ثنايَاهَا بتبسُّمِ البرْقِ، فأرادَ أنه فتح عينَهُ ثم غمَّضها بغمزٍ.

قال حسَّان بن ثابت:

كأنَّ سَبيئَةً منْ بيت رأسٍ ... يكونُ مزَاجَها عسلٌ وماءُ
إذا ما الأشرباتُ ذكَرْنَ يومًا ... فهُنَّ لطيِّب الرَّاح الفدَاءُ
نُولِّيها الملامَةَ إن ألَمْنا ... إذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أوْ لحَاءُ
ونشربُهَا فتتركُنَا ملُوكًا ... وأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ

المغْثُ: المماغثة باليد، واللِّحاءُ: الملاحاةُ باللسانِ، يقول: يعتذرُ المسيء بأنْ يقولَ: كنتُ سكرانَ فَيُعذَرَ.

وقوله: كأنَّ سبيئةً، يقالُ: سبأْتهَا إذَا اشتريتها سِباء، يعنى الخمرَ، والسَّابئُ: الخمَّار.

وقولهِ: «من بيت رأسٍ»، يعنى موضعًا، كما يُقالُ: حَارِثُ الجَوْلانِ.

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: قال الأَحْنَفُ بن قَيْس: ألا أَدُلُّكم على المحْمَدة بلا مَرْزِئَة؟ الخُلقُ السَّجيحُ(١)، والكَفُّ عن القَبيح، ألا أُخْبِرُكُمْ بأدْوَإِ الداء؟ الخُلُقُ الدَّنِيء، واللسان البَذِيء.

وقال الأحنف: ثلاثٌ فِيَّ ما أقولُهُنَّ إلا لِيَعْتَبِرَ مُعْتَبِرٌ: ما دَخلت بين اثنين حتى يُدْخلاني بينهما، ولا أتيتُ بابَ أحد من هؤلاء ما لم أُدْعَ إليه، ـ يعني السُّلْطان ـ ولا حَلَلْتُ حبْوَتِي إلى ما يَقُومُ إليه الناس.

تَكْسِر الحاء وتضمها إذا أردتَ الاسم، وتفتحُها إذا أردتَ المَصْدر، أنشدني عُمَارةُ بن عَقيلٍ لجَرير:

قُتِلَ الزُّبَيْرُ، وأَنْتَ عاقدُ حُبْوَةٍ ... قُبْحًا لِحُبْوَتِكَ الَّتِي لمْ تُحْلَلِ !

ويقال في جمع حُبْوَة: حِبًا وحُبًا، مقصوران.

وقال عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة: ما أحْسَنَ الحَسَنَاتِ في آثارِ السَّيِّئاتِ! وأقْبَحَ السيئاتِ في آثار الحَسَنات! وأقْبَحُ من ذا وأحْسَنُ من ذاكَ السَّيِّئاتُ في آثار السيئات، والحَسَناتُ في آثار الحسنات.

والعَرَبُ تَلُفُّ الخبرين المختلفين، ثم ترمي بتفسيرهما جُمْلَةً، ثقةً بأن السامع يَرُدُّ إلى كلٍّ خَبَرَه. وقال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فيه وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه﴾(٢).

وقال رجل لسَلْم بن نَوْفَلٍ: ما أَرْخَصَ السُّؤْدُدَ فيكم! فقال سَلْمٌ: أَمَّا نَحْنُ فلا نسَوِّدُ إلا مَنْ بَذَلَ لنا مالَهُ، وأَوْطَأنَا عِرْضَهُ، وامْتَهَنَ في حاجتنا نفسه. فقال الرجل: إن السُّؤْدُد فيكم لَغالٍ.

ولِسَلْم يقول القائل:

يُسَوَّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ ... بَلِ السَّيِّدُ المَعْرُوفُ سَلْمُ بْنُ نوفَلِ

---

(١) الخلق السجيح: السهل.

(٢) سورة القصص ٧٣.

وقـال معـاوية رحمـه الله لَعَرَابَةَ بن أَوْس بن قَـيْظِيّ الأنْصاريّ: بمَ سُـدْتَ قومك؟ فقـال: لَسْتُ بسيدهم، ولكنّى رجلٌ منهم، فَعَزَمَ عليـه فقال: أعْطَيْتُ فى نائبتهم، وحَلُمْتُ عن سَفِيههِمْ، وشَدَدْتُ على يَدَىْ حَلِيمهم، فَمَنْ فعَل منهم مِثلَ فِعْلى فهو مِثلى، ومن قصرَّ عنه فأنا أفضلُ منه، ومن تجاوزه فهو أفضل منى.

[مدح الشماخ لعرابة بن أوس]

قال أبو العباس: وكان سَبَبُ ارتفاع عَرابة أنه قَدِمَ من سَفَر، فجَمَعَهُ الطريقُ وَالَشمَّاخَ بنَ ضرار المُرِّىّ، فتحادثا، فـقال له عَرَابة: ما الذى أَقْدَمَكَ المدينة؟ قال: قَدِمْتُ لأَمْـتَارَ منها، فَمَـلأَ له عَرابةُ رَوَاحِلَهُ بُرًّا وتَمرا، وأَتحـفه بغير ذلك، فـقال الشَّمَّاخ:

رَأَيْتُ عَـرَابَةَ الأَوْسِـىَّ يَسْـمُـو ... إلى الْخَـيْـرَاتِ مُنْقَطِعَ القَـرِينِ
إذا مـا رَايَـةٌ رُفِـعَتْ لِمَـجْـدٍ ... تَلَـقَّـاهَـا عَـرَابَـةُ بالْيَـمِـينِ
إِذَا بَلَّغْـتِنِى وَحَـمَـلْتِ رَحْلِى ... عَـرَابَةَ، فَـاشْـرَقِـى بِدَمِ الْوَتِينِ
ومِثْلَ سَـرَاةِ قَوْمِكَ لم يُـجَارُوا ... إلَى رَبْعِ الرِّهَانِ وَلا الثـمِـينِ(١)

قوله: «تَلَقَّاها عَـرابةُ باليمين»، قال أَصحاب المعانى: مـعناه بالقُوَّة، وقالوا مثَل ذلك فى قول الله عزّ وجلّ: ﴿والسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه﴾(٢).

وقد أحسَنَ كلَّ الإِحْسان فى قوله:

إِذَا بَلَّغْـتِنِى وَحَـمَـلْتِ رَحْلِى ... عَـرَابَـةَ فَـاشْـرَقِى بِـدَمِ الْوَتِينِ

يقول: لَسْتُ أحتاج إلى أن أَرْحَلَ إلى غيره.

وقد عاب بعضُ الرُّواةِ قـولَهُ: «فاشرقى بدم الوتين»، وقال: كـان ينبغى أن يَنْظُرَ لها مع استغنائه عنها، فقد قال رسولُ الله ﷺ للأنصارية(٣) المأسورة بمكة وقد نَجَتْ على ناقة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنِّى نَذَرْتُ إنْ نَجوْتُ عليها أن أنحرَها. فقال رسول الله ﷺ: «لِبئْسَ ما جَزَيْتِها»، وقال: «لا نَذْرَ فى معصية، ولا نذرَ للإنسان فى غير ملكه».

---

(١) الرهان: ما يوضع من المال فى مسابقة الخيل، والثمين: الثمن.
(٢) الزمر ٦٧.
(٣) ذكر ابن هشام أنها امرأة رجل من غفار. (وانظر خبر أسرها مع زوجها فى السيرة ٣: ٣٢٣ ـ ٣٢٧).

ومما لم يُعَب فى هذا المعنى قول عبد الله بن رَواحةَ الأنصارىِّ لما أمَّره رسولُ الله ﷺ بعد زَيد وجَعْفرٍ على جَيْش مُؤْتَةَ(١):

إذَا بَلَّغْـتِنِي وحَـمَـلْتِ رَحْلِى مَـسِـيـرَةَ أرْبَعٍ بَعْـدَ الْحِـسَـاءِ
فَـشَـأْنَكِ فَانْعـمِي وَخَـلاكِ ذَمٌّ ولا أرْجِـعْ إلَـى أهْلِـى وَرَائِـى

الحِسـاءُ: جمع حِسْيٍ، وهو موضع رَملٍ تحـته صَلابَةٌ، فإذا مَطَرَت السـماءُ على ذلك الرمل نزل الماء، فَـمَنَعَتْه الصَّـلابةُ أن يَغيضَ، ومَنَعَ الرملُ السَّـمَائمَ أن تُنشِّفَه، فإذا بُحِثَ ذلك الرملُ أصيب الماء، يقال: حِسىٌ وأَحساء وحِساء، ممدودة.

وقوله: «ولا أرجعْ إلى أهلى ورائى» مجـزوم لأنه دعاء، فقوله: «لا» يعنى الجازمـة، ومعناه: اللهم لا أَرْجِعْ، كـما تقول: زيد لا تَغْـفر له(٢)، فهذا الدعاء يَنْجَزمُ بما يَنْجَزِمُ به الأمر والنهى، كما تقول: زيد لِيَقُمْ، وزيد لا يَبْرَحْ.

وقد اتَّبعَ ذو الرُّمَّةِ الشَّمَّاخَ فى قوله:

إذَا ابنَ أَبِى مُوسى بِلالاً بَلَغْـتهِ فَقَامَ بِفَـأْسٍ بَيْنَ وِصليكِ جازِر

الوِصل: المَفْـصل بما عليـه من اللحم، يقـال: قَطَعَ اللهُ أوصاله، ويقـال: وِصْلٌ، وكِسْرٌ وجِدْلٌ، فى معنى واحد.

(١) مؤته. اسم قرية بالشام، موضع الغزوة المشهورة.
(٢) ر: «لا يغفر الله له».

باب

[لرجل من رجاز بنى تميم فى وقعة الجُفْرة]

قال أبو العباس: أنشدنى التَّوَّزِىُّ لرجل من رُجّازِ بنى تميم فى وَقْعة الجُفْرة(1).

نَحْنُ ضَرَبْنَا الأَزْدَ بِالْعِرَاقِ   وَالحَىَّ مِنْ رَبِيعَةَ الْمُرَّاقِ
وَابْنَ سُهَيْلٍ قَائِدَ النِّفَاقِ   بِلاَ مَعُونَاتٍ وَلاَ أَرْزَاقِ
إلاَّ بَقَايَا كَرَمَ الأَعْرَاقِ   لِشِدَّةِ الخَشْيَةِ وَالإِشْفَاقِ
* مِنْ المَخَازِى وَالحَدِيثِ الْبَاقِى *

الأَعْرَاق: جمع عِرْق، يقال: فلان كريم العِرْقِ ولئيم العرْقِ، أى الأصل.

[أقوال فى قلة النوم]

وقال آخر يَصِفُ ابنه:

أَعْرِفُ مِنْهُ(2) قِلَّةَ النُّعَاسِ   وخِفَّةً فِى رَأْسِهِ مِنْ رَاسِى
* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِى *

يخاطب أُمَّ ابنه. فقوله: «أعرف منه قلة النعاس»، أى الذَّكاءَ والحركة.

وكان عبد المَلِكِ بن مَرْوانَ يقول لِمُؤَدِّبِ ولْده: عَلِّمْهُم الْعَوْمَ، وهَذِّبْهُمْ بقلّة النوم.

وكذا قال أبو كَبِيرٍ(3) الْهُذَلِىُّ:

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الجَنَانِ مُبَطَّنًا   سُهُدًا إِذَا مَا نَامَ لَيلُ الهَوْجَلِ(4)

---

(1) الجفرة. موضع بالبصرة كانت به وقعة بين خالد بن عبد الله بن أسيد ـ وكان من قبل عبد الملك بن مروان وبين أهل البصرة، من أصحاب مصعب بن الزبير، سنة ٧٠ وانظر الخبر مفصلا فى (معجم البلدان ٣:١١٦).

(2) س: «أعرف فيه».

(3) س: «أبو بكير»، تصحيف.

(4) حوش الجنان: حديد القلب. مبطنا: ضامر البطن خميصه. والهوجل. الأحمق.

وقال آخر:

فَجَاءَتْ بِهِ حُوشَ الفُؤَادِ مُسَهدا ... وأفضلُ أَوْلادِ الرِّجَالِ المُسَهَّدُ

وقال رسول الله ﷺ: «عَيْنَيَّ تَنامان ولاَ يَنامُ قَلْبِي».

[لعروة بن الورد]

وقال عُرْوَة بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ، وهو عُرْوَةُ الصَّعاليك(١):

لَحَا(٢) اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ ... مُصَافِي المُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزِرِ(٣)

ينَامُ ثَقِيلاً ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا ... يَحُتُّ الحصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ(٤)

يُعِينُ نِسَاءَ الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ ... فَيُضْحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ المُحَسَّرِ(٥)

وَلَكِنَّ صُعْلوكًا صَفِيحَةُ وَجْهِهِ ... كَضَوْءِ سِرَاجِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ(٦)

مطلا عَلَى أَعْدَائه يَزْجُرُونَهُ ... بِسَاحَتِهِم زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ(٧)

وَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ... تَشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِبِ المُتَنَظَّرِ

فَذلِكَ إِنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا ... حَمِيدًا، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ(٨)

* * *

[قال أبو الحسن: كذا أنشده، «فذلكَ» لأنه لم يَرْوِ أوّلَ الشِّعر، والصواب كسر الكاف، لأنه يخاطب امرأة، ألا تراه قال:

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يابنَةَ مَالِكٍ ... ونَامِي، وَإِنْ لَمْ تَشتَهِي ذَاكِ فاسْهَرِي(٩)]

* * *

---

(١) لقب عروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الفقراء الذين لامال لهم - وهم الصعاليك - فيقوم بأمرهم وينفق عليهم.

(٢) لحا الله: دعاء عليه. والمشاش: العظام الرقيقة. والمجزر. موضع الجزر.

(٣) زيادات ر بعد هذا البيت:

يَعُدُّ الغِنَى من نفسه كلَّ ليلةٍ ... أصاب قِراها من صديقٍ مُيَسَّرِ

(٤) يحت الحصى: يفركه.

(٥) طليحا: من الطلح، وهو الإعياء.

(٦) صفيحة وجهه: بشرة جلده. والقابس الآخذ شعلة من النار على طرف عود. والمتنور: الذى يبصر النار من بعيد

(٧) مطلا على أعدائه: مشرفا عليهم. يزجرونه: يصيحون به. المنيح: من قداح الميسر، يستعار من صاحبه للتيمن بفوزه المشتهر.

(٨) زيادات ر بعد هذا البيت:

يريحُ عليَّ الليلَ أضيافَ ماجدٍ ... كريمٍ ومالى سارحًا مال مُقْتِرِ

(٩) ما بين العلامتين تكملة من ر.

قوله:

* يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ *

يريد المُتَتَرِّبَ، وَالعَفْرُ وَالْعَفَر: اسمان للتراب، من ذلك قولهم: عَفَّرَ الله خَدَّه، ويقال للظَّبْية: عَفْرَاءُ إذا كانت يَضْرِبُ بياضُها إلى حُمْرة، وكذلك الكَثِيبُ الأعْفَر.

وقوله: «كالبعير المحسَّر» هو المُعْيِى، يقال: جَمَلٌ حَسير، وناقة حَسير، قال الله عزّ وجل: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1].

وقوله:

* وَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْترابَهُ *

على التقديم والتأخير، أراد: لا يأمَنون اقترابه وإن بعدوا، وهذا حسن فى الإعْراب إذا كان الفعل الأول فى المجازاة ماضيًا، كما قال زُهَيْر:

وإن[2] أتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلةٍ يَقُولُ: لاَ غَائِبٌ مَالِى وَلا حَرِمُ

فإن كان الفعلُ الأول مجزومًا لم يَجُزْ رفع الثانى إلا ضرورة، فسيبويه[3] يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير، وهو عندى على إرادة الفاء، لعلَّة تَلْزَمُهُ فى مذهبه، نذكرُها فى باب المجازاة إذا جَرَى فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فمن ذلك قوله:

يَا أَقْرَعُ بن حَابِس يَا أَقْرَعُ إنّكَ إنْ يُصْرَعْ أخُوكَ تُصْرَعْ

أراد سيبويه: إنك تُصْرَعُ إن يُصْرَعْ أخوك. وهو عندى على قوله: إن يُصْرَعْ أخوك فأنت تُصْرَعُ يا فتى، ونَسْتَقْصِى هذا فى بابه إن شاء الله تعالى.

وقوله:

* كيْفَ تَرَيْنَ عِنْدهُ مِراسِى *

---

(١) سورة الملك ٤.

(٢) الكتاب ١: ٤٣٦.

(٣) نسبه سيبويه إلى جرير بن عبد الله البجلى، ونقل المرصفى عن كتاب فرحة الأديب أن صواب نسبته إلى عمرو بن خثارم البجلى، يحض الأقرع على أن يحكم بالفضل لجرير (وانظر رغبة الآمل).

يقول للمرأة: عَزَزْتنى[1] على شَبَهه، ويقال: أَنْجَبُ الأولاد ولدُ الفارك؛ وذلك لأنها تُبْغِض زوجَها، فيسبِقُها بمائه. فَيَخْرُجُ الشَّبَهُ إليه، فيخرج الولد مُذَكرًا. وكان بعض الحكماء يقول: إذا أردت أن تَطْلبَ ولد المرأة فأغْضبْها، ثم قَعْ عليها. فإنك تسبِقُها بالماء، وكذلك ولد الفَزِعَة، كما قال أبو كَبِيرٍ الهُذَلِيّ:

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وهُنَّ عَوَاقِدٌ   حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ[2]
حَمَلَتْ بِهِ فى لَيْلَةٍ مَزْءودَةٍ   كَرْهًا، وعَقْدُ نطاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ

مزءودة: ذات زُؤْد، وهو الفَزَعُ، فمن نصب «مزءودة» فإنما أراد المرأة. ومن خفض فإنه أراد الليلةَ، وجعل الليلة ذات فَزَع، لأنه يُفْزَعُ فيها، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ مكرُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ﴾[3] والمعنى: بل مكْرُكُمْ فى الليل والنهار.

وقال جرير:

لَقدْ لُمْتِنَا يَا أَمَّ غَيْلاَنَ فِى السُّرَى   ونِمْتِ، وَمَا لَيْلُ المَطِىِّ بِنَائِمِ

وقال آخر:

* فَنَامَ لَيْلِى وتَجَلَّى هَمِّى[4] *

وهذا الرجزُ ضِدُّ ما قال الآخر فى ولده، فإنه أقر بأن امرأته غَلَبَتْهُ على شَبَهِهِ، وذلك قوله:

* نِمْتُ وَعِرْقُ الخَالِ لاَ يَنَامُ *

يقول: عَزَّتْنِى أُمُّهُ على الشَّبَهِ، فذهبتْ به إلى أخواله. وقال آخر:

لقد بَعَثْتُ صاحبًا من العَجَمْ   بَيْنَ ذَوِى الأَحْلاَمِ وَالْبِيضِ اللِّمَمْ[5]
* كَانَ أَبُوهُ غَائِبًا حتّى فُطِمْ *

---

(١) عززتنى: غلبتنى.

(٢) الحبك: جمع حباك، وهو ما يشد به النطاق، والنطاق: شقة تلبسها المرأة ترسل أعلاها إلى الركبة بعد شد وسطها بالحباك، وتدع الأسفل ينجر على الأرض. والمهبل: الكثير اللحم، أو المدعو عليه بالهبل وهو الثكل.

(٣) سورة سبأ ٣٣.

(٤) هو رؤبة وقبله:

* حارثُ قد فرّجْت عنى غَمّى *

(٥) ذو الأحلام: واحده حلم، وهو العقل. واللمم: جمع لمة، وهى ما ألم بالمنكب من شعر الرأس

يقول: لم يُسْـقَ غَيْلاً. وقـال رسول الله ﷺ: «هَمَمْتُ أنْ أَنْـهى أُمَّتى عن الْغيلَة حـتى عَلمْتُ أن فارسَ والرُّومَ تفـعل ذلك بأولادها، فلا تُضـيرُ أولادَها». والغيلَـة: أن تُرْضعَ المرأة وهى حامل، أو تُرْضِعَ وهى تُغْـشَى. ويَزْعُمُ أهلُ الطِّبِّ من الـعـرب والعـجم أن ذلك اللَّبَنَ داءٌ. وقـالت أُمُّ تَأَبّط شرًّا: والله مـا حَمَلْتُـهُ تُضْعًا ـ ووُضْـعا أيضًا ـ ولا وَضَعْتُـهُ يَتْنًا، ولا سَقَيْتُـهُ غَيْلاً، ولا أَبَتُّهُ مَئِـقًا. وقال الأصمعى: ولا أَبَتُّهُ على مَأْقَة.

قولهـا: «ما حـملته تُضْـعًا»، يقـال إذا حملت المرأة عند مُـقْتَبَـل الحيض، حَمَلَتْهُ وُضْعًا وتُضْعًا، وإذا خرجتْ رجْـلا المولود من قِبَل رأسه قيل: وَضَعَتْهُ يَتْنًا، قال الشاعر:

فَجَـاءَتْ بِهِ يَتْنًا يَجرُّ مَشيـمَةً[1] تُسَـابِقُ رِجْـلاَهُ هُنَاكَ الأنَامِـلاَ

ويقال للرجل إذا قَلَبَ الشيءَ عن جهته: جـاء به يَتْنا. قال عيسى بن عمر: سألت ذا الرُّمَّة عن مسألة، فقال لى: أتَعْرَفُ الْيَتْنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: فمسألتك، هذه يَتْنٌ. قال: وكنت قد قلبت الكلام.

والغَيْلُ ما فسرناه.

وأما قولها: «ولا أَبَتُّهُ مَئِقًا»، تقـول: لم أبتْهُ مَغيظًا؛ وذلك أن الخَرْقاءَ تبيتُ ولدها جائعًا مَغْموما، لحَاجتـهُ إلى الرضاع، ثم تحركه فى مَهْده حتّى يغلبه الدُّوارُ فَيَنَوِّمَه، والكَيِّسـة تُشْبِعُهُ وتُغَنِّيه فى مَهْده، فيَـسْرِى ذلك الفَرَحُ فى بدنه من الشِّبَع كما سَرَى ذلك الغَمُّ والجوع فى بدن الآخر.

ومن أمثال العرب: «أنا تَئِقٌ، وصاحبى مَئِقٌ، فكيف نَتَّفِقُ»؟

التَّئِقُ: المملوء غيظًا وغضبًا، والمئق: القليل الاحتمال، فلا يقع الاتفاق.

---

(١) المشيمة: ما يكون فيه الولد.

بابـ

[من كلام ابن عباس]

قال أبوالعبـاس: قال ابن عباس رضى الله عنهـما: لا يُزَهِّدَنَّكَ فِى المعروف كُفْرُ مَنْ كفره، فإنه يَشْكُرُكَ عليه مَنْ لم تَصْطَنِعْهُ إليه.

[من كلام عبد الله بن جعفر]

وأُنْشِد عبدُ الله بن جعفر قولَ الشاعر:

إِنَّ الصَّنِيـعَةَ لاَ تَـكُون صَنِيعَـةً   حَتَّى تُصِـيبَ بِهَا طَرِيقَ المصْنَعِ

فقـال: هذا رجل يريد أن يُبَخِّل الـناسَ، أَمْطِرِ المعروف مَطَرًا، فـإن صادف موضعًا فهو الذى قصَدْتَ له، وإلا كنتَ أَحَقَّ به.

* * *

[قال أبو الحسن الأخفش: حـدثنا المبرّد فى غيـر الكامل قال: قـال الحسن والحُسَيْنُ رضوان الله عليـهما لعبد الله بن جَعْفَـر: إنك قد أَسْرَفْتَ فى بَذْل المال، قال: بـأبى أنتمـا وأمِّى! إن الله عَوَّدَنى أن يُفْـضِلَ علىّ، وعَوَّدْتُهُ أن أُفـضِلَ علَى عِباده، فأخاف أن أَقْطَعَ العادَةَ فَتُقْطَعَ عنى].

* * *

[ليزيد بن المهلب وقد مر بأعرابية عند خروجه من سجنه]

وَمَرَّ يَزِيدُ بن المُهَلَّب بأعرابية فى خروجه من سِجْن عمر بن عبد العزيز يريد البَصْـرة، فَقَرَتْهُ عَنْزًا، فَـقَبِلَها، وقال لابـنه معاوية: ما مـعك من النفقة، فـقال: ثمانمائة دينار، قال: فادْفعْها إليها. قال ابنه: إنك تريد الرجالَ، ولا يكون الرجالُ إلا بالمال، وهذه يرضيهـا اليسير، وهى بَعْدُ لا تَعْرِفُكَ فـقال له: إن كانت ترضى باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لاتعرفنى، فأنا أعرف نفسى، ادْفَعْها إليها.

[حديث الأصمعى عن ضرار بن القعقاع]

وزعم الأصمعىّ أن حَـرْبًا كانت بالبادية، ثم اتصلت بالبصرة فتـفاقَمَ الأمر فيها، ثم مُشِىَ بين الناس بالصُّلْح، فاجتمـعوا فى الجامع، قال: فَبُعِثْتُ وأنا غلام

إلى ضرار بن القَعْقاع من بنى دارم، فاستأذنتُ عليه، فأذنَ لى، فدخلتُ، فإذا به فى شمْلَة يَخْلطُ بزرًا لعنْز له حَلُوب، فَخَبَّرْتُهُ بمُجْتَمَعِ القوم، فَأمْهَلَ حتى أكلت العنز، ثم غَسَلَ الصَّحْفَةَ وصاح: يا جَاريةُ غَدِّينا، قال: فأتته بزيت وتمر، قال: فدعانى فَقَذَرْتُهُ(١) أن آكُلَ معه، حتى إذا قَضَى من أكله حاجة، وَثَبَ إلى طينٍ مُلْقَى فى الدار، فغسَلَ به يَدَهُ، ثم صاح: يا جارية، اسقينى ماء، فأتته بماء، فَشَربَهُ، ومسح فَضْلَهُ على وجهه، ثم قال: الحمد لله، ماءُ الفُرات، بتمر البصرة، بزيت الشام، متى نؤَدِّى شُكْرَ هذه النِّعم! ثم قال: يا جارية، علىَّ بردائى، فأتته برداءٍ عَدَنِىّ، فارْتَدَى به على تلك الشَّمْلَة.

قال الأصمعىُّ: فتجافَيْتُ عنه استقباحًا لزيِّه، فلما دخل المسجد صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم، فلم تَبْقَ حُبْوَةٌ(٢) إلا حُلَّتْ إعظامًا له، ثم جلس، فَتَحَمَّلَ جميعَ ما كان بين الأحياء فى ماله وانصرف.

[بين زياد بن عمرو العتكى والأحنف بن قيس التميمى]

وحدثنى أبو عثمان [بكرِ بن محمد](٣) المازنىُّ عن أبى عبيدة قال: لما أتَى زياد بن عمرو الْمِرْبَدَ(٤)، فى عَقِب قتل مسعود بن عمرو العَتَكِىِّ(٥)، جَعَلَ فى الْمَيْمنَة بَكْر بن وائل، وفى المَيْسرَة عبد القَيْسِ - وهم لُكيز بن أفصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلَةَ بن أسَد بن رَبيعة - وكان زياد بن عمرو العَتَكِىُّ فى القَلْب، فبلغ ذلك الأحْنَفَ، فقال: هذا غلام حَدَثٌ، شأْنُهُ الشُّهْرَة. وليس يُبَالِى أين قَذَفَ بنفسه! فَنَدَبَ أصحابَهُ، فجاءه حارثَةُ بن بَدْر الغُدانىُّ، وقد اجتمعت بنو تميم، فلما طلع قال: قُوموا إلى سيِّدكم، ثم أجلسهُ فناظَرَهُ، فجعلوا سَعْدًا والرِّبَابَ فى القَلْب، ورئيسُهُمْ عَبْسُ بن طَلْقِ الطَّعّان، المعروف بأخى كَهْمَس، وهو أحَدُ بَنِى صريم بن

---

(١) س: «فقذرت».

(٢) الحبوة. أن بجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.

(٣) من س.

(٤) المربد: سوق بالبصرة كانت نباع فيها الإبل.

(٥) كان مسعود بن عمرو من بنى عتيك، وهم بطن من الأزد، استخلفه عبيد الله بن زياد على البصرة، بعد أن هرب إلى الشام مطاردا. فوقف على المنبر يبايع من أتاه، فرماه رجل من أهل فارس فقتله، وعلى إثر ذلك شاعت الفتنة بين الناس. فريق يقول: قتلته الخوارج وفريق يقول قتلته تميم، (وانظر تفصيل الخبر فى تاريخ الطبرى، حوادث سنة ٦٥).

يَرْبوع، فَجُعِلَ فى القَلْبِ بحذاءِ الأَزْدِ، وجُعِلَ حارثةُ بن بدرٍ فى بنى حَنْظَلَةَ بحذاء بَكْرِ بن وَائل، وجُعِلَتْ عمرو بن تميم بحذاء عَبْـدِ القَيْس، فذاك حيثُ يقول حَارثةُ ابن بَدْرٍ للأحْنف:

سَيَـكْفِيكَ عَـبْسٌ أَخُو كَهْـمَسٍ ... مُـقَـارَعَـةَ الأَزْدِ بِالْمِـرْبَدِ(١)

وَتَكْفِيكَ عَمْـرٌو عَلَى رِسْلِهَا(٢) ... لُكَيْـزَ بنَ أفْـصَى وَمَـا عَـدَّدُوا

وَتَكْفِيكَ(٣) بَكْـرًا إِذَا أَقْـبَـلَتْ ... بِضَـرْبٍ يَشِـيبُ لَهُ الامْـرَدُ

فلما تواقفـوا بَعَثَ إليهم الأحْنَفُ: يا مَعْشَرَ الأَزْدِ ورَبِيعـة من أهل البصرة، أنتم والله أحَبُّ إلينا من تَميمِ الكوفة، وأنتم جَـيرانُنَا فى الدار، ويَدنا على العَدُوِّ، وأنتم بدأتمونا بالأمس، ووطِئْتُمْ حَـرِيمنَا، وحَرَّقْتم علينا. فدَفَـعْنا عن أنفسنا، ولا حاجة لنا فى الشر ما أصبْنَا فى الخير مَسْلَكًا، فتَيَمَّمُوا بنا طريقةً قاصدةً(٤).

فـوجَّهَ إليـه زياد بن عـمرو: تَخَـيَّرْ خَلَّـةً من ثلاث: إن شئت فـانْزِلْ أنتَ وقـومكَ على حُكْمنا، وإن شئتَ فَـخَلِّ لنا عن البـصرة وارْحَلْ أنت وقـومُكَ إلى حيث شئتم، وإلا فَدُوا(٥) قَتْلانا، وأهْدروا دماءَكُمْ، ولْيُودَ مسعودٌ دِيَةَ المُشْعَرَة.

قال أبو العباسُ: وتأويل قوله: «دِيَةَ المشْعَرَة» يريد أمْرَ الملوك فى الجاهلية، وكان الرجلُ إذا قُتِلَ وهو من أهل بيت المَمْلَكة وُدِىَ عشرَ دِيات.

فبَـعَثَ إليه الأحنفُ: سنختـارُ: فانصرفـوا فى يومكم، فَهَـزَّ القومُ راياتِهِمْ وانصرفوا، فلما كـان الغَدُ بَعث إليهم: إنكم خيرتمونا خلالاً ليس فيـها خيارٌ، أما النزول على حُكْمكم فكـيف يكون والكَلْمُ يَقْطُرُ دَمًـا؟ وأما ترك ديارنَا فـهو أخـو القَتْل، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٦)، ولكنَّ الثالثةَ إنما هى حَمْلٌ على المال، فنحن نُبْطِلُ

---

(١) فى البيت إقواء.

(٢) الرسل هنا: اللين والرفق.

(٣) ر: «تكفيك».

(٤) قاصدة: مستقيمة.

(٥) دوا قتلانا، من الدية.

(٦) النساء: ٦٦.

دمـاءنـا، ونَـدى قَـتْـلاكم، وإنما(١) مـسـعـودٌ رجل من المسلمـين، وقد أذهَـبَ اللهُ أمـر الجـاهـليـة.

فاجـتمع القوم على أن يَقفـوا أمر مسـعود، ويُغمَدَ السـيفُ، ويُودَى سائرُ القَتْلَى من الأَزْد وربيـعةَ، فضَـمِنَ ذلك الأحنف، ودَفَعَ إياسَ بن قتادة المُجـاشعىَّ رهينةً حتى يُؤَدَّى هذا المالُ، فَرَضِىَ به القومُ، فَفَخَرَ بذلك الفرَزْدَقُ فقال:(٢)

وَمِنّـا الَّذى أَعْطَى يَـدَيْه رَهِيـنَةً ... لِغَارَىْ مَعَدٍّ، يوم ضَرْبِ الجَمَاجِمِ(٣)

عَـشِيَّـةَ سَـالَ المِرْبَدَان كلاَهُمَـا ... عَجَـاجَةَ مَـوْتٍ بِالسُّيُـوفِ الصَّوَارِمِ

هُنَالِكَ لَوْ تَبْـغِى كُلَيْبًا وَجَـدْتَهَا ... أَذَلَّ مِنَ الْقِـــرِدَانِ تَحْتَ الْمَـنَاسِمِ(٤)

[قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه: لغار(٥) مَعَدٍ]

ويقـال: إن تَميـمًا فى ذلك الوقت مع باديتـها وحُلَفَـائها مـن الأَسَاوِرَة(٦) والزُّطِّ(٧)، والسَّبَابِجَة(٨) وغيرهـم كانوا زُهاءَ سبعين ألفًا، ففى ذلك يقول جَرير:

سَائِلْ ذَوِى يَمَنٍ وَرَهْطَ مُـحَرِّقٍ ... وَالأَزْدَ إِذْ نَدَبُوا لَنَـا مَـسْـعُـودا(٩)

فَـأَتَاهُمُ سَبْـعُونَ أَلفَ مُـدَجَّجٍ ... مُتَـسَرْبِلينَ يَلاَمِـعا(١٠) وَحَــديدًا

قال الأحنفُ بن قَيْس: فكثرَتْ علىَّ الـدِّيَاتُ، فلم أَجِدْهَا فى حاضرة تميم، فخرجتُ نَحو يَبْرِين(١١)، فسألتُ عن المقصود هناك، فأُرْشِدْتُ إلى قُبَّةٍ، فإذا شيخٌ

---

(١) س: «وأما مسعود».

(٢) من قصيدة يهجو فيها جريرا ويعرض بالبعيث، مطلعها:

ودّ جـرير اللؤم لو كـان عـانيًـا ... ولمْ يَدْنُ من زأر الأسود الضَّراغِمِ

(٣) الغاران: مثنى غار، وهو الجيش، ومنه قول على يوم الجمل: «ماظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين»!.

(٤) يريد كليب بن يربوع، رهط الفرزدق. والقردان: جمع قراد، وهو دويبة تعض الإبل.

(٥) ر: «الغازى معد».

(٦) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما، كالأحامرة. (اللسان).

(٧) الزط: جيل أسود من السند، وقيل هم من الهند. (اللسان).

(٨) السـابجة: قـوم ذوو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السـفينة البـحرية يبـذرقونهـا، واحدهم سبجى، ودخلت الهاء فى جمعه والنسب، كما قالوا: البرابرة. (اللسان).

(٩) المحرق: هو عـمرو بن هند ملك الحـيرة، وكـان حرق يوم أوارة تسعـة وتسعـين رجلا من دارم، قـبيلة الفرزدق.

(١٠) اليلامع: جمع يلمع، وهو الدرع هنا. وفى ر: «يلامقا»، جمع يلمق، وهو القباء.

(١١) يبرين: قرية كثيرة النخل فى بلاد البحرين.

جالس بفنائها، مُؤْتَزِرٌ بشَمْلَةٍ، مُحْتَبٍ بحبل، فسَلَّمْتُ عليه، وانتسبت له فقال: ما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟ فقلتُ: تُوُفِّيَ صلوات الله عليه! قال: فما فعلَ عُمَرُ بن الخطاب الذى كان يَحْفَظُ العرب ويَحُوطُها؟ قلت له: مات رحمه الله تعالى! قال: فأيُّ خَيْرٍ فى حاضرتكم بعدهما! قال: فذكرتُ له الدِّيات التى لزمَتْنا للأزْد ورَبيعة. قال: فقال لى: أقِمْ، فإذا راعٍ قد أراحَ ألْفَ بعير، فقال: خُذْها، ثم أراحَ عليه آخر مثلهَا، فقال: خذْها، فقلت لا أحتاج إليهَا، قال: فانصرفت بالألف عنه، والله ما أدرى من هو إلى الساعة!

قوله «المَناسِم» واحداها مَنْسِمٌ، وهو ظُفْرُ البعير فى مُقَدَّمِ الخف، وهو من البعير كالسُّنْبُك من الفَرَس.

وقوله:

* عشيّة سالَ الْمربَدان كلاهما *

يريد المِربَدَ وما يليه مما جرى مَجْراه، والعرب تفعل هذا فى الشيئين إذا جَرَيَا فى باب واحد، قال الفرزدق:

أَخَذْنَا بِآفاق السَّمَاء عَلَيْكُمُ ... لَنَا قَمَرَاها وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ

يريد الشمس والقمر: لأنَّهما قد اجتمعا فى قولك، «النَّيِّران»، وغُلِّبَ الاسم المُذَكَّرُ، وإنما يُؤْثر فى مثل هذا الخفَّة، وقالوا: «العُمَرَان» لأبى بَكْرٍ و عُمَرَ فإن قال القائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلم يُصِبْ، لأن أهل الجَمَل نادَوْا بَعَلِيٍّ بن أبى طالب رحمة الله عليه: أعطنا سُنَّةَ العُمَرَيْن. فإن قال قائل: فَلِمَ لَمْ يقولوا: أبَوَيْ بكرٍ، وأبو بكر أفضلهما؟ فلأنَّ عمر اسم مفرد، وإنما طلبوا الخفة، وأنشدنى التَّوَّزِيُّ عن أبى عُبَيْدَةَ لجرير:

وَمَا لِتَغْلِبَ إِنْ عَدُّوا مَسَاعِيَهُمْ ... نَجْمٌ يضِيءُ وَلا شَمْسٌ وَلاَ قَمَرُ

ما كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ ... وَالْعُمَرَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلاَ عُمَرُ

هكذا أنْشَدَنيه(١):

وقال آخر(٢):

* قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِى *

---

(١) زيادات ر: «إنما قال هكذا أنشدنيه غير التوزى يرويه:

* والطَّيبان أبو بكرٍ ولا عمرُ *

(٢) زيادات ر: «هو حميد بن الأرقط»، والبيت فى اللسانَ (قدد)، وإصلاح المنطق ٣٧٧، ٤٤٤ وبعده:

* ليسَ الإمَامُ بالشَّحيحِ الملحدِ *

يريد عبد الله ومُصْعبًا ابنى الزُّبَيْر وإنما أبو خُبَيْب عبد الله، وقرأ بعضُ القُرّاء: ﴿سَلامٌ على إلْياسين﴾[1] فَجَمَعَهُمْ على لفظ إلْيَاس، ومن ذا قولُ العرب: المَسامعَةُ، والمَهَالِبَة، والمَنَاذِرةُ، فَجمَعَهُمْ على اسم الأب.

والمُشْعَرَة: اسم لقَتْلى الملوك خاصَّةً، كانوا يُكْبِرُونَ أن يقولوا: قُتلَ فلان، فيقولون: أُشْعِرَ فلانٌ، من إشعار البُدْن[2].

ويروى أن رجلا قال: حضرتُ الموْقف مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فصاح به صائح: يا خليفة رسول الله ﷺ. ثم قال: يا أمير المؤمنين. فقال رجلٌ من خَلْفِى: دعاه باسم رجل ميِّت[3]، مات والله أمير المؤمنين. فالْتَفَتُّ فإذا رجل من بنى لِهْب، وهم من بنى نَصْرِ بن الأَزْد، وهم أزْجَرُ[4] قوم، قال كُثَيِّرٌ:

سَأَلتُ أَخَا لِهْبٍ لِيزْجُرَ زَجْرَهُ ... وَقَدْ صَارَ زَجْرُ الْعَالمينَ إلَى لِهْبِ

قال: فلما وقفنا لرمى الجمار إذا حَصَاةٌ قد صَكَّتْ صَلْعَةَ عمر فَأَدْمَتْهُ، فقال قائل: أُشْعِرَ والله أمير المؤمنين، والله لا يَقِفُ هذا المَوقفَ أبدًا. فالْتَفَتُّ فإذا بذلك اللِّهْبِىِّ بعينه، فَقُتلَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحَوْل.

---

(١) سورة الصافات ١٣٠.

(٢) البدن، بالضم: جمع بدنة، وهى الناقة والبقرة وهذا البعير مما ينحر بمكة للهدى وإشعارها: أن يشق جلدها أو سنامها بمضع ونحوه حتى يظهر الدم، ليعلم أنه هدى.

(٣) يريد أبا بكر.

(٤) الزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها، والتفاؤل بطيرانها وهو ضرب من الكهانة.

باب

[لذي الرمة في الزجر

قال أبوالعباس: أنشدني رجل من أصحابنا من بني سَعْدٍ، قال: أنشدني أعرابيّ في قصيدة ذي الرُّمَّة:

أَلاَ يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى الْبِلَى ... ولاَ زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ

بيتين لم تأتِ بهما الرُّواةُ، وهما:

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ(١) ... مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ نَضْرُ

فقُلْتُ: غُرَابٌ لاِغْتِرَابٍ، وَقَضْبَةٌ ... لِقَضْبِ النَّوَى، هَذِي الْعِيَافَةُ وَالزجْر

[لجحدر العكلي]

وقال آخر ـ [قال أبو الحسن: هو جَحْدَرٌ العُكْلِيُّ، وكان لِصًّا] ـ :

وَقِدْمًا هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا ... بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تجَاوَبَانِ

[«وقَدْما» عن أبي الحسن]

تَجَاوَبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ ... عَلَى عُودَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وبَانِ(٢)

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بانَتْ سُلَيْمَى ... وَفِي الْغَرَبِ اغْتِرابٌ غَيْرُ دَانِ

[مما قيل في المال]

وأنشدني أبومُحَلِّم لرجل من ولد طَلَبَة بن قَيْس بن عاصِم:

وَكُنْتُ إِذَا خَاصَمتُ خَصْمًا كَبَبْتُهُ ... عَلَى الْوَجْه، حتّى خَاصَمَتْنِي الدَّرَاهِمُ

فَلمّا تَنَازَعْنَا الخُصُومَةَ غُلِّبَتْ ... عَلَيَّ، وقَالُوا: قُم فَإِنَّكَ ظَالِمُ

وقرأت على أبي الفَضْل العباس بن الفَرَجِ الرِّيَاشِيِّ، عن أبي زيد الأنصاريّ:

ولَقَدْ بَغَيْتُ المَالَ مِنْ مَبْغَاتِه ... والمَالُ وَجْهٌ للْفَتَى مَعْرُوضُ

طَلَبَ الْغِنَى عَنْ صَاحِبِي ليحبَّنِي ... إِنَ الْفَقِيرَ إِلَى الْغَنِيِّ بَغِيضُ

---

(١) القضبة: واحدة القضب، هو شجر له ورق كورق الكمثرى، إلا أنه أرق وأنعم

(٢) الغرب والبان: ضربان من الشجر.

وقال آخر - أَنْشَدَنِيه التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد -:

وَصَاحِبٍ نَبَّهْتُهُ لِيَنْهَضَا ... إِذَا الْكَرَى فى عَيْنِه تَمَضْمَضَا

فَقَامَ عَجْلانَ ومَا تَأَرَّضَا ... يَمْسَحُ بِالكَفَّيْنِ وَجْهًا أَبْيَضَا

قوله: «وما تأرّضا»: أى لم يلزم الأرض.

[لشبيب بن البرصاء يفخر بكرمه]

وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد الأنصارىّ - [قال أبوالحسن هو شَبِيبُ بن البَرْصاء] - :

لَقَدْ عَلِمَتْ أمُّ الصَّبِيَّيْن أَنَّنى ... إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَرُوجُ

إِذَا الْمُرْغِثُ الْعَوْجَاءُ بَاتَ يَعُزُّهَا ... عَلَى ضَرْعِهَا ذُو تُومَتَيْنِ لَهُوجُ

وَإِنِّى لأُغْلِى الَّلحْمَ نِيًّا وإِنَّنِى ... لَمِمَّنْ يُهِينُ الَّلحْمَ وَهُوَ نَضِيجُ

قوله: «قَوّامُ السِّنَات» يريد سريع الانتباه، والسِّنَة: شدة النُّعَاس، وليس النوم بعينه، قال الله عز وجل. ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾(١)، وقال ابن الرِّقاع العاملىُّ:

لَوْلاَ الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِى قَدْ عَسَا ... فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ

وكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاء أَعَارَهَا ... عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جاسِمِ(٢)

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... فِى عَيْنِه سِنَةٌ، ولَيْسَ بِنَائِمِ(٣)

معنى «رنقت» تهيأت، يقال رَنَّق النَّسْر، إذا مَدَّ جناحيه ليطير، قال ذو الرُّمَّة(٤):

* على حَدِّ قَوْسَيْنَا كما رَنَّقَ النَّسْرُ *

---

(١) سورة البقرة ٢٥٥.

(٢) جاسم: قرية بالشام، وفى ر: «عَاسم»، وهو رمل لبنى سعد.

(٣) أقصده: أصابه.

(٤) قبله فى ريادات ر:

* إذا ضربته الريحُ رنّق فوقنا *

وانظر ديوانه ٢١٨.

وقوله: «المُرْغِثُ»: يعنى الّتى تُرْضِعُ وتُرْغِثُ[1] ولدها، ويقال لها رَغُوثٌ، قال طَرَفة:

لَيْتَ لَنَا مَكانَ الَملْكِ عَمْرٍو رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ

وقوله: «يَعُزُّها»، أى يَغْلبها، وقال الله عز وجل: ﴿وَعَزَّنى فى الخِطَاب﴾[2]: يقول: غلَبنى فى المُخَاطَبَة، وأصله من قوله: كان أعَزَّ منّى فيها. ومن أمثال العرب: «مَنْ عَزَّ بَزَّ»، و تأويله: من غَلَبَ اسْتَلَب. وقال زُهَيرٌ: «وعَزَّتْهُ يَدَاهُ وكاَهِلُهُ»[3] يقول: كان ذلك أعَزَّ ما فيه، ويقال: لَهِجَ الفَصيلُ فهو لَهُوجٌ إذَا لَزِمَ الضَّرْع، ويقال: رجل مُلْهِجٌ، إذا لَهِجَتْ فصَالُهُ، فيتَّخذ خلالا، فَيَشُدُّه على الضَّرْعِ، أو على أنف الفَصيل، فإذَا جاء لِيَرْضَعَ أوْجَعَهَا بِالخلال فَضَرَحَتْهُ[4] عنها برجلها، قال الشَّمَّاخُ يصف الحمار:

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَأنَّما يَرَى بِسَفَا البُهْمَى أَخِلَّةَ مُلْهِجِ

البارضُ: أوّلُ ما يَبْدُو من النبت، والبُهْمَى يشبه السُّنْبُلَ، يقول: فهو لما أعتاد هذا المَرْعَى الَّلدْنَ اسْتَخْشَنَ البُهْمَى. وسَفَاها: شوكهُا. فيقول: كأنه مخلول عن البُهمى، أى يراها كَالأخِلَّة.

وقوله «ذو تُومتين» فالتُّومَةُ فى الأصل الحَبَّةُ[5]، ولكنها فى هذا الموضع التى تُعَلّقُ فى الأُذن. وكالبيت الأخير قوله:

وَإِنِّى لأُغْلِى لَحْمَهَا وَهْىَ حَيَّةٌ وَيَرْخُصُ عِنْدِى لَحْمُهَا حِينَ تُذْبَحُ
بذَا فانْدُبِينِى وَامْدَحِينِى فَإِنَّنِى فَتًى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يَمْدَحُ

---

(١) ر: «يعنى التى ترضع ترغث»، س: «التى ترضع الرغث».

(٢) سورة ص ٢٣.

(٣) البيت بتمامه:

تَمِيم فلوناه فأكملَ صُنْعَه فتمّ، وعزّته يداه وكاهلُه

وانظر ديوانه ١٣٠

(٤) ضرحته: دفعته.

(٥) زيادات ر: «وقوله «الحبة» إنما معناه من حبات النظم».

بابـ

[لعمر بن عبد العزيز حينما سئل: أى الجهاد أفضل ؟]

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: أىُّ الجهادِ أفضلُ؟ فقال: جِهَادُكَ هوَاك.

[لرجل من الحكماء فى مجاهدة النفس]

وقال رجل من الحكماء: اعْصِ النساءَ وهواكَ واصْنَعْ ما شئتَ.

[لمحمد بن على بن الحسين فى الزهد]

وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم: مالَكَ من عَيْشك إلا لَذَّةٌ تَزْدلفُ بك إلى حِمامك، وتُقَرِّبُك من يومك، فَأيَّة أَكْلَة ليس معها غَصَصٌ! أوْ شَرْبَة لَيْسَ مَعَهَا شَرَقٌ! فتأمَّلْ أَمْرَكَ، فكَأنَّك قد صرْتَ الحبيبَ المفقود، والخَيَالَ المُخْتَرَمَ. أهلُ الدنيا أهلُ سَفَرٍ لا يَحُلُّونَ عَقْدَ رحالهم إلا فى غيرها.

قوله: «تَزْدَلفُ بك إلى حمامك»، يقول: تُقَرِّبك، ولذلك سميت المُزْدَلفةَ. وقوله عزّ وجل: ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾(١) إنما هى ساعات يَقْرُبُ بعضُهَا من بعض، قال العَجَّاجُ:

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مما وَجَفَا ... طَيَّ اللَّيَالِى زُلَفًا فَزُلَفَا

* سَمَاوَةَ الْهِلال حَتى احْقَوْقَفا *

نَاجٍ: سريع، والأَيْنُ: الإعْياء. والوَجيفُ: ضَرْبٌ من السَّيْرِ. ونَصَبَ «طَيَّ الليالى» لأنه مصدر من قوله: «طواه الأينُ»، وليس بهذا الفعل، ولكنَّ تقديره: طواه الأيْنُ طَيًّا مثل طَيِّ الليالى، كما تقول: زيد يشرب شُرْبَ الإبْلِ، إنما التقدير يشرب شربًا مثل شرب الإبل، «فَمِثْلَ» نعت، ولكن إذا حذفتَ المضاف استغنَى بأن الظاهر يُبَيِّنُه، وقام ما أضيف إليه مَقامه فى الإعْراب، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(٢)، نُصِب لأنه كان: «واسأل أهلَ القريةِ». وتقول:

(١) سورة هود ١١٤.

(٢) سوره يوسف ٨٢.

بنو فلانٍ يَطَؤُهُمْ الطريق، تريد أهلَ الطريق فحذفتَ «أهل» فرفعتَ «الطريقَ» لأنه في موضعٍ مرفوع، فعلى هذا فَقِسْ إن شاء الله.

وقوله «سماوة الهلال» إنما هو أعلاه، ونَصَبَ «سماوة» بـ «طَيّ»، يريد طواه الأيْنُ كما طَوَتِ الليالى سَماوةَ الهلال. والشاهد على أنه يريد أعلاه قولُ طُفَيْل:

سَمَاوَتُهُ أَسْمَالُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وَسَائِرُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشَرْعَبِ[1]

ويروى: «مُعَصَّب»، وإنما سماوته من قولك: سَماءٌ، فاعلم. فإذا وقع الإعراب على الهاء أظهرتَ ما تَبْنيه على التأنيث على أصله، فإن كان من الياء أظهرتَ الياء، وإن كان من الواو أظهرت فيه الواو، تقول: شَقاوةٌ لأنها من الشّقوة، وتقول: هذه امرأة سَقَّايَةٌ: إذا أردتَ البناء على غير تذكير، فإن بنيته على التذكير قَلَبْتَ الياء والواو همزتين؛ لأن الإعراب عليهما يَقَعُ، فقلت: سَقَّاءٌ وغَزَّاءٌ يافتى، فإن أنَّثْتَ قلت: سَقَّاءَةٌ وَغَزَّاءَةٌ، والأجْوَدُ فيما كان له تذكير الهمزُ، وفيما لم يكن له تذكير الإظهار، وإنما السماء من الواو، لأن الأصل سَمَا يَسْمُو إذا ارتفع، وسماء كلِّ شَيْءٍ سَقْفُه.

وقوله: «حتى احْقَوْقَفا» يريد اعْوَجَّ، وإنما هو افْعَوْعَلَ من الحِقْف. والحِقْفُ: النَّقَا من الرَّمل يَعْوجُّ ويَدِقُّ، قال الله عزّ وجل: ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأَحْقافِ﴾[2] أى بموضع هو هكذا.

[لعلى بن أبى طالب فى وصف الدنيا]

وقال رجل لعليّ بن أبى طالب رحمة الله عليه[3] وهو فى خطبته[4]: يا أمير المؤمنين، صِفْ لنا الدنيا، فقال: ما أَصِفُ من دار أوّلها عَنَاءٌ. وآخرها فَنَاءٌ، فى حَلالها حِسابٌ، وفى حَرامها عِقابٌ، مَنْ صَحَّ فيها أَمِن، ومَنْ مَرِضَ فيها نَدِمَ، ومن استَغْنَى فيها فُتِنَ، ومن افْتَقَرَ فيها حَزِن.

(١) الأسمال: الأخلاق من الثياب. والمحبر: الموشى. والأتحمى: ضرب من البرود فيه خطوط. والمشرعب، يريد أنه منسوب إلى الشرعبية، وهى ضرب من البرود.

(٢) سورة الأحقاف ٢١. والأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن، وهى مساكن عاد.

(٣) س. «رضى الله عنه».

(٤) ر ، س: «وهو فى خطبته»

[مقدم الربيع بن زياد الحارثي على عمر بن الخطاب]

قـال الرَّبيُع بن زِياد الحـارثيُّ: كنتُ عـامـلاً لأبى مـوسى الأشْـعَـرىّ على البَحْرَيْنِ، فكَتَبَ إليه عمرُ بن الخطاب رحمه الله(١) يأمره بالقدوم عليه هو وَعُمَّالَهُ، وأن يَسْتَخْلِفُـوا جميعًا. قال: فلمـا قَدمْنا أتيت يَرْفَأ(٢) فقلتُ: يا يَرْفَأُ، مُـسْتَرْشدٌ وابن سَبِـيل، أىُّ الهيآت أَحَبُّ إلى أمـير المؤمنين أن يَرَى فيـها عُمَّالَهُ؟ فـأوْمَأَ إلىَّ بالخُشونة، فـاتَّخَذْتُ خُفَّيْنِ مُطارَقَيْنِ، ولَـبِسْتُ جُبَّةَ صوف، ولثْتُ عـمامتى على رأسى.

ودخلنا(٣) على عمر رحـمه الله فَصفَفْنا بين يديه، فَصَعَّـدَ فينا وصَوَّبَ، فلم تَأخُذْ عـينُهُ أحدًا غيرى، فـدعانى فقال: مَنْ أنـت؟ قلت الربيع بن زياد الحارثىّ. فقال: وما تتولىّ من أعمالنا؟ قلتُ: البَحْرَيْن، قال: كَمْ تَرتَزِقُ؟ قلتُ: ألْفًا، قال: كَثيرٌ، فما تَصنَعُ به؟ قُلتُ: أتَقَوَّتُ منه شيئًا، وأعود به على أقاربَ لى. فما فَضَلَ عنهم فعلى فُـقَرَاء المسلمين، قـال: فلا بأسَ، ارجعْ إلى موضعك، فـرجعتُ إلى موضعى من الصَّفِّ، فَصَعَّدَ فينا وَصَوَّبَ، فلم تقع عينه إلا علىَّ، فدعانى، فقال: كَمْ سِنُّكَ؟ قلتُ: خـمس وأربعون سنةً، قـال: الآن حين اسْـتَحْكَمْتَ! ثـم دعا بالطعام ـ وأصـحابى حَديثٌ عهدهم بِلَيِّـنِ العيش، وقد تَجَوَّعْتُ له ـ فـأُتِىَ بخبز وأكسَارِ بعـير، فجعل أصـحابى يَعافون ذلك، وجـعلت آكُلُ فأُجيدُ، فـجعلت(٤) أنْظُرُ إليه يَلْحَظُنى من بينهم، ثم سَبَـقتْ منى كلمةٌ تَمَنَّيْتُ أنى سُخْتُ فى الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عَمَدْتَ إلى ألْيَنَ من هذا! فزَجَرَنى، ثم قـال: كيف قلتَ؟ فقلتُ: أقول: يا أمـير المؤمنين أن تنظر إلى قُوتك من الطَّحينِ، فَـيُخْبَزَ لك قبل إرادتك إياه بيـوم، ويُطْبَخَ لك اللحمُ كذلك، فَتُؤتى بالخُـبز لَيِّنًا، واللحـم غَريضًا. فسكَّنَ من غَـرْبِه وقال: أهاهنا غُرْتَ؟ قلتُ: نعم، فـقـال: يا رَبيعُ إنا لو نشـاء مـلأنا هذه الرِّحـابَ من صَلائِقَ، وسَبـائكَ،

---

(١) س: «رضى الله عنه».

(٢) يرفأ: مولى عمر بن الخطاب، يقال إنه أدرك الجاهلية. وحج مع عـمر فى خلافة أبى بكر، وكان حاجبا على بابه. (تاج العروس).

(٣) ر ، س: «فدخلنا».

(٤) س: «ثم جعلت».

وصناب، ولكنى رأيتُ الله عـز وجل نَعَى على قوم شَـهَواتِهِمْ، فـقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمْ الدُّنْيـا﴾(١)، ثم أمَـرَ أبا مـوسى بإقـرارى، وأن يَسْـتَـبْـدِل بأصحابى.

قوله: «فَلَثْتُها على رأسى» يقول: أدرت بعضَها على بعضٍ على غير استواء يقال: رجل أَلْوَثُ إذا كان شديدًا، وذلك من اللَّوْث، ورجل أَلْوَثُ إذا كان أَهْوَجُ، وهو مأخوذ من اللُّوثة. وحدثنى عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل قال: سئل الأَصْمَعىُّ عن المجنون، المسمى قَيْسَ بن مُعاذ، فَثَبَّتَهُ وقال: لم يكن مجنونًا، ولكن كانت به(٢) لُوثَةٌ كلُوثةِ أبى حَيَّةَ الشاعر. وقيل للأشْعث بن قيس بن مَعْدِّى كَرِبَ الكِنْدىِّ: بِمَ كنتم تعـرفون السُّـؤدُدَ فى الصـبىِّ منكم؟ قال: إذا كـان مَلُوثَ الإِزْرة(٣)، طويلَ الغُرْلة(٤)، سائلَ الغُرَّة(٥): كأنَّ به لُوثَةً، فَلَسْنا نَشُكُّ فى سُؤدُده.

وقوله: «تُؤْتَى باللحم غـريضًا» يقول: طَرِيًّا، ويقال: لحم غَـريض، وشِواءٌ غَريض، يُرَاد به الطَّرَاءُ، قال الغَسَّانىُّ(٦):

إِذَا مَـا فَـاتَنِى لَحْمٌ غَـرِيض ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَـكْرِى فاشْتَـوَيْت

وقوله: «صلائق» فـمعناه ما عُمِلَ بالنار طبخًا وشَـيًّا، يقال: صَلَقْتُ الجَنْبَ إذا شَوَيْتَهُ، وصَلَقْتُ اللحم إذا طبختَه على وجهه.

وقـوله: «سَـبائك» يريـد ما يُسْـبَكُ من الدقـيق فَـيـؤخَذُ خـالصـه، يريد الحوَّارَى(٧)، وكانت العرب تُسَمِّى الرُّقاقَ السَّبائك، وأصله ما ذكرنا.

والصِّناب: صِباغٌ يُتَّخَـذُ من الخَرْدَلِ والزبيب، ومن ذلك قيل للفرس صِنابِىٌّ إذا كان فى ذلك اللونِ، وكان جَرير اشْـترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل

(١) سورة الأحقاف ٢٠.
(٢) ر ، س: «فيه».
(٣) كذا ضبطت فى الأصل بالضم، والإزرة: هيئة الائتزار.
(٤) الغرلة: القلفة.
(٥) الغرة فى الأصل: البياض فى جبهة الفرس. وسيلانها: استطالتها، وهو هنا استعارة لإشراق الوجه.
(٦) زيادات ر. «هو السموءل».
(٧) الحوارى: لباب البر.

اليمامة، ففرِكَتْ[1] جريرا، وجعلت تحُنّ إلى زيد، فقال جرير:

تُكلِّفُنى مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ ... ومَنْ لى بالمُرَقَّقِ والصِّنَابِ!
وقَالَتْ: لاتَضُمُّ كَضَمِّ زَيْدٍ، ... ومَا ضَمِّى ولَيْسَ مَعِى شَبَابِى!

فقال الفَرَزْدَقُ يُجيبه:

فَإن تَفْرَكْكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ ... ويُعْوِزْكَ المُرَقَّقُ والصِّنَابُ[2]
فَقِدْمًا كَانَ عَيْشُ أبيكَ مُرًّا ... يَعِيشُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ الْكِلاَبُ

وأما قوله: «أكسار بعير»، فإن الكِسْرَ[3] والْجِدْلَ والْوِصْلَ: العَظْمُ يَنْفَصِلُ بما عليه من اللحم.

وأما قوله: «نَعَى على قوم» فمعناه أنه عابهم بها ووبَّخَهُمْ، قال أبو عبيدة: اجتمع العكاظِيُّون[4] على أن فُرْسانَ العرب ثلاثةٌ، ففارسُ تَميم عُتَيْبَة بن الحارث ابن شِهاب أحدُ بنى ثَعْلَبَةَ بن يَرْبوع بن حَنْظَلَةَ، صَيَّادُ الفوارس وسَمُّ الفُرْسان. وفارسُ قيسٍ عامرُ بن الطُّفَيْلِ بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب، وفارسُ ربيعةَ بِسْطامُ ابن قيسٍ بن مسعود بن قيس بن خالد، أحدُ بنى شَيْبَان بن ثعْلَبَةَ بن عُكَابَة بن صَعب بن علىّ بن بَكْر بن وائِل، قال: ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوْا عليهم سَقَطاتِهِمْ.

وأما قوله: «أَهِهنا غُرْتَ»، يقول: ذَهَبْتَ، يقال غارَ الرجلُ إذا أتَى الغَوْرَ وناحيَتَهُ مما انخفض من الأرض، وأَنْجَدَ إذا أتَى نَجْدًا وناحيتَهُ مما ارتفع فى الأرض، ولا يقال «أغار» إنما يقال: غارَ وأنْجَدَ، وبيتُ الأعشى يُنْشَدُ على هذا:

نَبِىٌّ يرَى مَا لا ترونَ وَذِكْرُهُ ... لَعَمْرِى غَارَ فِى الْبِلاَدِ وأَنْجَدَا

---

(1) فركته: أبغضته.
(2) العلجة: مؤنث العلج، وهو الغليظ من كفار العجم.
(3) الكسر والجدل، ضبطتا فى الأصل بفتح أوله وكسره
(4) العكاظى منسوب إلى عكاظ، وهم الذين عادتهم الذهاب كل عام إلى عكاظ، وهو سوق كانت تقيمه العرب بين نخلة والطائف فى شوال من كل عام، يجتمع فيه شعراء العرب يتناشدون الشعر.

وقوله: «فَسكَّن من غَرْبِهَ»، يقول: من حَدِّه، وكـذلك يقال فى كل شىء. فى السَّيْف والسَّهْم والرجل وغير ذلك.

وقوله: «خفين مطارَقَيْنِ» تأويله: مُطْبَقَيْنِ، يقال: طارَقْتُ نَعْلى إذا أطْبَقْتَها، ومن قال: «طَرَقْتُ» أو «أطْرَقْتُ» فقد أخطأ، ويقال لكل ما ضُوعِف: فقد طُورِق، قال ذو الرُّمَّة(١):

طِرَاقُ الْخَوَافِى وَاقِعٌ فـوْقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيْلِه فى رِيشِـه يترَقْـرَقُ(٢)

قولـه: «رِيعة» موضـعُ ارتفاعٍ: قال الله عـزّ وجل: ﴿أَتَبْنُونَ بِـكلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾(٣)، وهوجمع ريعة، وقال الشَّمَّاخُ:

تَـعِـنُّ لَـهُ بِـمَـذْنَـبِ كُـلِّ وَادٍ ... إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْضَلَ كُلَّ رِيعِ(٤)

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

قال أبو العـباس: وحدثنى العبـاس بن الفَرَجِ الرِّياشىُّ عن الأصْمَـعىِّ قال: قال عَدىُّ بن الفُضَيْلِ: خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحفره بئرًا بالعَذْبَة، فقال لى: وأين العَذْبة؟ قلت: على ليلتين من البصرة، فتأسَّف ألا يكونَ بمثل هذا الْموضع ماءٌ. فـأحْفَرَنى، واشترط علىَّ أن أوّلَ شارِبٍ ابنُ السَّـبيلِ، قال فحضَرتُه فى جُمُعة وهو يَخْطُبُ، فسمعتُه وهو يقول:

يأيها الناس، إنكم ميِّتون، ثم إنكم مَبْعوثون، ثم إنكم مُحاسَبون، فَلعَمْرِى لئن كنتم صادقين لـقد قَصَّرتُم، ولئن كنتم كاذبين لقـد هَلَكتُمْ. أيها الناس إنه من يُقَدَّرْ له رِزْقٌ برأس جبل أو بحضيض أرض يأْتِه، فاتقوا الله وأجْمِلُوا فى الطّلب.

قال: فأقَمْتُ عنده شهرًا ما بى إلا استماع كلامه.

قوله: «حضيض(٥)» يعنى الْمُسْتَقَرُّ من الأرض إذا انْحدَرَ عن الجبل، ولا يقال حضيضٌ إلا بحضرَةِ جبلٍ، يقال: حضيضُ الجبلِ، ويُطْرَحُ الجبلُ فيُسْتَغْنَى عنه لأن هذا لا يكون إلا له، ومن ذلك قول امْرئ القيْسِ:

* نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَائِمًا بِالْحَضِيضِ *(٦)

---

(١) زيادات ر: «يصف صقرا».

(٢) الخوافى: ريشات إذا ضم الطائر جناحية خفيت، صد القوادم، وطراقها: ركوب بعضها على بعض.

(٣) الشعراء ١٢٨

(٤) تعن. تظهر. والمذنب: مسيل الماء فى الحضيض.

(٥) ر: «قوله بحضيض».

(٦) الضمير يعود على الفرس فى البيت قبله وصدره:
« قَلمَا أجَنَّ الشمَسَ عَنىَّ غيارَهَا»

[نبذ من أقوال الحكماء]

فقال عليٌّ بن أبي طالب رحمه الله: يابن آدم، لا تَحْمِلْ هَمَّ يومك الذى لم يَأْتِ عَلَى يومك الذى أنتَ فيه، فإنه إنْ يُعْلَمْ أنّه مَنْ أَجَلِكَ يأت فيه رزقك، واعلَم أنك لا تَكْسبُ من المال شيئًا فوق قُوتِكَ إلا كنت خازنًا لغيرك فيه.

ويروى للنابغة(١):

وَلَستُ بِخَابِئٍ أبدًا طَعَامًا ... حِذَارَ غدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَام

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: «من كان آمنا فى سَرْبِه(٢)، مُعافًى فى بَدَنِهَ، عنده قُوتُ يَوْمِهِ، كان كمَنْ حِيزَتْ له الدنيا بحَذَافيرِها».

قوله ﷺ: «فى سَرْبه» يقول: فى مَسْلكه، يقال: فلان واسعُ السَّرْبِ، وخَلِيُّ السَّرْب، يريد المَسَالكَ والمذَاهبَ، وإنما هو مثلٌ مضروب للمصدر والقلب، يقال: خَلِّ سَرْبَه، أى طريقه حتى يَذْهَبَ حيث شاء، ويقال ذلك للإبل لأنها تَنْسَربُ فى الطُّرُقات، ويقال: سَرِّبْ علىَّ الإبلَ، أى أرْسِلْها شيئًا بعد شىء، فإذا قلت: سِرْبٌ، بكسر السين، فإنما هو قَطِيعٌ من ظباء، أو بقر، أو شاء، أو نساء، أو قَطًا، قال امروء القيس:

فَعنَّ لنا سِرْبٌ كَأنَ نِعاجَهُ ... عَذَارَى دَوَارٍ فِى المُلاَءِ المُذَيَّلِ

دُوَارٌ: نسكٌ يَنْسُكونَ عنده فى الجاهلية، ودُوَارٌ ما استدار من الرمل، ودَوَّارٌ سِجْنُ اليمَامة. قال بعض اللُّصوص(٣):

كَانَتْ مَنَازِلنَا الّتِى كُنَّا بهَا ... شَتَّى، فَأَلَّفَ بَيْننَا دَوّارُ

وقال عُمَرُ بن أبى ربيعةَ:

فَلَمْ تَرَ عَيْنِى مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ ... خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِف(٤)

---

(١) زيادات ر «هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه فى كلمة لم يعرفها الأصمعى».

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها، وإنما السرب، بفتح السين: المال الراعى».

(٣) زيادات ر: «واسمه جحدر».

(٤) نسبه أبو الفرج فى الأغانى ٢١: ١٧٥ إلى هدبة بن خشرم، من أبيات أربعة، وبعده:

تضمَّخنَ بالجادى حتى كأنما الـ ... ـأنوف إذا استعرضنَ رَواعفُ

وفيها إقواء.

وكان الحسن يقول: ليس العَـجَبُ ممن عَطِبَ كيفَ عطِبَ، إنما العَجَبُ مِمَّنْ نجا كيف نجا.

وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر: أيها الناس، اقْدَعُوا هذه الأنْفُسَ، إنها أسْأَلُ شيء إذا أُعْطِيَتْ، وأَمْنَعُ شيء إذا سُئِلَتْ، فَـرَحِمَ الله امرأ جَعَلَ لنفسه خطامًا وزمامًا فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وعَطَفَها بزِمامهـا عن معصية الله، إني رأيت الصبْرَ عن مَحَارم الله أيسرَ من الصبر على عذابه.

قوله: «اقدعوا» يقال قَدَعْتُهُ عن كذا، أى منعته عنه، ومنه قول الشمَّاخ:

إِذَا مَـا اسْتَـافَـهُنَّ ضَـرَبْنَ مِنْهُ مكَانَ الرُّمحِ مِـنْ أَنْفِ الْقَـدُوعِ

قوله: «استافَهُنَّ» يعنى حِـمَارًا يَسْتَـافُ أُتُنًا، يقول: يَرْمَـحْنَهُ إذا اشْتَـمَّهُنَّ، السَّوْفُ الشَّمُّ.

وقوله:

* مكان الرمح من أنْفِ القَدُوع *

يريد بالقَـدُوع المقـدوع، وهذا من الأضـداد، يقال طريـق رَكوبٌ إذا كـان يُركب، ورجل رَكُـوبٌ للدوابِّ إذا كـان يركَبُـهَا، ويقـال: ناقـة رَغُوثٌ إذا كـانت ترضع، وحُوَارٌ رَغـوثٌ إذا كان يَرْضَع، ومـثل هذا كثير، يقـال: شاة حَلُوبٌ إذا كانت تُحْلَبُ، ورجل حَلُوبٌ إذا كـان يَحلُب الشاة، والقَدُوعُ هاهنا: البـعير الذى يُقدع، وهو أن يريد الناقـة الكريمةَ ولا يكون كريمًـا، فيُضْرَبُ أَنْفُـهُ بالرُّمْح حتى يرجع: يقال: قَدَعْتُهُ، وقَـدَعْتُ أنفه، ويروى أن رسول الله ﷺ لما خَطَبَ خَديجةَ بنت خُوَيْلد بن أسَد بن عَبْد العزَّى بن قصَى ذُكـر لورَقَةَ بن نوْفلٍ فقال: محمد بن عبد الله يخطب خَديجة بنتَ خُوَيْلد! الفَحْلُ لاَ يُقْدَعُ أنفهُ.

وكان الحجاج يقـول: إنَّ امرأً أتَتْ عليه ساعةٌ من عُمْرِه لم يَذْكُـرْ فيها ربَّه، يستغفرْ من ذنبِه، أو يُفكِّرْ فى مَعادِه، لَجَديرٌ أن تطول حَسْرَتُه يوم القيامة.

باب

[لعمارة بن عقيل يحض بنى كعب وبنى كلاب على بنى نمير]

قال أبو الحسن: أنشدنى عُمارةُ بن عَقيلٍ لنفسه يَحُضُّ بنى كَعْب وبنى كلاب، ابنْى رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بَكْرِ بن هوازنَ على بنى نَمْيرِ بن عامر بن صعصعة، وبينهم مُطالَبَاتٌ وتراتٌ(١). وكانت بنو نُمَيْر أعداء عُمارة، فكان يَحُضُّ عليهم السلطانَ، ويُغْرِى بهم إخْوَتَهُمْ، ويحاربهم فى عَشيرتِه، فقال:

رَأَيْنَاكُمَا يَا بْنَىْ رَبِيعَةَ خُرْتُمَا ... لِعَضِّ الْحُرُوبِ، وَالْعَدِيدُ كَثِيرُ

وَصدَّقْتُمَا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ فِيكُمَا ... وكَذَّبْتُما مَا كَانَ قالَ جَرِيرُ

أَصَابَت نُمَيْرٌ مِنْكُمُ فَوْقَ قَدْرِهَا ... فكُلُّ نُمَيْرِىِّ بِذَاكَ أَمِيرُ

فَإِنْ تَفْخَرُوا بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمكمْ ... فَقَدْ هُدِّمَتْ مَدَائِنٌ وَقُصُورُ

رَمَتْهَا مَجَانِيقُ الْعَدُوِّ فَقُوِّضَتْ ... مَدَائن مِنْهَا كَالْجِبَالِ وسُورُ

وَشَيَّدَهَا الأَمْلاكُ: كِسْرَى وهُرْمُزٌ ... وآلُ هِرَقْلٍ حِقْبَةً، وَنَضِيرُ

فَإِنْ تَعْمُرُوا الْمَجدَ الْقَدِيمَ فَلَمْ يَزَلْ ... لَكُمْ فى مُضِرَّاتِ الحُرُوبِ ضَرِيرُ

خبَطْتُم لُيُوثَ الشَّأْمِ حتَّى تَنَاذَرَتْ ... حِمَاكُمْ وَحَتَّى لا يَهِرَّ عَقُورُ

فكَيفَ بِأَكْنَافِ الشَّرِيفِ تُصِيبُكُمْ ... ثَعَالِبُ يَبْحَثْنَ الحَصَى وأُبُورُ

قال أبو العباس: قوله:

* فقد هُدِّمَتْ مدائن وقصور *

مثلٌ، يريد أنَّ مَجْدَكم الذى بناه آباؤكم متى لم تَعْمُرُوه بأفعالكم خَرِبَ وَذَهَبَ. وهذا كما قال عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب:

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوائِلُنَا ... يَوْمًا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

نَبْنِى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِى، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

---

(١) الترات: جمع ترة، وهى الجناية.

وكما قال الآخر:

أَلْهَى بَنِى جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مكرُمَةٍ ... قَصِيـدَةٌ قَالَهَا عَمْـرُو بْن كلثومِ
يُفَـاخِرُونَ بِهـا مُذْ كـانَ أَوَّلُهمْ ... يَا لَلرِّجَالِ لفـخر غَيْرِ مَـسْئُومِ!
إنّ الْقَـدِيمَ إِذَا مَـا ضَاعَ آخِـرهُ ... كَسَـاعِـدٍ فَلَّـهُ الأيَّامُ مَـحْطُومِ

وكما قال عامر بن الطفيل:

إنى وَإِنْ كُنْتُ ٱبْنَ فَارِسِ عـامرٍ ... وَفِى السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ
فـمَا سَـوَّدَتْنِى عامـرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ ... أَبَى اللهُ أَنْ أَسْـمُـو بأُمٍّ وَلاَ أَبِ
ولَكِنَّنِى أَحْـمِى حِمَـاهَا وَأَتَّقِى ... أذَاهَا، وأَرْمِى مَنْ رَمَاهَـا بِمِقْنَبِ

* * *

[قال أبـو الحسن: أنشَـدَنى هذه الأبياتَ مـحمـد بن الحسن المعـروف بابن الحَرُون ـ ويكنى أبا عـبد الله ـ لعامـر بن الطفيل العـامرىّ. قال أبو الحـسن: قال الأصمعىّ: وكان عامر بن الطفيل يُلَقَّبُ مُحَبَّرًا لِحُسْنِ شِعْرِه، وأوّلها:

تَقُولُ ٱبْنَةُ الْعَمْرِىّ: مَالَكَ بَعْدَمَا ... أرَاكَ صَحِيحًا كالسَّلِيمِ الْمُعَذَّب!
فقُلْتُ لهَا: هَمِّى الَّذِى تَعْلَمِينَهُ ... منَ الثَّأرِ فى حَيَّىْ زُبَيْدٍ وَأَرْحَبِ
إنَ اغْزُ زُبَـيْدًا أَغْـزُ قَوْمًـا أَعِزَّةً ... مُرَكَّـبُهُمْ فى الحَىِّ خَيْـرُ مُرَكَّبِ
وَإِنْ اغزُ حَيَّىْ خَثْـعَمٍ فَدِمَاؤُهُمْ ... شِفَـاءٌ، وخَيْـرُ الثَّأْرِ لِلْمُـتَأَوِّبِ
فَمَـا أَدْرَكَ الأَوْتَارَ مِثْلُ مُـحَقِّقٍ ... بِأَجْرَدَ طَاوٍ كـالْعَسِـيبِ الْمُشَذَّبِ
وَأَسْـمـرَ خَطِّىٍّ وَأَبْـيَضَ بَاتِرٍ ... وَزَغْفٍ دِلاَصٍ كالغَـدِيرِ الْمُثَوَّبِ
سِلاحُ ٱمْرِئٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ ... طَلُوبٌ لِثَـارَاتِ الرِّجَـالِ مُطَلَّبِ

ثم أتى بإنشاد أبى العباس علـى وجهه، إلا أنه رَوَى: «مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِ». السليم: الملدوغ، وقيل له: «سَلِيم» تفاؤلاً له بالسلامة، وزُبَيْدٌ وأَرْحَبُ: حَيَّانِ من اليمن. والثأر: ما يكوْن لك عند من أصاب حَميمك، ومن التِّرَة، ومن قال «ثار» فقد أخطأ.

والمتـأوِّب: الذى يأتـيك لطلب ثأره عندك، يقـال: آبَ يئـوبُ إذا رَجَعَ. والتَّأويبُ فى غير هذا: السير فى النهار بلا تَوَقُّف.

والأوتار والأحْقادُ واحدهما وِتْرٌ وحِقْدٌ. والأجْـرَدَ: الفرس المتَحسِّر الشّعر، والأجرد الضامر أيضًا. والعسيب: السَّـعَفَةُ. والمُشَذَّب: الطويل الذى أُخِذَ ما عليه من العُقَدِ والسُّلاَّءُ(١) والخُوص، ومنه قيل للطويل المُعَرَّق: مُشَذَّب.

وخَطِّىّ: رمح منسوب إلى الخَطّ، وهى جـزيرة بالبَحْرَين، يقـال إنها تُنْبِتُ عصا الرِّماح، وقال الأصمعىّ: ليستْ بها رِماح، ولكن سفينة كانت وقعتْ إليها، فيها رِماحٌ، وأُرْفِئَتْ بها فى بعض السنين المتقدمة، فقيل لتلك الرماح: الخَطِّيَّة، ثم عَمَّ كلَّ رُمْح هذا النَّسَبُ إلى اليـوم. والزَّغْف: الدِّرْع الرقيـقة النسـج، والمثوِّب: الذى تُصَفِّـقُهُ الرياح فـيَذْهَبُ ويجىء، وهو من ثابَ يَثُـوبُ إذا رَجَعَ. وإنما سُمِّىَ الغَدير غَديراً؛ لأن السيل غادَرَه، أى تركه].

* * *

قال أبو العباس: قوله:

* لكم فى مُضِرَّاتِ الحروب ضَرير *

يقال: رجل ضَـرِير إذا كان ذا مشـقة على العَـدُوِّ، وقال مُهَلْهِلُ بن رَبِيـعة التَّغْلَبِىّ:

قَـتِـيلٌ مـا قَتِـيلُ المرءِ عَـمْـرٍو ... وَهَمَّـامُ بْنَ مُـرَّةَ ذُو ضَـرِيرِ(٢)

وقوله: «خبطتُم ليوث الشام» يريد ما كان من نَصْرِ بن شَبَثٍ العُقَيْلِىّ، وهو عُقَيْلُ بن كَعْبِ بن ربيعة.

وقوله: «أُبور» جمع وَبْر(٣)، وإذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز، وقد ذكرنا ذلك قبلُ.

---

(١) السلاء: شوك النخل.

(٢) زيادات ر: «ما»: زائدة، وفيها معنى التعظيم.

(٣) الوبر: دويبة على قدر السنورى.

[لعمارة أيضًا فى الحث على الأخذ بالثأر]

وقال عُمارة أيضًا لهم، أنشَدَنيه:

أَلاَ لله دَرُّ الْـحَىِّ كَـــــعْبٍ	ذَوِى الْعَدَدِ الْمُضَاعَـفِ وَالْخُيولِ
أمَـا فِـيـهِمْ كَـرِيمٌ مِـثْلُ نَصرٍ	يُورِّعُ عَنْـهُمُ سَنَنَ الْفُــحُــولِ
تَنَوَّخَــهُمْ نُمَـيْــرٌ كُلَّ يَوْمٍ	كَـفِـعْلِ أَخِى الْعَــزَازَةِ بِالذَّلِيلِ
وَلَيْـسُوا مِثْلَ عُـشْـرِهِمِ وَلَكِنْ	يَضِـيعُ الْقَوْمُ مِنْ قِـبَلِ الْعُقُـولِ
فَـأَيْنَ فَـوَارِسُ السَّلَمَـاتِ مِنْهُمْ	وَجَعْدَةَ وَالْحَرِيشِ ذَوُو الْفُضُولِ!
وَأَيْنَ عُـبَـادَةُ الخَـشْنَاء عنهم(١)	إِذا مَـا ضَـاقَ مُطَّلَعُ السَّـبِـيلِ!

قوله:

* أَلاَ لله دَرُّ الحَىِّ كعْبٍ *

يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صـعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَر.

وقوله:

* أَمَا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرٍ *

يعنى نصر بن شَبَثٍ، أحد بنى عُقَيْلِ بن كَعْب بن رَبِيعة. وقوله:

* يُورِّعُ عَنْهُمُ سَنَنَ الْفُحُولِ *

هو مَثَلٌ ضَـرَبَهُ، فجعلهم لإمـساكهم عن الحـرب بمنزلة النُّوق التى يَقْرَعُـها الفَـحْل ويُورِّعُ: يكُـفُّ ويَمْنَعُ ويَدفَعُ. والوَرَعُ فى الدين إنمـا هو الكَفُّ عن أخـذ الحرام، وجاء فى الحديث: «لا تَنْظروا إلى صومه، ولا إلى صلاته، ولكن انظروا إلى وَرَعِه إذا أشْفَى»، ومعناه إذا أشـرف على الدينار والدرهم. والسَّنَنُ: القَصْد، ثم أبان ذلك بقوله:

* تَنَوَّخَهُمْ نُمَيْرٌ كُلَّ يوم *

يقـال: سانَ الفـحلُ الناقة فَـتَنَوَّخَـها، وذلك إذا ركـبهـا من غيـر أن توَطأَ له، ولكن يَعْتَـرِضُها اعـتراضًا. وتقـول العرب: إن ذلك أكـرم النِّتَاج؛ وذلك لأن

(١) ر: «منهم».

الولد يخرج صَلِيبًا مُذَكَّـرًا، ويقال لذلك الحَمْلِ الذى يقع من التَّنَوُّخِ والاعتراض: يَعَارَة وعِراضٌ، يقال: حَمَلَتْهُ عِراضًا وحملته يَعارَةَ يا فتى، قال الراعى:

قَـلائِص لاَ يُلْقَـحْنَ إلاَّ يَعَـارَةً ... عِرَاضًا، وَلاَ يُشْـرَيْنَ إلاَّ غَوَالِيَا

وقال الطِّرِمَّاح:

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا(١) ... ةٌ أَمَـارَتْ بِالْبَوْلِ مَـاءَ الكِرَاضِ

نَضَّـجَتْـهُ عِشْـرِينَ يَوْمًـا وَنِيلَتْ ... حِـينَ نِيلَتْ يَعَـارَةً فى عِـراضِ

قـوله: «سَبَنْداة» فـهى الجَـرِيئةُ الصَّـدْرِ، يقـال للجَـرِىءِ الصدر: سـبَنْدى وسبنْتى، وأصل ذلك فى النَّمِرِ، وزعم الأَصْـمَعِى أن الكِراضَ حَلَقُ الرَّحِمِ، قال: ولم أسْمَعْهُ إلا فى هذا الشِّعْرِ.

وقوله: «نَضَّجَتْهُ عشرين يوما»، إنما هو أن تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياما: نحو الذى عَدّ، فلا يخرج الولد إلا مُحْكَمًا، قال الحُطَيْئَةُ:

لأَدْمَاءَ مِنْهَـا كَالسَّفِـينَةِ نَضَّجَتْ ... بِهِ الحَوْلَ حَتَّى زَادَ شَهْرًا(٢) عَدِيدُهَا

والعَزَازَةُ: العِـزُّ، والمَصَادر التى تقع على «فَعَالة» للمـبالغة، يقـال: عَزَّ عِزًّا وعزَازةً، كمـا يقال: الشَّراسةُ والصَّرامَـةُ، قال الله تعالى: ﴿قالَ يَا قَـوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾(٣)، وفى موضع آخر: ﴿لَيْسَ بِى ضَلالَةٌ﴾(٤).

وقوله: «فَأَيْنَ فَـوَارِس السَّلَمات»، يريد بنى سَلَمَةَ الخَيْـرِ، وبنى سَلَمَةَ الشر ابْنَىْ قُشَيْر بن كـعب، وجَمَعَ لأنه يريد الحَىَّ أجْمَعَ، كما تقول المَهَالبـةُ والمَسَامعَةُ، فتـجمعـهم على اسم الأب، على المُهَلَّبِ ومِسْـمَعٍ، وكذلك المَنَاذرةُ، وقـد مرت الحجّة فى هذا.

وجَعْدَةُ بن كَـعْبٍ والحَرِيْش بن كعب وبنو عُبادة، من بنى عُـقَيْلِ بن كَعْبٍ. وقال: «الخَشْناء»، يريد القبيلة، وذكَرها بالخشونة على الأَعْداء.

---

(١) ر . س. «سبنتاة وسبنداة»، وكلاهما جائز.

(٢) ر: «عشرا».

(٣) الأعراف ٦٧.

(٤) الأعراف ٦١.

[سؤال معاوية بن أبي سفيان لدغفل بن حنظلة عن قبائل العرب]

ويروى أن معـاوية بن أبى سُفْـيان رحمـه الله تعالى قال لِدَغْـفَلِ بن حَنْظَلَةَ النسَّابة: ما تقـول فى بنى عامر بن صَعْـصَعَةَ؟ قال: أعناق ظباء، وأعْـجازُ نساء. قال: فـما تقول فى بنى تميم؟ قـال: حَجَرٌ أخْشَـنُ: إن صَادَمْتَهُ آذاكَ، وإن تَرَكْـتَهُ تركك، قال: فما تقول فى اليمن؟ قال: سيِّدٌ وأَنْوَك.

[لعمارة بن عقيل حينما أمره أبو سعد التميمى أن يضع يده فى يد أبى نصر الطائى]

قال أبو العباس: وأنشدنى عُمارةُ لنـفسه ـ وسببُ هذا الشعر الذى نذكره أن رجلا من بنى تميم، يُكْنَى أبا سَـعْد، كان منقطعًا إلى أبى نصر بن حُـمَيْد الطائىِّ، ثم أحد بنى نَبْهـانَ، وكان أبو نصر واليًا على العرب، وكتب أبو سـعد إلى عُمارة يأمره أن يَضَعَ يده فى يد أبى نصر، فقال عُمارة ـ:

دَعَـانِى أَبُو سَعْـدٍ وَأَهْدَى نَصِـيحَـةً ... إِلَيّ، وَمِـمَّا أَنْ تَغُـرَّ النَّصَـائحُ[1]

لاجْـزِرَ لَحْمى كَلْبَ نَبْـهَانَ كـالَّذى ... دَعَـا الْقَـاسطِىَّ حَتْـفُـهُ وَهْوَ نَازِحُ

أَوِ الْبُـرْجُـمِىَّ حِينَ أَهْدَاهُ حَـيْنُهُ ... لِنَارِ عَلَـيْـهَـا مُـوقِـدَانِ وَذَابِحُ

وَرَأْىُ أَبِى سَـعْـدٍ وَإِنَ كَانَ حَـازِمًـا ... بَصِيـرًا وَإِنْ ضَاقَتْ عَلَيْـهِ الْمَسَارِحُ

أَعَـارَ بِهِ مَلْعُـونَ نَـبْـهَـانَ سَـيْـفَـهُ ... عَلَى قَوْمِهِ، وَالْقَـوْلُ عَافٍ وَجَارِحُ

وَنَصرُ الْفَتَى فِى الْحَـرْبِ أَعْدَاءَ قَوْمِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ لِلْمَرْءِ ذِى الطعْمِ فَاضِحُ

قوله: «لأجْـزِرَ لَحمِى كَلْبَ نَبْـهَانَ» أى لأكـون جَزَرَة له، والجَـزَرَةُ: البَدَنَةُ تُنْحَرُ، يقال: أجْزَرْتُ فلانًا، وتركتُ فلانًا جَزَرًا، قال عَنْتَرَةُ الْعَبْسِىُّ:

إنْ تَشْتِـماَ عِـرْضِى فَإِنَّ أَبَاكُـمَا ... جَزَرُ السِّـبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَـشْعَمِ

وقوله:

. . . كالذى دعا القاسطى حَتْفُهُ وهو نازح

(١) زيادات ر: «مما بمعنى ربما».

فهـذا رجل من النَّمرِ بن قاسط، خرج يبـتغى قَرَظًا من بُعْـد، فَنَهَشَتْهُ حَـيَّة فمات، فهو أحد القـارِظَيْنِ، والقارِظُ الأول من عَنَزَةَ،كان خرج معَ ابن عَمٍّ له فى طلب القَرَظِ، فقتلـه ابن عمه، لأنه كان يريد ابنته فمنعـه منها، قال أبو خِراَش[١] الهُذَلِيُّ:

وَحَتَّى يَؤُوبَ الْقَـارِظَانِ كِلاَهُمَا   وَيُنْشَرَ فِى الْقَـتْلَى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ

وقولـه: «كالذى دعـا القاسطى حـتفـه» الهاء فى حـتفـه ترجع على الذى وتقديره كَالسبب الذى دعا القاسطىَّ حَتْفُه.

وقوله: «أو البُـرْجُمِىّ» فهـذا رجل من البَرَاجِمِ، وهم بنو مـالك بن حَنْظَلَةَ كان عمرو بن هِنْد لما قَتَلَ بن دارمٍ بأُوارةَ، وكان سببُ ذلك أن أخاه أسْعَدَ بن المُنْذِرِ - وكان مُسْتَرْضَعًا فـى بـنى دارمٍ، فى حِجْرِ حاجب بن زُاررة بن عُدَسَ بن زيد بن عبد الله بن دارِمٍ - انصرف ذاتَ يوم من صَيْدِه وبه نَبِـيذٌ، فَعَبَثَ كما يَعْبَثُ الملوك، فرماه رجل من بنى دارم بسـهم فقَتله[٢]. ففى ذلك يقول القـائل؛ وهوعمرو بن مِلْقَطٍ الطائِىّ لعمرو بن هند:

فَــاقْــتُــلْ زُرَارَةَ لاَ أَرَى   فى الْـقَــوْمِ أوْفَـى مِنْ زُرَارَه

فَغَزَاهم عمرو بن هند، فقتلهم يوم الْقُصَيْبَةِ[٣] ويوم أُوَارَةَ، ففى ذلك يقول الأَعْشَى:

وَتَكُـونُ فى الـشَّـرَفِ المُوا   زِى مَـنْقَـرًا وبَنِـى زُرارَهْ
أَبْـنَاءَ قَـوْمٍ قُـتِّلُـوا   يَوْمَ الْقُـصَـيْـبَـةِ وَالأُوَارَهْ

ثم أقْسَمَ عـمرو بن هند لَيُحرِّقَنَّ مـنهم مائة، فبذلك سُـمِّىَ محرِّقًا، فـأَخَذَ تسعة وتسعين رجلا فَقَذَفَهُمْ فى النار، ثم أراد أن يُبِرَّ قَسَمَهُ بعجوز منهم لتكْمُلَ بها

---

(١) زيادات ر: «الصحيـح أن الشعر لأبى ذؤيب،وهو بهذه النسـبة فى ديوان الهذليين ١٤٥:١، من قـصيدة مطلعها:

أساءلْتَ رسْم الدار أم لم تسائل   عن السكْن أم عن عهده بالأوائل!

(٢) زيادات ر: «رمى ناقة بسهم فقتلها» والرجل الذى قتله سويد بن ربيعة بن زيد بنَ عبد الله بن دارم».

(٣) يوم القصيبة لعمرو بن هند على بنى تميم، وهو يوم أوارة. (وانظر معجم البلدان ١: ٣٦٤ ، ٧: ١١٤).

العِدَّة فلما أَمَرَ بها قالت العجوز: ألا فتًى يَفْدى هذه العجوز بنفسه(١)! ثم قالت: «هيهات صارت الْفِتْيَانُ حُمَمًا»! ومَرَّ وافدُ البَرَاجِم ـ وهو الذى ذَكَرْنا ـ فاشْتَمّ رائحة اللحم، فَظَنَّ أن الملك يَتخذ طعامًا، فَعَرَّجَ إليه فأُتِىَ به إليه، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أنا وافد البراجم، فقال: «إن الشقِىَّ وافدَ البراجِم»، ثم أمَرَ به فقُذِفَ فى النار، ففى ذلك يقول جَرير يُعَيِّرُ الفَرَزْدَقَ:

أَيْنَ الذَّينَ بِنَارِ عَمْرٍو حُرِّقُوا ... أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فِيكُمُ المُسْتَرْضَعُ!

وقال أيضًا:

وأَخْزَاكُمُ عَمْرٌو كما قَدْ خَزِيتُمُ ... وأَدرك عَمَّارًا شَقِىَّ البَرَاجِمِ

وقال الطِّرِمَّاح:

وَدَارِمٌ قَدْ قَذَفْنَا مِنْهُمُ مِائَةً ... فى جاحِمِ النَّارِ إِذْ يَنْزُونَ بالْخَدَدِ(٢)

يَنْزُونَ بالمُشْتَوَى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا ... عَمرٌو، وَلَوْلا شُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقِدِ(٣)

ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحب الطعام، يعنى لطمع البُرْجمِىِّ فى الأكل. قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق أحد بنى عمرو بن كلاب:

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى تَمِيمٍ ... بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

وقال الآخر(٤):

إِذَا مَا مَات مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ ... فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ

بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِلَحْمٍ ... أَوِ الشَّىْءِ المُلَفَّفِ فى الْبِجَادِ(٥)

تَرَاهُ يُنَقِّبُ البَطْحَاءَ حَوْلاً ... لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ

---

(١) زيادات ر. «على ما ذكر أصحاب الأخبار اسمها الحمراء بنت نضلة».

(٢) الخدد، أصله: «الخد» ففك إدغام للقافيه، وهو كالأخدود، حفرة فى الأرض مستطيلة.

(٣) المشتوى: مكان الاشتواء.

(٤) زيادات ر: «ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبى المهوش الفقعسى، وذكر دعبل أنه لأبى المهموش الأسدى، وذكر ابن السيد البطليوسى أنه ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى».

(٥) أراد وطب اللبن، يلف بكساء مخطط، اسمه البجاد.

وقوله: «لِلمَرْءِ ذى الطَّعْمِ» يعنى الراجع إلى عقل، يقال: ليس فلان بذى طَعْمٍ، وفلان ليس بذى نَزَلٍ، أى ليس بذى عقل ولا معرفة، وإنما يقال: هذا طعام ليس له نَزَلٌ إذا لم يكن ذا رَيْعٍ، ومن قال «نُزْل» فى هذا المعنى فقد أخطأ.

[لأعرابى يهجو قوماً من طيئ]

وقال أعرابىٌّ يَهْجُو قومًا من طَيِّئٍ:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِى جُوَيْنٍ ... جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمُ جَلِيسُ
يَئِسْتُ مِنَ الَّتِى أَقْبَلْتُ أَبْغِى ... لَدَيْهِمْ إِنَّنِى رَجُلٌ يَئُوسُ
إِذَا مَا قُلْتُ: أَيُّهُمُ لأَىٍّ؟ ... تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ والرءوسُ

قوله: «جلوسًا ليس بينهم جليس»، يقول: هٰؤلاء قوم لا يَنْتَجِعُ الناسُ معروفَهم فليس فيهم غيرهم. وهذا من أقبح الهجاء.

ومن أمثال العرب: «سَمْنُهُمْ فى أَدِيمِهِمْ»، ومعناه فى مَأدومهم، وقيل: أديم ومأدوم مثل قَتيلٍ ومَقْتول، وتقول الحكماء: من كثُرَ خيرهُ كثر زائره.

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرة لبنيه: يا بَنِىَّ، إذا غَدَا عليكم الرجل وراحَ مسلِّمًا، فكَفى بذلك تقاضيا.

وقال آخر:

أَروحُ لِتَسْلِيمٍ عَلَيْك وَاَغْتَدِى ... وحَسْبُكَ بِالتَسْلِيمِ مِنى تَقَاضِيَا
كَفى بِطِلاَبِ المَرءِ مَا لاَ يَنَالُهُ ... عَنَاءً، وباليَأْسِ المُصَرَّحِ ناهِيا!

* * *

[(١ قال أبو الحسن: وربما قال أبو العباس: «مُصَرِّحٌ» بكسر الراء ١)]

* * *

ومن أحسن المدح قول زُهَيْرٍ:

قَدْ جَعَلَ الطَّالِبُونَ الْخَيْرَ فى هَرِمٍ ... وَالسَّائِلُونَ إِلىَ أَبْوَابِهِ طُرُقَا

(١ ـ ١) ر: «وربما قال أبو العباس: «مصرح» بكسر الراء، قال أبو الحسن والكسر أجود».

وقال رُؤْبَةُ[1]:

* إنَّ النَّدَى حَيْثُ ترى الضِّغاطا[2] *

وقال آخر:

يَـزْدَحِـمُ الـناس عَـلَـى بَـابِـهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَـثِيرُ الزِّحَامِ

وقال أَشْجَعُ فى محمد بن منصور:

عَلَـى بَابِ ابْـنِ مَنْـصُـــور عَـــلاَمَـــاتٌ مِـنَ الْبَـــذْلِ

جَـــمَـــاعـــاتٌ وَحَـسْبُ الْبَـــا بِ نُبْـــلاً كَـــثْـــرَةُ الأَهْلِ

وقوله:

* تَشَابَهَتِ المَناكِبُ وَالرءوس *

إنما ضربه مَثَلاً للأخْلاق والأفعال، : أى ليس فيهم مُفَضَّلٌ.

ويقال: إن الأَضْـبَطَ بن قُرَيْعِ بنِ عَـوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْـدِ بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَميم، آذَتْهُ عشـيرتهُ من بنى سَعْد، فـخرج عنهم، فَجَعَلَ لا يُجـاوِر .قومًا إلا آذَوْهُ فقال: «أيْنَمَا أَذْهَبْ أَلْقَ سَعْدًا»، أَى أَفِرُّ من الأذَى إلى مثله.

---

(١) زيادات ر: «لبس لرؤبة، وهو لابن أبى نخيلة»،وقال المرصفى: الصواب لأبى نخيلة ـ وهو اسمه لا كنيته- ابن عدنان بن زائدة، إحدى بنى سعد بن زيد مناة بنى تميم. شاعر راجز، من مخضرمى الدولتين.

(٢) الضغاط: التزاحم.

باب

[أقوال في المجالس والجلساء]

قال أبو العباس : قال أبو إدريس الخَوْلانِيُّ(١): المَسَاجِدُ مَجَالِسُ الْكِرَامِ.

وقيل للأحْنَف بن قَيْسٍ أحد بنى مُرَّةَ بنى عُبَيْد بن الحارث بن كَعْبِ بن سَعْد، أىُّ المجالس أطْيَبُ؟ فقال: ما سافر فيه البصر، واتَّدَعَ فيه البَدَنُ.

اتَّدَعَ: افتعل من التَّوْدِيعِ، والأصل «اوْتَدَعَ»، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون: ايتَزَنَ ياتَزِنُ، وهو رجل مُوتَزِنٌ(٢)، والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء فى باب «افْتَعَلَ» تاءً وتُدْغِمهَا فى التاء من «افْتَعَلَ»، فتقول: اتَّدَعَ يَتَّدِعُ، وهو مُتَّدِعٌ، ومُتَّزِنٌ(٣) ومُتَّعِدٌ من الوَعْد، ومُتَّئِسٍ من اليأس، تكون الياء كالواو؛ لأنها إن أُظْهِرَتْ انقلبتْ على حركة ما قبلها فصارت كالواو، وتكونان واوين عند الضمة، نحوُ مُوعِد ومُوتَعِد، ومُوئِسٍ ومُوتَئِسٍ، وياءين للكسرة، والواو قد تُقْلَبُ إلى التاءَ ولا تاء بعدها، نحو تُرَاثٍ من ورث، وتجَاه من الوَجْه، وتُكأة. وإنما ذلك كَراهيَة الضمة فى الواو، وأقربَ حروف الزوائد والبَدَلِ منها التاء فَقُلِبَتْ إليها، وقد تُقْلَبُ للبدل فى غير ضم، نحو: هذا أتْقى من هذا، وضربته حتى أتْكأْتُه(٤)، فلما كانت بعدها تاء افْتَعَلَ كان الوجهُ القلب ليقع الإدغامُ، وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء فى الكتاب «المُقْتَضَب».

وقيل للمُهلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ: ما خَيْرُ المجالس؟ فقال: ما بَعُدَ فيه مَدَى الطرْفِ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس.

ويروى عن لُقْمان الحكيم أنه قال لابنه: يابُنَىَّ، إذَا أتيتَ مجلس قوم فارْمِهِمْ بسَهْمِ الإسلام ثم اجلس، فإن أفاضوا فى ذكر الله، فَأَجِلْ سَهْمَكَ مع سِهامهم، وإن أفاضوا فى غيره فَخَلِّهِمْ وانْهَضْ.

---

(١) هو عائذ الله بن عبد بن عمرو أبو إدريس الخولانى، قاص أهل الشام وعالمهم وقاضيهم روى عن أبى هريرة وأبى ذر وغيرهم. مات سنة ٨٠ هـ. (تهذيب التهذيب ٥:٨٥).

(٢) ر ، س: «ايتزر، ياتزر، وهو رجل موتزر».

(٣) ر ، س: «متزر».

(٤) اتكأته: وجدته على هيئة المتكئ.

قوله: «فارمهم بسهم الإسلام» يعنى السَّلام. وقوله: «فأَجِلْ سهمك مع سهامهم»، يعنى أدْخِلْ معهم فى أمرهم، فَضَرَبَهُ مَثَلاً، من دخول الرجل فى قِدَاحِ المَيْسِرِ.

وقال وهْبُ بن عبد مَنَاف بن زُهْرَةَ جَدّ رسول الله ﷺ لأُمِّه:

وَإذَا أَتَيْتَ جَمَاعَةً فى مَجْلِسٍ فَاخْتَرْ مَجَالِسَهُمْ وَلَمَّا تَقْعُدِ
وَدَعِ الْغُوَاةَ الجَاهِلِينَ وَجَهْلَهُمْ وَإلَى الَّذِينَ يذكُرونك فَاعْمِد

وقال ابن عباس رحمه اللهُ: لِجَلِيسى علىَّ ثلاثٌ: أن أَرْمِيَهُ بطَرْفِى إذا أقبل، وأُوَسِّعَ له إذا جلس، وأُصْغِىَ إليه إذا حَدَّثَ.

وكان القَعقَاعُ بن شَوْرٍ[1]، أحد بنى عمرو بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلَبَة بن عُكابَة بن صَعْب بن على بن بكرِ بن وائلٍ إذا جالسه جَلِيسٌ فَعَرَّفَه بالقَصْد إليه جَعَلَ له نصيبًا فى ماله، وأعانَهُ على عَدُوِّه، وَشَفَعَ له فى حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا له حتى شُهِرَ بذلك. وفيه يقول القائل:

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعقَاعِ بن شَوْرٍ وَلاَ يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ
ضَحُوكُ السِّنِّ إنْ أَمَرُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ السُّوءِ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

وحدثَنى التَّوَّزِىُّ أن رجلا جالَسَ قوما من بنى مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرةَ بن كَعْب بن لؤَىٍّ بن غالب بن فِهرِ بن مالِكِ بن النَّضْرِ بن كِنانَةَ، فأساءوا عِشْرَتَه، وَسَعَوْا به إلى معاوية، فقال:

شَقِيتُ بِكُمْ وكُنْتُ لَكُمْ جَلِيسًا فَلَسْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنَ شَوْرِ
وَمِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ غَزَا بَدْرًا بِمِجْمَرَةٍ وَتَوْرِ[2]

نَسَبَه إلى التَّوْضيع[3]، كقول عُتْبَةَ بن رَبيعة بن عَبْد شمس بن عبد مَناف لحكيم بنِ حزام لما بلغه قَول أبى جَهْل بنِ هشام: انْتَفَخَ واللهِ سَحْرُهُ[4] وَنَحْرُهُ، سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِهِ مَنِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ اليومَ!

---

(١) ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤. ٤٥٤ قال: «من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية»، وفى القاموس إنه من التابعين.

(٢) المجمرة: إحدى المجامر التى يوضع فيها الطيب ليتبخر به. والتور: إناء يبل فيه نحوالعود والمسك.

(٣) التوضع: التخنيث.

(٤) يراد بالسحر هنا الرئة.

[يزيد بن معاوية والأنصار]

وقال رجل من بنى مَخْـزوم للأحوص بن محمد بن عـبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأَفْلَح الأنصارىّ ليُؤْذيَه: أتَعْرُف الذى يقول.

ذَهَبَتْ قُـرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّـهَـا   وَاللؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأنْصَارِ(١)

فقال الأَحْوَصُ: [لا أدْرى(٢)]، ولكنِّى أعْرِفُ الذى يقول:

الـنَّـاسُ كَـنَّـوْهُ أَبَـا حَـكَـمٍ   وَاللهُ كَـنَّاهُ أَبَـا جَـهْـلِ

أَبْقَـتْ رِيَاسَـتُـهُ لأُسْـرَتِهِ   لُؤْمَ الْـفُـرُوعِ وَدِقَّـةَ الأصْلِ

وهذا الشعر لحسان بن ثابت، والبيت الذى أنشده المخزومىّ للأخْطَل. وكان يَزِيُد بن معاوية عَـتَبَ على قـوم من الأنصار، فـأمَرَ كَـعْبَ بن جـعَيْلٍ التَّـغْلَبىَّ بهجائهم، فقال له كَعْبٌ: أأَهْجُـو الأنصار! أرادِّى أنت إلى الكُفْرِ بعـده الإسلام! ولكنى أدُلُّكَ على غلام من الحَىِّ نَصْرَانِّى: كأنّ لسانَهُ لسانُ ثوْرٍ - يعنى الأخْطَل.

قال: فلما قال هذا البيت دخلَ النُّعْمَانُ بن بَشِير بن سَعْد الأنصارى(٣) على معاوية فَحَسَرَ(٤) عمامته عن رأسه، ثم قال: يا معاوية، أتَرى لُؤْمًا! فقال: ما أرَى إلا كَرَمًا. فقال النعمان:

مُـعَـاوِىَ إلا تُـعْطِـنَا الْحَـقَّ تَـعْـتَرِفْ

لِحَـى الأَزْدِ مَـسْـدُولا عَـلَيْهَا الْعَـمَـائِمُ

---

(١) قاله:

لعنَ الإله من اليـهـود عـصـابةً   بالجـزع بين صـلـيـصل وصـرار
قـوم إذا هدر العـصـير رأيتـهـمْ   حـمـرا عـيـونهم مـن المسطار
خلّوا المكـارم لسـتمْ من أهلـهـا   وخـذوا مسـاحيكم بنى النجـار

- صليل وصرار: موضعان. والمسطار: الخمرة المتخذة من أبكار العنب. المساحى: جمع مسحاة، وهى مجرفة من حديد.

(٢) تكمله من ر ، س.

(٣) من كبار الخزرج.

(٤) روى أن النعمـان قال: يا أميرالمؤمنيـن، أترى لؤما؟ قال: لا، بل أرى كرمـا وخيرا، فمـاذا؟ قال. زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار، قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم، قال: لك لسانه.

أَيَشْتِمُنَا عَبْدُ الأرَاقِمِ ضَلَّةً

فَمَاذَا الَّذِى تُجْدِى عَلَيْكَ الأَرَاقِمُ!(١)

فَمَالِىَ ثَأْرٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ فَدُونَكَ مَنْ تُرْضِيهِ عَنْهُ الدَّرَاهِمُ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وكان الأحنف بن قيس يقول: لا تزال العرب عَربًا ما لَبِسَت العَمَائمَ، وتَقَلَّدَتِ السيوف، ولم تَعْدُدِ الْحِلم ذُلاً، ولا التَّوَاهُب فيما بينها ضَعَةً.

وقالوا فى تأويل قوله: «مَا لَبِست الْعَمَائم»، يقول: ما حافظت على زِيِّهَا. وقوله: «وتقلدت السيوف» يريد الامتناع من الضَّيْمِ. وقوله: «ولم تعدد الحلم ذلا»، يقول: ما عَرَفَتْ موضع الحلم، وتأويل ذلك: أن الرجل إذا أَغْضَى للسلطان، أو أغضى عن الجواب وهو مأسورٌ لم يُقَلْ: حَلُمَ، وإنما يقال حَلُمَ إذا تَرَكَ أن يقول الشيء لصاحبه مُنْتَصِرًا، ولا يخاف عاقبة يَكْرَهُهَا، فهذا الحلم المَحْضُ، فإذا لم يفعل ذلك ورأى أن تَرْكَهُ الحِلْمَ ذُلٌّ فهو خطأ وسَفَهٌ وقوله: «ولم تر التواهب بينها ضَعَةً» نحوٌ من هذا، وهو أن يَهَبَ الرجلُ من حقه مالا يُسْتَكْرَهُ عليه.

وكان يقال: أَحْيُوا المعروف بإماتته، وتأويل ذلك أن الرجل إذا اعتد بمعروفه كَدَّرَهُ، وقيل: المِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعة.

وكان يقال: كتمان المعروف من الْمُنْعَمِ عليه كفرٌ، وذكره من الْمنعمِ تكدير له.

وقال قَيْسُ بن عاصم: يا بنى تميم، اصْحَبُوا مَنْ يذكر إحسانكم إليه، ويَنسَى أيَادِيَهُ إليكم.

---

(١) الأراقم: هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية أبناء تعلب، وهم قوم الأخطل.

باب

[لبعض الشعراء يمدح أسَيْلِمَ بن الأحنف]

قال أبو العباس: قال عبد المَلكِ [بن مَرْوان(١)] لأسَيْلِمَ بن الأحْنف الأسَدىِّ: ما أَحسنُ ما مُدِحْتَ به؟ فاستعفاه، فأبى أَن يُعْفِيَهُ وهو معه على سريره، فلما أبى إلا أن يُخْبِرَهُ، قال قولُ القائل:

أَلا أَيُّهَا الرَّكْبُ المُخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ
بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّام تُحْبَوْا وتَرْجِعُوا(٢)

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إذَا اعْتَزَوْا
وهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا(٣)

إذَا النَّفَرُ السُّودُ الْيَمانُونَ نَمْنَمُوا
لَهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا

جَلا الْمِسْكُ وَالحَمَّامُ وَالبِيضُ كَالدُّمَى
وَفَرْقُ المَدَارَى رَأْسَهُ فَهْوَ أَنْزَعُ(٤)

فقال له عبد الملك: ما قال أخو الأَوْسِ أحسنُ مما قيل لك - [قال أبو الحسن: هو أَبو قَيْسِ بن الأَسْلَت]:

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِى فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ(٥)

[لكثير في المدح]

وحُدِّثْتُ أَن كُثَيِّرًا كان يقول: لَوَدِدْتُ أنى كنتُ سبقتُ الأَسْوَدَ - أو العبدَ الأَسودَ - إلى هذين البيتين - يعني نُصَيْبًا في قوله:

---

(١) من س.

(٢) المخبون: الذين تخب بهم دوابهم، من الخبب وهو سرعة العدو.

(٣) من القعقعة، وهى الصوت، والمراد أنهم لا يتهيبون لقاء الناس.

(٤) المدارى. جمع المدرى، وهو المشط. وأنزع، من النزوع، وهو انحسار الشعر من أعلى الجبين.

(٥) حصت: أذهبت شعره. والبيضة، هنا: لباس الرأس فى الحرب. والتهجاع: النوم الخفيف.

مِنَ النَّفرِ الْبِيضِ الَّذينَ إِذَا انْتَجَوْا

أقَـرَّتْ لِنَـجْـوَاهُـمْ لؤَىُّ بْنُ غالب

يُحَيَّوْن بَسَّامِينَ طَوْرًا، وَتَارَةً

يُحَيَّـوْنَ عَبَّاسِينَ شُـوس الحَواجِـبِ[1]

* * *

والمختار من الشِّعر الأولِ قوله:

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذينَ إذا اعْتَزَوْا

وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا

يخبر بجـلالتهم ومعرفتـهم بأقدارهم، وثقتهم بأن مـثلهم لا يُرَدُّ. وقد قال جَرير للتَّيْم خلاف هذا، وهو قوله:

قَوْمٌ إِذَا احْتَـضَرَ المُلوكُ وُفُودَهُمْ نُتِـفَتْ شَـوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

[نقد لشعر نصيب]

وحُدِّثْتُ أن جريرًا كان يقول: وَدِدْتُ أن هذا البـيت من شعر هذا العبد كان لى بكذا وكذا بيتًا من شعرى ـ يعنى قول نُصَيْب:

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَن يرحل الرَّكْب

وَقُلْ إِنْ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَكِ الْقَلْبُ

وأما قول نُصَيْب:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَـا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ أُوَكِّلْ بَدعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بعدى

فلم تَجِد الرّواةُ ولا مَنْ يفهم جَواهر الكلام له مَذْهَبًـا، وقد ذكر عبد الملك لجُلَسَائه ذلك فكلٌّ عابَهُ، فقال عبد الملك: فلو كَان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال رجل منهم: كنت أقول:

أهِيمُ بِدَعْدٍ مَـا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ فَوَا حَـزَنَا مَنْ ذَايَهِيمُ بِهَـا بَعْدِى!

(١) من الشوس، وهو النظر بمؤخر العين.

فقال عبد الملك: مَا قلتَ والله أسْوأُ مما قاله، فقيل له: فكيف كنتَ قائلا في ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال كنتُ أقول:

أهِيمُ بدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإنْ أمُتْ   فَلا صَلَحَتْ دعْدٌ لِذِى خُلَّة بَعْدِى

فقالوا: أنت والله أشْعَرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين.

[الفرزدق ونصيب وما قالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك]

وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفَرَزْدَقِ في مَوْقفه عند سليمان بن عبد الملك، وذلك أنهما حضَرا، فقال سليمانُ للفرزدق: أنْشِدْنى - وإنما أراد أن يُنْشِدَهُ مَدْحا له - فأنشده:

وركْب كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ   لَهَا ترةً مِنْ جَذْبِهَا بالْعَصَائِب(١)

سَرَوْا يَخْبِطُونَ الرِّيحَ وهِىَ تَلُفُّهُمْ   إلَى شُعَبِ الأكْوَارِ ذَاتِ الحَقَائِب(٢)

إذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولونَ لَيْتَهَا   - وقَدْ خصِرَتْ أَيْدِيهِمْ - نارُ غالب(٣)

فأعرض عنه سليمان كالمُغْضَب، فقال نصيب: يا أمير المؤمنين، آلا أُنْشِدُكَ في رَوِيِّها ما لعله لا يَتَّضِعُ عنها! فقال: هاتِ، فأنشده:

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرين لقِيتُهمْ   قَفَا ذَات أوْشَالٍ ومَوْلاكَ قَاربُ(٤)

قِفُوا خَبِّرُونى عَنْ سُلَيْمانَ إنَّنِى   لِمعْرُوفه مِنْ أهْلِ وَدَّانَ طَالبُ(٥)

فعاجُوا فَأثْنَوا بِالَّذِى أَنْتَ أهْلُهُ   ولوْ سكَتُوا أثْنَتْ عَلَيْك الْحَقَائبُ

وهذا في باب المدح حسن ومتجاوزٌ ومُبْتَدَعٌ ولم يُسْبَقْ إليه. على أن الشاعر - وهو أخو هَمْدَانَ - قد قال في عَصْره في غير المدح:

يَمُرُّونَ بالدَّهْنا خِفَافا عِيَابُهمْ   ويَخْرُجْنَ مِنْ دَارِينَ بُجْرَ الحقائب

عَلَى حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ   فَنَدْلا زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِب

---

(١) الترة: الثأر.

(٢) الأكوار: الرحال، مفردها كور

(٣) خصرت: بردت.

(٤) قفاذات أو شال: خلف بقعة ذات مياه. مولاك: يريد نفسه، قارب: طالب للماء.

(٥) ودان. قرية قريبة من الجحفة.

وليس شعْـرُ نُصَيْبٍ هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قـول الفرزدق فى الفخر، وإنما يُفَاضَلُ بين الشيئين إذا تناسبا.

وقد قال سليمـان للفرزدق حين أنَشَده نصيب: كيـف تراه؟ قال: هو أشعر أهل جِلْدته، فقام الفرزدق وهو يقول:

وخَـيْرِ الشِّـعْرِ أَشْـرَفُهُ رِجـالاً   وشَـرُّ الشِّعْـرِ ما قـالَ الْعَـبِيـدُ

* * *

ثم نرجع إلى تفسير الشعر.

قوله: * يَمُرُّونَ بالدَّهْنَا خِفَافًا عِيَابُهُمْ *

يعنى قـومًا تِجَـارًا، وقد قالوا إنما ذَكَـرَ لُصُوصًـا، والأول أَثْبَتُ؛ وذلك أن دارين سُوقٌ من أسواق العرب.

وقوله: «بُجْرِ الْحَقَائب» يقول: عظام، ويقال للرجل إذا انْدَلَقَتْ سُرَّتُه فتَنَأَتْ متقدمة: رجل أَبْجَرُ، ويقال لها: البُجْرَةُ والبَجَرَةُ. وفُعْلَةٌ وفَعَلَةٌ تقعان فى الشىء، يقال: قُلْفَةٌ وقَلَفَةٌ، وصُلْعَة وصَلَعَةٌ، ومثل هذا كثير.

وقـوله: «على حـينَ ألهى الناس» إن شـئتَ خـفضتَ «حـين» وإن شـئت نصبت، أما الخفض فـلأنه مخفوض، وهو اسم منصرف، وأما الفـتح فلإضافتك إياه إلى شىء غير مُعْربٍ؛ فبنيته على الفتح، لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك، ولو كان الذى أضفته إليـه معربا لم يكن إلا مخفوضًا، وما كان سوى ذلك فهو لحن، تقول: «جئتك على حينِ زيد»، و«جِئْتُكَ فى حينِ إمْرَةِ عبدِ الملكِ»، وكذا قولُ النابغة:

عَلَى حِينِ عَاتبْت المَشِيبَ على الصبَا   وقُلْتُ: أَلَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِع!

إن شئت فتحت، وإن شـئت خفضت، لأنه مضاف إلى فعل غـير متمكن. وكذلك قولهم: «يَوْمـئذ»، تقول: عجبت من يومِ عبـد ٱللهِ، لا يكون غيره، فإذا أضفـتَـهُ إلى «إذ»، فـإن شئـت فتـحت على مـا ذكرت لك فى «حـين»، وإن شئت خفضتَ، لِمَا كـان يستحقه اليومُ من التَّمكّن قبـل الإضافة. تقرأ إن شئت:

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئذٍ﴾(١)، وإن شئت: ﴿مِنْ عذابِ يَوْمَئذٍ﴾ على ما وصفتُ لك، ومن خفض بالإضافة قال: سير بزيد يَوْمَئذٍ، فأعربته في موضع الرفع، كما فعلت به في الخفض، ومن قال: ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمَئذٍ﴾ فبناه قال: سِيرَ بزيد يَومَئذٍ، يكون على حالة واحدة لأنه مبنيّ، كما تقول: دُفِعَ إلى زيد خمسة عَشَرَ دِرْهَمًا، وكما قال عز وجل: ﴿عليها تسْعَةَ عشَرَ﴾(٢).

وأما قوله:

* فَنَدْلاً زُرَيْقُ المَالَ نَدْلَ الثعالب *

فَزُرَيْقٌ قَبيلة. وقوله «نَدْلاً» مصدر، يقول: انْدُلِي نَدْلاً يا زُرَيْق المالَ، والنَّدْلُ: أن تَجْذِبَهُ جَذْبًا، يقال: نَدَلَ الرجلُ الدَّلْوَ نَدْلاً إذا كان يَجْذِبُها مملوءة من البئر، فنصَب «نَدْلاً» بفعل مضمر وهو «انْدُلِي». وهذا في الأمر، تقول: ضَرْبًا زيدًا، وشَتْمًا عبدَ الله، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فكان الفعلُ فيه أقوى، فلذلك أضمرته، ودلّ المصدر على الفعل المضمر، ولو كان خبرًا لم يجز فيه الإضمارُ؛ لأن الخبر يكون بالفعل وغيره، والأمر لا يكون إلا بالفعل، قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا لقيتم الَّذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾(٣). فكان في موضع «اضْرِبوا»، حتى كأن القائل قال: فاضربوا، ألا تَرَى أنه ذكر بعده الفعل مَحْضًا في قوله: ﴿حتى إذا أَثْخَنْتُموهُم فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾، ولو نَوَّنَ مُنَوِّنٌ في غير القرآن لَنَصَبَ «الرقاب»، وكذلك كل موضع هو بالفعل أَوْلَى.

وقوله: «ندل الثعالب» يريد سرعةَ الثعالب، يقال في المَثَلِ: «أَكْسَبُ من ثَعْلَبٍ».

وأما قول نُصَيْبٍ:

* ولَوْ سكتوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ *

---

(١) المعارج ١١ .

(٢) المدثر ٣٠.

(٣) محمد ٤ .

فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رِفْدِهِ، فقد أَثْنَتْ عليه الحقائب من قبل أن يقولوا، وأما قول الأعْشَى:

وإنَّ عِتَاقَ العيسِ سَوْفَ تزُورُكُمْ ... ثَنَاء عَلى أعَجْازِهِنَّ مُعَلَّقُ(١)

فإنما أراد المدح الذى يُحْدَيْنَ به، والحادى من ورائها، كما أن الهادى أمامها.

وأما قول أبى وَجْزَةَ السعدىّ:

رَاحَتْ بِستِّينَ وَسْقًا فى حَقِيبَتِها ... ما حَمَلَتْ حَمْلَها الأدْنَى ولا السَّدَدَا

فإنما أراد ما يوجب ستين وَسْقًا، لا أن الناقة حَمَلَتْ ستين وَسْقًا.

[حديث أبى وجزة وأبى زيد الأسلمى]

وكان من حديث ذلك أن أبا وَجْزَةَ السُّلَمِىَّ، المعروف بالسَّعْدىّ لنزوله فيهم، ومحالفته إياهم، كان شَخَصَ إلى المدينة يريد آل الزُّبَيْرِ، وشَخَصَ أبو زيد الأسلمىُّ يريد إبراهيمَ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزُومٍ ـ وهو والى المدينة ـ فاصْطَحَبا، فقال أبو وجزة: هَلُمَّ فلْنَشْتَرِكْ فيما نُصيبه، فقال أبو زيد الأسلمىُّ: كَلاَّ، أنا أمْدَحُ الملوك، وأنت تمدح السُّوَق(٢)، فلما دخلا المدينة صار أبو زيد إلى إبراهيم بن هشام فأنشده:

* يَا بْنَ هِشَامٍ يَا أَخَا الْكِرَامِ *

فقال إبراهيم: وإنما أنا أخوهم، وكأنِّى لَسْتُ منهم! ثم أمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بالسياط.

وامْتَدَح أبو وَجْزَةَ آل الزُّبَيْرِ، فكتبوا إليه بستين وَسْقًا من تمر، وقالوا: هى لك عندنا فى كل سنة، فانْصَرَفا، فقال أبو زيد:

مَدَحْتُ عُرُوقًا لِلنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى ... حَدِيثًا فَلَمْ تَهْمُمْ بِأَنْ تَتَزَعْزَعَا

نَقَائِذَ بُؤْسٍ ذَاقَتِ الْفَقْرَ وَالْغِنَى ... وحَلَّبَتِ الأيَّامَ وَالْدَّهْرَ أَضْرُعا

---

(١) عتاق العيس: نجائب الإبل البيض فى شقرة يسيرة.

(٢) السوق: جمع السوقة، وهى من الناس من لم يكن ذا سلطان

سَقاها ذَوُو الأرْحَامِ سَجْلاً عَلَى الظَّما وَقَدْ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أن تَقَطَّعا
بفَضْلِ سِجالٍ لَوْ سَقَوْا مَنْ مَشَى بِهَا عَلَى الأرْضِ أَرْوَاهُمْ جميعًا وَأَشْبَعا
فَضَمَّتْ بِأَيْدِيهَا عَلَى فَضْلِ مَائِهَا مِنَ الرِّيِّ لَمَّا أوْشَكَتْ أَنْ تَضَلَّعا
وَزَهَّدَهَا أنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ فى الغِنَى مُقَاسَاتُهَا مِنْ قَبْلِهِ الفَقْرَ جُوَّعَا

وقال أبو وجزة:

رَاحَتْ رَوَاحًا قَلوصِى وَهْى حَامِدَةٌ آلَ الزُّبَيْرِ ولَمْ تَعْدِلْ بِهِمْ أَحَدَا
رَاحَت بِسِتِّينَ وَسْقًا فى حَقِيبَتِهَا مَا حَمَلَتْ حِمْلَهَا الأدْنَى وَلاَ السَّدَدَا
مَا إنْ رَأَيْتُ قَلُوصًا قَبْلَهَا حَمَلَتْ سِتِّينَ وَسْقًا ولاَ جَابَتْ بِهِ بَلَدَا
ذَاكَ الْقِرَى، لاَ قِرَى قَوْمٍ رَأَيْتُهُمُ يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ المَلْوِيَّةَ الْجُدُدَا

أما قول أبى زيد لإبراهيم:

مدحتُ عروقًا للندى مضت الثرى حديثًا...

فإنما عَنَى أن إبراهيم وأخاه محمدًا إنما تَطَعَّما بالعيش، ودخلا فى النِّعمة، وخرجا من حدّ السُّوق إلى حدّ الملوك حديثًا، وذلك بهشام بن عبد الملك؛ لأنهما كانَا خالَيْه، وإنّما وَلاَّهما عن خُمُول.

وقوله: «فلم تهمم بأن تتزعزعا»، فإنما هذا مَثَلٌ: يقال: فلان يَهْتَزُّ للنَّدَى، ويرتاح لفعل الخير، كما قال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة:

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ للنَّدَى إذَا لَمْ تَجِدْ عند امْرِئ السَّوْءِ مَطْمَعَا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تَحَرُّكَ سُرُور لفعل الخير.

[لأبى رباط فى ابنه]

قال أبو العباس: وأنشدنى التَّوَّزِىُّ لأبى رِباطٍ، يقول لابنه:

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّى شَبَابِى لَيْسَ فى بِرِّهِ عَتْبُ(١)

---

(١) اى بر خالص لا عب فيه ولا لوم.

إِذَا كَـانَ أَوْلادُ الرِّجَـالِ مَـرَارَةً فَأَنْتَ الْحَلالُ الحُلْوُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
لَنَا جَـانِبٌ مِنْهُ أَنِيقٌ وَجَـانِبٌ شَدِيدٌ عَلَى الأَعْدَاءِ مَـرْكَبُهُ صَعْبُ
وَتَأْخُـذُهُ عِنْدَ المَكَارِمِ هِـزَّةٌ
كَـمَا اهْـتَزَّ تَحْتَ الْبَـارِحِ الْغُصْنُ الرَّطْبُ(١)

[أعرابى عند عمر بن هبيرة]

قال: وحدثنى علىّ بن عبد الله قال: حدثنى العُتْبىُّ قال: أَشْرَفَ عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِىُّ من قصره يومًا فإذا هو بأعرابىّ يُرَقِّصُ جَمَلَهُ الآلُ(٢)، فقال لحاجبه: إن أرادنى هذا فَأَوْصِلْهُ إلىَّ، فلما دنا الأعرابىُّ سأله فقال: قصدتُ الأمير. فأَدْخَلَهُ إليه، فلما مَثَلَ بين يديه قال له عمر: ما خَطْبُكَ؟ فقال الأعرابىُّ:

أَصْلَحَكَ اللهُ، قَلَّ مَـا بِيَـدِى فَـمَـا أُطِيقُ الْعِـيَـالَ إِذْ كَـثُـرُوا
أَلَـحَّ دَهْـرٌ أَنْحَـى بِـكَـلْكَـلِـهِ فَـأَرْسَلُـونِى إِلَيْـكَ وَانْتَـظَرُوا
رَجَـوْكَ لِلدَّهْرِ أَنْ تَكُـونَ لَهُمْ غَـيْثَ سَحَـابٍ إِنْ خَـانَهُمْ مَطَر

قال: فأخذتْ عمرَ الأرْيَحِيّة، فَجَعَلَ يهتزُّ فى مجلسه، ثم قال: أرسلوك إلَىَّ وانتظروا؟ إذًا والله لا تجلسُ حتى ترجعَ إليهم غانمًا، فَأَمَرَ له بألف دينار وردَّهُ على بعيره.

قال أبو العباس: وحدثنى أبو إسحاق القاضى إسماعيل بن إسحاق أن الخبر لِمَعْنِ بن زائدة، وصحَّ ذلك عندى.

* * *

وقوله: «نقائذ بؤس(٣)» واحدتها نَقِيذَة. وتأويله أنهم أُنْقِذُوا من بُؤْسٍ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد، تقول: هذا نَقِيـذةُ بُؤْسٍ، تقع الهاء للمبالغة؛ لأن أصله كالمصدر، كقولك: زيد مكْرُمَةٌ لأهله، وزيد كريمة قومه، أى يَحُلُّ مَحَلَّ العقدة الكريمة، والخَصْلة الكريمة.

(١) البارح: الريح.
(٢) الآل: ما تراه فى الضحى بين السماء والأرض.
(٣) من كلمة أبى زيد الأسلمى ص ١٨٨.

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ أَكْرَمَ جرير بن عبد الله البَجَلِيَّ لما وَرَدَ عليه، فبسط له رِداءه، وعَممَّهُ بيده، وقال له: «إذا أتاكم كَرِيمةُ قومٍ فأكْرِموهُ». هكذا روى فُصَحاءُ أصحاب الحديث.

وقد قال ﷺ قبل ورُوده عليه: «يَطْلُعُ عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذى يَمَنٍ، عليه مَسْحَةُ مَلِكٍ».

[لصخر بن عمرو الشريد]

وقال صَخْرُ بن عمرو بن الشَّرِيد، يعنى معاويةَ أخاه، وكان قتله هاشم ودُرَيْدٌ ابْنا حَرْمَلَةَ المُرِّيَّانِ من غطفان، فقيل لصخر: اهْجُهُمْ، فقال: ما بينى وبينهم أقْذَعُ من الهِجاء، ولو لم أُمْسِكْ عن هجائهم إلا صَوْنًا لنفسى عن الخَنَا لفعلت ثم قال:

وعَاذلةٍ هبّتْ بِلَيْلٍ تَلومُني ... ألاَ لاَ تَلُومِينِى كَفَى الَّلوْمَ مَا بِيَا
تَقُولُ: ألاَ تَهْجُو فَوَارِسَ هاشِمٍ ... وَمَالِيَ إذْ أَهْجُوهُمُ ثُمَّ مَالِيَا!
أبَى الشَّتْمِ أنِّى قَدْ أصَابُوا كَرِيمَتِى ... وأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ الخَنَا مِنْ شِمَالِيا(١)

وتقول العرب للرجل: راوية ونَسَّابَةٌ؛ فتزيد الهاء للمبَالغة، وكذلك عَلاَمَة؛ وقد تلزمُ الهاءُ فى الاِسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد، نحو رَبْعَة ويَفَعَة وصَرورة(٢). وهذا كثير لا تُنْزَعُ الهاءُ منه، فأما راوية وعلامة ونسَّابة فحذفُ الهاءَ جائزٌ فيه، ولا يَبْلُغُ فى المبالغة ما تَبْلُغُهُ الهاء.

* * *

(١) زيادات ر بعد هذا البيت:

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرةً ... وحييتُ رِسمًا عند لِيّة ثاويا
إذا ما امرؤ أهدى لميت تحيةً ... فحياك ربُّ العرش عنى مُعاويا!
وهوّن وجدى أننى لم أقلْ له ... كذبت، ولم أبخل عليه بماليا

قال الأخفش: وأنشدنى الأحول:

* ومالىَ أن أهجوهمُ ثم ماليا *

(٢) رجل ربعة. بين الطول والقصر. ويفعة: شارف الاحتلام، والصرورة: الرجل الذى لم يحج ولم يتزوج، وأصله من الحبس.

وقوله(١):

* وَحَلَّبَتِ الأَيَّامَ وَالدَّهْرَ أَضْرُعَا *

فإنه مَثَلٌ، يقال للرجل المجرَّبِ للأمور: فلان قد حَلَبَ الدَّهْرَ أشْطرَه، أى قد قاسى الشِّدَّةَ والرَّخَاء، وتَصَرَّفَ فى الفقر والغِنى، كما قال القائل:

قَدْ عِشْتُ فى النَّاسِ أطْوَارا عَلَى طُرُقٍ ... شَتَّى، وَقَاسَيْتُ فِيها اللِّينَ والْفَظعَا
كلاًّ بَلَوْت، فَلاَ النَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِى ... وَلا تَخَشَّعْتُ مِنْ لأَوائِهَا جزَعا
لا يَمْلأُ الْهَوْلُ صَدْرِى قَبْلَ مَوْقِعِه ... وَلاَ أَضِيقُ به ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا

ومعنى قوله: «أَشْطُرَه» فإنما يريد خُلوفَهُ، يقال: حَلَبْتُهَا شَطْرًا بعد شَطرٍ: وأصل هذا من التَّنَصُّفِ، لأن كل خِلْفٍ عَدِيلٌ لصاحبه. وللشَّطرَ وجهان فى كلام العرب، فأحدهما النصف كما ذكرنا، من ذلك قولهم: شاطَرْتُكَ مالى، والوجه الآخر القَصْدُ، يقال: خُذْ شَطْرَ زَيد، أى قصدَه، قال الله عز وجل: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾، أى قَصده، ﴿وَحَيْثُما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(٢).

قال أبو العباس، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبيدة قولَ الشاعر:

إنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا ... فَشَطْرَهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُور

يريد ناحيتها وقصدَها، والعَسِير: التى تَعْسِرُ بِذَنَبِها إذا حَمَلَتْ، أى تشيلُهُ وترفعه، ومنه سمى الذَّنَبُ عَوْسَرًا، أى تضرب بذنبها. ومعنى ذلك أنه ظهر من جَهْدِهَا وسُوءِ حالِها ما أطيلَ معه النظر إليها حتى تَحْسَرَ العينانِ. والحَسِير: المُعيِى، وفى القرآن: ﴿يَنْقَلِب إليكَ البَصَرُ خاسئًا وهو حَسِيرٌ﴾(٣).

وقوله:

* سقَاهَا ذَوُو الأَرْحَامِ سَجْلا عَلَى الظَّمَا *

---

(١) انظر ص ١٨٨.
(٢) سورة البقرة ١٤٤.
(٣) سورة الملك ٤.

فالسَّجْلُ فى الأصل الدَّلْوُ، وإنما ضربه مَثَلاً لما فاضَ عليها من ندَى أقاربها، يقال للدلو ـ وهى مؤنثة: سَجْلٌ وذَنُوبٌ، وهما مُذَكَّران، والغَرْبُ مذكر، وهو الدلو العظيمة، ويقال: فلان يُسَاجِلُ فلانا، أى يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخْرِجُ الآخر، وأصل المُساجلة أن يَستَقِيَ سَاقيان، فيُخْرِجُ كلٌّ واحد منهما فى سَجْله مثل ما يُخْرِج الآخَرُ، فأيُّهما نَكَلَ فقد غُلب، فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمسامَاة. وبَيَّنَ ذلك الفَضْلُ بن العباس بن عُتْبَةَ بن أبى لَهَبٍ فى قوله:

مَنْ يُسَاجِلْنِى يُسَاجِلْ ماجِدًا يَمْلأُ الدَّلْوَ إلَى عَقْدِ الْكَرَبْ

ويقال: إن الفَرَزْدق مَرَّ بالفَضْل وهو يَسْتَقى، ويُنْشِدُ هذا الشعر، فَسَرَا الفرزدَقُ ثيابه عنده، ثم قال: أنا أُساجِلُكَ ـ ثقَةً منه بنَسبه ـ فقيل له: هذا الفَضْلُ ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب. فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال: ما يُساجلك إلا مَنْ عَضَّ بأيْر أبيه !

يقال: سَرَا ثوبَهُ ونَضَا ثوبه فى معنى واحد، إذا نزعه، ويقال: سَرَى عليه الهَمُّ إذا أتى ليلا، وأنشد:

* سَرَى هَمِّى وَهَمُّ المَرْءِ يَسْرِى(١) *

وسَرَى هَمُّهُ إذا ذهب عنه. والمواضخَةُ مثل المُساجلة، قال العَجَّاجْ:

* تُوَاضِخُ التَّقْرِيبَ قِلْوا مِخْلَجًا *

أى تُخْرِجُ من العَدْو مثل ما يُخْرِجُ، قال الله عز وجل على مَخْرَجِ كلام العرب وأمثالهم: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾(٢). وأصل الذَّنوب الدلْوُ كما ذكرت لكَ.

وقال عَلْقمةُ بن عَبَدَة للحارث بن أبى شِمْر الغَسَّانىِّ:ـ [قال أبو الحسن: غير أبى العباس يقول شِمْرٌ، وبعضهم يقول شَمِرٌ] ـ وكان أخوه أسيرا عنده، وهو

---

(١) بقية البيت كما فى زيادات ر:

* وغار النجم إلاّ قيدَ؟ *

وفيها: «البيت لعروة بن أذينة الليثى شيخ مالك بن أنس».

(٢) سورة الذاريات ٥٩.

شَأْسُ بن عَـبَدَةَ أَسَـرَهُ فى وقعة عـين أُباغ. ـ [قال أبو الحـسن: غيـره يقول إباغ، بالكسر] ـ فى الوقعة التى كانت بينه وبين المُنْذرِ بن ماء السّماءِ، فى كلمةٍ له مَدَحَه فيها:

وَفى كلِّ حَىٍّ قدْ خَبَطْتَ بِنعْمةٍ فَـحُقَّ لَشَـأْسٍ مِنْ نداكَ ذَنُوبُ

فقال المَلِكُ: نعم وأَذْنِبَةٌ.

وقوله:

* وقد كَرَبَتْ أعنَاقُها أن تَقَطَّعا *

يقول: سُقِيَتْ هذا السَّجْلَ وقد دَنَتْ أعناقُها من أَن تَقَطَّعَ عطشًا، وكَرَبَ فى معنى المُقاربةِ، يقال: كاد يفـعلُ ذلك، وجَعَل يفعل ذلك، وكَرَبَ يفعلُ ذلك، أى دنا من ذلك. ويقال: جاء زَيد والخَيْلُ كارِبَتُـهُ، أى قد دَنَتْ منه وقَرُبَتْ، فأما أَخَذَ يفعلْ، وجَعَلَ يفـعلُ، فمعناهما أنه قـد صار يفعل، ولا تقع بعد واحـدة منهما: «أن» إلا آن يُضْطَرَّ شاعرٌ، قال اللهُ عز وجل: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراهَا﴾(١) أى لم يَـقْـرُبْ من رؤيتـهـا، وإيضـاحـه: لم يَرَها ولم يكدْ، وكـذلك: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِه يذْهَبُ بالأَبْصَارِ﴾(٢)، وكذلك: ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾(٣) بغير «أَنْ». ومن آمثال العرب: كادَ النَّعامُ يطير، وكاد العَرُوس يكون أميرًا، وكاد المُنْتعِلُ يكون راكِبًا، وقد اُضْطرَّ الشـاعرُ فأَدْخَلَ «أن» بعد «كاد»، كمـا أدخلها هذا بعد «كَرَبَ» فـقـال:

* وَقَدْ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا *

وقال رُؤْبَة:

* قَدْ كادَ مِنْ طُولِ الْبِلَى أَنْ يَمْصَحَا(٤) *

---

(١) سورة النور ٤٠.
(٢) سورة النور ٤٣.
(٣) سورة التوبة ١١٧
(٤) بمصح يدرس

فكاد بمنزلة كَرَبَ فى الإِعْمَال والمعنى، قال الشاعر:

أَغِـثْنِى غِيَـاثًا يَا سُلَيْمـانُ إِنَّنِى ... سَبَقْتُ إِلَيْكَ المَوْتَ، وَالمَوْتُ كَارِبِى
خَـشِيَّـةَ جَوْرٍ مِنْ أَمِـيرٍ مُـسَلَّطٍ ... وَرَهْطِى، وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الأَقَارِبِ!

وقوله: «لمَّا أَوْشكتْ أَنْ تَضَلَّعَـا»: يقول: لما قاربَتْ ذلك، والوَشِـيكُ القريب من الشيء والسـريع إليه، يقـال: يُوشِكُ فلانٌ أن يفـعل كذا وكـذا، والماضى منه أَوْشَكَ، ووقعتْ بأن وهو أجـود، وبغير «أنْ» كـما كان ذلـك فى «لَعَلَّ»، تقول: لَعَلَّ زيدًا يقوم، فهذه الجَـيّدةُ، قال الله عزّ وجل: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُون قريبًا﴾(١)، و﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(٢)، و﴿لَعلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْـدَ ذلكَ أَمْرًا﴾(٣). وقال مُتَمِّمُ ابن نُوَيْرَةَ:

لَعَلَّـكَ يَوْمًـا أَنْ تُلِمَّ مُـلِمَّـةٌ ... عَلَيْكَ مِنَ اللائى يَدَعْنَكَ أَجْدَعَا

وعَسَى، الأجودُ فيـها أن تستَعمَلَ بأنْ، كقولك: عـسى زيد أن يقوم، كما قال الله عزّ وجل: ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يأْتِىَ بالفتْحِ﴾(٤)؛ وقال جَلَّ ثناؤه ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(٥)، ويجوز طَرْحُ «أَنْ» وليس بالوجه الجيد، وقال هُدْبَةُ:

عَسَى الكَرْبُ الَّذِى أَمْسَيْت فِيهِ ... يَكُـونُ وَرَاءَهُ فَـرَجٌ قَـرِيبُ

وقال آخر(٦):

عَسى اللهُ يُغْنِى عَنْ بِلادِ ابن قَادرٍ ... بِمُنْهَـمِرٍ جَـوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبِ

وحروف المقَارِبَة لها باب قد ذكرناها فيه على مـقاييسها فى الكتاب المُقْتَضَب بغاية الاستقصاء.

---

(١) سورة الأحزاب ٦٣.
(٢) سورة طه ٤٤.
(٣) سورة الطلاق ١.
(٤) سورة المائدة ٥٢.
(٥) سورة التوبة ١٠٢.
(٦) هو سماعة بن أشول النعامى.

وقوله: «أن تَضَـلَّعَا»، معناه أن تمتلـئ، وأصله آن الطعام والشراب يَـبْلُغان الأضلاعَ فيكُظَّانِها(١) كذلك قال الأصمعىّ فى قولهم: أَكَلَ حتى تَضلَّعَ.

وأما قول أبى وَجْزَة: «راحتْ بستِّين وَسْقَـا» فالوَسْقُ خمسة أَقفزة بمُلْجَم(٢) الْبَصْرة، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «ليس فيما دونَ خَـمْسة أَوْسُق صدَقَة»، فما كان أقل من خـمسـة وعشـرين قفيـزا بالقَفِـيزِ الذى وصـفنا، وهو نصف القفـيز البَـغْدَادىِّ فى أرض الصـدقة فلاَ صـدقة فـيه، وإنما أراد: أنه أَخَـذَ الكتابَ بِـهذه الأوْسُقِ، فلذلك قال:

مَا إِنْ رَأَيْتُ قُلوصًا قَبْلَهَا حَملَتْ سِتِّينَ وَسْـقًا ولاَ جَابَتْ به بَلَدَا

وأما قوله:

* يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلْوِيَّةَ الجُدُدا *

فإنما أراد السياط، وجمع جَديد جُدُدٌ، وكذلك باب «فَعيلٍ» الذى هو اسم، أو مضارع للاسم، نحـو قَضيبٍ وقُضُبٍ، ورَغيف ورُغُف، وكـذلك سَرِيرٌ وسُرُرٌ وجَديدٌ وجُدُدٌ، لأنه يَجْرى مَجْرى الأسماء، وجَرِيرٌ وجُرُرٌ. فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أن تُبْدَلَ من ضمته فتحة لأن التضعيف مُسْتَثْقَلٌ، والفتحة أَخَفُّ من الضمة، فيجـوز لمن يُمالُ إليها اْستخفافًا، فيـقال: جُدَدٌ وسُرَرٌ، ولا يجوز هذا فى مثل قَضيب لأنه ليس بمضاعَف، وقد قرأ بعضُ القُرَّاء: ﴿عَلَى سُرَر مَوْضُونَة﴾(٣)، ويقال للسـوط الأَصْبَحِىُّ، يُنْسَبُ إلى ذى أَصْـبَح الْحِمْيَرِىِّ، وكَـان أوّلَ مَنْ اتخذ هذه السِّياطَ التى يُعاقِبُ بها السلطانُ، ويقال له: العِرْفَاصُ والقطيعُ. وقال الشَّمَّاخ:

* تَكَادُ تَطِيرُ مَنْ رَأَىِ الْقَطِيعِ *

وقال الصَّلَتَانُ العَبْدِىُّ:

أَرَى أُمَّـةً شَـهَـرَتْ سَيْـفَـهَـا وَقَدْ زِيدَ فى سَوْطِهَـا الأصْبَحِىُّ

(١) من الكظة.
(٢) مكيال لأهل البصرة.
(٣) سورة الواقعة ١٥.

وقال الراعي:

أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ... بِالأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولا

وقال الراجز:

* حَتَّى تَرَدَّى طَرَفُ الْعِرْفَاصِ *

وقوله: «ولاَ جابتْ به بَلَدَا»، يقول: ولا قَطَعَتْ به، يقال: جُبْتُ البلاد، وقال الله عزّ وجل: ﴿وثَمُودَ الّذينَ جَابُوا الصَّخرَ بالْوَادِ﴾(١). ويقال: رجل جَوَّابٌ جَوَّالٌ. وأَنْشَدَنِى عليُّ بن عبد الله، قال: أنشدنى القَحْذَمِىُّ:

مَا مَنْ أَتَتْ مِنْ دُونِ مَوْلِدِهِ ... خَمْسُونَ بِالمَعْذُورِ بِالْجَهْلِ

فَإِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ عَنْ رَجُلٍ ... تَرَكَ الصِّبَا ومَشى علَى رِسْلَ

وأَمَرَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ رجلا من بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ بقتل مُرَّةَ بن مَحْكان السَّعْدِىِّ، فقال مُرَّةُ فى ذلك:

بَنِى أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِى تُحَارِبُوا ... تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلَّتِ

ولَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَيَّ حَبِيبَةً ... بِبَاكٍ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتِ

قوله: «إذا الحرب العوان»، فهى التى تكون بعد حَرْب قد كانت قبلها، وكذلك أصل العوان فى المرأة إنما هى التى قد تزوجت، ثم عاودتْ فخرجتْ عن حدِّ البِكْرِ، وقول الله عز وجل فى كتابه العزيز: ﴿لاَ فارِضٌ ولاَ بِكْرٌ﴾(٢) هو تمام الكلام، ثم استأنف فقال: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذلكَ﴾. والفارض: هاهنا المسنَّة، والبِكْرُ: الصغيرة، ويقال: لهَاةٌ فارضٌ أى واسعة، وفَرْضُ القَوْسِ موضع مَعْقدِ الْوَتَرِ، وكل حَزٍّ فَرْضٌ، والْفُرْضة مُتَطَرَّقٌ إلى النَّهْرِ: قال الراجز:

* لَهَا زِجاجٌ وَلَهَاةٌ فارِضُ *

وقوله: «اشْمَعَلَّتْ»، إنما هو ثارَتْ فأسرعتْ، قال الشَّماخْ:

---

(١) سورة الفجر ٩.

(٢) سورة البقرة ٦٨.

رُبَّ ابْنِ عَمٍ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلّ أَرْوَعَ فى السَّفَرِ وَفى الحَىِّ غَزِلْ
طَبَّاخِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِلْ

وقوله:

ولسْت وإن كانتْ إلىّ حبيبة ببَاكٍ على الدنيا ....

إنما هو تقديم وتأخير، أراد: ولست بباك على الدنيا وإن كَانت إلىَّ حبيبةً، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يُضْمرَ قبل الْذِّكْرِ، ومثله:

إنْ تَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلاته هَرِمًا تَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

وكذلك قول حَسَّان بن ثابت:

قدْ ثَكلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ وَاحِدَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَسِبًا فى بُرْثُنِ الأسَدِ

يقول: من كنتُ واحده قد ثَكلَتْ أمُّهُ، وكذلك قوله:

شَرَّ يَوْمَيْهَا وَأَخْزَاهُ لَهَا رَكِبَتْ هِنْدٌ بِحَدْجٍ جَمَلاً

يقول: ركبت هند بِحِدْجٍ جَمَلاً فى شَرِّ يَوْمَيْهَا.

* * *

وقال رجل من مُزَيْنَةَ:

خَلِيلَىَّ بِالْبَوْبَاةِ عُوجَا فَلاَ أَرَى بِهَا مَنْزِلاً إلاَ جَدِيبَ المقيّدِ
نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ بَعْدَ مَا لَعِبَتْ بِنَا تِهَامَةُ فى حَمَّامِهَا المتَوَقِّدِ

قوله: «بالبوباة»، فهى المُتَّسَعُ من الأرض: وبعضهم يقول: هى المَوْمَاةُ بعينها، قلبت الميم باء لأنهما من الشَّفَة، ومثلُ ذلك كثير، يقولون: ما اسْمُكَ وبَا اسْمكَ؟ ويقولون: ضَرْبَةُ لازمٍ ولازِبٍ، ويقولون: هذا ظَأْمى وظَأْبِى: يَعْنون السِّلْفَ - [قال أبوالحسن: الجِيِّدُ سِلْفٌ، وما قال ليس بممتنع] - ويقولون: زُكْبَةُ سَوْءٍ وزُكْمَةُ سَوْءٍ: أى وَلَدُ سَوْءٍ، ويقولون: عَجْمُ الذَّنَبِ وعَجْبُ الذَّنَبِ، ويقولون: رجل أخْرَمُ وأخْرَبُ، وهذا كثير. وقال عُمَرُ بن أبى ربيعة:

عُوجا نُحَيِّي الطَّلَلَ المُحْوِلاَ والرَّبْعَ مِنْ أَسْمَاءَ والمَنْزِلا
بجَانبِ الْبَوْبَاةِ لمْ يَعْدُهُ تَقَادُمُ الْعَهْدِ بِأَنْ يُؤْهَلا

وقوله: «إلا جَديبَ المقيَّد»، يقال: بلد جَدْبٌ وجَديبٌ، وخَصْبٌ وخَصيبٌ، والأصل فى النعت خَصيبٌ ومُخصِبٌ، وجَديبٌ ومُجْدِبٌ، والخصْبُ والجَدْبُ إنما هما ما حلّ فيه، وقيل: خَصيبٌ وأنت تريد مُخْصِبٌ، وجَديبٌ وأنت تريد مُجْدِبٌ، كقولك: عذاب أليمٌ وأنت تريد مُؤْلِمٌ، قال ذوالرُّمة.

وَنَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلاَت يَصُكُ وَجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمُ

ويقال: رجل سَميع، أى مُسْمِعٌ، قال عَمْرُو بن مَعدى كرب:

أمِنْ رَيْحَانَةَ الدّاعِى السَّمِيعُ يُؤرقنِى وأَصْحَابِى هُجُوعُ

وأما قوله: «المُقَيَّدُ» فهو موضع التقييد، وكل مَصْدَر زيدت الميمُ فى أوله إذَا جاوَزَت الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المَفْعول، وكذلك إذا أردتَ اسم الزمان واسم المكان، تقول: أَدْخَلْتُ زيداً مُدْخَلاً كريمًا. وسَرَّحْتُهُ مُسَرَّحًا حَسَنًا، واستخرجتُ الشىء مَسْتَخْرَجًا، قال جَرير:

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَرَّحِىَ الْقَوَافِى فَلاَ عِيًّا بِهِنَ وَلاَ اْجْتِلاَبَا

أى تَسْريحى، وقال عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبارَكًا﴾(١)، ويقال: قمتُ مَقامًا، وأقَمْتُ مُقامًا، وقال عز وجل: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقرًّا ومُقاما﴾(٢) أى موضع إقامة، وقال الشاعر(٣):

وَمَا هِىَ إِلاَ فى إزَارٍ وَعِلْقَةٍ مُغَارَ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَيِّ خَثْعَمَا

يريد زمنَ إغارةِ ابْنِ هَمَّام.

---

(١) سورة المؤمنون ٢٩.
(٢) سورة الفرقان ٦٦.
(٣) فى زيادات ر قبل هذا البيت:

تطول القصار والطوال يَطلّنَها فمن يرها لا ينسها ما تكلّما

وفيها نسبة البيتين إلى حميد بن ثور، وقد حقق العلامة المرصفى نسبتهما إلى العلماح بن عامر (وانظر رغبة الآمل).

وأما قوله: «نَذُقْ بَرْدَ نَجْدِ»، فذاك لأن نَجْدًا مرتـفعةٌ وتِهامةُ غَوْرٌ منخفض، فنَجْدٌ باردة.

ويروى عن الأَصْمعِىّ أنه قال: هَجَمَ علىَّ شهرُ رمضان وأنا بمكة. فخرجتُ إلى الطائف لأَصُـومَ بها هَرَبًا من حَـرّ مكة فلقـينى أعرابىّ فـقلت له: أين تريد؟ فقـال: أريد هذا البلدَ المبارك لأصوم هذا الشـهر المبارك فـيه. فقلت: أمـا تخاف الحرّ؟ فقال: من الحرِّ أفِرّ.

وهذا الكلام نظير كلام الرَّبِيع بن خُثَـيْم، فإن رجلا قال له ـ وقد صلّى ليلةً حتى أصبح ـ أتْعَبْتَ نفسك، فقال: راحتَها أطلبُ: إنَّ أَفْرَهَ العَبيد أكْيَسُهُمْ.

ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلّبِ ـ ونظر إليه رجل واقفًا بباب المنصور فى الشمس ـ فـقال: قد طال وُقوفك فى الشمس! فقال رَوْحٌ: لِيَطول وقوفى فى الظل.

ومثله من الشعر قوله: [قال أبو الحسن: هو عُرْوَةُ بن الْوَرْدِ]:

تَقُولُ سُلَيْـمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا ... وَلَم تَـدْر أَنّـى لِلْمُـقَـامِ أُطَـوِّفُ
لعَلَّ الّذِى خَـوَّفْـتِـنَا مِنْ وَرَائِنَا ... سَـيُدْرِكُـهُ مِنْ بَعْـدِنَا المُتَـخَلِّفُ

ويروى: «لَسَرَّنا».

وقال آخر:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّار مِنكمْ لتَقْربُوا ... وَتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الْدُّمُوعَ لتَجْمُدَا

وهذا معنى كثير حسن جميل.

وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ الطائِىُّ:

أَآلِفَـةَ الـنَّحِـيبِ كَمِ افْـتِـرَاقٍ ... أَجَـدَّ فكَانَ دَاعِـيَـةَ اجْـتِـمـاعِ
وَلَيْـسَتْ فَـــرْحَـةُ الأَوْبَاتِ إِلا ... لِموَقُـــــوفٍ عَلَى تَـرَحِ الْوَدَاعِ

وقال رجل ـ واْعتَلَّ فى غُرْبَةٍ فتَذكرَ أهله:

لَوْ أنّ سَلْمَى أَبْصَـرَتْ تَخَـدُّدِى ... وَدِقَّـةً فى عَظْـمِ سَـاقِى وَيَدِى
وَبُعْـدَ أَهْلِـى وَجَـفَـاءَ عُـوَّدِى ... عَضَّتْ مِنَ الْوَجْـدِ بِأطْرَافِ اليَدِ

قوله: «أبصرت تخدُّدى»، يريد ما حَدَث فى جسمه من النُّحول، وأصل الخَدّ ما شَقَقْتَهُ فى الأرض، قال الشَّمَّاخُ:

فَقُلْتُ لَهُمْ خُدُّوا لَهُ بِرِمَاحِكُمْ بطَامِسَةَ الأعْلامِ خَفَّاقَةِ الآلِ

ويقال للشيخ: قد تَخَدَّدَ، يراد قد تَشَنَّجَ جِلْدُهُ، وقال الله عزَّ وجل: ﴿قتل أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾[١]، وقيل فى التفسير: هؤلاء قوم خَدُّوا أخاديدَ فى الأرض، وأشعلوا فيها نِيرانًا فَحرَقوا بها المؤمنين.

وقوله:

* عَضَّتْ من الْوَجْد بأطراف اليد *

فإن الحَزين، والمغَيظ، والنادمَ، والمُتَأسِّفَ يَعَضُّ أطراف أصابعه جَزَعًا، قال الله عز وجل: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾[٢].

وفى مثل ما ذكرنا من تَخَدُّدِ لحم الشيخ، يقول القائل[٣]:

يَا مَنْ لِشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ أَفْنَى ثَلاثَ عَمَائِمٍ أَلْوَانَا[٤]
سَوْدَاءَ حَالِكَةً وَسَحْق مُفَوَّف وَأَجَدَّ لَوْنًا بَعْدَ ذَاكَ هجَانَا
صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلاف فُنُونِه فَأَرَاهُ مِنْهُ كَرَاهَةً وَهَوَانَا
قَصَرَ اللَّيَالِى خَطْوَهُ فَتَدَانَى وَحَنَوْنَ قَائِمَ صُلْبِه فَتَحَانَى
وَالْمَوْتُ يَأْتِى بَعْدَ ذلِكَ كُلِّه وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَاكَ سِوَانَا

قوله:

* أفنى ثلاثَ عمائم ألوانا *

(١) سورة البروج ٤.
(٢) سورة آل عمران ١١٩.
(٣) قوله فى زيادات ر:
ذهبَ الشبابُ فلا شبابَ جُمانا وكأن ما قد كان لم يك كانا
وطويت كفّى يا جمانُ على العصا وكفى جمانَ بطيها حدثانا
(٤) زيادات ر: «الوانا: صفة لثلاث على المعنى، كأن قال: مختلفات».

يعنى أن شعـره كان أسود ،ثم حَـدَثَ فيه شـيب مع السواد، فـذلك قوله: مُفَـوف، والتَّفْويفُ: التنقـيش، وإنما أخذ من الفـوف، وهى النكتة البيـضاء التى تَحْدُثُ فى أظفـار الأحْداث، وسـميت بذلك لشَبَـهها بشجرة يقـال لها الفُـوفَةُ وجمعها فوفٌ، والسَّـحْقُ: الخَلَقُ، يقال عنده: سَحْقُ ثوبٍ، وجَرْدُ ثَوْبٍ، وسَمْل ثـوبٍ.

وقوله: أَجَدَّ أى استَجَدَّ لَونا، والهجـان الأبيضُ، وهى العمامة الثالثة يعنى حيث شَمِلَهُ الشيب.

باب

[من أمثال العرب]

قال أبو العباس: من أمثال العرب: لم يَذهَبْ من مالك ما وعَظك.

يقول: إذا ذهب من مالك شيء: فَحذّرَكَ أن يَحُلَّ بك مِثْلُه، فتأديبهُ إياكَ عوَضٌ من ذَهابه.

ومن أمثالهم: رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً. وتأويله أن الرجل يَعْمَلُ العمل فلا يُحْكِمُهُ للاستعجال به، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف، والرَّيْثُ الإبْطاءُ، وراثَ عليه أمْرُهُ إذا تأخر.

ومن أمثال العرب: عَشِّ ولا تَغْتَرَّ. وأصل ذلك أن يَمُرَّ صاحبُ الإبل بالأرض المكلئَة فيقول: أدَعُ أنْ أُعَشِّيَ إبلي منها حتى أرِدَ على أخرى، ولا يَدْرِى ما الذى يَرِدُ عليه.

وقريب منه قولهم: « أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيَسُ». وتأويله أن يَمُرَّ الرجل بالماء فلا يَحْمِل منه اتّكالا على ماء آخر يصير إليه، فيقال له: أن تَحْمِلَ معكَ ماءً أحْزَمُ لك، فإن أصبتَ ماء آخر لم يضرك، فإن لم تَحْمِلْ فَخفقتَ من الماء عَطِبْتَ.

ومن أمثالهم: «قد أحْزُمُ لو أعْزِمُ»، يقول: أعْرِفُ وجه الحَزْمِ فإن عزَمْت فأمضيتُ الرأى فأنا حازمٌ، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينفعنى حَزْمى، ومثله قول النابغة الجَعْدى:

أَبَى لِيَ الْبَلاءُ وَأنى امْرُؤٌ ... إذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أرْتَبِ

وقال أعرابى يمدح سَوّارَ بن عبد الله:

وَأوْقَفُ عِنْدَ الأمرِ مَا لمْ يَضِحْ لَهُ ... وَأمْضَى إذَا مَا شَكَ مَنْ كانَ مَاضِيَا

فالذى يُحْمَد إمْضاءُ ما تبين رُشْدُهُ، فأما الإقدام على الغَرَرِ ورُكوب الأمر على الخَطَرِ فليس بمحمود عند ذوى الألباب، وقد يتَحَسَّنُ بمثله الفتّاك، كما قال(١):

عَلَيْكمْ بِدَارِى فَاهْدمُوهَا فَإنَّهَا ... تُرَاثُ كَرِيمٍ لاَ يَخَافُ الْعَوَاقِبَا

---

(١) زيادات ر: «هو سعد بن ناشب المازنى، عن الرياشى وغيره».

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ   وأعرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِى رأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ   وَلَم يَرْضَ إلاَّ قَائِم السَّيْفَ صَاحِبَا

فهذا شأن الفتَّاك، وقال الآخر:

غُلاَمٌ إذا مَا هَمَّ بالفَتْكِ لَمْ يُبَلْ(١)   أَلاَ مَتْ قَلِيلاً أَمْ كَثِيرًا عَوَاذِلُهْ

وقال آخر:

وَمَا الْعَجْزُ إلاَ أَنْ تُشَاوِرَ عَاجِزًا   وَمَا الْحَزْمُ إلاَّ أنْ تَهُمّ فَتَفْعَلاَ

فأما قول عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه: مَنْ أكْثَرَ الفِكْرَةَ فى العَوَاقِبِ لم يَشْجُعْ، فتأويله أنه من فَكَّرَ فى ظَفَرِ قِرْنِه بِهِ، وعُلُوِّه عليه لم يُقْدِمْ وإنما كان الْحَزْمُ عند عليّ رضى الله عنه أن يَخْطُرَ أمر الدين ثم لا يُفَكِّرَ فى الموت. وقد قيل له: أتقتلُ أهل الشام بالغداة، وتظهر بالعَشِىِّ فى إزار ورداء؟ فقال: أبالموتِ أُخَوَّفُ؟ والله ما أبالى أسَقَطْتُ على الموتِ، أم سَقَطَ الموتُ علىَّ.

وقال للحسن ابنه: لا تَبْدَأْ بدعاءٍ إلى مُبارَزَةٍ فإن دُعِيتَ إليها فأجِب، فإن طالبها باغ، والباغى مَصْرُوع.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَلْتَفُّ فى كسائه وينام ناحية المسجد، فلما وَرَدَ الْمَرْزُبانُ(٢) عليه جعلوا يسألونه عنه. فيقال: مَرَّ هاهنا آنفًا، فَيَصْغُرُ فى قلب المرْزُبان إذا رآه كبعض السّوَقِ، حتى أنتهى إليه. وهو نائم فى ناحية المسجد، فقال المَرْزُبان: هذا والله المُلْكُ الهنىء. يقول: لا يحتاج إلى أَحْرَاسٍ ولا عدَد. فلما جلس عمر امتلأ قلبُ العِلجِ منه هَيْبةً لما رأى عنده من الجِدِّ والاجتهاد، وأُلْبِسَ من هَيْبةِ التقوى.

[الكلبى وقد سأله خالد القسرى عن السؤدد]

وقال الكَلْبِىّ: قال لى خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرْزٍ القَسْرِىُّ: ما تَعُدُّون السُّؤدَدَ؟ فقلتُ: أما فى الجاهلية فالرِّياسة، وأما فى الإسلام فالولاية،

(١) أصله «يبالى»، حذفت الياء للجازم.

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «المرزبان». والصواب الهرمزان، وكان صاحب تستر».

وَخَيْــر من ذا وذاك التَّقْوَى، فـقال لى: صَدَقْتَ، كـان أبى يقول: لم يُدْرِك الأولُ الشَّرَفَ إلا بالفـعل، ولا يدركه الآخِرُ إلا بما أدركَ به الأولُ. قال: فـقلتُ: صدق أبوك، ساد الأحنْف بحلمه، وساد مالك بن مِسْمَعٍ بمحبـة العَشيرة له، وساد قُتَيْبَةُ بدَهائه، وساد المُهَلَّبُ بجـميع هذه الخِلال، فـقال لى: صدقتَ، كـان أبى يقول: خيـر الناسِ للناس خيرهم لنفســه، وذلك أنه إذا كان كذلك اتَّقَى على نفسـه من السَّرَق لئـلا يُقْطَعَ، ومن القَتْل لئلا يُقـادَ، ومن الزنا لئلا يُحَـدَّ، فَسَلم الناس منه باتقائه على نفسه.

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرِّجال، قال له عبـد الملك يومًـا: ما مالـكَ؟ فقال: شـيئـان لا عيْلَةَ عـلىَّ معهـما، الرضـا من الله، والغِنى عن الناس. فلما نَهَضَ من بين يديه قيل له: هَلاَّ خَبَّرْتَه بمقدار مالكَ؟ فقال: لم يَعْدُ أن يكون قليلا فَيَحْقِرَنى، أو كثيرًا فيَحْسُدَنى.

وقال رســول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أن يكون أعزّ الناسِ فليَـتَّق ٱلله، ومن سَرَّهُ أن يكون أغْنَى الناسِ فليكُنْ بما فى يد ٱلله أوْثَقَ منه بما فى يده، ومَنْ سَرَّهُ أن يكون أقْوَى الناسِ فليتوكل على ٱلله».

وقال علىّ بن أبى طالب رضى ٱلله عنه: «مَنْ سَرَّهُ الغنى بلا مال، والعزُّ بلا سُلْطان، والكثرة بلا عَـشيرةٍ، فليَـخْرُجْ من ذُلِّ معصـية الله إلى عزِّ طاعتـه، فإنه واجد ذلك كله».

وخَطَب رسول ٱلله ﷺ ذاتَ يوم فَحمدَ ٱلله بماهو أهْلُهُ ثم أَقْبَلَ على الناس، فقال: «أيها الناس إن لكم مَعالِم فانْتهُوا إلى مَعالِمكم، وإن لكم نِهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مَخَافَتَيْنِ: أجَلٌ قد مضى لا يَدْرى ما ٱلله فاعل فيه، وأجَلٌ باق لا يَدرى ما ٱللهُ قاضٍ فيه، فَلْيَأخُذ العبـدُ من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشَّبيبة قبل الكِبر، ومن الحياة إلى المماتِ، فو الذى نفسُ محمد بِيَدِه، ما بعد الموت منَ مُسْتَعْتَب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنةُ أو النار».

وقال رسول الله ﷺ: «أمرني ربي بتسع: الإخلاصُ في السرِّ والعلانية، والعَدْلُ في الغَضب والرِّضا، والقَصْدُ في الفقر والغنى، وأن أعْفُوَ عمّن ظلمني، وأصلَ من قَطَعَني، وأعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وأن يكونَ نُطْقِي ذكراً، وصَمْتي فكْراً، ونَظَرِي عبْرَةً».

وحُدِّثْتُ أنه الْتَقَى حكيمان، فقال أحدهما للآخر: إني لأحِبُّكَ في الله، فقال له الآخر: لو علمتَ مني ما أعْلَمُهُ من نفسي لأبْغضْتَني في الله، فقال له صاحبُه: لو عَلِمْتُ منك ما تَعْلَمُهُ من نَفْسك، لكان لي فيما أعْلَمُه من نفسي شغل.

وكان مالكُ بن دينار يقول: جاهدوا أهْوَاءَكُمْ كما تجُاهدون أعْداءكم. وكان يقول: ما أشَدَّ فطامَ الكبير!

وقيل لعمر بن عبد العزيز: أيُّ الجِهادِ أفضل؟ فقال: جهادُكَ هَواك.

وكان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوبَ، فإنها سريعة الدثور. واقْدَعُوا هذه الأنفُسَ فإنها طُلَعَةٌ، وإنكم إلاَّ تَقْدَعُوها تَنْزِعْ بكم إلى شرِّ غاية.

قوله: «حادثوا»، مثَل، ومعناه: أجْلُوا واشْحَذوا، تقول العرب: حادَثَ فلانٌ سَيْفَهُ إذا جلاه وشحَذَهُ، وقال زَيْدُ الخَيل:

وَقَدْ عَلِمتْ سَلاَمَةَ أنّ سَيْفِي ... كَرِيهٌ كلَّمَا دُعِيَتْ نَزَالِ

أحادثُهُ بِصَقْلٍ كُل يَوْمٍ ... وَأعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ

قوله: «أعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَال»: أي أعُضُّهُ، يقال: عَجَمَهُ إذا عَضّهُ. والدثور: الدُّروس، يقال دَثَرَ الرَّبْعُ إذا مَحَّ(١)، ومعناه: تَعَهّدُوهَا بالفكر والذكر. وقوله: «فإنها طُلَعَةٌ»، يقول كثيرة التَّشَوُّف والتَّنَزِّي إلى ما ليس لها، وأنشد الأصْمعيُّ:

وَلاَ تَمَلَّيت(٢) مِنْ مَالٍ وَلاَ عُمرٍ ... إلاَّ بِمَا سرَّ(٣) نَفْسَ الحَاسِدِ الطُّلَعَةْ

(١) محت الدار: عفت ودرست، وفي س: «امحى».

(٢) كذا في الأصل، بكسر التاء. وفي ر: بفتح التاء، وفي الزيادات: «الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غ لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها في الشعر يدعو عليها».

(٣) ر، س. «ساء».

قال: ويقـال للجارية إذا كانت تُبْرِزُ وجـهها لِتُرِىَ حُـسْنها ثم تُخْفِيـه لتُوهِمَ الحَياءَ: خُبَأَةٌ طُلَعَة.

وكان عمـر بن عبد العَـزيز رحمه الله يقول: أيهـا الناس إنما خُلِقْتُمْ للأَبَد: ولكنكم تُنْقلون من دار إلى دار. ويروى عن المَسِيح صلواتَ الله وسـلامه عليه أنه كان يقول: إن احتجتم إلى النَّاس فكلوا قَصْدًا وامْشوا جانبًا.

ولَمّا احْتضِرَ قَيْسُ بن عاصِم قال لبنيه: يا بَنِيَّ، احفظوا عنى ثلاثًا، فلا أَحَدَ أَنْصَحُ لكم منى إذا أنا مِتُّ فَسَوِّدوا كِبارَكم، ولا تُسَوِّدوا صغاركم، فيحقِرَ الناسُ كباركم، وتَهونوا عليهم. وعَلَيْكُمْ بحِفْظ المـال فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم، ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم، وإياكم والمَسْأَلةَ فإنها أخِرُ[1] كَسْبِ الرجل.

---

(١) ر: «أخِر» بفتح الهـمزة وكسر الخاء. وفى الزيادات: بقـصر الهمزة لا غيـر، ومن رواه بالمد فقد أخطأ، ومعنى أخر أدنى.

بابـ

[لرجل من الأعرابـ يرثي رجلا منهم]

قال أبو العباس: أُنْشِدْتُ لرجل من الأعْراب يَرْثِى رجلا منهم:

فَلَوْ كَانَ شَيْخًا قَـدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعـدُ أَن طَرَّ شَارِبُهْ(١)

وَقَاكَ الرَّدَى مَنْ وَدَّ أَنَّ ابْنَ عَمِّهِ يُرَى مُـقْـتِرًا أَوْ أَنَّهُ ذَلَّ جَـانِبُـهْ

[لحسان يوصي امرأته]

وقال آخر لامرأته(٢):

فَـإمَّـا هلَـكْتُ فَـلاَ تَـنْكِحِى ظَلُوم الْعَـشِـيرَةِ حَـسَّـادَهَا

يَرَى مَـجْـدَهُ ثَلْبَ أَعْـرَاضِـهَـا لَدَيْه، وَيُـبْـغِـضُ مَنْ سَـادَهَا

[لصخر بن حبناء يعاتب أخاه]

وقال آخر:ـ [قال أبو الحسن: هو لِيَزِيدَ بن حَبْناءَ أو لصَخْرِ بن حَبْناء، يقول لأخيه]:

لَحَـا اللهُ أكـبَـانَا زِنَادًا وَشَـرَّنَا وَأَيَـسَـرَنَا عَـنْ عِـرْضِ وَالِدِهِ ذَبًّا

رَأَيْتُكَ لَمَّـا نِلْتَ مَـالاً وَمَـسَّنَا زَمَـانٌ تُرَى فى حَدِّ أَنْيَـابِهِ شَـغْبَـا

جَـعَلْتَ لَنَا ذَنْبًـا لِـتَـمْنَعَ نَائِلاً فَأَمْسِكْ، وَلاَ تَجْـعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبًا

قولـه: «أكبانَـا زنادًا» الزِّنَادُ التى تقْدَحُ بهـا النار، ويقال: أوْرَى الـقادحُ إذا خرجتْ له النـارُ، وأكْبَى إذا أَخْفَقَ منهـا: هذا أصله يُضْرَب للرجل الـذى يَنْبَعِثُ الخيرُ عن(٣) يديه، ويُضْرَبُ الإكباءُ للذى يمتنعُ الخيرُ على يديه، قال الأعشى:

وَزِنْدُكَ خَـيْـرُ زِنَادِ الْمُـلُو كِ صَـادَفَ مِنْهُنَّ مَـرْخٌ عَفَـارا

وَلَوْ بِتَّ تَـقْـدَحُ فى ظُلْـمَـةِ صَـفَـاةً بِنَبْعٍ لأَوْرَيْتَ نَارا(٤)

---

(١) طر شاربه: طلع ونبت.

(٢) زيادات ر: «حسان بن ثابت»، والبيتان فى ديوانه ١٣٩.

(٣) ر، س: «على يديه».

(٤) الصفاة: الصخرة الملساء. والنبع: شجر لانار له، يريد أنه موفق فى كل أمر.

والمَرخُ والعَفار: شجر تُسرِعُ فيه النار، ومن أمثالهم: «في كلّ شَجَرٍ نار، واستَمْجَدَ المَرْخُ والعفار»، واستَمْجَد: استكثَر، يقال: أمْجَدْتُه سبًّا وأمْجدتُه ذمًّا، إذا أكثرتَ من ذلك، ومن أمثالهم: «أرْخِ يديك واستَرْخِ، إنَّ الزّنادَ من مَرْخ».

ويقال: رجل ذو شَغْب إذا كان يَشْغَبُ على خصمه، ضربه مثَلا للزمان الذى يَهِرُّ على أربابه، أى يَمَسُّهُمْ بالفقر والجَدْب.

[لعبد الله بن معاوية يعاتب صديقه]

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب:

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كَانَ شَيْئًا مُلَفَّفًا ... فَكَشَّفَهُ التَمْحِيصُ حَتَّى بَدَا لِيَا
أَأَنْتَ أَخِى مَالَمْ تَكُنْ لِىَ حَاجَةٌ ... فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لاَ أَخَا لِيَا!
فَلاَ زَادَ مَا بَيْنِى وَبَيْنَكَ بَعْدَمَا ... بَلَوْتُكَ فى الحَاجَاتِ إلاَّ تَمَادِيَا
فَلسْتُ بَراءٍ عَيْبَ ذِى الْوُدِّ كُلَّهُ ... وَلاَ بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كنتُ رَاضِيَا
فَعَيْنُ الرِّضَا عَن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِى المَسَاوِيا
كِلاَنَا غَنِىٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَه ... وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

قوله: «كان شيئًا ملففا»، يقول: كان أمرا مُغَطًّى. والتمحيص: الاختبار، يقال: أدخلتُ الذَّهَبَ فى النار فَمَحَّصْتُهُ، أى خرج عنه ما لم يكن منه، وخَلَصَ الذهبُ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾(١)، ويقال: مُحِّصَ فلانٌ من ذنوبه.

وقوله:

* أَأَنْتَ أَخِى مَالَمْ تَكُنْ لِىَ حَاجَةٌ *

تقرير وليس باستفهام، ولكنَّ معناه: أنى قد بَلَوْتُكَ تُظْهِرُ الإخاءَ فإذا بدت الحاجة لم أرَ من إخائك شيئًا، وقال الله عزّ وجل: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾(٢)، إنما هو توبيخ وليس باستفهام، وهو جل وعزّ العالِمُ

(١) سورة آل عمران ١٤١.
(٢) سورة المائدة ١١٦.

بأنّ عيسى لم يَقُلْهُ. وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب «المُقْتَضَب» مُسْتَقْصًى، ونذكر منه جملةً فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

[لعلى بن أبى طالب فى الشجاع]

وقال عليّ بن أبى طالب رحمه الله: ثلاثةٌ لايُعْرَفونَ إلا فى ثلاث، لا يُعْرَفُ الشُّجاعُ إلا فى الحَرْبِ، ولا الحَليمُ إلا عند الغَضَبِ، ولا الصَّديقُ إلا عند الحاجة.

[لعبد الله بن معاوية يمدح]

وقال عبد الله بن معاوية(١) أيضًا:

أَنَّى يكُونُ أَخًا أوْ ذَا مُحَافَظَةٍ ... مَنْ كُنْتَ فى غَيْبِه مُسْتَشْعِرًا وَجِلاَ
إذَا تَغَيَّبَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ بِهِ ... سُوءًا وتَسْأَلُ عَمَّا قالَ أَوْ فَعَلاَ

[لعبد الله بن الزبير الأسدى يمدح عمرو بن عثمان بن عفان]

وقال آخر(٢):

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تراخَتْ مَنِيَّتِى ... أيَادِىَ لَمْ تُمْنَنْ وَإنْ هِىَ جَلَّتِ
فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِه ... ولاَ مُظْهِرُ الشَّكْوَى إذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِى مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مكَانُهَا ... فَكانَتْ قَذَى عَيْنَيهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

[ما تمثل به على بن ابى طالب من الشعر حينما راى طلحة فى القتلى]

وتمثل علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى طَلْحَة بن عُبَيْد الله رحمه الله:

فَتَى كانَ يُدْنِيه الْغِنَى مِنْ صَدِيقِه
إذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ(٣)

---

(١) زيادات ر. «ذكر دعبل فى أخبار الشعراء أن هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى».

(٢) نسب هذه الأبيات أبو الفرج الأصفهانى إلى عبد الله بن الزبير الأسدى يقولها فى عمرو بن عثمان بن عفان حنما أتاه فرأى تحت ثيابه ثوبا رثا، فدعا وكيله، قال: اقترض لنا مالا، فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئا، قال: فأربحهم ما شاءوا فاقترض له أولا ثمانية آلاف درهم وثانيا عشرة آلاف، ووجه بها إليه مع نخت ثيابه، فقال فيه الأبيات. (الأغانى ١٣: ٢٣).

(٣) من أبيات لسلمة بن يزيد الجعفى، أحد الصحابة، يقولها فى رثاء أخيه قيس بن زيد؛ وقبله.

ألم تعلمى أن لست ما عشت لاقيا ... أخى إذ أتى من دون أوصاله القبرُ
وهوّن وجدى أننى سوف أغتدى ... على إثره يومًا وإن نفس الأمر

(وانظر الإصابة ٣: ١٢).

فَتَى لاَ يَعُدُّ المَالَ رِبًا وَلاَ تُرَى
بِهِ جَفْوَةٌ إنْ نَالَ مَالا وَلا كِبْرُ

فَتَى كَانَ يُعْطِى السَّيْفَ فِى الرَّوْعِ حَقَّهُ
إذَا ثَوَّبَ الدَّاعِى، وتَشْقَى بِهِ الجُزْرُ

وَهَوَّنَ وَجْدِى أنَّنِى سَوْفَ أغْتَدِى
عَلَى إثْرِهِ يَوْمًا وَإنْ نَفَّسَ العُمْرُ

* * *

[قال أبو الحسن: بعضهم يقول هو للأُبَيْرِد الرِّياحِىِّ، وبعد البيت الثالث:

فَـلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ، إمَّا تَرَكْتَنَا   حَميدًا وأَوْدَى بَعْدَكَ المَجْدُ وَالْفَخْرُ]

[كلمة علي بن أبي طالب في طلحة حينما رآه مقتولا]

قال أبو العباس: وحدثنى التَّوَّزِىّ قال: حدثنى محمد بن عَبَّاد بن حَبيب بن المُهَلّب ـ أحْسبُه عن أبيه ـ قال: لما انقضى يوم الجَمَل خرج علىٌّ بن أبى طالب رحمه الله فى ليلة ذلك اليوم: ومعه قنبرُ بيده(١) مَشْعَلَةٌ من نار يَتَصَفَّح القَتْلَى حتى وقفْ على رجلٍ ـ قال التَّوَّزِىُّ فقلتُ: أهو طَلْحةُ(٢)؟ قال نعم ـ فلما وقف عليه قال: أَعْزِزْ عَلَىَّ أبا محمد أنْ أراكَ مُعَفَّرًا تحت نجوم السماء وفى بطون الأوْدية! شفَيْتُ نفسى وقتلتُ مَعْشَرِى! إلى الله أشْكُو عُجَرِى وبُجَرِى!

قوله: «مُعَفَّرًا»، أى مُلْصَقَ الوجهِ بالتراب، ويقال للتراب: العَفَر والعَفْر يقال: ما مَشَى عَلَى عَفْرِ الترابِ مِثْلُ فلان.

وقوله: «إلى الله أشكو عُجرِى وبُجَرِى»، يقول: ما أُسِرُّ من أمرى. قال الأصمعىّ: هو(٣) قولٌ سَائرٌ. فى أمثال العرب: «لَقِيَ فلانٌ فلانا فَأَبَثَّهُ عُجَرَهُ وبُجَرَهُ».

---

(١) ر: «وفى يده».

(٢) أبو محمد كنية طلحة بن عبيد الله التميمى، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى رمى يوم الجمل سهم فى ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات وذلك فى جمادى الأولى سنة ٣٦، (الإصابة ٣: ٢٩٠).

(٣) ر، س: «وهو».

[مما قيل في الشباب والهرم]

وقال النَّمرُ بن تَوْلَب(١):

تَدَارَكَ مَا قَبلَ الشَّبَابَ وَبَعْدَه   حَوَادِثُ أَيَّام تَمُرُّ وَأَغْفُلُ

يَسُرُّ الْفتَى طُولُ السَّلاَمَةِ وَالْبَقَا   فَكَيْفَ يَرى طُول السَّلامَةِ يَفْعَلُ!

يردُّ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ   يَنُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

قصر «البقاء» ضَرورة، وللشاعر إذا اُضْطُرَّ أن يَقْصُرَ الممدود، وليس له أن يَمُدَّ المقصور؛ وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة، فإذا احتاج حَذْفَها لأنها ألف زائدة، فإذا حَذَفَهَا رَدَّ الشيءَ إلى أصله، ولو مَدَّ المقصور لكان زائدا في الشيءِ ما ليس منه، قال الشاعر - وهو يَزيدُ بن عمرو بن الصَّعِق:

فَرَغْتُمُ لِتَمْرِين السِّيَاطِ وَأَنْتُمُ   يُشَنُّ عَلَيْكمْ بِالْفِنَا كلُّ مَرْبَعِ(٢)

فقصر «الفنَاءَ»، وهو ممدود. وقال الطِّرِمَّاح:

وَأَخْرَجَ أُمُّهُ لسَوَاسِ سَلْمَى   لِمَعْفورِ الضَّرا ضَرمِ الجنين

قوله: «وأَخْرَجَ»، يعنى رَمادًا، والأَخْرَجُ الذى فى لونه سواد وبياض، يقال: نَعامة خَرجاءُ.

وقوله: «لسواس سلمى»، فإنَّ أَجأ وسَلْمَى جَبَلا طيئ، وسَواسُ سَلْمى: الموضع الذى بِحَضْرَةِ سَلْمَى، يقال: هذا من سُوس فُلانٍ ومن تُوس فلان: أى من طَبْعِه. وأُمُّهُ: يعنى الشجرةَ التى هى أصله.

وقوله: «المعفور الضَّرَا»، فالضَّرَاءُ: ما واراك من شجرٍ خاصَّةً، والخَمَرُ ما واراك من شيء. والمعفور: يعنى ما سقط من النار من الزَّنْد.

---

(١) زيادات ر: «كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم إلا النمر بن تولب. عن ابن دريد، قال أبو حاتم. يقال: النمر، بفتح النون وتسكين الميم، ولا يقال: النمر، بفتح النون وكسر الميم».

(٢) قال المرصفى: «يهجو بنى أسد، وتمرين السياط: دلكها وتليينها بالدهان، يرميهم بأنهم أذلاء لا يصقلون السيوف ولا يشحذون الأسنة ولا يبرون النبال. وكل مربع: يريد فى كل موضع أقمتم فيه زمن الربيع».

وقوله «ضَرِم الجنين» يقول مُشْتَعِلٌ، والجنين: مالم يَظْهَرْ بَعْدُ، يقال للقَبْرِ جَنَنٌ، والجَنينُ: الذى فى بطن أمه، والمِجَنُّ: التُّرس لأنه يَسْتُرُ، والمجنون: المُغَطَّى العقل، وسُمِّى الجِنُّ جِنًّا لاختفائهم، وتُسَمَّى الدُّرُوعُ الجُنَنَ؛ لأنها تستر من كان فيها. وقَصَرَ «الضَّرَّاءَ» وهو ممدود، ومثل هذا كثير فى الشعر جداً.

وقوله: «ينوء إذا رام القيام»، يقول: يَنْهَضُ فى تَثَاقُلٍ، قال الله عزّ وجل: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾(1)، والمعنى أن العُصْبَةَ تَنُوء بالمفاتح، ولشرح هذا موضع آخر.

وقال آخر(2):

* أَنُوءُ ثَلاَثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِى *

ويُرْوَى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كفَى بالسَّلامة داءً».

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهلالىُّ:

أرَى بَصَرِى قَدْ رَابَنِى بَعْدَ صِحَّةٍ ... وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَلاَ يَلْبَثُ العَصْرَانِ يومٌ وَلَيْلَةٌ ... إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكا مَا تَيَمَّمَا

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ:

أَلاَ حَىِّ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ المَغَانِيَا ... لَبِسْنَ البِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى المَرْءَ يومٌ وَلَيْلَةٌ ... تَقَاضَاهُ شَىْءٌ لا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

وقال بعض شعراء الجاهلية(3):

كَانَتْ قَنَاتِى لاَ تَلِينُ لِغَامِزٍ ... فَألاَنَهَا الإِصْبَاحُ وَالإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّى فى السَّلاَمَةِ جَاهِدًا ... لِيُصِحَّنِى، فَإِذَا السَّلاَمَةُ دَاءُ

---

(1) سورة القصص ٧٦

(2) زيادات ر: «لعمر بن قمئة». وقبله:

* على الراحتين مرة وعلى العصا *

(3) البيتان فى زهر الآداب ٢٢٣، ونسبهما إلى عمرو بن قميئة، وهما فى العقد الفريد ٣: ٥٨، وعيون الأخبار ٢: ٣٢٢، من غير عزو. ونسبهما المرصفى إلى عبد الرحمن بن سويد المرى.

وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّاد:

فمَا أَوْهَى مِـرَاسُ الْحَرْبِ رُكْنِى ... ولَكِنْ مَـــا تَقَـادَمَ مِنْ زَمَـــانِى

ومن أمثـال العرب إذا طال عـمر الرجل أن يقـولوا: «لقد أَكَلَ الدَّهْر عــليه وشَرِبَ»، إنما يريدون أنه أَكَلَ هو وشرب دَهْرًا طويلاً، قال الجَعْدِىُّ:

* أكلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِم وَشَرِبْ[1] *

والعرب تقـول: نَهارُكَ صائم، وليلك قائم، أى أنت قـائم فى هذا وصائم فى ذاك، كما قال الله عزّ وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[2]، والمعنى والله أعلم: بل مَكْرُكُمْ فى الليل والنهار، وقالَ جرير:

لَقَدْ لُمتِنَا يَا أمَّ غَيْلاَنَ فى السُّرَى ... ونِمْتِ، ومَـــا ليلُ المَطِـىِّ بِنَائمِ

[للفرزدق يرثى ابنى مسمع]

وقال الفَرَزْدَق:

تُبَكِّى عَلَى المَنْتُوفِ بكْرُ بْنُ وَائِلٍ
وَتَـنْهَى عَنِ ابْـنَـى مِسْـمَعٍ مَنْ بكَاهُما[3]!
غُلاَمَانِ شَبَّا فى الحُرُوبِ وَأَدْرَكَا
كِـرَامَ المَسَـاعِى قَبْـلَ وَصْـلِ لَحِـاهُـمَـا

وابنا مِسْمَع كَان قتَلَهـما معاوية بن يزيد بن المُهَلَّب مع عَدِىِّ بن أَرْطاةَ[4] لما أتاه خبر قتل أبيه، وكان ابنا مسمع ممَّن خالف على يزيد بن المهلَّب. والمَنْتُوف كان

---

(1) صدره كما فى زيادات ر:

* كم رأينا من أناس هلكوا *

(2) سورة سبأ ٣٣.

(3) تبكى: تحمل الناس على البكاء

(4) عدى بن أرطاة الفزارى، والى البصرة ليزيد بن عبد الملك، وكان يزيد أمره أن يتحرز من يزيد بن المهلب ويحبس أهله ويلغ ابن المهلب ذلك، فلحق بالبصرة، وتغلب عليها، ودعا إلــى نفسه، وبلغ يزيد بن عبد الملك، وقد أخـرج أهله من السجن، وأسر اثنين وثلاثين رجلا. منهم عدى بن أرطـاة وابنه محمد وابنا مسمع وربيع بن زياد الأزدى، ومـال بهم إلى واسط، فوجه إليه يزيد أخاه مسلمـة بجيش كثيف، فخرج له ابن المهلب، واستخلف ابنه معاوية على الخزائن والأسرى، فلما بلغه قـتل أبيه ضرب أعناق الأسرى جميعا غير ربيع بن زياد، وكان ذلك سنة ١٣٢، (وانظر رغبة الآمل).

مَوْلَى لبنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابة. وابنا مَسْمَعٍ من بنى قَيْسِ بن ثعلبة، وكان المتنوف كالخليفة ليزيد بن المهلب، وفى ذلك يقول جرير:

وَالأَزْدُ قدْ جَعَلُوا الْمَتْنُوفَ قائدَهُمْ ... فَقَتَّلَتْهُمْ جُنُودُ اللهِ وَانْتُتِفُوا

وتمام شعر الفرزدق:

ولَوَ قُتلاَ منْ جذْمِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ... لَكَانَ عَلَى النَّاعِى شَدِيداً بُكَاهُمَا(١)

ولَوْ كَان حَيّاً مَالكٌ وَابْنُ مَالك ... إذًا أوْقَدَا نَارَيْنِ يَعْلُو سَنَاهُمَا(٢)

السَّنا: ضوء النار، وهو مقصور، قال الله عز وجل: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِه يَذْهَبُ بِالأَبْصَار﴾(٣). والسّناء من الشرف، ممدود، قال حَسَّانُ بن ثابت:

وَإنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنَ عَمْرٍو ... وأَسْنَاهَا إذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ

والبكاء يمد ويُقْصَرُ، فَمَنْ مَدَّ فإنما جعله كسائر الأصوات، ولا يكون المصدر فى معنى الصوت مَضْموم الأول إلا ممدودا، لأنه يكون على «فُعَال» وَقَلَّمَا يكون المصدر على «فُعَلٍ»، وقد جاءَ فى حروف: نحو: الهُدَى والسُّرَى وماً أشبهه، وهو يسير، فأما الممدود فنحو: العُوَاء، والدُّعاء، والرُّغَاء، والثُّغاء، فكذلك البُكاءُ، ونظيره من الصحيح الصُّراخُ والنُّباحُ، ومنَ قَصَرَ فإنما جعل البَكاء كالحُزْن، وقد قال حَسَّانٌ، فَقَصَرَ وَمَدَّ:

بكَتْ عَيْنِى وَحُقَّ لَهَا بُكاهَا ... وَمَا يُغْنِى البُكَاءُ وَلا الْعَوِيلُ!

فقصر ومدّ.

[لجرير يرثى ابنه سوادة]

وقال جرير:

قالوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ فُقلْتُ لَهُمْ ... كَيْفَ الْعَزاءُ وَقَدْ فارَقْتُ أَشْبَالى!(٤)

(١) الجذم: الأصل، قال المرصفى «هذه رواية منكرة؛ لأنها تنفى نسبهما عن بكر بن وائل، ورواية ديوانه:

ولو أصبحا من غير بكر بن وائلٍ ... لكان على الجانى تقبل دماهما

(٢) مالك أبو مسمع وابن مالك هو مسمع بن مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب البكرى.

(٣) سورة النور ٤٣.

(٤) زيادات ر: «نصيبك» بالنصب لا غير؛ لأنه مفعول بإضمار فعل تقديره احفظ نصيبك، أو احرز نصيبك».

هذَا سَــوادَةُ يَجْلُو مُــقْلَتَــىْ لَحِمٍ بَازٍ يُصَرْصِرُ فَوْقَ المَرْقَبِ الْعَالِي
فارَقْتُهُ حِينَ غَضَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِى وَحِينَ صِرْتُ كعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالِى

وقوله: «يجلو مـقلتى لَحِم»، شَبَّـهَ مُقْلَتَيْـه بِمقْلَتَى البـازى، ويقال: «طائر لَحِم» من هذا. وقوله: «يُصرصر» يعنى يصوّت، يقـال: صرصر البازى والصَّقْرُ، وما كان مِنْ سِباع الطير، ويقال: صَرْصَرَ العُصْفورُ: وأَحْسِبُهُ مستعارًا؛ لأن الأصل فيه أن يستعمل فى الجوارح من الطير، قال جرير:

* بَازٍ يُصَرْصِرُ بِالسَّهْبَى قَطًا جُونَا(١) *

وقال آخر:

* كَمَا صَرْصَرَ الْعُصْفُورُ فى الرُّطَبِ الثَّعْدِ(٢) *

وأنشدنى عُمـارةُ: «باز يُصَعْصِعُ» وهو أصح ـ [قال أبو الحـسن: «يُصَعْصِعُ» وهو الصواب، ولكن هكذا وقع فى كتابه. ويُصَرْصِر لا يَتَعَدَّى] ـ.

قال أبو العباس: وقوله: «كعظم الرِّمَّة» فهى البالية الذاهبة، والرَّمِيمُ: مشتق من الرّمةِ، وإنما هو فعيلٌ وفِعْلةٌ، وليس بجمع له واحد.

ومما كَفَّرَتْ به الفقهاءُ الحَجَّـاجَ بن يوسف قولهُ، والناس يَطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنْبَره ـ وإن شئت قلت: «يُطيفـون»، قال أبو زيد: تقول العرب: طُفْتُ وَأَطفْتُ به، ودُرتُ وَأَدَرْتُ به، ويقال: حَدق وأَحْدقَ، قال الأخْطَلُ:

المُنْعِمُون بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ بِىَ المَنِيَّـة واسْتَـبْطَأْتُ أَنْصَـارِى

إنما يَطوفونَ بأعْوادٍ ورمَّةٍ.

ومن أمثال العرب: «لَوْلاَ أن تُضَيِّعَ الفِتْيانُ الذِّمَّة، لَخَبَّرتُها بما تَجدُ الإبلُ فى الرِّمَّة»: يقول: لولا أن تَدَعَ الأحْدَاثُ التَّمَسُّكَ بالوفـاء، والرِّعاية للحُرْمة لأعلمتها أن الإبل تتناول العظم البالى، وهو أقلّ الأشياء فَتجدُ له لَذة.

---

(١) بصف الإبل وهى تسير فى الفلوات، والسُّهبى: موضع فى بنى تميم. وقبله:

* كأنَّ حادِيها لمَّا أَضر بها *

(٢) الثعد: وواحدته ثعدة، وهو ما لان من البسر وأرطب

ومثل بيت جَرِيرٍ الأخير قول أبى الشَّغْبِ يرثى ٱبنه شَغْبًا:

قَـدْ كَانَ شَـغْبٌ لَوَ أَنَّ اللهَ عَمَّـرَهُ ... عِـزًّا تُزَادُ بِهِ فِي عِـزِّهَا مُـضَـرُ

لَيْتَ الْجِبَالَ تَدَاعَتْ قَـبْلَ مَصْرَعِهِ ... دَكًّـا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَـارِهَا حَجَـرُ

فَارَقْتُ شَغْبًا وَقَـدْ قُوِّسْتُ مِنْ كِبَرٍ ... بِئْسَ الْحَلِيفَانِ: طُولُ الْحُزْنِ وَالْكِبَرُ

قوله: «قوِّست» يقول: ٱنحَنَيْتُ كالقوس، قال ٱمْرُؤُ القَيْس:

أَرَاهُنَّ لا يُحْـبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَـالُهُ ... وَلاَ مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ، وَقَوَّسَا

[لسليمان بن قتة يرثى الحسين بن على]

وقال سليمان بن قَتَّةَ يرثى الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام:

مَـرَرْتُ عَلى أَبْيَاتِ آلِ مُـحَمَّـدٍ ... فَلَمْ أَرَهَا كَـعَـهْـدِهَـا يَومَ حُلَّتِ

فَـلاَ يُبْـعِـدِ اللهُ الـدِّيَارَ وَأَهْلَهَـا ... وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ

وَكَـانُوا رَجَـاءً ثُمَّ صَـارُوا رَزِيَّةً ... فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ(١)

وَإِنَّ قَـتِـيلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... أَذَلَّ رِقَـابَ الْمُسْلِمِـينَ فَـذَلَّتِ(٢)

وَعِنْـدَ غَنِيٍّ قَطْـرَةٌ مِنْ دِمَـائِـنَا ... سَنَجْزِيهِمُ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ(٣)

إِذَا افْتَقَـرَتْ قَيْسٌ جَبَرْنَا فَـقِيرَهَا ... وَتَقْـتُلُـنَا قَـيْسٌ إِذَا النَّـعْلُ زَلَّتِ

وسليمان بن قَتَّة(٤) رجل من بنى تَيْـم بن مُـرَّة بن كَـعْب بن لؤَىّ، وكـان منقطعًا إلى بنى الهاشِم.

[للفرزدق يرثى ابنيه]

وقال الفَرَزْدَقُ يرثى ٱبْنَيْه:

بِفِي الشَّامِتِينَ التُّرْبُ أَنْ كَانَ مَسَّنِي ... رَزِيَّة شِبْلَيْ مُخْدِرٍ فى الضَّرَاغِمِ(٥)

وَمَـا أَحَـدٌ كَـانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ ... ـ وَلَوْ عَـاشَ أَيَّامًا طوَالا ـ بِسَـالِمِ

---

(١) جاء هذا البيت فى ر ، س بعد البيت الذى يليه

(٢) الطف. موضع قريب من الكوفه، قتل فيه الحسن عليه السلام

(٣) غنى. قبيلة فى قيس.

(٤) هو سلمان بن قتة المحاربى التابعى، وقتة أمه.

(٥) المحدر فى الأصل. الأسد الذى يلزم حدره، وهو هنا كناية عن نفسه

أَرَى كُلَّ حَيٍّ مَـا تَـزَالُ طَلِيـعَـةً   عَلَيْـهِ المَنَايَا مِنْ ثَـنَايَا الْمَـخَـارِمِ
يُذَكـرُنِى ابنَىّ الـسِّـمـاكـاَن مَـوْهِنًا   إِذَا ارتَفَعَـا فَوْقَ النُّجُـومِ الْعَوَاتِمِ[1]
وَقَـد رُزِئَ الأَقْـوَامُ قَـبْلِى بَنِـيـهِمُ   وَإِخْـوَانَهُمْ، فَـاقنَىْ حَـيَـاءَ الْكَرَائِم
وَمَـاتَ أَبِى وَالْمُنـذِرَان كِـلاَهُمَـا   وَعَـمْرُو بْنُ كُلْثُـومٍ شِهَـابُ الأَرَاقِمِ
وَقَدْ كَـانَ مَاتَ الأَقْـرَعَانِ وَحَـاجِبٌ   وَعَمْرٌو أَبُو عَمْرٍو، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ
وَقَدْ مَاتَ بِسْطَامُ بْـنُ قَيْسِ بْنِ خَالد   وَمَـاتَ أَبُو غَـسَّانَ شَـيْخُ اللَّهَـازِمِ
وَقَـدْ مَـاتَ خَيْـرَاهُمْ فَلَـمْ يُهْلِكَاهُمُ   عَـشِـيَّـةَ بَانَا رَهْـط كَـعْب وَحَـاتِمِ
فَمَا ابْنَاك إِلاَّ مِنْ بَنِى النَّاسِ فاصْبِرِى   فَـلنْ يَـرْجِعَ المَـوْتَى حَنِيـنُ المَآتِـمِ

قال: وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد: «خَنِينُ المآتم» بالخاء معجمة[2].

قوله: «مـا تزال طليعة» يريـد طالعةً، والثَّنايا جمع ثَنِيَّـةٍ، وهى الطَّرِيقُ فى الجبل، ومن ذلك[3]:

أَنَا ابْـنُ جَـلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَـايَا   مَـتَى أَضَعِ الْعِمَـامَـةَ تَعرِفـونِى

والمَخارِمُ: جمع مَخرِمٍ، وهو مُنْقَطَعُ أنف الجبل.

وقوله: «فوق النجوم العَوَاتِمِ»، يعنى المتأخرة، يقال: فلان يأتينا ولا يُعتِّم: أى لا يتأخـر، وعتَمَـةٌ اسم للوقت، فلذلك سميت الـصلاةُ بذلك الوقتِ، وكل صلاة مضافةٌ إلى وقتها، تقول: صلاة الغَدَاة، وصلاةُ الظهرِ، وصلاةُ العصرِ، وأما قـولك: الصـلاةُ الأولى، فالأولـى نـعـت لـها إذ كانت أَوَّلَ مـا صُلِّىَ، وقيل أَوَّل ما أظهِرَ.

وقوله: «فاقْـنَىْ حَيَاءَ الكرائم»، يقول: فـالْزَمِى، وأصل القِنْيَةِ المالُ اللازمُ، يـقال: اقْتَنَى فلانٌ مالاً إذا اتَّخَذَ أصل مالٍ، وقيـل فى قـول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ

(١) السماكان. كوكبان، أحدهما الرامح، والثانى الأعزل والموهن: نصف الليل.
(٢) زيادات ر «الخنين»، بالخاء صوت من الخيشوم
(٣) زيادات ر هذا الشعر لسحيم بن وثيل الرياحى»

هُوَ أغْنَى وأقْنَى﴾(١)، أى جَعَلَ لهم أصل مال، وأنشد أبو عبيدة(٢):

لَوْ كَـانَ للدَّهْرِ عِـزٌّ يَطْمَـئِنٌّ به   لكَانَ لِلدَّهْرِ صَخْرٌ مَالَ قُنْيَانِ(٣)

والكَرائم: جـمع كَـرِيمـة، والاسم من «فعـيلة» والنعـتُ يجمـعـان على «فعائـلَ»، فالاسم نحو: صَحِـيفةٍ وصحـائفَ، وسَفينة وسَفـائن، والنعت نحو: عَقيلة وعَقائل، وكَريمةٍ وكَرَائِم.

وقوله: «ومـات أبى» يريد التأسىَ بالأشراف، وأبو غـالب بن صَعْصَـعَة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مجاشع، وكان أبوه شريفا، وأجداده. إلى حيث انْتَـهَوْا، ولكل واحد منهم قـصة يطول الكتاب بـذكرها والمنْذران: المنذر بن المُنْذرُ بن ماء السَّماء اللَّخْمىُّ، يريد الابن والأب،وعـمرو بن كلثوم التَّغْلَبىُّ، قاتل عمرو بن هند، وكان أحَدَ أشراف العرب وفتَّاكِهِمْ وشعرائهم، والأراقِمُ: قبيلة من بنى تَغْلِبَ، ابنة وائل، من بنى جُشَمَ بن بكْرٍ، وزعم أهـل العلم، أنهم إنما سُمُّوا الأراقم؛ لأن عُيـونهم شُبِّـهَتْ بعيـون الحَيَّات، والأراقم: واحـدها أرْقَم، فكانوا معروفين بهذا، وقال الفرزدق يَرُدُّ على جَرير فى هجائه له وللأخْطَل:

إنّ الأرَاقِمَ لَنْ يَنالَ قَـديمَـهَـا   كَلْبُ عَـوَى مُـتَـهـتِّمُ الأسْنان

وجعله شِهابًا لهم لنوره وبَهائه وضِيائه، تقول العرب: إنما فلان نَجْم أهلِه، وكذلك قالت الخَنْساء:

* كَأنَّهُ عَلَمٌ فى رأْسِه نَار *

والأقْرعان: الأقْرَعُ بن حابِس، وابنه الأقْرَعُ من بنى مجاشع بن دارِمٍ، وكان الأقْرَعُ فى صدر الإسلام سَيِّدَ خنْدفَ(٤)، وكان مَحَلُّهُ فيهـا محلَّ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ فى قَيْسٍ. وحاجبُ بن زُرارَةَ بن عُدَسَ سَيِّدُ بنى تَميم فى الجاهلية غير مُدافَعٍ.

---

(١) سورة النجم ٤٨

(٢) زيادات ر: «الشعر لأبى المثلم الهذلى يرثى صخرا».

(٣) رواية دوان الهذليين ٢٣٨.٢:

* لو كان للدهر مالٌ عند متلده *

(٤) حندف: قبيلة سميت باسم لبلى بنت حلوان، وكانت زوجا لإلياس بن مضر.

وعمـرو أبو عمرو، يريد عـمرو بن عُدَسَ، وكان شـريفا، وكان ابنه عـمرو شريفًا، قتل يوم جَبَلَةَ(١)، قتلته بنو عـامر بن صَعْصَعَـة، وقتلوا لَقيطَ بن زُرارةَ - وكان الذى ولِىَ قـتله عمـارة الوَهَّاب العَبْـسىّ، وينسب إلى بنى عامـر؛ لأن بنى عَبْسٍ كانوا فـيهم معْ قَيسْ بن زُهَيْرٍ، وَعُمـارةُ هذا كان يقال له: «دالقٌ»(٢)، وقتله شرْحافٌ الضبِّىُّ، ولذلك يقول الفرزدق:

وَهُنّ بِشِـرْحَـافٍ تَدَارَكْنَ دَالِقًـا   عُمَارَةَ عَبْسٍ بَعْدَ مَا جَنَحَ الْعَصْرُ

وزعم أبو عبـيدة أن فـاطمةَ بنت الْخُـرْشُبِ الأنمارِيَّة أُرِيَتْ فى منامهـا قائلا يقول: أعشرة هدَرةٌ أحَبُّ إليكِ أم ثلاثةٌ كعشرة - [هدرة بالدال غـير معجمة، قال أبو الحسن: هم السُّقَّاط من الناس] - فلم تقل شيئًـا، فعاد لها فى الليلة الثانية فلم تقُلْ شيـئًا، ثم قَصَّتْ ذلك على زوجـها فقال: إن عـاد لك الثالثة فـقولى: ثلاثة كعشرة - وزَوْجُها زياد بن عبد الله بن ناشب العَبْسىّ -، فلما عاد لها قالت: ثلاثة كعـشرة، فـولدتهم كلَّهم غـايَةً، ولَدَتْ رَبيعَ الْحفَّـاظ، وعُمـارةَ الْوَهَّاب، وأنَسَ الفَوَارِس، وهى إحدى المُنْجِباتِ من العرب -

وأسَرُوا حاجِـبًا، فذلك حيث يقول جـرير يعير الفرزدق ويُعْلِمُهُ فـخر قَيْسٍ عليه:

تُحَضّضُ يَا بْنَ الْقَـيْنِ قَيْسًا لِيـجْعَلوا   لِقَـوْمِـكَ يَوْمًـا مِـثْلَ يَوْمِ الأرَاقِمِ
كَـأنَكَ لَمْ تَشْـهَدْ لَقِـيطًا وَحَـاجِبًـا   وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يالدارِمِ دَارِمِ!
ولَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَا الصَّفَا   وَشَـدَّاتِ قَـيسٍ يومَ دَيْرِ الجَـمَـاجِمِ

الجوْنَان: مـعاويةُ وحَسَّانُ ابنا الجَـوْنِ الكنْديَّان، أُسرا فى ذلك اليوم، فَـقُتِلَ حسان، وفُودِىَ معاويةُ بسبب يطول ذكره. والشِّعْبُ: شِعْبُ جَبَلَة.

وقوله:

* وشدّات قيس يوم دَيْر الجَماجِم *

---

(١) جبلة: موضع فى نجد، ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدها لعامر وحلفائهم من بنى عبس على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد.

(٢) سمى بدلك لكثرة غاراته، من دلق الغارة على عدوه إذا شنها عليه.

هذا فى الإسلام، يعنى وَقْعةَ الحجَّاجِ بن يوسف بن الحَكَمِ بن أبى عَقيلٍ الثَّقَفِىِّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأَشْعث بن قيس بن مَعْدى كَربَ الكِنْدِىِّ بدَيْر الجَماجِم.

قوله(١):

* وقد مات بسْطام بن قيس بن خالد *

يعنى الشَّيْبانِىّ، وهو فارس بَكْر بن وائل وابن سيدها، وقتِل بالحَسنِ(٢) - وهو جَبَلٌ - قتله عاصم بن خَليفة الضَّبِّىُّ، وكان عاصمُ بن خليفة أسلم فى أيام عثمان رحمه الله، فكان يقف ببابه فيستأذن عليه، فيقول عاصمُ بن خليفة الضبىّ: قاتِلُ بِسْطامِ بن قَيْسٍ بالباب - [قال أبو الحسن: الوجه عندى فى «بسطام» ألا ينصرف لأنه أعجمى] - وكان سببُ قتله إياه أن بِسْطامًا أغارَ على بنى ضَبَّةَ، وكان معه حارٍ يحزو له - [قال أبوالحسن: «حار» بالزاى أى زاجرٌ] -، فقال له بِسْطامٌ: إنى سمعت قائلا يقول:

* الدَّلْوُ تَأْتِى الْغَرَبَ المزَلَّهْ(٣) *

فقال الحازى: فَهَلاَّ قُلْتَ:

* ثمَّ تَعُودُ بَادنا مُبْتَلَّهْ(٤) *

قال: ما قلت، فاكْتَسَحَ إبِلَهُمْ، فَتنادَوْا واتَّبَعوهُ، ونظرت أم عاصم إليه، وهو يَقَعُ حديدة له - أى يَحُدُّها، والْمِيقَعةُ: المِطْرَقةُ - فقالت له: ما تَصْنَعُ بهذه؟ - وكان عاصم مضعوفًا(٥) -، فقال [لها](٦): أقتل بها بِسْطامَ بن قيسٍ، فَنَهَرَتْهُ، وقالت: استُ أُمِّكَ أَضيَقُ من ذلك! فنظر إلى فَرَسٍ لِعَمِّه مُوثقةً إلى شجرة

---

(١) رجع إلى تفسير قول الفرزدق ص ٢٠٤.

(٢) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية، بالحسن، وهو حبل بالجيم، والصواب: حبل بالحاء. قال ابن سراج رحمه الله تعالى. الحسن والحسين: حبلا رمل».

(٣) الغرب هنا: الماء الذى يسيل من الدلو. والمزلة: موضع الزلل.

(٤) البادن فى الأصل: الضخم البدن، يريد هنا أن الدلو تعود ممتلئة بالماء.

(٥) ر «منقوصا»

(٦) تكملة من ر.

فاعْرَوْراها ـ أى ركبها عُرْيًا ـ ثم أقبل بها الريحَ، فنظر بسطام إلى الخيل قد لَحقتْهُ، فجعل يَطْعُنُ الإبل فى أعجازها، فصاحت به بنو ضَبَّةَ: يابسطام، ما هذا السَّفَهُ! دَعْها، إمَّا لنا وإمَّا لك، وانْحَطَّ عليه عاصمٌ، فطعَنهُ فرمى به على الألاءة ـ وهى شجرة ليست بعظيمة، وكان بسطام نَصْرانيًّا، وكان مَقْتَلُهُ بعد مَبعَث النبى ﷺ ـ فأراد أخوه الرجوع إلى القوم، فصاح به بسطامٌ: أنا حَنيفٌ إن رَجَعتَ، ففى ذلك يقول ابن عَنَمة الضَّبِّىُّ ـ وكان فى بنى شيبان:

فَخَرَّ عَلى الألاَءَةِ لَمْ يُوسَّدْ ... كَأنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

ولما قُتِلَ بسطام لم يَبْقَ فى بكْرِ بن وائِلٍ بيتٌ إلا هُجِمَ (أى هُدِم).

وقوله:

* ومات أبو غَسَّان شيخ اللَّهازم *

يعنى مالك بن مِسْمَع بن شَيْبان بن شِهاب، أحَدَ بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ، وإليه تُنْسَبُ المِسَامعة. وكان سيد بكْرِ بن وائِلٍ فى الإسلام، وهو الذى قال لعُبَيْد الله بن زياد بن ظَبْيان، أحد بنى تيم اللَّاتِ بن ثَعْلَبَةَ ـ وكان حين حَدَث أمر مسعود بن عمرو المَعْنِىِّ من الأزْدِ فلم يُعْلِمْهُ به، فقال له عبيد الله ـ وهو أحد فُتَّاك العرب، وهو قاتل مُصْعَبِ بن الزبير ـ: أيكونُ مثل هذا الْحَدَث ولا تُعْلمُنى به! لَهَمَمْتُ أن أضْرِم دارك عليك ناراً ـ فقال له مالك: اسْكتْ أبا مَطَرٍ، فواللهِ إن فى كِنانتى سَهْمًا أنا أوْثَقُ به منى بكَ، فقال له عبيد الله: أوَ أنا فى كِنانَتِكَ؟ فو الله لو قمت فيها لطُلْتُها، ولو قعدتُ فيها لَخَرَقْتُها، فقال له مالك ـ وأعجبه ما سُمِعَ منه ـ: أكْثَرَ اللهُ فى العشيرة مِثْلَكَ! قال: لقد سألتَ ربَّك شَطَطًا!

وفى مالك بن مِسْمَع يقال:

إذَا ما خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلاَمَةً ... دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسْكَرَا

قوله: «وقد مات خيراهم»، تثنية كقولك: مات أحْمَرَاهُمْ، ولم يَخْرُجْ مَخْرَجَ النعت، ألا تَرَى أنك تقول: هذا أحْمَرُ القوم إذا أردتَ: هذا الأحْمَر الذى للقوم، فإذا أردتَ الذى يفضُلُهُمْ فى باب الحمرة قلتَ: هذا أَشَدُّهُمْ حمرةً، ولم

تقل: هذا أحمرهُم، وكذلك خيراهم، وإنما أردتَ هذا خيرُهم ثم ثَنَّيْتَ، أى هذا الخير الذى هو فيهم.

وقوله: «عَشِيَّةَ بانا»، مردود على قوله: «خيراهم».

وقوله: «رَهْطِ كعب وحاتم»، إنما خفضتَ «رهطا» لأنه بدل من «هم» التى أَضَفْتَ إليها «الخيرين»، والتقدير: وقد مات خَيْرَا رهط كعبٍ وحاتِمٍ، فلم يُهْلكاهم عشيةَ بانا.

فأما كَعْبٌ، فهو كعب بن مَامَةَ الإيادىُّ، وكان أحدَ أجواد العرب الذى آثَرَ على نفسه، وكان مسافراً ورفيقُهُ رجل من النَّمِرِ بن قاسط فَقَلَّ عليهما الماءُ فَتَصَافناهُ ـ والتَّصافُنُ: أن يُطْرَحَ فى الإناء حَجَرٌ[1] ثم يُصَبَّ فيه من الماء ما يَغْمُرُهُ لئلا يتغابنوا: وكذلك كل شىء وُقِفَ عَلَى كَيْلِهِ أو وزْنِه، والأصل ما ذكرنا ـ فجعل النَّمَرِىُّ يشرب نصيبه، فإذا أَخَذَ كعبٌ نصيبه قال: اسْقِ أخاك النَّمَرِىَّ، فَيُؤْثِرُهُ حتى جُهِدَ كعبٌ، ورُفِعَتْ له أعلام الماء، فقيل له: رِدْ كَعْبُ ولا وُرودَ به، فمات عَطَشًا، ففى ذلك يقول أبو دُؤاد الإيادىُّ:

أَوْفَى عَلَى المَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ: ... رِدْ كَعْبُ إِنَّكَ وَرَّادٌ فَمَا وَرَدَا

فَضُرِبَ به المَثَلُ، فقال جَرير فى كَلِمَتِهِ التى مَدَحَ فيها عُمَرَ بن عبد العَزِيز:

يَعُودُ الْفَضْلُ مِنْكَ عَلَى قُرَيْشٍ ... وَتَفْرُجُ عَنْهُمُ الْكُرَبَ الشِّدَادَا
وَقَدْ أَمَّنْتَ وَحْشَهُمُ بِرِفْقٍ ... وَيُعْيِ النَّاسَ وَحْشُكَ أَنْ تُصَادَا
وَتَبْنِى المَجْدَ يَا عُمَرُ بْنَ لَيْلَى ... وَتَكْفِى المُمْحِلَ السَّنَةَ الجَمَادَا
وَتَدعُو اللهَ مُجْتَهِدًا لِيَرْضَى ... وَتَذْكُرُ فى رَعِيَّتِكَ المَعَادَا
وَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سُعْدَى ... بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرَ الجَوَادَا
تَعَوَّدْ صَالِحَ الأَخْلاَقِ إِنِّى ... رَأَيْتُ المَرْءَ يَلْزَمُ مَا اسْتَعَادَا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه.

---

(١) زيادات ر: «هذا الحجر الذى يقسم به الماء، يقال له المقلة، بفتح الميم».

وأما ابن سُعْدَى، فـهو أَوْسُ بن حارِثَةَ بن لأمٍ الطائيُّ، وكان سيـداً مُقَدَّمًا، فَوَفَدَ هو وحاتمُ بن عبـد الله الطائيُّ على عَمْرِو بن هند، وأبوه المُنْذر بن المنذر بن ماء السمـاء، فدعا أَوْسًا فـقال له: أأنت أفضلُ أم حاتمٌ؟ فـقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! لو ملكني حاتم وولدي ولُحْمَتِي لوَهَبَنا في غَداة واحدة. ثُمَّ دعا حاتمًا فقال له: أنت أفضلُ أم أوْسٌ؟ فقال: أَبَيْتَ اللعن! إنما ذُكِرْتُ بأوسٍ، ولأحَدُ ولَدِه أفضلُ مني.

وكَان النُّعْـمانُ بن المُنْذرِ دعا بحُلَّـة وعنده وُفُودُ العرب من كلِّ حَيّ فـقال: احْضُروا في غَدٍ، فإني مُلْبِسٌ هذه الحُلَّةَ أكْرَمَكُمْ، فحـضر القوم جميعًا إلا أوسًا، فقيل له: لم تتخلف؟ فقال: إن كان المراد غيري فأَجْمَلُ الأشياء ألا أكون حاضراً، وإن كنت أنا المراد فَسأُطْلَبُ ويُعْـرَفُ مكاني. فلما جلس النـعمان لم يـر أوسًا، فقال: اذهبـوا إلى أوس فقولوا له: احْضُـرْ آمنًا مما خفْتَ، فَحضَـر فَأُلبِسَ الحُلَةَ، فحسـده قوم من أهله، فقالوا للحُطَيْئة: اهْـجه ولك ثلثُمائة ناقة، فقـال الحطيئة: كيفَ أهجو رجلا لا أرى في بيتي أثاثًا ولا مالا إلا من عنده!

ثم قال:

كَيْفَ الْهِجَاءُ وَمَا تَنْفَكُّ صالِحَةٌ مِنْ آلِ لأمٍ بَظهْرِ الْغَـيْبِ تَأْتِينِي

فقـال لهم بِشْرُ بن أبي خازِم، أحـدُ بني أسَد بن خُزَيْمـة: أنا أهجوه لكم، فأخذ الإبل وفعل، فأغـار أوس على الإبل فاكْتَسَحَها، فجعل لا يستـجير حَيًّا إلا قال: قد أجَرْتُكَ إلا من أوس. وكان في هجائـه إياه قد ذكر أُمهُ، فأُتِيَ به، فدَخَل أَوْسٌ على أمِّهِ فقال: قد أُتينا بِبشْرٍ الهاجي لك ولي، فما تَرَيْنَ فيه؟ فقالت له: أوَ تُطيعُني فيه؟ قال: نعم، قالت: أرى أن تَرُدَّ عليه مالهَ، وتَعْفُوَ عنه وتَحْبُوه، وأفعلُ مثل ذلك، فإنه لا يَغْسِلُ هجاءَهُ إلا مَدْحُهُ.

فخرج إليـه فقال: إن أمي سُعْـدَى التي كنتَ تهجوها قد أمـرتْ فيك بكذا وكذا، فقال: لا جَرَمَ والله! لامَدَحْتُ أحدًا حتى أموتَ غَيْرَك. ففيه يقول:

إِلَى أَوْسِ بْنَ حَـارِثَةَ بْن لأمٍ لِيَقْضِيَ حَاجَتِي فِيمَـنْ قَضَاهَا
وَمَا وَطِئَ الثَّرَى مِثْلُ ابْن سُعْدَى وَلا لَبِسَ النِّعَـالَ وَلاَ احْتَـذَاهَا

وأمـا حاتمٌ الذى ذكـره الفَرَزْدَقُ، فـهـو حاتم بن عـبد الله الطائىُّ، جَـوَادُ العرب، وقد كَـان الفرزدق صافَنَ رجلاً من بنى العَنْبـر بن عمرو بن تميم إداوة(١) فى وقت، فرامَهُ الْعَنْبَرِىُّ وسامه أن يُؤْثِـرهُ ـ وكانَ الفرزدق جَواداً ـ فلم تَطِبْ نفسُه عن نفسه، فقال الفرزدق:

فَلَمَّـا تَصَـافَنَّا الإِدَاوَةَ أَجْـهَـشَتْ ... إِلَىّ غُضُـونُ الْعَنْبرِىِّ الْـجُرَاضِمِ
فَـجَـاءَ بِجُلْمُـود لَهُ مـثْلِ رَأْسِـه ... لِيَشْرَبَ مَـاءَ الْقَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ
عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِى الْقَوْمِ حَاتِمًا ... عَلَى جُودِه ضَنَّت بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ

أمّا قوله: «أجْهَـشَت» فهو التَّسَرُّعُ، وما تراه فى فَـحْواه من مُقاربة الشىء، يـقـال: أجْـهَشَ بالبكاء. والغُـضـون: التكسّـر فى الجلد، والجُـراضم: الأحمـر الممتلئ.

وقوله:

* ليشرب ماء القوم بين الصرائم *

فـهى جمع صَـريمـة: وهى الرملة التى تنقطع من مُـعْظَمِ الرمل، وقـوله: «صَرِيمةٌ» يريد مصرمة، والصَّرْمُ: القطع، وأنشد الأصْمَعِىُّ:

فَـبَاتَ يَقُـولُ أَصْبِحْ لَيْلُ حَـتَّى ... تَجَلَّى عَنْ صَـرِيمَـتِـهَ الظَّلاَمُ

يعنـى ثَـوراً، وصَـرِيـمتـه: رَمْلتــه التى هـو فيها، وقال المفـسرون فى قوله عـز وجل: ﴿فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ﴾(٢) قولين، قـال قوم: كالـلـيل المُظْلِمِ، وقال قوم: كالنـهار المضىء، أى بيضاء لا شىء فـيها، فهو من الأضـداد، ويقال: لَكَ سَوادُ الأرض وبياضُهـا، أى عامرها وغامرُها، فهذا ما يُحْـتَجُّ به لأصحاب القول الأخـير، ويحـتج لأصحـاب القول الأوّل فـى السواد بقـول الله تبارك وتعـالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾(٣)، وإنما سُمِّىَ السـواد سواداً لعمَارتِهِ، وكل خُـضْرةٍ عند العرب سَوادٌ، ويروى:

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فى الْقَومِ حَاتِمًا ... عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمْ

جَعل «حـاتما» تبيينًا للهـاء فى جوده، وهو الذى يسمـيه البصـريون البدل، أراد: على جود حاتمٍ.

---

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء، وجمعه أداوى.
(٢) سورة القلم ٢.
(٣) سورة الأعلى ٥.

بابـ

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: كان يقال: إذا رَغِبْتَ فى المكارم فاجْتَنب المحارمَ.

وكان يقال: أنْعَمُ الناس عيشًا مَنْ عاش غيره فى عيشه.

وقيل فى المثل السائر: من كان فى وطَنَ فَلْيُوطِّنْ غيرَه وطنه، ليَرْتَعَ فى وَطَنِ غيره فى غربته.

قال: وانْتبه معاوية من رَقْدة له، فَأَنْبَه عمرو بن العاص، فقال له عمرو: ما بقى من لَذَّتك[(١)]؟ قال: عَينٌ خَرَّارَةٌ فى أرض خَوَّارة[(٢)]، وعينٌ ساهرةٌ لعين نائمة، فما بقى من لذلتك يا أبا عبد الله؟ قال: أن أَبِيتَ مُعْرِسًا بعقيلة من عَقائل العربً. ثم نَبَّها وَرْدان[(٣)]، فقال له معاوية: ما بقِي من لذتك؟ فقالَ: الإفضالُ على الإخوان، فقال له معاوية: أسكتْ، أنا[(٤)] أحقُّ بها منك، قال[(٥)]: قد أمْكَنَكَ فـافْعَـلْ.

ويروى أن عمرًا لما سُئل قال: أن أسْتَتِمَّ بناء مَديتتى بمصر، وأنَّ وردْانَ لما سُئِلَ قال: أن ألْقَى كريمًا قادرًا فى عَقِب إحسانٍ كان منى إليه، وأن معاوية سئل عن الباقى من لذته فقال: مُحَادَثَةُ الرجال.

ويروى عن عبد المَلك أنه قال - وقد سئل عن الباقى من لذته فقال: مُحادَثَةُ الإخوان فى الليالى القُمْرِ[(٦)] على الكثْبان العُفْر[(٧)].

وقال سليمان بن عبد الملك: قد أكلنا الطَّيِّبَ، ولَبِسْنَا الَّلينَ، وركبنا الفارهَ[(٨)]، وامْتَطَيْنا العَذْراءَ، فلم يَبْقَ من لَذَّتى إلا صَديق أطْرَحُ بينى وبينه مَئُونَة التَّحَفظ.

---

(١) كذا فى الأصل، س. وفى ر: «ما بقى من لذتك يا أمير المؤمنين».
(٢) عين خرارة: جارية. خوارة: سهلة لينة.
(٣) وردان: مولى عمرو بن العاص.
(٤) ر: «فأنا».
(٥) ر. «فقال له».
(٦) قمر: جمع قمراء، وهى الليلة التى يغمرها ضوء القمر.
(٧) العفر: جمع أعفر، وهو اللون الأحمر.
(٨) الفاره: النشيط من الدواب.

وقال رجل لرجل من قريش: إنى والله ما أَمَلُّ الحديثَ، قال: أَيُمَلُّ الْعَتيق[1].

وقال المهَلَّبُ بن أبى صُفْرة: العيش كلُّه فى الجليس المُمْتِعِ.

وقال معاوية: الدنيا بحَذافيرها الخَفْضُ والدَّعَةُ.

وقال يزيد بن المهلَّب: ما يَسُرُّنى أنى كُفيتُ أمْرَ الدنيا كلَّه، قيل له: ولم أيُّها الأميرُ؟ قال: أكْرَهُ عادةَ العَجْزِ.

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: لو أنزل الله كتابًا أنه مُعَذِّبٌ رجلا واحدًا لخِفْتُ أن أكونَهُ، أو أنه راحِمٌ رجلا واحدًا لرَجَوْتُ أن أكونه، أو أنه مُعَذِّبى[2] لا مَحالةَ ما ازْدَدْتُ إلاَّ اجتهادًا لئلا أرْجِعَ على نفسى بلائمة.

[أدب عمر بن عبد العزيز]

ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل إليه سالم مَوْلَى بنى مَخْزُومٍ، ـ وقالوا: بل زِيادٌ ـ وكان عمر أراد شراءه وعتقه، فأعتقه مَوَاليه، وكان عمر يسميه: أخى فى الله، فكان إذا دخل وعمُر فى صدر مجلسه تَنَحَّى عن الصَّدْر، فيقال له فى ذلك فيقول: إذا دَخَلَ عليك مَنْ لا تَرَى لك عليه فَضْلاً فلا تأخُذْ عليه شَرَفَ المجلس.

وهَمَّ السِّراجُ ليلةً بأن يَخْمُدَ، فَوَثَبَ إليه رَجاءُ بنُ حَيْوَة لِيُصلحه، فأقسَمَ عليه عمرُ فَجَلَس، ثم قام عمر فأصلحه. فقال لهُ رَجاءٌ: أتقوم يا أمير المؤمنين! قال: قمتُ وأنا عمرُ بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تَرْفَعونى فَوْقَ قَدْرى، فتقولوا فِيَّ ما قالت النصارى فى المسيح، فإن الله اتَّخَذَنى عبدًا قبل أن يَتَّخِذَنِى رسولا».

ودخل مَسْلمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مَرْضَتِه التى مات فيها، فقال: ألاَ تُوصى يا أمير المؤمنين؟ قال: فِيم أُوصِى؟ فوالله إنْ لِىَ من مالٍ،

---

(١) ر ، س: «إنما يمل العتق»، والعتيق: القديم.

(٢) ر: «ولو علمت أنه معذبى».

فقال: هذه مائة ألف فَـمُرْ فيها بما أحْبَبْتَ، فقـال: أوَ تَقْبَلُ؟ قال: نعم، قال: تُرَدُّ على من أُخذَتْ منه ظلمًا. فبكى مَسْلَمةُ ثم قال: يرحمك اللّه! لقد ألَنْتَ منا قلوبًا قاسية، وأبقيتَ لنا فى الصالحين ذكْرًا.

[بر على بن الحسين بأمه]

وقيل لعلىٍّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم اللّه: إنك مِنْ أبَرِّ الناسِ بأمِّك ولَسْنَا نراك تأكل مع أُمِّكَ فى صَحْفة، فقال: أخاف أن تَسْبِقَ يدى إلى ما سَبَقَتْ عينُها إليه فأكون قد عَقَقْتُها.

[لعمر بن ذر فى ابنه]

وقـيل لعمـر بن ذَر ـ حـيث نُظِرَ إلى تَعَزِّيه عـن ابنه ـ كيف كـان بِرُّهُ بك؟ فقال: مـا مشيت بنهار قَطُّ إلا مَشَى خَلْفى، ولا بـليل إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سَطْحًا وأنا تحته.

[لأبى المخش فى ولده]

وقال أبو المخَشِّ: كانت لى ابْنةٌ تَجْلِسُ معى على المائدة، فتُبْرِزُ كَفًّـا كأنها طَلْعَةٌ[١]، فى ذِراعٍ كأنهـا جُمَّارةٌ[٢]، فلا تَقع عيـنُها على أُكْلة نَفيسـة إلا خَصَّتْنى بها، فَزَوَّجتُها، وصار يجلس معى على المائدة ابنٌ لى فـيُبْرِزُ كَفًا كأنها كِرْنافةٌ، فى ذِراعٍ كأنها كَرَبَةٌ، فواللّه إن تَسْبِقُ عينى إلى لُقْمة طَيِّبة إلا سَبَقَتْ يده إليها.

وقال الأصمـعىُّ: قيل لأبى المخَشِّ: أمَا كان لك ابن؟ فـقال: المخَشُّ، وما كـان المخَشُّ؟ كان واللّه أَشْـدَق خُرْطمـانيًـا إذا تكلم سال لُعـابُه، كـأنما ينظر من قَلْتَيْن[٣]، وكأنَّ تَرْقُوَتَهُ بُوانٌ أو خالفةٌ، وكَأنَّ مُشاشَ مَـنْكِبَيْه كِرْكِرةُ جَمَل، فَقَأَ اللّهُ عَيْنىَّ هاتين إنْ كنتُ رأيتُ بهما أحْسَنَ منه قبله ولا بعده!

قوله: «بوان أو خـالفة» فهمـا عمودان من عُمُـد البيت، البوانُ فى مُقَـدَّمه والخالفة فى مُـؤَخَّرِه. والكِرْنافةُ: طَرَفُ الكربةِ العريض الذى يتـصل بالنخلة كأنه كَـتِـفٌ.

---

(١) الطلعة: واحدة الطلع، وهو نور النخله.

(٢) الجماره: شحمة النخلة.

(٣) مثنى قلت، وهو نقرة مستديره فى أرض صلبة.

حدثنى بهذا الحديث العباسُ بن الفرَج الرِّياشيُّ عن الأَصْمَعىِّ، وحدثنى عمّن حدثه قال: مَرَّ بنا أعرابىٌّ يَنْشُدُ ابنا له، فقلنا: صِفْهُ، فقال: دُنَينِرٌ، قلنا لم نَرَهُ، فلم نَلْبَثْ أن جاء بجُعَلٍ على عُنُقِه، فقلنا: لو سألتَ عن هذا لأرْشَدْناكَ، مازال مُنْذُ اليوم بين أيدينا.

وأنشد مُنْشِدٌ، وأنشدنى الرِّياشىُّ أحد البيتين:

نعم ضَجِيعُ الْفَتَى إذا بَرَدَ اللَّيـ ... ـلُ سُحَيْرًا وَقَرْقَفَ الصَّرِدُ(١)

زَيَّنَهَا اللهُ فى الْفُؤَادِ كَمَا ... زُيِّنَ فى عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُ

[لأم ثواب الهزانية تصف عقوق ابنها]

وقالت أُمُّ ثَوابِ الهِزَّانيَّة، من عنَزَةَ بن أسَد بن رَبيعةَ بن نِزارٍ، تعنى ابنها:

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَعْظَمُهُ ... أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فى رِيشِهِ زَغَبَا(٢)

حَتى إذَا آضَ كَالْفُحَّالِ شَذَّبَهُ ... أَبَّارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِه الكَرَبَا

أَنْشَا يُخَرِّقُ أثْوَابِى ويَضْرِبُنِى ... أَبَعْدَ سِتِّينَ عِنْدِى يَبْتَغِى الأدبَا!

إنِّى لأُبْصِرُ فى تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ ... وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فى وَجْهِهِ عَجَبَا(٣)

قالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعَنِى: ... رِفْقًا فَإنَّ لَنَا فى أُمِّنَا أرَبَا

وَلَوْ رَأَتْنِى فى نارٍ مُسَعَّرَةٍ ... من الجَحِيمِ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا

قوله: «أباره»، فهو الذى يُصْلِحُهُ، يقال: أبَرْتُ النخل وأبَرْتُهُ (خفيفة)، إذا لَقَّحْتَهُ.

[خبر مالك بن العجلان مع أبى جبيلة]

ويروى أن مالك بن العَجْلان ـ أو غيرَه من الأنصار ـ كان يُتْحفُ أبا جُبَيْلَةَ المَلِكَ حيث نزل بهم بتمرٍ من نخلةٍ لهم شَرِيفةٍ، فغاب يوما، فقال أبو جُبَيْلَةَ: إن

(١) قرقف، من القرقفة، وهى الرعدة. والصرد: الذى آلمه الصرد، وهو البرد.

(٢) الزغب: ما يبدو من ريش الفرخ.

(٣) الترجيل: التسريح. واللمة: شعرالرأس الذى يلم بالمنكب.

مالكًا كان يُقوِّتُ علينا جَنَى هذه النخلة فَجُدُّوها، فجاء مالك ـ وقد جُدَّتْ ـ فقال: مَنْ سَعى على عَذْقِ[1] الْمَلِكِ فَجدَّهُ، فأعلموهُ أن المَلكَ أَمَرَ بذلك، فجاء حتى وقَف عليه فقال:

جَدَدْتَ جَنَى نَخْلَتِي ظَالِمًا وكان الثِّمارُ لِمَنْ قَدْ أَبَرْ

فلما دخل النبىُّ ﷺ المدينةَ أَطْرَفُوه بهذا الحديث، فقال ﷺ: «الثمر لمن أَبَر، إلا أن يَشْتَرِطَهُ المشترى».

والفحال فُحَّال النخل: ولا يقال لشىء من الفحول فحَّالٌ غيره. وأنشدنى المازنىُّ:

يُطِفْن بفُحَّالٍ كأنَّ ضِبابَهُ بطونُ المَوالى يومَ عيدٍ تَغَدَّتِ[2]

وضِبابهُ: طلْعه. وآض: عاد ورجع.

وقولها: «شذَّبه» تقول: قطع عنه الكرَب والعَثاكيل[3]، وكلٌّ مشذَّب مقطوع، ويقال للرجل الطويل النحيف: مشذَّب، يشبَّه الجذع المحذوف عنه الكرَب، وأصل التشذيب القطع، وقال الفرزدق:

عضَّتْ سيوفُ تميمٍ حين أغضبها رأس ابن عَجْلى فأضحى رأسُه شَذَبا

أراد: عضَّتْ سيوفُ تميم رأسَ ابن عجلى حين أغضبها.

وابن عجْلى: عبد الله بن خازم السُّلَمىّ، وأمّه عجلى، وكانت سوداء، وهو أحد غربان العرب فى الإسلام.

[للمهلب وقد سئل: من أشجع الناس؟]

وسئل المهلب. مَنْ أشجع الناس؟ فقال: عباد بن حصيْن، وعمرو بنُ عبيد الله بن مَعمَر، والمغيرة بن المهلب؛ فقيل: فأين ابن الزبير وابن خازم وعُمَيْر ابن الحباب؟ فقال: إنَّما سئلت عن الإنس ولم أسأل عن الجن!

---

(١) العذق بالفتح: اسم النخل عند أهل الحجاز.

(٢) البيت فى اللسان (ضبب ـ فحل) ونسبه للبطين التيمى.

(٣) العثاكيل: الشماريخ، واحده عثكول.

باب

[من كلام عائشة]

رَوَى شعبة عن واقد بن محمد، عن أبى مُلَيكة، عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضى الله عنها: مَنْ أرضى اللهَ بإسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس. ومَنْ أَرْضَى الناس بإسخاطِ الله وكلَه الله إلى الناس، ومَنْ أصلح سريرته أصلح الله علانيتَه.

[بين الحسن بن زيد والى المدينة وابن هَرْمة]

ويروى أن الحسَن بن زيد(١) لمّا ولِّيَ المدينة قال لابن هَرْمة(٢): إنى لستُ كمن باع لك دينَه رجاءَ مَدْحك أو خوفَ ذمِّك، قد أفادنى الله بولادة نبيِّه الممادح، وجنَّبنى المقابح، وإنَّ من حقِّه عليَّ ألاَّ أغضيَ على تقصير فى حقِّه، وأنا أقسم بالله، لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضربنَّك حدَّين: حداًّ للخمر، وحداًّ للسكر، ولأزيدنَّ، لموضع حرمتك بى. فليكن تركُها لله تُعَنْ عليه؛ ولا تدعْها للنَّاس فتوكَل إليهم. فنهض ابن هَرْمة وهو يقول:

نهانى ابْنُ الرسول عن المدامِ ... وأدَّبنى بآداب الكرامِ

وقال لِيَ اْصطبرِ عنها ودعْها ... لخوفِ الله لا خوفِ الأنامِ

وكيف تصبرِى عنها وحُبِّى ... لهـا حبٌّ تمكّن من عظامِي!

أرى طيبَ الحلال عليَّ خُبثًا ... وطيب النفس فى خُبْث الحرامِ

[من كلام مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى]

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشِّخير الحَرشيِّ: يا مطرِّف، عظ أصحابَك، فقال مطرِّف: إنى أخاف أن أقول ما لا أفعل.

فقال الحسن: يرحمك الله! وأيُّنا يفعل ما يقول! لَودَّ الشيطان أنَّه ظفر بهذه منكم، فلم يأمر أحدٌ بمعروف، ولم ينَهَ عن منكر.

---

(١) هو الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب، ولى المدينة لأبى جعفر المنصور سنة ١٥٠.

(٢) هو إبراهيم بن هرمة من متقدمى الشعراء، ممن أدرك الدولتين: الهاشمية والأموية (وانظر ترجمته ومراجعها فى الشعر والشعراء ٧٢٩ - ٧٣١).

وقال مطرِّف بن عبد الله لابنه: يا عبدَ الله، العلم أفضلُ من العمل، والحسنة بين السيئتين، وشرّ السيْر الحَقْحَقة.

قوله: «الحسنة بين السيئتين»، يقول: الحقُّ بين فعل المقصِّر والْغَالى. ومن كلامهم: خيرُ الأمور أوساطها.

قوله: «وشرُّ السير الحقحقة»، وهو أن يستفرغ المسافر جُهْدَ ظَهره فيقطعَه، فيُهلِك ظهره، ولا يبلغ حاجته. يقال: حقحق السيرَ إذا فعل ذلك. وقال الراجز:

* وانبتّ فعلَ(١) السائر المُحَقْحِق *

وحُدثت أن الحسن نفى سابقَ الحاجّ وقد أسرع، فجعل يومئ إليه بإصبعه فعلَ الغازلة، وهو يقول: «خرقاء وجدتْ صوفا».

وهذا مَثَل من أمثال العرب يضربونه للرجل الأحمق الذى يجد مالاً كثيراً فيعيث فيه، وشبيه بهذا المثل قوله: «عبدٌ وخلى(٢) فى يديه».

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا الدين متين فأَوْغِلْ فيه برفق، ولا تبغِّضْ إلى نفسك عبادَةَ ربّك، فإن المنبتّ لا أرضًا قطع، ولا ظهراً أبقى».

قوله «متين»، المتين الشديد، قال الله عزّ وجل: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِين﴾(٣).

وقوله: «فأوغل فيه برفق»، يقول: ادخُل فيه، هذا أصل الوُغول، ويقال مشتقًّا من هذا للرجل الذى يأتى شَرَابَ القومِ من غير أن يُدْعَى إليه: واغِلٌ، ومعناهُ أنه وَغَلَ فى القوم وليس منهم، قال امرُؤُ الْقَيسِ:

حَلَتْ لِيَ الْخَمْرُ وَكَنْتُ اَمَرأً ... عَنْ شُربِها فِى شُغُلٍ شَاغِلِ
فَالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ(٤) ... إِثْمًا مِنَ اْللهِ وَلاَ وَاغِلِ

---

(١) زيادات ر: «فعل» بالنصب الرواية الصحيحة، لأنه مصدر معنى».
(٢) الخلى: الرطب من الحشيش.
(٣) سورة الأعراف ١٨٣.
(٤) المستحقب: الذى يحمل الشيء فى الحقيبة.

والمُنْبَتُّ: مثل المُحَقْحِقِ، واشتقاقه من الانقطاع، يقال: انْبَتَّ فلانٌ من فلان أى انقطع منه، وبَتَّ الله ما بينهم، أى قَطَعَ، قال محمد بن نُمَيْر:

تَواعَدَ لِلْبَيْنِ الْخَليطُ لِيَنْبَتُّوا   وَقَالُوا لِراعى الذَّوْدِ: مَوْعِدُكَ السَّبْتُ
وَفِى النَفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ   ومَوْعِدُهَا فِى السَّبْت لَو قَدْ دَنا لَوْقْتُ(١)

ويروى:

* أَلاَ قَرَّبَ الْحَىُّ الْجِمال لِيَنْبَتُّوا *

وحُدِّثْتُ أن ابْن السَّمَّاك كان يقول: إذا فَعَلْتَ الحسَنَةَ فافْرَحْ بها واستَقْلِلْها فإنك إذا استقللتها زِدْتَ عليها، وإذا فَرِحْتَ بها عُدْتَ إليها.

ويروى عن أُوَيْسٍ القَرَنِىِّ أنه قال: إنّ حقوق الله لم تَتْرُكْ عند مسلم درهمًا.

[يزيد بن هبيرة ينصح المنصور]

ودخل يَزيدُ بن عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ على أمير المؤمنين المَنْصور فقال: يا أمير المؤمنين، توسَّعْ تَوَسُّعًا قُرَشِيًا، ولا تَضِقْ ضيقًا حِجازيًّا.

ويروى أنه دَخَل عليه يوما فقال له المنصورُ: حَدِّثْنا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن سُلْطانَكُمْ حَديثٌ، وإمارَتَكُمْ جَديدةٌ، فأذيقوا الناس حلاوةَ عَدْلها، وجنِّبوهُمْ مَرارةَ جَوْرِها. فوالله يا أمير المؤمنين لقد مَحَضْتُ لك النصيحة.

ثم نَهَضَ فنَهَض معه سبعمائة من قَيْسٍ، فأتْأَرَهُ المنصور بصَرَهُ، ثم قال: لا يَعِزُّ مُلْكٌ يكون فيه مِثْلُ هذا.

قوله: «مَحَضْتُ لك النصيحة» يقول: أخلصت لك، وأصل هذا من اللبَن، والمَحْضُ منه: الخالص الذى لا يشوبُهُ شىء، وأنشد الأصمعِىُّ:

أَمْتَحَضَا وَسَقَّيَانِى ضَيْحَا   وَقَدْ كَفَيْتُ صَاحِبَىَّ المَيْحَا(٢)

---

(١) روى الأخفش البيت الأخير.

(٢) رواية اللسان عن شمر: (محض) «إنى كفيت» وفى زيادات ر: «الميح: طلب الشىء هاهنا وهاهنا».

ويقال: حَسَبٌ مَحْضٌ.

وقوله: «أتأره بصره» يقول: أتبعه بصره، وحَددَ إليه النَّظَر، وأنشد الأصمعيُّ:

مَازِلْتُ أَرْمُقُهُمْ وَالآلُ يَرْفَعُهُمْ حَتَّى اسْمَدَرَّ بِطَرْفِ العَيْنِ إِتَآرِى(١)

[لأسماء بن خارجة فى كرم الخلق]

ويروى عن أسماء بن خارجةَ أنه قال: لا أُشاتمِ رجلا، ولا أردُّ سائلا، فإنما هو كريم أسُدُّ خَلَّتَه، أو لئيم أشترى عِرْضى منه.

[للأحنف بن قيس]

ويروى عن الأحنف بن قَيْسٍ أنه قال: ما شاتَمْتُ رجلا مذْ كنتُ رجلا، ولا زَحَمتْ رُكْبَتَاىَ رُكْبَتَيه، وإذا لم أَصِل مُجْتَدِيًّ حتى يَنْتِحَ جَبِينُهُ عَرَقًا كما يَنْتِحُ الحَميتُ، فو الله ما وصَلْتُهُ.

قوله: «مُجتَدِىً» يريد الذى يأتيه يطلب فضله، يقال: اجتداه يَجْتَدِيه، واعْتفاه يَعْتَفيه، واعتراه يَعْتَريه، واعْتَرَّه يَعتَرُّه، وعراه يَعْروه: إذا قصده يَتَعَرَّضُ لنائله. وأصل ذلك مأخوذ من الجَدَا، مقصور، وهو المطر العامُّ النافع، يقال: أصابَتْنا مَطْرةٌ كانت جَدًا على الأرض، فهذا الاسم، فإذا أردتَ المصدر قلتَ: فلان كثير الجَداء، ممدود، كما تقول: كثير الغناء عنك، ممدود، هذا المصدر، فإذا أردت الاسم الذى هو خلاف الفَقْر قلت: الغِنى ـ بكسر أوله ـ وقَصَرْتَ. قال خُفافُ بن نَدْبَة يمدح أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه:

لَيْسَ لِشَىْءٍ غَيْرَ تَقْوَى جَدَاءْ وَكُلُّ شَىْءٍ عُمْرُهُ لِلفَنَاءْ
إنَّ أبَا بَكْرٍ هُوَ الْغَيْثُ إذْ لَمْ تَشْمَلِ الأَرْضَ سَحَابٌ بماءْ
تَاللهِ لاَ يُدرِك أَيَّامَهُ ذو طُرَّةٍ حافٍ وَلا ذُو حِذَاءْ
مَنْ يَسْعَ كَىْ يُدْرِكَ أَيَّامَهُ يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بِأَرْضٍ فَضَاءْ

---

(١) زيادات ر: «وهو للكميت بن زيد». والبيت فى اللسان (تأر) غير منسوب واسمدر: لم يكد يبصر.

وَهذا من طَرِيف الشعْـر لأنه ممدود، فهو بالمد الذى فيــه من عَروض السَّريع الأولى، وبيته فى العَروض:

أَزْمَانَ سَلْمَى لا يَرَى مِـثْلَهَا الرَّا ءُونَ فى شَـامٍ وَلاَ فــى عِـرَاقْ

ثم نرجع إلى تأويل قول الأحْنَف.

قوله: «حتى يَنْتَحِ جَبِينُهُ عرقًا»، فهو مثل الرَّشْحِ.

وحدثنى أبو عـثمان المازنىُّ فى إسناد له ذَكَـرَهُ قال: قال رُؤبَة بن العَـجَّاج: خرجتُ مع أبى نريد سليمانَ بن عبد الملك، فلما صرْنا فى الطريق أهْدِىَ لنا جَنْبٌ من لحم عليه كـرافِئُ الشحم، وخَـريطةٌ من كَمْأَة، ووَطْبٌ من لبن، فـطبخنا هذا بهذا، فما زالتْ ذِفْرَياىَ[1] تَنْتحَان منه إلى أن رجعتُ.

وقوله: «الحَميت»، فالحَميتُ والزِّقُّ اسمان له، وإذا زُفِّتَ أو كان مَرْبُوبًا فهو الوَطْب، وإذا لم يكن مـربوبًا ولا مُزَفَّـتًا فهـو سِقَـاءٌ ونِحْىٌ، والوَطْبُ يكون للَّبن والسمن، والسِّقاء يكون للبن والماء. قالت هِنْدٌ بنت عُتْـبَةَ لأبى سُفْيان بن حَرْب لما رجـع مُسْلمًا من عند النبى ﷺ إلى مكّة فى ليلة الفتح، فصاح: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، ألاَ إِنِّى قدَ أَسْلَمْتُ فأسْلموا، فإنَّ محمدًا قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به. فأخذتْ هند برأسه، وقالت: بئس طَلِـيعةُ القومِ أنتَ! والله ما خُـدِشْتَ خَدْشًا، يا أهل مكة، عليكم الْحَميتَ الدَّسمَ فاقتلوه.

وأمـا قول رُؤْبَةَ «كَـرَافِئ الشــحم» يريد طبَقَـات الشــحم، وأصل ذلك فى السحاب إذا رَكِب بعضُهُ بعضًا، يقال له: كِرْفِئٌ، والجميع كرافِئُ.

* * *

[قال أبوالحـسن الأخفش: واحد الكَرَافِئِ كِـرْفِئَةٌ، وهاء التأنيث إذَا جُـمِعَتْ جمع التـكسيـر حُـذِفَـت لأنـهـا زائـدة، بمنـزلـة اسم ضُمَّ إلى اسم، وأحْسبُ أن أبا العبـاس لم يَسْمَع الواحـدَ من هذا فقـاسه، والعـرب تَجتَرِئ عـلى حذف هاء التأنيث إذا احتـاجت إلى ذلك، وليس هذا موضع حاجة إذا كانت قد اسْتُعْمِلَتْ الواحدةُ بالهاء، ونظير هذا قـولهم: ما فى السماء كِرْفِئَةٌ، وما فى السـماء قَذَعْمِلَةٌ وَقُذَعْمِـيلَةٌ، وما فى السمـاءِ طُخْرِبَةٌ وطحربةٌ، وما فى السـماء قِرْطَعْبَـةٌ، وما فى السماء كَنَهْوَرَةٌ، وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل و ما أشبهه].

* * *

(١) الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.

باب

[لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي]

قال أبو العباس: قال حَسَّانُ بن ثابت يهجو مُسافِعَ[1] بن عِياض التَّيْمىَّ، من تَيْم بن مُرة بن كَعْبِ بن لؤَىٍّ، رَهْطِ أبى بكر الصِّدِّيق رحمه الله:

لَوْ كنْتَ مِنْ هاشِمٍ أَوْ مِنْ بَنِى أَسَـدٍ ... أَوْ عَبْدِ شَمْسٍ أَو أَصْحَابِ اللِّوَا الصِّيدِ

أَوْ مِنْ بَـنِى نَوْفَـلٍ أَوْ رَهْطِ مُطَّـلبٍ ... للهِ دَرُّكَ! لَمْ تَهْـمُمْ بتَهْـدِيدِى

أَوْ فِى الذُّؤَابَةِ مِنْ قَـوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ ... لَمْ تُصْبِحِ الْيَـوْمَ نِكْسًا ثَانِىَ الجِيـدِ

أَوْ مِنْ بَنِى زُهْرَةَ الأَخْيَـارِ قَدْ عَلِمُوا ... أَوْ مِنْ بَنِى جُـمَحَ الْـبِيضِ المَنَاجِيـدِ

أَوْ فِى السَّرَارَةِ مِنْ تَيْـم رَضِيتُ بِهِمْ ... أَوْ مِنْ بَنِى خَلَفِ الْخُـضْرِ الْجَـلاَعِيـدِ

يَا آلَ تَيْـمٍ أَلاَ يُنْهَى سَـفِـيـهُكُمُ ... قَـبْلَ الْقِـذَافِ بِـقَـوْلٍ كـالجَـلاَمِيـدِ

لَوْلاَ الرَّسُـولُ فَـإِنِّى لَسْتُ عَـاصِيَـهُ ... حَـتَّى يُغَـيِّـبَنِى فِى الرَّمْسِ مَلْحُـودِى

وَصَاحِبُ الْـغَارِ إِنِّى سَوْفَ أَحْـفَظُهُ ... وَطَلْحَـةُ بْنُ عُـبَيْـدِ اللهِ ذو الْجُـودِ

لَقَـدْ رَمَـيتُ بِهَـا شَنْعَـاءَ فَاضِـحَـةً ... يَظَلُّ مِنْهَـا صَحِـيحُ الْقَـوْمِ كالْمُـودِى

قوله: «لو كنتَ من هاشم» يريد هاشم بن عَبْد مَناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّةَ بـن كَعْبِ بـن لـؤَىٍّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْـر بن كنانةَ، والنَّضْرُ أبـو قُرَيْـش، ومَنْ كان من بنـى كنـانـةَ لم يَـلِـدْهُ الـنَّضْرُ فليس بقُرَشِىٍّ. وبنو أسد ابن عبد العُـزَىّ بن قُصَىّ. وعبد شمس [هو عـبد شمس[2]]، بن عبـد مَناف بن قُصَى. وأصـحاب اللـواء بنو عبْـد الدار بن قُصىّ. واللواء ممدود إذا أردتَ به لواء الأميـر، ولكنه احتاج إليـه فقَصَـرَهُ، وقد هَيَّنَّا جواز ذلك، فـأما اللِّوَى من الرمْل فمقصور، قال امْرُؤُ القَيْس:

* بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وحومَل *

كذا يرويه الأصمعىّ، وهذه أصح الروايات[3].

---

(١) ذكره ابن حجر فى الإصابة (٦:٨٦)، وقال: «لا أعرف له صحبة ولا أعرف له رواية».

(٢) ما بين العلامتين ساقط من ر.

(٣) أى رواية «وحومل» بالواو. ورواية المفضل: «فحومل»

وقوله: «أو من بنى نوفل» فهو نَوْفَلُ بنِ عبد مَنافِ بن قُصَىّ. والمطّلبُ الذى ذكره هو ابْن عبد مَناف بن قُصَىّ.

وقوله: «لم تُصْبِح اليوم نِكْسًا»، فالنِّكْسُ الدَّنِىء المُقَصِّر. ويقول بعضهم: إن أصلَ ذلك فى السِّهام، وذلك أن السَّهْم إذا ارْتَدَعَ(١) أو نالته آفة نُكِسَ فى الكِنانة لِيُعْرَفَ من غيره قال الحُطَيْئةُ:

قَدْ نَاضَلوكَ فَأَبْدَوْا مِنْ كِنَانَتِهِمْ ... مَجْدًا تليدًا وَنَبلاً غَيْرَ أَنْكاسِ

قوله: «مجداً تليداً»، قالوا: نواصى الفرسان(٢) الذين كان يُمَنُّ عليْهم.

وقوله: «ثانىَ الجِيد» قد مرّ تفسيره فى قول الله عز وجل: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾(٣).

وقوله: «أو من بنى زُهْرَةَ»، فهو زُهْرَةُ بنُ كِلاب بن مُرَّةَ. ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ قال: «خُلِقتُ من خير حَيَّيْنِ: مِنْ هاشِمٍ وزُهْرَةَ». وبنو جُمَح بن عمرو ابن هُصَيْصِ بن كَعْب بن لُؤَىّ.

وقوله: «المناجيد» مَفاعيل، من النَّجْدة، والواحد منْجادٌ، وإنما يقّال ذلك فى تكثير الفعل، كما تقول: رجلٌ مِطْعانٌ بالرُمْحِ، ومِطْعامٌ للطعام.

وقوله:

* أو فى السرارة من تَيْمٍ رضيت بهمْ *

يقول: فى الصَّميم منهم والمَوْضِعِ المَرْضِىِّ، وأصل ذلك فى التُّرْبَةِ، تقول العرب: إذا غَرَسْتَ فاغْرِسْ فى سَرارةِ الوادى، ويقال: فلانٌ فى سِرِّ قومه، والسُّرَّةُ مثل ذلك، قال القُرَشِىُّ:

هَلاَّ سَأَلْتَ عَنِ الَّذِينَ تَبَطحُوا ... كَرَمَ البطَاحِ وخَيْرَ سُرَّةِ وَادِ(٤)

---

(١) السهم المرتدع: هو ما أصاب الهدف وانكسر عوده.

(٢) نواصى الفرسان: يريد شعور النواصى، وقد كانت العرب إذا أسروا أسيرا خيروه بين جزء الناصية والأسر، فإن اختار الجز جزوها، وخلوا سبيله.

(٣) سورة الحج ٩.

(٤) تبطحوا: سكنوا بطاح مكة..

وَعَنِ الَّذِينَ أَبَوْا فَلَمْ يُسْتَكْرَهُوا   أَنْ يَنْزِلُوا الْوَلَجَاتِ مِنْ أَجْيَادِ(١)

يُخْبِرْكِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَن بُيُوتَنَا   مِنْهَا بِخَيْرِ مَضَارِبِ الأَوْتَادِ

وقوله: «أو من بنى خَلْفِ الخُصْرِ»، فإنه حَذَفَ التنوين لالتقاء الساكنين. وليس بالوَجْه، وإنما يُحْذَفُ من الحرف لالتقاء الساكنين حروفُ المَدِّ واللين، وهى الألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها، نحو قولك: هذا قَفَا الرجلِ، وقاضى الرجل، ويَغْزو القومُ، فأما التنوين فجاز فيه هذا؛ لأنه نون فى اللفظ، والنون تُدْغم فى الياء والواو، وتزاد كما تزاد حروفُ المدِّ واللينِ، ويُبْدَلُ بعضُها من بعض، فتقول: رأيتُ زَيْدًا فَتُبْدِلُ الألف من التنوين، وتقول فى النسب إلى صَنْعَاءَ وبَهْرَاءَ(٢) صَنعانيٌّ وبَهْرانِيٌّ، فَتُبْدِلُ النونَ من ألف التأنيث، وهذه جُمْلَة وتفسيرها كثير، فلذلك حُذِفَ، ومثل هذا من الشعر:

عَمْرُو الَّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ   ورِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وقال آخر(٣):

حُمَيْدُ الَّذِى أَمَجٌ دارُهُ   أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ(٤)

وقرأ بعض القُرَّاء: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ * اللهُ الصَّمَدُ﴾. وسمعتُ عُمارة بن عَقيلٍ يَقْرَأُ: ﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ وَكُلٌ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(٥) فقلتُ: ماتريد؟ فقال: «سابقٌ النهارَ». وقوله: «أو أصحاب اللِّوا»، فإنما(٦) خَفَّفَ الهمزةَ،

---

(١) والولجات: جمع ولجة، وهى الكهف، وأجياد: موضع بمكة مما يلى الصفا.

(٢) صنعاء: عاصمة اليمن، وبهراء: قبيلة بها.

(٣) نسبه الشريف المرتضى (٢: ٢٦٩) إلى ابن الزبعرى: وروايته:

* عمرو العلا هشم الثريد لقومه *

وبعده:

وهو الذى سنَّ الرحيل لقومه   رحَل الشتاء ورحلة الأصياف

(٤) هو حميد الأمجى، منسوب إلى أمج: بلد من أعراض المدينة، من أبيات ذكرها ياقوت فى معجم البلدان (أمج)، وهى:

شربتُ المدامَ فلمْ أُقلعِ   وعوتبتُ فيها فلم أسمعِ

حُمَيدُ الذى أمجٌ داره   أخوالخمرِ ذو الشيبة الأصلعِ

علاه المشيبُ على حُبِّها   وكان كريمًا فلم ينزعِ

(٥) سورة يس ٤٠.

(٦) كلمة: «فإنما» ساقطة من ر.

وتَخَفَّفُ إذا كان قبلها ساكنٌ، فتُطْرَحُ حركتها على الساكن وتُحْذَفُ، كقولك: مَنَ أبوكَ؟ وقوله عز وجل: ﴿الَّذِى يُخْرِجُ الخَبَءَ فى السَّمَوَاتِ وَالأَرض﴾(١).

وخَلَفٌ الذى ذكره من بنى جُمَحَ بن عَمْرو بن هُصَيْصِ بن كَعْبِ بن لُؤَىّ.

وقوله: «الخُضْرِ الجَلاَعِيد»، يقال فيه قولان: أحدهما أنه يريد سوادَ جلودهم(٢)، كما قال الفَضْل بن العَبَّاس بن عُتْبة بن أبى لَهَب:

وَأَنَا الأَخْضَر مَن يَعْرِفُنِى أَخْضَرُ الْجِلدَةِ فى بَيْتِ العَرَبْ

فهذا هو القول الأول. وقال آخرون: شبههم فى جُودهم بالبُحور. وقوله: «الجلاعيد»، يريد الشِّدادَ الصِّلابَ، واحدهم جَلْعَدٌ، وزاد الياء للحاجة، وهذا جَمْعٌ يجىء كثيرًا؛ وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة، فتُشْبَعُ فتصير ياءً، يقال فى خاتَم: خَواتِيمُ، وفى دانِقٍ دَوانيقُ، وفى طَابَقٍ طَوابيقُ، قال الْفَرَزْدَقُ فى مثل هذا الجمع:

تَنْفِى يَدَاهَا الحَصَى فى كلِّ هَاجِرَةٍ نَفْىَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ(٣)

وقوله: «قبل القذاف» يريد المُقاذَفَةَ، وهذه تكون من اثنين فما فوقهما، نحو المُقاتَلَة والمُشاتَمة، فباب «فاعَلْتُ» إنما هو للاثنين فصاعدًا، نحو قاتلْتُ وضارَبْتُ، وقد تكون الألف زائدة فى فاعَلْتُ فتُبْنَى للواحد، كما زيدت الهمزة أوَّلاً فى «أَفْعَلْتُ» فتكون للواحد، نحو عاقَبْتُ الِّلصَّ، وعافاه الله، وطارَقْتُ نَعْلى.

وقوله: «وصاحب الغار»، يعنى أبا بكْرٍ رحمه الله، لمصاحبته النبىَّ ﷺ فى الغار، وهذا مشهور لا يُحْتاج إلى تفسيره.

وطلحة بن عبيد الله نسبه إلى الجود لأنه كان من أجْوَدِ قُرَيْش. وحَدَّثنى التَّوَّزىُّ قال: كان يقال لطلحة بن عبيد الله: طَلْحة الطَّلَحات، وطَلْحَةُ الْخَيْر، وطَلْحَةُ الجود. وذكر التَّوَّزىُّ عن الأصمعىّ أنه باع ضَيْعَةً له بخمسةَ عشر ألف

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) قال المرصفى: «وذلك أن العرب تسمى الأسود أخضر، والأخضر أسود، لما أن الخضره إذا اشتدت تقارب السواد، والمراد من سواد الجلمود لون السمرة لا السواد الحالك».

(٣) تنقاد الصياريف، أى تمييز الصياريف للدراهيم، لتخرج الزائف منها.

درهم، فَقَسَّمها فى الأطْبَاق[1]. وفى بعض الحديث أنه مَنَعَهُ أن يَخْرُجَ إلى المسجد أن لفّق له بين ثوبين[2].

وحدثنى العُتْبِىُّ فى إِسناد ذَكَرَهُ قال: دعا طَلْحَةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم، فأَبْطأ عنه الغُلامُ بشىء أراده، فقال طلحةُ: يا غلامُ، فقال الغلامُ: لَبَّيكَ! فقال طلحة: لا لَبَّيكَ! فقال أبو بكر: ما يَسُرُّنى أنِّى قُلْتُها وأنَّ لى الدنيا وما فيها. وقال عمر: ما يَسُرُّنى أنى قلتها ولى نصف الدنيا، وقال عثمان: ما يسرنى أنى قلتها وأنَّ لى حُمْرَ النَّعَمِ. قال: وصَمَتَ عليها أبو محمد، فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً بخمسة عشر ألف دِرْهَمٍ، فتصدَّق بثَمنَهَا.

وقوله:

* يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كالمُودِى *

فالمودى فى هذا الموضع الهالك، وللمودى موضع آخر يكون فيه القوىَّ الجادَّ، حدثنى بذلك التَّوَّزِىُّ فى كتاب الأضداد، وأنشدنى[3]:

* مُودُون يَحْمُونَ السبيلَ السَّابلاَ[4] *

[لرجل من العرب يرثى]

وقال رجل من العرب:

خَلِيلَىَّ عُوجَا بَارَكَ اللهُ فيكُمَا ... عَلَى قَبْرِ أُهْبَان سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الْفَتَى كلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ ... وبَيْنَ المُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ
إِذَا نَازَعَ الْقَوْمُ الأحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ ... عَيِيًّا ولاَ عِبْئًا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ

---

(١) الأطباق: جمع طبق: وهو الجماعة من الناس.

(٢) التلفيق: ضم أحد الثوبين إلى الآخر، قال المرصفى: «وكأنه كره الحضور بهما إلى المسجد خوف الشهرة».

(٣) البيت لرؤبة، وروايته فى ديوانه ١٢٢:

* مودينَ يحمُون السبيل السابلا *

وبعده:

* تعدو العرضنَى خيلُهم عراجلا *

(٤) زيادات ر: «المؤدى» بالهمز: التام الأداة والسلاح، وبغير الهمزة: الهالك.

قوله: «على قَبْر أُهْبَـان» فهذا اسم عَلَمٌ كزيد وعمرو، واشـتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ، وهمزَ الواوَ لانضمامـها، كقوله عز وجل: ﴿وإذَا الُرسل أُقِّتَتْ﴾(١). فهو «فُعِّلَتْ»، من الوَقْتِ. وقد مضى تفسير همز الواو إنما انْضَمَّتْ وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصـرف فى النكرة، وكل شىء لا ينصرف فَصَرْفُهُ فى الشـعر جائز؛ لأن أصله كان الصَّـرْف، فلما احتيج إليـه رُدَّ إلى أصله، فهذا قولُ البـصريين. وزعم قـوم أن كلَّ شىء لا ينصرف فَـصَرْفُـهُ فى الشعـر جائز، إلا «أَفْـعَلَ» الذى معـه «منكَ»، نحو: أفْضَلَ منك، وأكرم منكَ. وزعم الخليل ـ وعليه أصحابه ـ أن هذا إذا كانت معه «منك» بمنزلة «أحْمَرَ» لأنه إنما كمَلَ أنْ يكون نَعْتًا بـ «منك»، وأحْمَرُ لا يحتـاجُ إليها، فـهو مع «منْكَ» بمنزلة «أحْـمَرَ» وحْدَهُ، قـال: والدليل على أن «منك» ليست بمانعتَه من الصرف أنه إذا زال عن بناء «أفْعَلَ» انْصَرَفَ، نحو قولك: مررتُ بخيرٍ منك، وشَرٍّ منك، فلو كانت «منكَ» هى المانعةَ لَمنَعَتْ هنا، فهذا قولٌ بيِّنٌ جداً.

وقوله: «المُزَجَّى»، فهو الضعيفُ: يقال: زَجَّى فلان حاجتى، أى خَفَّ عليه تَعْجيلُها، والْمُزْجـاةُ من البضائع: اليَسيرةُ الخـفيفـة المَحْمِلِ. والنفْنفُ وجمـعه النَّفَـانفُ: كلُّ ما كان بـين شيئـين عالٍ ومنخـفض، وقال ذو الرُّمَّـة: «فى نَفْنَفٍ يَتطَوَّحُ(٢)».

وقوله: «ولا عِبئًا عَلَى من يقاعدُ» فالْعبءُ، الثِّـقْل، يقال حَمَل عِبْئًا ثقيلاً، ووَكدَهُ بقوله: «ثقيلاً»، ولو لم يقله لم يَحْتَجْ إليه.

[لرجل يذكر ابنه]

وقال آخر يذكر ابنه:

أَلاَ يَاسُـمَـيّـةُ شُـبِّى الْوَقُـودَا   لَعَـلَّ اللَّيَـالِى تُؤَدِّى يَـزِيدَا

---

(١) سورة المرسلات ١١.

(٢) البيت بتمامه:

ترى قُرْطَهَا فى واضِح الليتِ مُشْرِفًا
عَلى هَلَكٍ فى نفنفٍ يتطوَّحُ

وانظر ديوانه ٨٢.

فَنَفْسِى فِدَاؤُكَ مِنْ غائِبٍ ... إذَا ما المَسَارِحُ كانَتْ جَلِيدَا
كَفَانِى الّذِى كُنْتُ أَسْعَى لَهُ ... فَصَارَ أبًا لى وَصِرْتُ الوَلِيدَا

قوله: «شبّى»، يقال: شَبَبتُ النارَ والحربَ إذا أوْقَدْتَهما، ويقال: شَبَّ يَشُبُّ شَبًّا، قال الأعْشى:

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ

وقوله:

* إذا ما المَسارح كانت جليدًا *

فالمَسارحُ الطُّرُقُ التى يَسْرَحون فيها، واحدها مَسرَحٌ، والجَليدُ يقع من السماء. وهو نَدًى فيه جُمُودٌ، فَتبْيَضُّ له الأرض، وهو دون الثَّلْجِ، يقال له: الجَليد، والضَّريب، والسقيط، والصَّقيع.

وقالوا فى قوله:

* رِجْلاَ عُقَابٍ يَوْمَ دَجْنٍ تُضْرَبُ *

أى يَصيبَهَا الضَّرِيبُ.

وقوله: «وصرت[1] الوليد»، الوليد[2]: الصغير، وجمعه وِلْدان، وهو فى القرآن[3] ونظير وَليد ووِلْدان ظَليمٌ وظِلْمان، وقضيب وقضْبانٌ، وباب «فَعال فِعْلانٌ»، نحو عقبانٌ وذِبَّان وغِرْبان. وقولهم: «أمْرٌ لا يُنادَى وَليدُهُ»، يقال فيه قولان يتقاربان[4]، فأحدهما أنه لا يُدْعَى له الصِّغارُ، والوجه الآخر لأصحاب المعانى، يقولون: ليس فيه وَليدٌ فيُدْعَى، ونظير ذلك قول النابغة الجَعْدىّ:

سَبَقْتُ صِيَاحَ فَرَارِيجِهَا ... وضربَ[5] نَوَاقِيسَ لَمْ تُضْرَبِ

---

(١) ر، س: «وكنت».
(٢) س: «فالوليد».
(٣) زيادات ر: «قوله عز وجل: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾» «الواقعة ١٧»
(٤) ر: «متقاربان».
(٥) ر: «وصوت».

أى ليْستْ ثَمّ، ولكنَّ هذا من أوقاتها. وقالت أخت طَرَفَةَ بن الْعَبْد:

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وعشرِينَ حِجةً ... فَلمَّا توفَّاها أستَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا

فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إيَابَهُ ... عَلَى خَيْرِ حالٍ لاَ وَلِيدًا ولاَ قَحْمَا

الوليد: ما ذَكَرْنا، والقَحْمُ: الرجل المتناهى سنًّا، ويقال ذلك فى البعير قَحْمٌ وقَحْرٌ ومُقْلَحِمٌ، ويقال للبعير خاصةً: قُحارية، فى وزن(1) قُرَاسِيَة، وأنشد الأصْمعِىّ:

رأَيْنَ قَحْمًا شَابَ وَاقلحَمَّا ... طالَ عليه الدَّهْرُ فَاسْلَهَمَّا

المُسْلَهِمُّ: الضامر.

[لرجل آخر يرثى ابنه]

وقال آخر لابنه يَرْثيه:

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ بِتَّ مُسْتَشْعِرَ الثَّرى ... وبِتُّ بِمَا زوَّدْتَنِى مُتَمتِّعا

ولوْ أَنَّنِى أنْصَفْتُكَ الْوُدَّ لَمْ أَبِتْ ... خِلاَفَكَ حَتَّى نَنْطَوِى فى الثَّرَى مَعًا

[لإبراهيم بن عبد الله بن حسن يرثى أخاه]

وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمدًا:

أَبَا المَنازِلِ يَا عُبْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ ... يُفْجَع بِمِثْلكَ فى الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِعَا

اللهُ يَعلَمُ أنى لَوْ خشِيتُهُمُ ... أو آنسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْف لَهُمْ فَزَعَا

لَمْ يقتُلُوكَ ولَمْ أُسْلمْ أُخَىَّ لهُمُ ... حتَّى نَعيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قوله: «ياعُبْرَ الفوارس، يصفه بالقوة منهم وعليهم، كما يقال: ناقة عُبْر الهَواجِرِ وعُبْر السُّرَى»(2).

وقوله:

* أوْ آنس القلب من خوف لهم فزعَا *

---

(1) ر: «بورن».

(2) عبر الفوارس، من قولهم: ناقة عبر أسفار: إذا كانت قوية.

يقول: أحَسَّ، وأصل الإيناس فى العين، يقال: آنستُ شخصًا، أى أبْصَرْتَه من بعد، وفى كتاب الله جلّ وعز: ﴿آنَسَ مِنْ جانبِ الطُّور نَارًا﴾(١).

[لمتمم بن نويرة يرثى أخاه]

وقال مُتَمّم بنُ نُوَيْرَةَ(٢):

وَقَـالوا: أتَـبْكِى كُلَّ قَـبْـرٍ رَأَيْتَـهُ ... لِمَيْتٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى والدَّكَادكِ!
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الأسَى يَبْعَثُ البُكا(٣) ... ذَرُونِى فَـهذا كُلُّهُ قَـبْرُ مَـالكِ(٤)

الأَسَى: الحُزن، وقد مرّ تفسيره.

[لعلى بن عبد الله بن العباس يفخر]

وقال على بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلِب رحمة الله ورضوانه عليه:

أبِى الْعَـبَّـاسُ قَـرْمُ بَنِى قُـصَىٍّ ... وَأَخْـوَالِـى المُلوكُ بَنُو وَلِيـعَـهْ
هُمُ مَنَعُـوا ذِمَـارِى يَوْمَ جَـاءَتْ ... كَتَـائِبُ مُسْـرِف وَبَنُو اللَّكِيـعَهْ
أرادَ بِىَ الَّتِى لا عِـزَّ فِـيـهـا ... فَـحَـالَتْ دُونَهُ أَيْـدٍ مَنِيـعَـهْ

قوله: «بنو وليعة»، فهم أخـواله من كِنْدَةَ، وأُمُّهُ زُرْعةُ بنت مِشْرَحٍ الكِنْدِيَّةُ، ثم إحدى بنى وَلِيعةَ.

وقوله: «كتائبُ مُسْرِف» يعنى مسلم بن عُقْبَةَ المُرّىّ صاحبَ الحَرَّة، وأهلُ الحجاز يسمونه مسرفًا، وكان أراد أَهْلَ المدينة جميعًا على أن يبايعوا يَزِيدَ بن معاويةَ على أن كلَّ واحد منهم عَبْدٌ قِن له إلا علىَّ بن الحُسَيْنِ، فقال حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونِىُّ من كِنْدَةَ: «ولا يُبايِعُ ابْنُ أختنا علىُّ بن عبد الله إلاَّ على ما يُبَايِعُ عليه علىُّ بن الحسين، على أنه ابن عَم أمير المؤمنين، وإلا فالحَرْبُ بيننا». فأُعْفِىَ علىُّ بن عبد الله، وقُبِلَ منه ما أراد، فقال هذا الشِّعْرَ لذلك.

---

(١) سورة القصص ٣٩.

(٢) زيادات ر: «يرثى أخاه»، وفى س قبل هذا البيت:

ومستضحك إذ لم يُصَبْ كمصيبتى ... وليس أخو الشَّجْوِ الحزين بضاحك

(٣) ر: «الأسى».

(٤) فى س بعد هذا البيت:

ألمْ تَرهُ فـينا يقسّم ماله ... ويأوى إليه مرملات الضرائكِ

وقولـه: «بنو اللكيعـة»، فهى اللئـيمـة، ويقال فى النداء للئـيم: يا لَكَع، وللأنثى: يالَكاعِ، لأنه موضع معرفة. كما يقال: يا فُسَقُ ويا خُبَث، فإن لم تُرِدْ أن تَعْدِلَهُ عن جهنه قلتَ للرجل: يا ألْكَعُ، وللأنثى يالَكْعاءُ، وهذا موضع لا تقع فيه النَّكِرَة، وقد جاء فى الحـديث ـ والأصل ما ذكرتُ لك ـ: «لا تَقوم السـاعةُ حتى يَلِىَ أمر(١) الناس لَكَع ابن لُكَع»، فـهذا كناية عن اللئيم ابن اللئـيم، وهذا بمنزلة «عمـر» ينصرف فى الـنكرة، ولا ينصرف فى المعـرفة. ولَكاعِ يُبْنَى على الـكسر، وسنشرح باب «فَعال» للمؤنث على وُجوهه الأربعة عند أول ما يَجْرِى من ذكره إن شاء الله، وقد اُضْطُرَّ الحُطَيْئَةُ فَذَكَرَ «لَكاعِ» فى غير النِّداء، فقال يَهْجو امرأته:

أُطَوِّفُ مَـــا أُطَـوِّفُ ثُمَّ آوِى إلَى بَيْـتٍ قَـعِـيــدَتُـهُ لَكاعِ

قعيدة البيتِ: ربَّةُ البيت، وإنما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها، ويقال للفرس قُعْدَةٌ من هذا، وهو الذى يَرْتَبطه صاحبه فلا يُفارقه، قال الجُعْفِىُّ:

لكِنْ قـعِـيـدَةُ بَيْـتِنَا مَـجْـفُـوَّةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا، ولَهَا غِنَى

الجَناجِنُ: ما يظهر عند الهُزالِ من أطراف ضُلُوع الصدر، واحدها جِنْجِنٌ.

[لهشام أخى ذى الرمة]

وقال هشام أخو ذى الرُّمَّة:

تَعَزَّيْـتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْـلانَ بَعْدَهُ عزاء، وجَفْنُ العَـيْنِ بالمَاء مُتْرَعَ

وَلَمْ تُنْسِنِى أَوْفَى المُصيـبَات بعده ولكن نكءَ القرح بالقرح أوجع

غَيْلانُ: هو ذو الرُّمَّـة، وكان هِشامٌ من عُقَلاءِ الرجال. حـدثنى العباس بن الفَرَجِ فى إسناده له(٢) يَعْزوه إلى رجل أراد سَفَرًا، فقال: قال لى هشامُ بن عُقْبَةَ. إنَّ لكل رُفْقَـة كَلْبًا يَشْرَكُـهُمْ فى فَضْلة الزادِ، ويَهِرُّ دونهم، فـإن قَدرْتَ ألا تكونَ كَلْبَ الرُّفْقة فـافْعَلْ، وإيَّاكَ وتأخيرَ الصَّلاةِ عن وقـتها، فإنك مُصَلِّيهـا لا مَحالَةَ، فَصَلِّها وهى تُقْبَلُ منك.

---

(١) ر ، س: «أمور الناس».
(٢) ر ، س. «فى إسناد ذكره».

[لحسان بن ثابت الأنصاري في لهوه]

وقال حَسَّانُ بن ثابت الأنصاريُّ:

تَقُولُ شَعْثَاءُ(١) لَوْ صَحَوْتَ عَنِ الـ ... ـكَأْسِ لأصبَحْتَ مُثْرِيَ الْعَدَدِ
أهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ في فَلَقِ الصُّـ ... ـبْحِ وَصَوْتَ الْمُسَامِرِ الْغَرِدِ
لاَ أَخْدِشُ الْخَدْشَ بالجَلِيسِ وَلا ... يَخْشَى نَدِيمِي إذا انْتَشَيْتُ يَدِي
يَأْبَى لِيَ السَّيْفُ واللِّسَانُ وَقَوْ ... مٌ لَمْ يُضَامُوا كَلِبْدَةِ الأَسَدِ

لِبْدَةُ الأسد: ما يَتَطارَقُ مِنْ شَعَرِهِ بين كَتِفَيْه، ويقال: أَسَدٌ ذو لِبْدَةٍ وذو لِبَدٍ.

[لجرير في مرضه حين عادته قيس]

وحدَّثني عُمارة قال: مرض جَرِيرٌ مَرْضَةً شديدةً، فعادتْه قيس، فقال:

نَفسِي الْفِدَاءُ لِقَوْمٍ زَيَّنُوا حَسَبِي ... وَإِنْ مَرِضتُ فَهُمْ أَهْلِي وَعُوَّادِي
لَوْ خِفتُ لَيْثًا أَبَا شِبْلَيْنِ ذَا لِبَدٍ ... مَا أَسْلَمُونِي لِلَيْثِ الْغابَةِ الْعَادِي
إِنْ تَجْرِ طَيْرٌ بِأَمْرٍ فِيهِ عَافِيَةٌ ... أَوْ بالرَّحِيلِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمُ زادِي

[لعبد الرحمن بن ثابت يهاجي عبد الرحمن بن الحكم]

وقال عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابتِ بن الْمُنْذِر بن حَرَامٍ، وهو يهاجِي عبدَ الرحمن بن الحكَمِ بن أبى العاصي بن أُمَيَّةَ بن عبد شَمْسٍ:

فَأَمَّا قَوْلُكَ: الخُلَفَاءُ مِنَّا ... فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وِدَاجِي
وَلَوْلاَهُمْ لَكُنْتَ كَحُوتِ بَحْرٍ ... هَوَى فِي مُظْلِمِ الْغَمَرَاتِ دَاجِ
وكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ ... يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفِهْرِ واجِي(٢)

فكتب مُعاويةُ إلى مَرْوانَ أن يُؤَدِّبَهُما وكانا تَقاذَفا، فَضَرَبَ عبدَ الرحمن بن حسّان ثمانين، وضَرَبَ أخاه عشرين، فقيل لعبد الرحمن بن حسّان: قد أمْكَنَكَ في مَرْوانَ ما تريد، فَأَنْشِدْ بذكره، وارْفَعْهُ إلى مُعاوية، فقال: إذًا والله

(١) زيادات ر: «هي امرأته، وهو اسمها».
(٢) الفهر: الحجر الذي يملأ الكف.

لا أَفْعلُ، وقد حدَّنى كما تُحَدُّ الرجالُ الأحرارُ، وجَعَل أخاه كنصف عبد. فأَوجَعهُ بـهـذا الـقـول.

* * *

ويروى أن عبد الـرحمن بن حَسَّان لسَعَـهُ زُنْبورٌ فجاء أباه يبكـى، فقال له: مالك؟ فقال: لسعنى طائِر كأنه مُلْتَفٌّ فِى بُرْدَى حِبَرَة. قال: قلتَ والله الشعرَ.

ويروى أن معلَمه عاقب صبيانا(١) على ذَنْبٍ وأراده بالعقوبة، فقال:

اللهُ يَعْلَـمُ أَنّى كُنْتُ مُـنْتَـبِـــذًا　　　فى دَارِ حَسَّـانَ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيـبَا

وأَعْرَقُ قوم كـانوا فى الشعر آلُ حَسَّـان، فإنهم كانوا يَعْتَـدُّون ستةً فى نَسَق كُلهم شاعرٌ، وهم سَعيد بن عـبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المُنْذِر بن حرام، وبعد هؤلاء فى الوقت آلُ أبى حَـفْصة، فـإنهم أهل بيت كلُّهم شاعـر، يتوارثونه كابِرًا عن كابِر.

ويـروى أن ابنـة لابـن الـرِّقـاع وقف ببـاب أبيها قوم يسألون عـنه، فقالت: ما تريدون؟ فقالوا: جئنا لنُهاجِيَهُ، فقالت وهى صَبِيَّةٌ:

تَجَمَّـعتُمُ مِنْ كلِّ أَوْبٍ وَوِجْـهَةٍ　　　عَلَى وَاحِدٍ لاَ زِلتُم قِـرْنَ واحِدِ

فهذه بلغتْ بطبـعها على صِغَرِها مَبْلَـغَ الأعْشَى فى قَلْب هذا المعنى، حيث يقول لِهَوذَةَ بن علىّ:

يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلاثِين قُصْرَةً　　　وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَلاثِينَ وَاحِدَا

---

(١) ر: «الصبيان».

باب

[نبذ من كلام الحكماء]

قال أبو العباس: قال عـمر بن الخطاب رحمه الله(١): عَلِّمُوا أولادكم العَوْمَ والرِّماية، ومُـروهُمْ فَلْيَثِبُوا على الخـيل وثْبًا، ورَوُّوهُمْ ما يَجْمُلُ من الشـعْر. وفى حديث آخر: وَخَيْرُ الخُلُقِ للمرأة المِغْزَلُ.

ويروى عن الشَّعْبِيِّ أنه قال: قال عبد الله بن العباس، قال لى أبى: يا بُنَىّ، إنى أرى أمير المؤمنين قد اخْتَصَّكَ دون مَـنْ ترى من المهاجرين والأنصار، فاحْفَظْ عنى ثلاثًا: لا يُجَرِّبَنَّ عليكَ كَـذِبًا، ولا تَغْتَبْ عنده مسلمًا، ولا تُفْـشِيَنَّ له سِرًّا، قال: فقلتُ له: يَا أَبَهْ، كُلُّ واحدةٍ منها خيـرٌ من ألف، فقال: كلٌّ واحدة منها خيرٌ من عشرة آلاف.

وحدثنى العبـاس بن الفَرَج فى إسناد ذكره قال: نُظِرَ إلى عـمرو بن العاص على بَغْلة قد شَمِطَ(٢) وَجْهُها هَرَمًا، فقيل له: أَتَرْكَب هذه وأنت على أكْرَمِ ناخرة بمصر؟ فـقال: لاَ مَلَلَ عندى لدابتى مـا حَمَلَتْ رِجْلِىّ، ولا لامرأتى مـا أَحْسَنَتْ عِشْرَتى، ولا لصديقى ما حَفِظَ سِرِّى، إن المَلَلَ من كَوَاذب الأَخْلاق.

قوله: «على أكرم ناخـرة» يريد الخيل، يقال للواحد ناخـرٌ، وقيل: ناخِرَة، يراد جماعةٌ، كما تقول: رجل بَغَّالٌ وحَمَّـارٌ، والجماعة البَغَّالةُ والحمَّارةُ، وكذلك تقول: أتتنى عُصْبَةٌ نَبيلةٌ، وقبيلة شَرِيفة، والواحد نبيلٌ وشريف.

[فى مشاورة معاوية عمرو بن العاص فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة]

وشاوَرَ مُعـاوية عَمْرًا فى أمر عـبد الله بن هاشم بن عُتْبَـةَ بن مالك بن أبى وَقَّاصٍ - وكان هاشم بن عُتْبَة أحَدَ فُرْسان(٣) علىّ رحمه الله - فأُتِىَ بابنه مُعاويةُ، فشاور عَمْـرًا فيه، فقال: أرى أن تقتله، فقال له مـعاوية: إنى لم أرَ فى العَفْو إلا خيْرًا، فمضى عمروٌ مُغْضَبًا، وكتب إليه:

---

(١) ر ، س: «رضى الله عنه».

(٢) شمط وجهها: ابيضّ.

(٣) زيادات ر: «وهو المرقال».

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حازِمًا فَعَصَيْتَنِى ... وكانَ مِنَ التَّوْفيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشمِ
أَلَيْسَ أَبُوهُ يَا مُعَاوِيَةُ الَّذِى ... أَعَانَ عليًّا(١) يَوْمَ حَزِّ الْغَلاَصِمِ(٢)
فَقَتَّلَنا حَتَّى جَرَى مِنْ دِمَائِنَا ... بِصِفِّينَ أَمْثَالُ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ
وهذا ابْنُهُ، والمرْءُ يُشْبِهُ عِيصَهُ(٣) ... ويُوشِكُ أَنْ تُلْفى(٤) بِهِ جِدَّ نَادِمِ

فبعث معاوية بأبياته إلى عبد الله بن هاشم، فكتب إليه عبد الله بن هاشم:

مُعَاوِىَ إِنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ ... ضَغِينَةُ خِبٍّ غِشُّهَا غَيْرُ نَائِمِ
يَرَى لَكَ قَتْلِى يَابْنَ هِنْدٍ وإِنَّمَا ... يَرَى مَا يرَى عَمْرٌو مُلُوكُ الأَعَاجِمِ
عَلَى أَنَّهُمْ لا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ ... إِذَا كَان مِنْهُ بَيْعَةٌ للمُسَالِمِ
فَإِنْ تَعْفُ عَنِّى تَعْفُ عَنْ ذِى قَرَابَةٍ ... وإِنْ تَرَ قَتْلِى تَسْتَحِلَّ مَحَارِمِى

فَصفَحَ عنه.

[من كلام عمرو بن العاص لعائشة]

وقال عمرو لعائشة رحمة الله عليهما(٥): لوَدِدْتُ أَنَّك كنت قُتِلْت يوم الجَمَلِ! فقالت: ولِمَ لا أبالك؟ فقال: كُنْتِ تَمُوتِينَ بأَجَلِكِ، وتَدْخُلِينَ الجنةَ، ونَجْعَلُكِ أكبر التشنيع على عليّ.

[ما قاله عمرو بن العاص حين احتضر]

وحدثنى العباس بن الفرج الرِّيَاشيُّ فى إسناد ذكره، آخره «ابنُ عباس»، قال: دخلت على عمرو بن العاص وقد احتُضِرَ، فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له: يا عبد الله، خُذْ ذلك الصُّنْدوقَ، فقال: لا حاجة لى فيه(٦)، قال: إنه مملوء مالاً، قال: لا حاجة لى به، فقال عمرو: ليته مملوء بَعَرًا! قال: فقلت:

---

(١) كذا فى الأصل، س. وفى ر: «علينا».
(٢) الغلاصم: الحلاقيم
(٣) العيص: الأصل
(٤) ر: «تلقى» بالقاف.
(٥) ر: «رحمها الله».
(٦) س: «به»

يا أبا عبـد الله، إنك كنتَ تقول: أشتهى أن أَرَى عـاقلاً يموت حتى آسـأَلَهُ كيف يَجدُ؟ فكيف تَجِـدُكَ؟ قال: أجد السـماء كأنهـا مُطْبَقةٌ على الأرض وأنا بينهـما، وأراني كأنما أَتَنَفَّسُ من خَرت إِبْرَة، ثم قـال: اللهم خُذْ منى حتى تَرضَى. ثم رفع يديه فقـال: اللهم أَمَرْتَ فَعَـصَيْنَا، ونَهَـيْتَ فَرَكِبْنَا، فـلا بريءٌ فأعْتَـذِر، ولاقويٌّ فأنتصر، ولكنه لا إِلَه إلا الله ثلاثًا، ثم فاظ.

وقـد روينا هذا الخبـر من غيـر ناحيـة الرِّيَاشِيِّ بأتمَّ[1] من هذا، ولـكن[2] اقتصرنا على هذا لثقَة إسناده.

قوله: «من خَرْتِ إبرة»، يعنى من ثَقْـبِ إبرةٍ، يقال للدليل: خِرِّيت، وزعم الأصمعيّ أنه أريد به أن يَهْتدى لمثل خُرْتِ الإبرة.

وقوله: «فاظ»، أى مـات، يقال: فاظ، وفاد، وفَطَـسَ، وفازَ، وفَوَّزَ، كل ذلك فى معنى الموت، ولا يقال: بالضاد إلا للإناء، قال رؤبة[3]:

* لاَ يَدْفِنُونَ مِنْهُمُ مَنْ فَاظَا *

وقال ابن جُرَيْجٍ: «أمَا رَأَيْتَ الَمْيتَ حِينَ فَوْظِه»!

ومَن قال ذلك للنفْس قال: فاضَتْ نَفْسُهُ، يشبِّهَهَا بالإناء.

وحدّثنى أبو عثمان المازنىُّ ـ أَحْسِبُهُ عن أبى زيد ـ قال: كلُّ العرب يقولون: فاضَتْ نفسه إلا بَنى ضَبَّة فإنهم يقولون: فاظَتْ نفسه، وإنما الكلام الصحيح، فاظ ـ بالظاء ـ إذا مات.

وفى الحديث أن أمرأة سَلَّام بن أبى الحُقَيقِ قالت: فاظ، وإلَه يَهودَ.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وحدثنى مسعود بن بِشْر قال: قـال زيادٌ: الإمْرَةُ تُذْهِب الحَفيظةَ، وقد كانت من قوم إِلىَّ هَناتٌ جعلتُها تحت قَدَمى، ودَبْرَ أُذُنى، فلو بلغنى أن أحدَكم قد أخذه

(١) س: «أتم».
(٢) س: «ولكنا».
(٣) قبله:

* والأزد أمسى شلوهم لفاظا *

وانظر اللسان (فيظ).

السُّلُّ من بُغْضِى مـا هَتَكْتُ له سِتْرًا ولا كَشَفْتُ له قِناعًا حتى يُبْدِىَ لى عن صَفْحتِهِ، فإذا فعل لم أناظِرْهُ.

وسمع زِيادٌ رجلاً يَسُبُّ الزمانَ فقال: لو كان يدرى ما الزمانُ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، إن الزمان هو السلطان.

وفى عَهْدِ أردَشِير: وقد(١) قال الأولون مِنَّا: عَدْلُ السلطـان أنفعُ لِلرَّعِيَّة من خِصْبِ الزمان.

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْـرَةَ لِبَنِيه: إذا وَلِيتُمْ فَلِينُوا للمُحسِنِ، واشتدّوا على المريب، فإن الناس للسُّلْطان أهْيَبُ منهم للقرآن.

وقـال عثـمان بن عَـفَّانَ رضى الله عنـه: إن الله ليزَعُ بالسلطان مـا لا يَزَعُ بالقرآن.

قوله: «يَزَعُ» أى يَـكُفُّ، يقال: وَزَعَ يَزَعُ إذا كف، وكان أصلـه «يَزِعُ» مثل يَعِدُ فـذهبت الواو لوقوعهـا بين ياء وكسرة، وأتْبِعـتْ حروفُ المضارعة اليـاءَ لئلا يختلف الباب، وهى الهـمزة، والنون، والتاء، والياء، نحو أَعِـدُ، ونَعِدُ، وتَعِدُ، ويَعِـدُ، ولكن انفتـحت فى «يَزَعُ» من أجل العين؛ لأن حـروف الحلق إذا كُنَّ فى موضع عين الفعل أو لامه فُتِحْنَ فى الـفعل الذى ماضيه «فَعَلَ»، وإن وقعت الواو مما هى فيـه فاءٌ فى «يَفْـعَلُ» المفتوحـة العين فى الأصل صَحَّ الفـعْل، نحو: وَحِلَ يَوحَلُ، ووَجِلَ يَوْجَلُ، ويجـوز فى هذه المفتـوحة ياحَلُ وياجَلُ ويَيْحَـلُ ويَيْجَلُ، وكل هذا كراهية للواو بعـد الياء، تقول: وزَعْتُهُ: كـففته، وأوزعتـه: حملته على ركـوب الشيء وهيّـأته له، وهو من الله عـزّ وجل توفـيق، ويقـال: أوْزَعَكَ الله شكره، أى وفقك له.

وقال الحسن مرّةً: ما حاجـة هؤلاء السلاطين إلى الشُّرَطِ؟ فلما وَلِى القضاء كَثُرَ عليه الناس، فقال: لابُدَّ للسلطان(٢) من وَزَعَة.

---

(١) س: «قد» بحذف الواو.

(٢) ر ، س: «للناس».

[خطبة الحجاج في أهل العراق]

وخَطَبَ الحَجَّاجُ بن يوسف ذات يومٍ، يوم جمعة، فلما تَوَسَّطَ كلامَهُ سمع تكبيرًا عاليًا من ناحية السوق، فقطع خطبته التى كان فيها، ثم قال: يا أهلَ العراق، ويا أهل الشِّقاق، ويا أهل النفاق، وسيِّئ الأخْلاق، يا بنى اللَّكيعة، وعَبيدَ العَصَا، وأولادَ الإماء، إنى لأسْمَعُ تكبيرًا ما يُرَادُ الله به، إنما يراد به الشيطانُ، وإن مَثَلى وَمَثَلكُمْ قولُ ابن بَرَّاقَةَ الهَمْدانيِّ:

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ رَمَوْنِى رَمَيْتُهُمْ ... فَهَلْ أَنَا فى ذَا يَالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ!
مَتَى تَجْمَعِ الْقَلْبَ الذَّكِىَّ وَصَارِمًا ... وَأَنْفًا حمِيًّا تَجْتَنِبْكَ الْمَظَالِمُ

[ثم نزل فصلّى بهم](١).

قوله: «يا أهل الشقاق»، فالمشاقَّةُ المعاداة، وأصله أن يَرْكَبَ ما يَشُقُّ عليه، ويُرْكَبَ منه مثل ذلك. والنفاق أن يُسِرَّ خلافَ ما يُبْدِى، هذا أصله، وإنما أُخذَ من النافقاء، وهو أحد أبواب جُحْرِ اليَرْبُوع، وذلك أنه أخفاها فإنما يَظْهَرُ من غيره، ولجُحْرِهِ أربعةُ أبواب: النافقاءُ، والراهطاءُ، والدأماءُ والسابياءُ، وكلُّها ممدودة، ويقال للسابياء: القاصعاءُ، وإنما قيل له السابياء لأنه لا يُنْفِذُهُ فيَبْقَى بينه وبين إنفاذه هَنَة من الأرض رقيقةً، وأُخذَ من سابياء الولد، وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها الولد من بطن أمه، قال الأخْطَلُ يَضْرِبُ ذلك مَثَلاً ليَرْبُوع بن حَنْظَلَةَ لأنه سُمِّىَ باليربوع:

تُسَدُّ القاصعاءُ عليك حَتَّى ... تُنَفِّقَ أو تموتَ بها هُزالا(٢)

والعرب تزعم أنه ليس من ضَبٍّ إلا وفى جُحْرِهِ عقربَ، فهو لا يأكل ولد العقرب، وهى لا تضربه فهى مُسالِمَةٌ له وهو مُسالِمٌ لها، وأنشد(٣):

---

(١) تكملة من ر.

(٢) تنفق: تخرج من نافقائه.

(٣) زيادات ر: «كلها بالمد، وبقال بالقصر، ويقال أيضا فيها على وزن فعلة [بضم الفاء وفتح العين] نفقة ورهطة ودممة وقصعة.

وحكى ابن القوطية فى المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء، والنفقاء كالنافقاء، والقصعاء كالقاصعاء.

=

وأَخْدَعَ من ضَبٍّ إذَا خاف حارشًا[1] أَعَدَّ له له عنْدَ الذِّنابة عَقْربا

وقوله: «بنو اللكيعة» يريد اللئيمة، وقد مرَّ تفسير هذا فى موضعه، قال ابن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يذكر قتل مُصْعَبِ بن الزُّبيرِ[2]:

إن الـرَّزِيَّةَ يَـوْمَ مَـسْـ ـكِنَ والمُصيبةَ والفَجيعَهْ
بـابـن الحَـوَارِيِّ الـذى لَمْ يَعْدُهُ أَهْلُ الوَقيعهْ[3]
غَـدَرَتْ به مُـضَـرُ العِـرا قِ، وأَمْكَنَتْ منْهُ رَبيعهْ
فَأَصَـبْـتِ وِتْـرَكِ يـا رَبيـ ـعَ وكُنْتِ سامعةً مُطيعَهْ
يـا لَهـفَ لو كـانَتْ لـه بالطَّفِّ يَوْمَ الطَّفِّ شيعَهْ!
أو لم يَخُونوا عَهْـدَهُ أهلُ العِراقِ بَنُو اللَّكيعَهْ
لَوَجَدْتموهُ حين يَغْـ ـضَبُ لا يعَرِّجُ بالمضيعَهْ[4]

وقوله: «عبيد العصا»، يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال[5]، كما قال ابن مُفرِغ الْحِمْيَرِىُّ:

الْعَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا والحُرُّ تكفيه المَلامَهْ

وقال جرير يهجو التَّيْمَ:

أَلاَ إِنَّما تَيْمٌ لعمرو ومالكٍ عَبيدُ العَصا لم يَرجُ عِتْقًا قَطينُها

= وحكى أيضا زيادة فقال: العاتقاء، جحر الأرنب واليربوع، والغابياء أيضا جحرة اليربوع. وأما قول أبى العباس فى السابياء، فهو مما قد ورد عليه فيه، وقد نبعه ابن ولاد، وكلاهما غير مصيب، وإنما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو الفقء، وليس نخرج الولد فيه وقال الكميت:

وفقَّأ فيها الغيثُ منْ سابيائه دَوالحَ وافقن النجوم البواجسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء وإنما الجلدة التى يكون فيها الولد الغرس، وقد تبع ابن القوطية أبا العباس فى السابياء فى أنه من أسماء جحر اليربوع، وذلك غلط.

(١) الحارش: صائد الضباب.

(٢) قتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢، قتله عبد الملك بن مروان بموضع يقال له مسكن على نهر جيل. والأبيات فى معجم البلدان. (٨: ٥٤).

(٣) الحوارى فى الأصل: الناصر، ويريد به الزبير بن العوام.

(٤) روايته فى معجم البلدان:

لوجدتموه حين يَغْـ ـدو لا يعرِّسْ بالصنيعهْ

(٥) ر: «يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال».

[من كلام ابن الأشعث حين ظهور الحجاج عليه]

وخَطَبَ النَّاسَ عبد الرحمن بن محمد الأشعث بالمربد عند ظهور أمر الحَجّاج عليه فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من عَدوِّكُمْ إلا كما يَبْقى من ذَنَبِ الوزَغَة، تَضْرِبُ به يمينا وشمالاً فلا تَلْبَثُ أن تموت. فسمعهُ رجل من بنى قُشَيْرِ ابن كَعْبِ بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعْةَ فقال: قَبَّحَ الله هذا: يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعدُهُم الغرورَ!

[كلام عرار بن شأس لعبد الملك حينما حمل إليه رأس ابن الأشعث]

ورَوَت الرُّواةُ أن الحَجَّاجَ لما أخَذَ رأسَ ابْن الأشعث وَجَّهَ به إلى عبد المَلِك ابن مَرْوان مع عِرَار بن عَمْرو بن شَأْسٍ الأسَدِىِّ - وكانَ أسود دَميما - فلما وَرَدَ به عليه جَعَلَ عبدُ الملك لا يسأل عن شىء من أمر الوقعة(١) إلا أنْبَأهُ به عرارٌ، فى أصح لفظ، وأشبَعِ قولٍ، وأجْزَإِ اختصارٍ، فشفاه من الخبر، ومَلأَ أُذُنَهُ صوابًا - وعبد الملك لا يعرفه، وقد اقْتَحَمَتْهُ عينه حيث رآه - فقال متمثّلاً:

أرَادَتْ عِرَارًا بالهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ ... لَعَمْرِى عِرَارًا بالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ(٢)

وَإنَّ عِرَارًا إنْ يكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ ... فإنِّى أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا المَنْكِب الْعَمَمْ

فقال له عِرارٌ: أتَعْرِفُنى يا أميـر المؤمنين؟ قال: لا، قال: فأنا والله عِرارٌ، فزاده فى سُروره، وأَضْعفَ له الجائزة.

[كتاب صاحب اليمن إلى عبد الملك فى وقت محاربته ابن الأشعث]

وكتب صاحبُ اليمن إلى عبد الملك وقت محاربته ابنَ الأشْعَث: إنى قد وجَّهْتُ إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لَمْ يُرَ مِثْلها قَطُّ، فلما دُخِلَ بها عليه رأى وجهًا جميلاً، وخُلقًا نبيلاً، فألْقى إليها قضيبا كان فى يده، فَنَكسَتْ لتأخذه، فرأى منها جِسْمًا بَهَرَهُ، فلما همَّ بها أَعْلَمَهُ الآذن أن رسول الحَجَّاج بالباب، فأذِنَ له، ونَحَّى الجاريةَ، فأعطاه كتابًا من عبد الرحمن، فيه سطور أربعة:

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ: هَلْ جَنَيْتُ لَهَا ... حَرْبًا تُزَيِّلُ بَيْنَ الجِيرةِ الخُلُط!(٣)

(١) ر: «الوقيعة».

(٢) البيتان لعمرو بن شأس، وانظر ديوان الحماسة لأبى تمام - بشرح التبريزى ١. ٢٧٢.

(٣) نسب أبو الفرج هذه الأبيات إلى وعلة الجرمى، وانظر الأغانى ١٩: ١٤٠.

وهلْ ستمَوتُ بِجرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ جَمِّ الصوَّاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرُطِ !
وهَلْ تَرَكتُ نِساءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوقِدنَ بِالغُبُط !

وتحتها(١):

قَتَلَ الملوكَ وسَارَ تَحْتَ لِوائِهِ شَجَرُ الْعُرَى وعَراعِرُ الأَقْوَامِ

قال: فكتب إليه عبد الملك كتابا، وجعل فى طَيِّه جوابا لابن الأشْعث:

مَا بَالُ منْ أسْعَى لأجْبُرَ عَظمَهُ حِفَاظًا ويَنْوِى منْ سَفَاهَته كَسْرِى!(٢)
أظنُّ خطُوبَ الدَّهْر بينى وبَيْنَهُمْ سَتَحْمِلهُمْ مِنِّى عَلَى مَرْكَبٍ وَعْرِ
وَإِنِّى وإِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ القَطَا ولَوْ لم تُنَبِّهْ بَاتَت الطَّيْرُ لا تَسْرى
أنَاةً وَحِلمًا وَانْتِظَارًا بِهِمْ غَدًا فَمَا أنَا بِالْوَانِى وَلاَ الضَّرِع الْغَمْرِ

وينشد: «بالفانى». ثم يُقَلِّبُ كَفَّ الجارية ويقول: ما أفَدْتُ فائدة أحبَّ إلىَّ منك، فتقول: فما بالكَ يا أمير المؤمنين وما يمنعك؟ فقال: [يمنعنى](٣) ما قال الأخْطَلُ؛ لأنى إن خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العرَب:

قَوْمٌ إذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ

فما إليك سَبيلٌ أو يَحْكُمَ الله بينى وبين عدوِّ الرحمن، ابن الأشْعَث. فلم يَقْرَبْها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن.

قوله: «فرأى منها جسمًا بَهَرهُ»، يقال: بَهَرَ الليلُ إذا سَدَّ الأفُقَ بظلمته، وبَهَرَ القمرُ إذا ملأ الأرض ببَهائه، ومن ثَمَّ قيل: القمرُ(٤) الباهرُ، أنشدنى المازنىُّ لرجل من بنى الحارث بن كعْب:

وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ السَّمَاءَ لَقَدْ زُرْنَا هِلالاً بِجَحْفَلٍ لَجِب

(١) زيادات ر: «بيت آخر على غير الروى من الأبيات الأول، وهو». والبيت لمهلهل بن ربيعة، وانظر اللآلئ ٣٤١.
(٢) الأبيات للحارث بن وعلة الجرمى، وانظر اللآلئ ٧٥٠
(٣) تكملة من ر.
(٤) ر: «للقمر».

تَسْمَعُ زَجْرَ الكُمَاةِ بَيْنَهُمُ: قَدِّمْ، وأَخِّرْ، وأَرحِبى، وهَبى(1)

مِنْ كُلِّ هُدَّاءَةٍ كعاليةِ الرُّ مْحِ أمونٍ وشَيْظَمٍ سَلِبِ(2)

وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ يَصِفُ كيف تُزجرُ الخيلُ، فَجَمَعَهُ فى بيت واحد:

وقِيلِ اقْدِمِى واقْدِمْ وأَخٍّ وأَخِّرِى وهَاءٍ وهَلاً واضرَحْ(3) وقَادِعُهَا هبى

[قال أبو الحسن: وأَجِّ].

ومن زَجْرِ الخيل أيضًا: «هقَبْ وهقَطْ»، وأنشدنى المازنىّ:

لَمَّا سَمِعتُ زَجرهُمْ هقَطْ عَلِمتُ أنَّ فَارِسًا مُنحَطُّ(4)

وقوله: «بين الجَمِّ والفُرُط» هما موضعان بأعيانهما.

وقوله:

* فى ساحة الدار يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ *

يقال فيه قولان متقاربان: أحدهما أنهنَّ قد يَئِسْنَ من الرحيل فجعَلنَ مَراكبَهنَّ حَطبًا، هذا قول الأصمعىّ. وقال غيره: بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطاب، والغَبِيطُ من مَراكب النساء، وكذلك الحِدْج؛ قال امْرُؤُ القَيْسِ:

تَقُول وقَدْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا: عقَرْتَ بَعِيرِى يا امْرَأَ القَيْس فانزلِ

فأعلمك أن الغبيط لها، والمحامل إنما أوّل من اتخذها الحجّاج، ففى ذلك يقول الراجز:

أوَّلُ عبدٍ عمِلِ المَحامِلاَ أخْزاه ربّى عاجلا وآجلا

وقوله: «شجر العُرا» فالعُرا: نبت بعينه إن ضُمَّ العَينُ، والعَراءُ ممدودا وَجهُ الأرضِ، قال الله عزّ وجل: ﴿لَنُبِذَ بالعراءِ وَهوَ مَذْمُومٌ﴾(5). وقال الهُذَلىُّ(6):

---

(1) أرحبى، من أرحب الشىء إذا وسعه، وهى من قولهم: هب بكسر الباء، وكلاهما زجر للخيل.

(2) الهداءة: الفرس الضّامر. والأمون: الوثيقة الخلق، والشيظم: الشديدة. والسلب: الطويل.

(3) ر: «واضبر».

(4) زيادات ر: قال الفراء: هقط، بالكسروالفتح، ويروى: «مختط بدل منحط».

(5) سورة القلم ٤٩ .

(6) هو أبو حراش، والبيت فى ديوان الهذليين ٢: ١٦٨ .

رَقَعتُ رِجْـلا لا أَخافُ عِـثارَهَا	وَنبـذَتُ بِالْبَلـدِ العَـراءِ ثِيَـابِى

وهذا التفسير والإنْشَاد عن أبى عبيدة.

وقوله:

* دون النساء ولو باتَتْ بأطهار *

معناه أنه يجتنبها فى طهْرها، وهوالوقت الذى يستقيم له غشْانُها فيه، وأهل الحجاز يَرَوْنَ «الأقْـراءَ» الطهْر، وأهلُ العراق يَرَونهُ الحـيضَ، وأهلُ المدينة يجعلون عِدَد النساءِ الأطهارَ، ويحْتَجُّونَ بقول الأعْشى:

وَفى كلِّ عَامٍ أنْتَ جاشِمُ غَزوَةٍ	تَشُـدُّ لأقْـصَاهَا عَـزِيمَ عَـزَائكَا

مُوَرِّثَـةٍ مَالاً، وَفى الحَىِّ رفْـعَةً	لَمَا ضَاعَ فِـيهَا مِنْ قُـرُوءِ نِسَائكَا

وقوله: «ولو باتتْ بأطهار»، فـ «ـلو» أصلها فى الكلام أن تَدُلَّ على وقوع الشىء لوقوع غيـره، تقول: لو جئتنى لأعْطيتُكَ، ولو كـان زيدٌ هناك لضربْتُهُ، ثم يَتَّسعُ فتصير فى معنى «إنْ» الواقـعة للجزاء، تقول: أنتَ لا تُكرمُنى ولو أكْرَمْتُكَ، تريد «وإنْ» قـال الله عزَّ وجل: ﴿وَمَا أَنْتَ بمُـؤْمن لَنَا وَلَوْ كنَّا صَادقين﴾(١)، فأما قوله عز وجلّ: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ منْ أَحَـدهمْ ملْءُ الأَرْضِ ذَهبًا وَلَو افْـتدَى به﴾(٢) فإن تأويلهَ عند أهل اللغـة: لا يُقْبَل أن يَتَـبرأَ به وهو مـقيم على الكفـر، ولاَ يُقْبلُ إن افتَـدَى به، فـ «ـلو» فى مـعنى «إنْ» وإنما مَنَعَ «لَوْ» أن تكون من حروف المُـجازاة فَتجْزِمَ كما تَجزِمُ «إنْ» أنَّ حـروفَ المجازاة إنما تقع لما لم يَقَعْ، ويصير الماضى معها فى معنى المستـقبل، تقول: إن جئتَنى أعْطيتُكَ، وإن قَعـدْتَ عنى زُرتُك، فهذا لم يقع، وإن كان لفظ الماضىِ لَمَا أحْدثَتْهُ فيه «إن». وكذلك مَتَى أتيتنى أتيتك، و «لو» تقع فى معنـى الماضى، تقول: لو جئـتنى أمْسِ لصادَفتَنـى، ولو رَكبتَ إلى أمْسِ لألفَيتَنى، فلذلك خَرجَتْ منْ حروف الجزاء، فـإذا أدخلتَ معها «لا» صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره، فهذا خلافُ ذلك المعنى، ولاتقع إلا على الأسماء، ويقع الخبر محـذوفًا لأنه لا يقع فيها الاسم إلا وخبره مدلول عليـه، فاستُغْنىَ عن

---

(١) سورة يوسف ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران ٩١.

ذكره، لذلك تقول: لَوْلاَ عَبدُ الله لضربتكَ، والمعنى فى هذا المكان: من قَرابتك، أو صَداقتك، أو نحو ذلك، فهذا معناها فى هذا الموضع، ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى، وهى «لَوْلاَ» التى تقع فى معنى «هلاَّ» للتَّحْضيض، ومن ذلك قوله: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المؤْمنونَ والمؤْمنَاتُ بأَنْفُسهمْ خَيرًا﴾(١)، أى هَلاَّ، وقال الله عز وجلّ: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الربَّانيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَولهِمُ الإِثْم﴾(٢)، فهذه لا يليها إلاالفعل؛ لأنها للأمر والتحضيض، مُظْهَرًا أو مُضْمَرًا، كما قال(٣):

تَعُدُّون عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدكُمْ بَنِى ضَوطَرَى لَوْلاَ الْكَمِىَّ المقَنَّعَا

أى هلا تَعُدُّون الكَمِىَّ المقنعا، «ولَولاَ» الأولى لا يليها إلا الاسم على ما ذكرت لك، ولابُدَّ فى جوابها من اللام أو معنى اللام، تقول: لولا زَيْدٌ فعلت، والمعنى لَفَعَلْتُ، وزعم سيبويه أن «زيدًا» من حَديث «لولا» واللامُ والفعلُ حديثٌ مُعلّقٌ بحديث «لولا»، وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها، و «لوْ» لا يليها إلا الفعل مضمرًا أو مظهرًا؛ لأنها تُشاركُ حروف الجزاء فى ابتداء الفعل وجَوابه، تقول: لو جئتَنى لأعْطَيتُكَ، فهذا ظهور الفعل، وإضماره [قوله عزّ وجل](٤): ﴿قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلكُونَ خَزَائنَ رَحمة ربِّى﴾(٥)، والمعنى والله أعلم: لو تملكون أنتم، فهذا الذى رَفَعَ «أنتم» ولما أُضْمرَ ظَهر بعده ما يُفسّرُهُ، ومثلُ ذلك: «لَو ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتنِى» أراد لَوْ لَطَمَتنِى ذاتُ سِوارٍ، ومثله(٦):

وَلَوْ غَيرُ أَخوَالِى أَرَادُوا نَقِيصتَى جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ العَرَانِينِ مِيَسمَا

---

(١) سورة النور ١٢.

(٢) سورة المائدة ٦٣.

(٣) زيادات ر: «نسب لجرير، وقيل للأشهب بن رميلة». والصحيح أن البيت لجرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق، (وانظر ديوانه ٢٣٣ ـ ٢٤٠).

(٤) تكملة من ر.

(٥) سورة الإسراء ١٠٠.

(٦) زيادات ر: «قول المتلمس» والبيت فى الأصمعيات ٢٨٧.

وكذلك قول جَرير:

لَوْ غَيْرَكُمْ عَلِقَ الزُّبَيرُ بِحَبلِهِ ... أدَّى الجِوَارَ إلَى بَنى العَوَّامِ

فَنَصبَ بفعل مضمر يُفسِّرُهُ ما بعده؛ لأنها للفعل، وهو فى التمثيل: لو عَلِقَ الزبيرُ غيرَكُم، وكذلك كلُّ شىء للفعل نحو: الاستفهام، والأمر، والنهى، وحروف الفعل نحو: «إذْ وسَوْفَ»(١) وهذا مشروح فى الكتاب «المُقْتَضَبِ» على حقيقة الشرح.

وأما قوله: «وعَراعِرُ الأقوام» فمعناه رءوس الأقوام، الواحد عُرْعُرَةٌ، وعُرْعُرَةُ كلِّ شَىء أعلاه، من ذلك كتاب يَزيد بن المهَلبِ إلى الحَجَّاج بن يوسف: «وإن العدوّ نزلوا(٢) بعُرْعُرة الجبل، ونَزَلنا بالحَضيض»، فقال الحجاج: ليس هذا من كلام يَزيد، فَمَنْ هناكَ؟ قيل: يَحيى بن يَعمَر، فكتب إلى يَزيدَ أن يُشخِصهُ إليه.

[الحَجاج ويحيى بن يعمر

وزعم التَّوَّزِىُّ قال: قال الحجاج ليَحْيى بن يَعْمر: أتَسْمعُنى أَلحَنُ؟ قال: الأمير أفْصَحُ من ذلك! قال: فأعاد عليه القول وأقْسَمَ. فقال: نعم، تجعل «أنَّ» مكان «إنَّ»، فقال له: ارْحَلْ عنّى ولا تجاورنى.

قال أبوالعباس: هذا على أنّ يزيد لم تُؤخَذ عليه زَلَّةٌ فى لفظ إلا واحدةٌ، فإنه قال على المِنْبَر - وذَكَرَ عَبْدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زَيْد بن الخَطَّاب - فقال: «هذه الضَّبُعةُ العَرَجاءُ»، فاعتُدتْ عليه لَحنًا، لأن الأنثى إنما يقال لها الضَّبُع، ويقال للذكر الضِّبْعان. فإذا جُمعَ قيل ضِبُعان، وإنما جمع على التأنيث دون التذكير، والباب على خلاف ذلك؛ لأن التأنيث لا زيادة فيه، وفى التذكير زيادة الألف والنون، فَثُنِّىَ على الأصل، وأصل التأنيث أن يكون زائدًا على بناء التذكير؛ لأنه منه يَخْرُجُ، مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة، فمن حيث قُلْتَ للأنثى والذكر فى التثنية كريمان على حذف الزيادة قلت: ضَبُعانِ، وتقول: له ابنان إذا

(١) زيادات ر: «كذا وقع هنا «إذ» و «سوف» ولم يذكر سيبويه مع «سوف» إلا «قد» وهو الصحيح.

(٢) ر: «نزل».

أردتَ: له ابن وابْنَة، ولا تقول: فى الدار رجلان إذا أردتَ رجلاً وامرأةً، إلا على قول من قال للأنثى رَجُلَةٌ، فقد جاء ذلك، قال الشاعر:

كلُّ جـارٍ ظَلَّ مُـغْـتَـبِطًا غَـيْـرَ جِـيـرانِى بَنِى جَـبَلَهْ
خَـرَّقُـوا جَـيبَ فَـتَـاتِهِمُ لَمْ يُبَـالُوا حُـرْمَـةَ الـرَّجُلَهْ

ولا يقال للناقة والجَملِ جَمَلان، ولا الثَّوْرَانِ للثور والبقرة(١)، لاختلاف الاسمين، إنما يكون ذلك فيما ذكرنا إلا فى قول من قال للأنثى: ثَـوْرَةٌ، قال الشاعر(٢):

جَزَى اللهُ فيهَا الأعْوَرَيْنِ مَلاَمَةً(٣) وَعَبْدَةَ(٤) ثَفْرَ الثوْرَةِ المُتَضاجِمِ(٥)

[قال أبو الحسن: المتضاجم: المتسع].(٦)

---

(١) ر: «ولا يقال للبقرة والثور ثوران».
(٢) هو الأخطل، والبيت فى ديوانه ٢٧٧.
(٣) الديوان: «مذمة».
(٤) فى الديوان «وفردة».
(٥) ثفر الثورة: فرجها.
(٦) من ر.

باب
[للراعي في النسيب]

قال أبو العباس: قال الراعي:

وَمُرسِلٍ ورَسُولٍ غَيرِ مُتَّهَمٍ ... وَحاجةٍ غَيْرِ مُزجاةٍ مِنَ الحَاجِ
طاوَعتُهُ بَعْدَ ما طالَ النَّجِيُّ بِنَا ... وَظَنَّ أَنِّي عَلَيهِ غَيْرُ مُنعَاجِ
مَا زَالَ يَفتَحُ أَبوابًا ويُغْلِقُهَا ... دُونِي، وأَفتَحُ بَابًا بَعْدَ إرْتَاجِ
حتَّى أضَاءَ سِراجٌ دونه بَقَرٌ ... حمرُ الأنامِلِ عِينٌ طَرفُهَا ساجِ
يَا نُعْمَهَا لَيْلَةً حَتّى تَخَوَّنَهَا ... دَاعٍ دعَا في فُرُوعِ الصُّبحِ شَحَّاجِ!
لَمَّا دعَا الدَّعوَةَ الأولَى فأَسمَعَنِي ... أَخَذتُ بُردِيَ واستَمرَرتُ أدرَاجِي

قوله:

* وحاجة غير مزجاة من الحاج *

المزْجاةُ: اليَسيرةُ الخفيفةُ المَحمِلِ، قال الله عز وجل: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾(1)، والحاج: جمع حاجة، وتقديره فَعلَةٌ وفَعَل، كما تقول: هامَةٌ وهام، وساعةٌ وساع، قال القَطَامِيُّ:

وَكُنَّا كَالحَريق أَصَابَ غَابًا ... فَيَخبُو سَاعةً وَيَشُبُّ ساعَا

فإذا أردتَ أدنَى العَدَد قلتَ: ساعات، فأما قولهم: في جمع حاجة حَوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولّدين، ولا قياسَ له، ويقال: في قلبي منك حَوْجَاء، أي حاجة، ولو جُمعَ على هذا لكان الجمع حَواجٍ يا فتى، وأصله حَواجيُّ يا فتى، ولكنْ مثلُ هذا يُخَفَفُ، كما تقول في صحراء: صَحارٍ يا فتى، وأصلُه صَحاريُّ.

وقوله:

* طاوعته بعد ما طال النَّجِيُّ بنَا *

(1) سورة يوسف ٨٨.

يريد المناجاة، فأخرجه على لفظ «فَعيل»، ونظيره من المَصادر الصهيل، والنَّهيق، والشَّحيج، ويقال: شَبَّ الفرسُ شَبيبًا، ولذلك كان «النَّجِيُّ» يقع على الواحد والجماعة نعتًا، كما تقول: امرأة عَدلٌ ورجل عَدلٌ وقوم عَدلٌ؛ لأنه مصدر، قال الله عز وجل: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[1]، أى مُناجيًا، وقال للجماعة: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾[2] أى مُتَناجِين.

وقوله« مُنْعَاج»: أى منعطف، يقال[3]: عُجْتُ عليه، أى عَرَّجْتُ عليه، وعِجْتُ إليه أعِيج، أى عَوَّلْتُ عليه.

وقوله «بعد إرْتاج»: أى بعد إغلاق، يقال: أرتَجتُ البابَ إرْتاجًا، أى أغْلَقْتُهُ إغْلاقًا، ويقال: لغَلَق الباب الرّتاج، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام أُرْتِجَ عليه.

وقوله:

* حتّى أضاءَ سراجٌ دونه بَقَرٌ *

يعنى نساء، والعربُ تكنى عن المرأة بالبقرة والنَّعْجة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[4]، وقال الأعْشَى:

فَرمَيتُ غَفْلَةَ عَينِه عَنْ شَاتِه ... فَأصَبتُ حَبَّةَ قَلبِهَا وَطِحَالهَا

وقوله: «عِينٌ» إنما هو جمع عَيناء، وهى الواسعة العَينِ، وتقديره «فُعْل»، ولكن كُسِرَت العين لتَصِحَّ الياء، ونحو ذلك بَيْضاءُ وبيض، وتقديره حَمراءُ وحُمْر، ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب، لأنه لا إخْلال فيه، تقول: سَوْداءُ وسُود، وعَوراءُ وعور.

وقوله: «طرفها ساج» ولم يقل: «أطرافها»؛ لأن تقديرها تقدير المصدر، من طَرَفْتُ طَرْفًا، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾[5]

---

(1) سورة مريم ٥٢.
(2) سورة يوسف ٨٠.
(3) ر: «تقول».
(4) سورة ص ٢٣.
(5) سورة البقرة ٧.

لأن السمع فى الأصل مصدر. قال جَرِير:

إنَّ العيُونَ الَّتِى فِى طَرْفِهَا مَرَضٌ   قَـتلننا ثُمَّ لَمْ يُحـيِـينَ قَـتـلاَنَا

وقوله: «سـاج» أى ساكن، وقـال الله عزّ وجل: ﴿وَالضُّـحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا﴾(١)، وقال جرير:

وَلَقَـد رَمَيْنَكَ يَومَ رُحْنَ بِأعـيُنٍ   يَقتُـلنَ من خَلَلِ السُّتُـورِ سَوَاجِ

وقال الراجز:

يَاحَـبَّذَا القَـمرَاءُ والَّلْيلُ السَّـاجْ   وُطرقٌ مِـثْلُ مُـلاءِ النَّسـاجْ

وقوله: «حتى تخَونها»: يريد تنَقّصها، يقال: تَخَوَّننى السَّفَر، أى تَنَقّصنى، والداعى: المؤَذِّن.

وقـوله: «شَحَّـاج»، إنما هو اسـتعـارة فى شدة الصـوت، وأصله للبـغل، والعرب تستعير من بَعضٍ لبَعْضٍ، قال العَجَّاج ينْعَت حِماراً:

كَـأنَّ فِى فِيـهِ إذَا مَـا شَـحَجَـا   عُـوداً دُوَينَ الَّلهَـوَاتِ مُـولَجَـا

وقال جَرير:

إنَّ الغُـرَابَ بِمَـا كَـرِهْت لَمولَعٌ   بِنَوَى الأَحِـبَّـةِ دَائِمُ التَّـشحـاجِ

وقوله: «واستَمرَرتُ أدْراجى»: أى فَرَجَعتُ من حيث جئتُ، تقول العرب: رجع فلان أدْراجَه، ورَجَعَ فى حافـرته، ورَجَعَ عَوْدَهُ على بَدْئه، وإن شئتَ رفعتَ فقلت: رَجَعَ عَودُهُ على بَدْئِه، أما الرفع فعلى قولك: رجع وَعَوْدُه على بدئه، أى وهذه حالهُ، والنصب على وجهين: أحدهما أن يكون مـفعولا كقولك: رَدَّ عَوْدَهُ على بدئه؛ والوجه الآخر أن يكون حـالاً فى قول سيبويه، لأن مـعناه رجع ناقصًا مَجيـئَهُ، ووُضِعَ هذا فى موضعـه، كما تقول: كلَّمْـتُهُ فاهُ إلى فِيَّ، أى مُشـافَهةً، وبايعته يَدًا بِـيد، أى نَقْدًا، ويجوز أن تقول: فُـوهُ إلى فِيَّ، أى وهذه حالهُ، ومَنْ نَصَبَ فمعناه فى هذه الحال.

---

(١) سوره الضحى ١، ٢.

قال أبو العباس: فأما «بايعته يَدًا بيد» فلا يكون فيه إلا النصب، لأنك لَسْتَ تريد بايعته ويدٌ بيدٍ كمـا كنتَ تريد فى الأول، وإنما تريد النَّقدَ، ولا تُبالى: أقَريبًا كان أم بَعيدًا.

[لأعرابي يشكو حبيبته]

وقال أعرابيٌّ:

شكوْتُ فَـقالَتْ: كُلَّ هذَا تَبَـرُّمًا ... بَحُـبِّى! أراحَ اللهُ قَلبَكَ مِنْ حُـبِّى

فَلمَّا كَتمْتُ الحُـبَّ قَالتْ: لَشَدَّمَا ... صَبَرتَ وَمَا هذَا بِفِعلِ شجِى الْقلْبِ

وأَدْنُو فـتُقْـصِـينى فَأبْـعدُ طَالِبًـا ... رِضَاهَا، فـتَعتَـدُّ التَّبَـاعُدَ مِنْ ذَنْبِى

فَشكوَاىَ تُؤذِيهَا وَصَبرِى يَسُوءُهَا ... وَتَجزَعُ مِنَ بُعدِى، وتَنْفِرُ مِنْ قُربِى

فيَـا قَـوْمِ هَـلْ مِنْ حيلَـةٍ تَـعْـرفُونَـهَا ؟ ... أَشِـيرُوا بِـهَـا وَاسْتَـوْجِـبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّى

قوله: «كلَّ هذا تَبَرُّمًا»، مردود على كلامه، كأنهـا تقول له: أشكَوْتَنى كلَّ هذا تَبَرمًا! ولو رَفَعَ رافعٌ «كُلاًّ» لكان جيِّدًا، يكون «كلّ هذا» ابتداء[1] وتَبَرُّم خبره.

«وشجِى» مخفف الياء، ومن شـدَّدها فقد أخطأ، والمَثَلُ: «ويلٌ للشَّجِى من الخَلىّ»، والياء فى «الشَّجى» مخففـة، وفى «الْخَلىّ» مثقلة، وقياسه أنك إذا قلت: فعلَ يَفْعَلُ فعَـلاً، فالاسم منه على فَعِل؛ نحو: فَرِقَ يَفْرَقُ فَرَقًـا فهو فَرِق، وحَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا فهو حَذِرٌ، وبَطِرَ يَبْطَرُ بَطَرًا فـهو بَطِرٌ، فعلى هذا شَجِىَ يَشْجَى شَجًى فهو شَجٍ يا فتى، كما تقول: هَوِىَ يَهْوَى هَوًى فهو هَوٍ يا فتى.

وقوله:

* فَيا قوم هل من حيلَة تعرفونها *

موضع «تَعرفونها» خَفْضٌ؛ لأنه نعت للحيلة وليس بجواب، ولو كان هاهنا شرط يوجِبُ جَوابًا لا يُجَـزَمُ، تقول: ائتنى بدابّة أرْكَبُهَا، أى بدابَّةٍ مَـركوبة، فإذا

---

(١) ر ، س: «مبتدأ».

أردتَ معنى: فإنك إن أتيتنى بدابّة ركبتُهـا قلتَ: «أرْكَبْها» لأنه جواب الأمر، كما أن الأول جواب الاستفهام، وفى القرآن: ﴿خُذْ من أمْوَالهمْ صَدَقَةً تُطهِّرُهُمْ وَتزكيِّهمْ بهَا﴾(١). أى مُطَهِّرَةَ لهم، وكذلك: ﴿أنزلْ علَيْنا مَائدَةً منَ السَّمَاء تَكُون لَنَا عيدًا﴾(٢) أى كائنةً لنا عيدًا، وفى الجواب: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ويَلْعَبُوا﴾(٣)، أى إنْ تركوا خاضُوا ولَعِبوا، وأما قوله عزّ وجل: ﴿ثمَّ ذَرْهُم فى خَوْضهمْ يَلْعَبُون﴾(٤) فإنما هو فَذَرْهُمْ فى هذه الحال لأنهم كانوا يَلْعَبون، وكذلك: ﴿ولاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾(٥)، إنما هو [لا تمنن(٦)] مستكْثِرًا فمعنى ذا: هل من حيلة معروفة عندكم؟

[الأعرابى فى الملح]

وقال أعرابىّ - أنْشَدَنيه أبو العالية:

أَلا تسأَلُ المَكِّى ذَا الْعِلْمِ مَا الَّذِى ... يَحِلُّ مِنْ التَّقْبِيل فِى رَمَضَانِ؟

فَقَالَ لِىَ المَكِّىُّ: أَمَّا لِزَوْجِةٍ ... فَسَبْعٌ؛ وَأَمَّا خُلَّةٍ فَثَمانى

قوله «خُلَّةٍ» يريد ذات خلة، ويكون سَمّاها بالمصدر، كما قالت الخنساءُ:

* فَإنَّمَا هِىَ إقْبَالَ وَإدْبَارُ(٧) *

يجوز أن تكون نَعَتَتْها بالمصدر لكثرته منها، ويجوز أن تكون أرادتْ ذات إقْبال وإدْبار، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مُقامه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَكنَّ الْبرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ﴾(٨) فجائز أن يكون المعنى برّ من آمَن بالله، وجائز أن يكونَ لكنّ ذا البرِّ من آمَن بالله، والمعنى يؤول إلى شىء واحد.

---

(١) سورة التوبة ١٠٣.
(٢) سورة المائدة ١١٤.
(٣) سورة الزخرف ٨٣.
(٤) سوره الأنعام ٩١.
(٥) سورة المدثر ٦.
(٦) من ر، س.
(٧) صدره

* نرتَعُ ما رتعتْ حتى إذا ادّكَرَتْ *

(٨) سورة البقرة ١٧٧.

وفى هذا الشعر عـيب، وهو الذى يسميه النحـويون العَطْفَ على عاملَيْن، وذلك أنه عطف «خُلَّةً» على اللام الخافـضة لِزوجة، وعطف «ثمانيـا» على «سبع» ويلزم مَنْ قال هذا أن يقـول: مَرَّ عبدُ الله بزيد وعـمرٌو وخالد، ففيـه هذا القُبْحُ، وقد قرأ بعضُ القرَّاء وليس بجائزٍ عندنا: ﴿وَٱخْتِلاَفَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾(١)، فجَعَلَ «آيات» فى مـوضع نَصب وخَفَضَهَـا لتاء الجمْيع فحَـمَلَهَا على «إنَّ» وَعَطَفَهَـا بالواو، وعطَفَ «اختلافًا» على «فى»، ولا أرى ذا فى القـرآن جائز لأنه ليس بموضع ضرورة، وأنشد سيبويه لعَدِىّ بن زيد العبادى(٢):

أَكلَّ امْـرِئٍ تَحْـسَـبِـينَ امْـرأً ... ونَارٍ تَـوَقَّـــدُ بِـالَّـلـيْلِ نَـارَا

فنَعَطَفَ على «امْرِئٍ» وعلى المنصوب الأول.

* * *

[قال أبو الحسن: وفيه عَـيب آخر أنَّ «أمَّا» ليـست من العطف فى شىء، وقد أجْرَى «خُلَّةً» بعدها مُجْراها بعد حرف العطف حَمْلاً على المعنى، فكأنه قال: لزوجةٍ كذا وخُلَّة كذا].

* * *

وقوله: «أمَّا لزوجة» فهذه مفتوحة، وهى التى تحتاج إلى خبر، ومعناها: إذا قُلتَ: أمَّا زيدٌ فمنطلقٌ مَهـمَا يكُنْ من شىء فزيد مُنطَلقٌ. وكذلك ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾(٣)، إنما هى: مَهْـمَا يكُنْ من شىء فَلاَ تَقْـهَرِ اليَتيم، وتُكسَـرُ إذا كانت فى معنى «أو» ويلزمـها التكرير، تقول: ضربتُ إمَّـا زيدًا وإمَّا عمرًا، فمـعناه ضربت زيدًا أو عمرًا، وكذلك: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾(٤)، وكذلك: ﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾(٥)، و﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾(٦)، وإنما كَرَّرْتَها لأنكَ إذا

---

(١) سورة الجاثية ٥.

(٢) زيادات ر: «الصحيح أنه لأبى دؤاد الإيادى».

(٣) سورة الضحى ٩

(٤) سوره الدهر ٣.

(٥) سورة مريم ٧٥.

(٦) سورة الكهف ٨٦.

قلتَ: ضربتَ زيداً أو عمراً، أو قلت: اضْرِبْ زيداً أو عمراً فقد ابتدأتَ بذكر الأول، وليس عند السامع أنك تُرِيدُ غير الأول، ثم جئتَ بالشك، أو بالتخيير، وإذا قلتَ: ضربتُ إمَّا زيداً وإما عمراً، فقد وضَعْتَ كلامَك بالابتداء على التخيير أو على الشك، وإذا قلت: ضربتُ إمَّا زيداً وإمَّا عمراً، فالأولى وقَعَتْ لبِنْية الكلام عليها، والثانية للعطف؛ لأنك تَعْدِل بين الثانى والأول، فإنما تُكْسَرُ فى هذا الموضع.

وزعم سيبويه أنها إن ضُمَّتْ إليها «ما» فإن اضطُرَّ الشاعر فحذف «ما» جاز له ذلك لأنه الأصل، وأنشد فى مِصْداقِ ذلك(١):

لَقَدْ كَذَبَتْك نَفْسُكَ فَاكذِبَنْها فَإنْ جَزَعًا وإنْ إجْمَالَ صبر

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تَقَع «إمَّا» مكسورة، ولكن «ما» لاتكون لازمة، ولكن تكون زائدة فى «إنْ» التى هى للجزاء، كما تزاد فى سائر الكلام نحو: أينْ تكنْ أكَنْ، وأيْنَما تكُنْ أكُنْ، وكذلك متى تَأتنى آتك، ومَتَى تأتنى آتك، فتقول: إنْ تَأْتنى آتكَ، وإمَّا تأْتنى آتكَ، تُدغمُ النونَ فى الميم لاجتماعهما فى الغُنَّة، وسنذكر الإدغام فى موضع نُفْرِدُه به إن شاءَ الله، كما قال امرؤ القيس(٢):

فإمَّا تَرَيْنى لا أُغمِّضُ ساعةً منَ اللَّيْلِ إلاَ أنْ أُكِبَّ فَأنْعَسَا
فَيَاربَّ مكْرُوبٍ كَرَرتُ وَرَاءَهُ وَطَاعنْتُ عَنهُ الخَيلَ حَتَى تَنفسَا

وفى القرآن: ﴿فإمَّا تَرَيِنَّ من الْبَشَر أَحَدًا﴾(٣)، وقال: ﴿وإمَّا تُعرِضنَّ عنهُمُ ابْتغاءَ رَحمَةٍ منْ ربِّكَ تَرجُوهَا﴾(٤)، فأنت فى زيادة «ما» بالخيار فى جميع حروف الجزاء، إلا فى حرفين، فإن «ما» لابُدَّ منها لعلة نذكرها إذا أفردنا بابا للجزاء إن شاء الله، والحرفان: حيثُما تَكنْ أكُنْ كما قال الشاعر:

---

(١) زيادات ر. «هو دريد بن الصمة الجشمى».
(٢) كذا فى ر، وفى س. «كما قال الشاعر»
(٣) سورة مريم ٢٦.
(٤) سورة الإسراء ٢٨

حَيْثُما تستقِم يُقدِّرْ لك اللـ ـهُ نَجاحا فى غابِرِ الأزْمانِ

والحرف الثانى «إذْ ما» كما قال العبّاس بن مرداسٍ:

إذ مَا أتَيْت عَلَى الرَّسُول فَقلْ لَهُ حَقًّا علَيْكَ إذَا اطمأنَّ المَجْلسُ

لا يكون الجزاء فى «حيث» و «إذ» إلاَّ بهما.

* * *

قال أبو العباس: وأنشدنى أبوالعالية:

سلِ المُفْتِيَ المَكِّىَّ هَلْ فى تَزاوُرٍ ونَظرةِ مُشتَاقِ الفُؤادِ جُنَاحُ

فَقال: مَعاذَ اللهِ أنْ يُذْهِب التُّقَى تَلاَصقُ أكْبَادٍ وأنَّ جِراح

* * *

[وأنشد لبعض المحدثين:

تَلاَصقْنَا ولَيْسَ بِنَا فسُوقٌ ولَمْ يَرِدِ الحَرَامَ بنا اللصُوق

ولَكِنَّ التَّبَاعد طَالَ حَتّى تَوَقَّدَ فى الضُّلوعِ بنا حَرِيق

فَلَمَّا أنْ أُتِيحَ لَنَا التَّلاقِى تَعَانقْنَا كما اعْتَنَقَ الصَّدِيقُ

وَهَلْ حَرجًا تَرَاه أو حَرَامًا مَشُوقٌ ضَمَّهُ كِلفٌ مَشُوقٌ(١)!]

* * *

وأنشَدَنى غيره:

وَما هَجَرْتكِ النَّفس يامَىّ أنَّها قلَتْكِ، ولاَ أن قلَّ منْكِ نَصيبُهَا

ولَكِنَّهُم يا أمْلَحَ النَّاس أُولِعُوا بِقَولِ إذَا ما جِئتُ: هَذا حَبِيبُهَا

«أنها» فى موضع نصب، وكان التقدير «لأنها»، فلما حذفت اللام وصل الفعْل فَعَمِل، تقول: جئتُك أنَّكَ تُحِبُّ الخير، فمعناه لأنك، وكذلك أتيتك أن تأْمُرَ لى بشىء، أى لأن، وتقديره فى النصب أنَّ: «أنْ» الخفيفة والفعل مصدر: نحو:

(١) الأبيات الواقعة بين العلامتين لم نرد فى نسخة الأصل ووردت فى س وفى ر بين علامتى الزيادة.

أريد أن تقوم يا فتى، أى قيامك، و«أنَّ» الثقيلة واسمها وخبرها مصدر، تقول: بلغنى أنَّك منطلق، أى انطلاقك، فإذا قلت: جئتك أنك تريد الخير، فمعناه إرادتك الخير، أى مجيئى لأنك تريد الخير إرادة يا فتى، كما قال الشاعر(١).

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكَرِيمِ ادّخارَه ... وَأُعْرِضُ عَن شتم اللَّئِيمِ تَكَرُّما

قوله:

* وأَغْفِرُ عَوراءَ الكَرِيمِ ادّخارهُ *

أى أَدخِرُه ادّخارًا، وأضافه إليه، كما تقول: ادّخارًا له، وكذلك قوله: «تكرما» إنما أراد للتكرم، فأخرجه مُخرَج أتَكَرَّمُ تَكَرمًا.

* * *

قال أبو العباس: وأنشدنى أبو العالية(٢):

مـا زِلْت أبْغِى الحَىَّ أتْبَعُ ظِلَّهمْ ... حتى دفِعْت إلى ربِيبَةِ هوْدَجِ

قالَتْ: وعيْشِ أبَى وأكبَرِ إخْوتِى ... لأنبِّهنَّ الحَىَّ إنْ لمْ تَخْرُجِ

فَخَرجتُ خيفَةَ قَولِها، فَتَبَسَّمَتْ ... فَعَلِمتُ أنَّ يَمينَهَا لم تَحْرَجِ

فَلَثِمتُ فاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا ... شُربَ النَزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشرِجِ

وزاد فيها الجاحظُ عَمرو بن بَحْر:

وتَنَاولَتْ رأسِى لِتَعرِفَ مَسَّهُ ... بِمُخَضَّبِ الأطرَافِ غَير مُشنَّجِ(٣)

تقول العرب: هوْدَجٌ، وبنو سَعد بن زيد مَناةَ وَمَنْ وَلِيَهُمْ يقولون فَوْدَجٌ.

وقوله:

* فعلمت أن يمينها لم تَحْرج *

يقول: لم تضق عليها، يقال: حرِجَ يحْرَج إذا دخل فى مَضيق، والحَرَجَة: الشجر الملتفُّ المُتضايق ما بينه، قال الله عزّ وجل: ﴿فَلاَ يَكُنْ فِى

---

(١) زيادات ر: هو حاتم الطائى، والبيت فى ديوانه.

(٢) زيادات ر: «قيل إن الشعر لعروة بن أذينة» وفى حواشى الأصل إنه لجميل بن عبد الله بن معمر.

(٣) من التشنج وهو التقبض.

صَدْرِكَ حَرَجٌ منهُ[1]﴾، وقال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرِجًا[2]﴾، وقرئ «حَرَجًا»، فمن قال «حَرِجا» أراد التوكيد للضِّيق، كأنه قال: ضَيِّقٌ شديد الضيق، ومن قال: «حَرَجًا» جعله مصدرا، مثل قولك: ضُيق ضيقًا.

وقوله: «ببرد ماء الحَشْرَج» فهو الماء الجارى على الحجارة.

[لقيس بن معاذ فى النسيب]

وقال قَيْسُ بن مُعاذٍ أحد بنى عُقَيلِ بن كعْب بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ ـ وهو المجنون ـ وحدثنى عبد الصمد بن المُعَذَّل قال: سمعت الأصْمَعىَّ يُثْبِتُه ويقول: لم يكن مجنونا، إنما كانت به لوثَةٌ كلوثة أبِى حَيَّة[3]:

وَلَمْ أرَ لَيْلَى بَعْد موقِفِ ساعَةٍ ... بِبَطنِ مِنى تَرمِى جِمَارَ المُحَصَّبِ

ويُبْدِى الحَصَا منها إذَا قَذَفَتْ بِه ... منَ البُردِ أطرَافَ البَنان المُخَضَّبِ

فَأصبَحتُ مِنْ لَيلى الغَداةَ كَنَاظِرٍ ... مَعَ الصُّبْحِ فى أَعْقاب نَجْمٍ مُغَرِّبِ

ألا إنَّما غادَرتِ يا أُمَّ مالِكٍ ... صَدًى أيْنَما تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

هذا البيت من أعجب ما قيل فى النحافة.

ومما يُسْتَطرَفُ فى هذا الباب قول عُمَرَ بن أبى رَبيعة:

رأَتْ رَجُلاً أمَا إذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وأمَا بالعَشِيِّ فَيَخصَرُ

أخَا سَفَرٍ جوَّابَ أرْضٍ تَقَاذَفَتْ ... بِهِ فَلَوَاتٌ فَهُوَ أشْعَثُ أغْبَرُ

قَلِيلاً عَلَى ظَهْرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ ... سِوَى مَانَفَى عَنْهُ الرداءُ المُحَبَّرُ

ومن هذا الباب قول القائل[4]:

فَأصبَحْتُ فِى أقْصى البُيُوتِ يَعُدْنَنِى ... بَقِيَّةَ مَا أبْقَيْن نَصْلاً يَمَانِيَا

---

(١) سورة الأعراف ٢.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) زيادات س، ر بعد هذه الكلمة: «النميرى، وهو من أشعرالناس، ومن شعره».

(٤) زيادات ر: «هو قيس بن معاذ مجنون بنى عامر الذى تقدم ذكره لابن الأبرش».

[بقية بدل من الياء فى يَعُدْنَنى بدل الاشتمال

تَجَمَعْنَ منْ شتَّى، ثلاثٌ وأربعٌ ... وَوَاحدَةَ حتّى كَمُلْنَ ثَمَانيًا[1] .]

يَعدْنَ مَـرِيضًا هُنَّ هَيَّـجنَ مَا بِهِ ... ألاَ إنمَا بَعْضُ الـعَـوَائد دَائيَـا

وفى هذا البـاب أشياء كـثيرة تأتـى فى موضعـها إن شاء الله تـعالى، ومن الإفْراط فيه قولهُ:

فَلَوْ أَنَّ مَـا أبْقَـيتِ مِنى مُـعَلَّقٌ ... بِعُـودِ ثُمـام مَـا تَأوَّدَ عـودهَا

الثمام: نبت ضعيف، واحدته ثمامة، وهذا متجاوز كقول القائل:

* وَيْمَنَعُهَا منْ أنْ تَطِيرَ زِمامِها *

وأَحْسَنُ الـشِّعْرِ مـا قارَب فـيه القـائل إذا شَبَّـهَ، وأحَسنُ منه مـا أصاب به الحقيقة، ونبَّـهَ فيه بِفِطنته عَلى ما يخفى عن غيره، وساقـه برصْفٍ قوىّ واختصار قريب.

* * *

وقال قيس بن معاذ:

وأَخْرُج منْ بَيْنِ الجُلوسِ لَعَلَّنى ... أُحَدثُ عَنْكِ النَّفْسَ فى السِّرِّ خاليا

وإنَى لأسْتَـغْشِى ومَا بِىَ نَعْـسَة ... لَعلَّ خَـيـالاً مِنْك يَلقَى خَـيَـالِيَـا

وفى هذا الشعر:

أشَوْقًـا ولَمّا تَمض لِى غَيْـرُ لَيْلَةٍ ... رُوَيْدَ الهَـوَى حَـتَّى تَغِبَّ لَيـالِيَـا

هذا من أحسن الكلام وأوضحهُ معنى.

ويُسَتَحْسَنُ لذى الرُّمَّةِ قوله فى مثل هذا المعنى:

أُحبُّ الَمكاَن القَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنى ... بِهِ أَتَغَنَّى بِاسْـمِهَـا غَيْـرَ مُعْـجَم

---

(١) ما بين العلامتين لم ترد فى الأصل، وهى فى س وزيادات ر.

[لبعض القرشيين]

وأنشد(١) ابن عائشة لبعض القُرَشيِّين(٢):

وَقَفُوا ثَلاثَ مِنًى بِمَنزِلِ غِبطَةٍ ... وَهُمُ عَلَى غَرَضٍ هُنَالِكَ مَا هُمُ
مُتَجَاوِرِينَ بِغَيرِ دَارِ إِقامَةٍ ... لَوْ قَدْ أَجَدَّ تفرق لم يَنْدَمُوا(٣)
وَلَهُنَّ بِالبَيْتِ العَتيقِ لُبَانَةٌ ... وَالرُّكنُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
لَوْ كَانَ حَيًّا قَبلَهُن ظَعَائِنًا ... حَيَّا الحَطِيمُ وُجُوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ
وَكَأَنهُنَّ وَقَدَ صَدَرْنَ لَوَاغِبًا ... بَيْضٌ بِأَفنِيَةِ المَقَامِ مُرَكَّمُ

اللاغِبَ المعيى، قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾(٤) والمركَّمُ: الذى بعضه على بعض، والمرأة تُشبَّهُ ببيضة النعامة كما تُشَبَّهُ بالدرَّة، قال الله عزّ وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾(٥) والمكنونُ: المصون، والمكنُّ: المَستور، يقال: أَكْنَنْتُ السِّر، قال الله عزّ وجَل: ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِى أَنْفُسِكُمْ﴾(٦). وقال أبو دَهْبَل، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حَسَّان(٧):

وَهْيَ زَهرَاءُ مِثلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوَّ ... اصِ مِيزَت مِنْ جَوهَرٍ مكنُونِ

وقال ابن الرُّقَيات:

واضِحٌ لَوْنُهَا كَبيْضَةِ أُدْحِيِّ ... لَهَا فِى النِّسَاءِ خَلْقٌ عَمِيمُ

العميم: التام، والأدحِيّ: موضع بيض النعامة خاصة، وشِعْرُ عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه.

---

(١) ر «وأنشدنى».

(٢) حاشية الأصل: الشعر لابن أذينة، وانظر الأغانى ٢١: ١١٠.

(٣) زيادات ر: «يعنى طواف الوداع، وقوله: «ثلاث منى» أراد أيام النفر، وأخرجه على الليالى، وقوله: «لم يندموا» لأنهم يرجعون إلى أوطانهم».

(٤) سورة ق ٣٨

(٥) سورة الصافات ٤٩.

(٦) سورة البقرة ٢٣٥.

(٧) زيادات ر «ابن ثابت الأنصارى».

[لعبد الرحمن بن الأشعث فى بنت معاوية]

وروى بعض الْرواة أن أبا دَهْبَل الجُمحىَّ كـان تَقيًا وكان جميـلاً، فَقَفَلَ من الغَزو ذَاتَ مَـرَّة، فَمَرَّ بِدمَـشْق، فدعَتْـهُ امْرأَةٌ إلى أن يَقْـرأ لها كتـابًا، وقالت: إنَّ صاحِبَـتَهُ فى هَذَا القصـر، وهى تُحبُّ أن تسْمَعَ ما فيـه، فلما دخلتْ به برزَتْ له امْرأَةٌ جميلـة، وقالتْ له: إنما احتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدخَلتُكَ. فـقال لها: أما الحرامُ فلا سـبيل إليه، فقالت: فَلَسْـتَ تُرادُ حَرامًا، فتَزوَّجَـته، وأقام عندها دَهرًا حتى نُعِيَ بالمدينة، ففى ذلك يقـول وقد استأذنها ليُلِمَّ بأهلِه ثم يعـود، فجاء وقد اقْتسِمَ ميراثه، فلما هَمَّ بالعود إليـها نُعِيَت له، فهذا ما رُوِيَ من هذا الوجه والذى كأنه إجماع أنه لعبد الرحمن بن حسان، وهو فى بنت معاوية(١):

صَـاحِ حَـيَّـا الإلهُ أهْلاً وَدَارًا عِنْدَ أصْلِ الْقَـناةِ مِنْ جَيْـرونِ
عن يَسَارِى إذا دَخَلْـتُ مِنَ الْبا بِ وإن كُنْتُ خـارِجًا فَـيَمينِى
فَـبِتلْكَ ارْتَهنْتُ بِالشَّـأْم حَـتَّى ظَنَّ أَهْلى مُـرَجْـمـات الظُّنُونِ
وهْىَ زَهْـرَاءُ مِثْـلُ لؤلؤة الْغـوَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوهَـر مكْنُونِ
وَإذَا مَـا نَسَبْتَـهَـا لَمْ تَجِـدْهَا فِـى سَنَـاءٍ منَ المَـكَارِمِ دُونِـى
ثمَّ خَاصَـرتُها إلى القُبَّـةِ الخَضْـ ـرَاء تَمْـشِى فى مَـرْمَرٍ مَـسْنُونِ
تَجْعَـلُ المسْك واليَلَنْجُـوجَ والنَّـــــدّ صلاءً لَـهَـا عَلى الْكانونِ
قُـبَّـةٌ مِنْ مَـرَاجِـلٍ ضَـرَبَتَـهْـا عِنْدَ بَرْدِ الْشَـتـاءِ فى قَـيْطُونِ

المسنون: المصبوب على اسـتواء، والمَرَاجِلُ: ثيـاب منْ ثياب الْيَـمن، قال العَجَّاجُ:

* بشِيَةٍ كَشِيَةِ المُرَجِلِ *

والقيطون: البيت فى جوف بيت.

وقال آخر:

وأَبْصَرْتَ سُعْدَى بيْنَ ثَوبَى مَرَاجِلٍ وأثوابِ عَصْبٍ مِنْ مُهَلهَلَةِ اليَمَنِ

---

(١) زيادات ر: «ابن أبى سفيان».

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية: أما سَمِعْت قول عبد الرحمن بن حسان فى ابنتك؟ قال: وما الذى قال؟ قال: قال:

وَهْىَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤلؤة الْغوَّاصَ مِيزَتْ مِنْ جوهرِ مكْنُون

قال معاوية: صدق، فقال يزيد: وقال:

وَإذا ما نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِى سَنَاءٍ مِنَ المَكارِمِ دُونِى

قال: (1)صدق، فقال(1) إنه قال:

ثمَ خَاصَرْتُها إلى القبَّةِ الخَضْراءِ تَمْشى فِى مَرْمَر مَسْنُون

قال معاوية: كذب.

(1 ـ 1) ر، س: «قال معاوية. صدق فقال يزيد».

باب

[عبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب عند رسول الله]

قال أبو العباس: حدثنى مسعود بن بِشر، قال: حدثنى محمد بن حَرْب، قال: أتى عبدُالله بن الزُبيرِ بن عبد المطلبِ رسولَ الله ﷺ فكساه حلة وأقعده إلى جانبه، ثم قال: «إنه ابن أمى، وكان أبوه يرحمنى». (١)

[الرجل من بنى ضبة يخاطب بنى تميم]

قال: وأنشدنى مسعود قال: أنشدنى طاهرُ بن على بن سليمان قال: أنشدنى منصور بن المَهْدِىَ لرجل من بنى ضَبَّة بن أُدٍّ، يقوله لبنى تميم بن مُرّ بن أُدٍّ:

أَبَنى تميم إننى أنا عَمكُمْ ... لا تُحْرمُن نَصيحةَ الأعمام

إنى أرَى سَببَ الفَناءَ وإنَّما ... سببُ الفَناء قطيعةُ الأرحامِ

فَتَداركوا بأبى وَأمِّى أنْتمُ ... أحسابكم(٢) برواجح الأحلامِ

[خطبة عبدالله بن الزبير حين ورد عليه خبر قتل أخيه مصعب]

ويُرْوَى أنه لما أتى عبْدَالله بن الزبَيرِ [خبر](٣) قتلِ مُصْعَب بن الزبير خطب الناس، فَحَمِدَ الله وأثنَى عليه، ثم قال: إنه أتانا خبر قتل المصعب فُسررنا [به]، واكتأَبنا [له](٣)، فأما السرورُ فلما قُدِّرَ له من الشهادةَ.وحيزَ له من الثواب، وأما الكآبة فَلوْعةُ يَجدُها الحميمُ عند فراق حَميمه، وإنا والله مانموتُ حَبَجًا كميتة آل أبى العاصى، إنما نموتُ قَتلا بالرِّماح، وقَعْصًا تحت ظلال السُّيوف، فإن يَهْلِكَ المصْعَبُ فإن فى آل الزبير منه خَلَفًا.

قوله: «حَبَجًا»، يقال حَبجَ بطْنُه، إذا انتفخ، وكذلك حَبِطَ، بطنه، المَعْصُ: المقتول. واللوْعة: الحُرقةُ، يقال لاع يلاع لَوْعة يافتى فهو لائع، ويقال: لاعٍ يافتى، على القَلب، وأنشد أبو زيد:

ولا فرحٍ بخيرٍ إن أتاهُ ... ولاجزعٍ من الحدثانِ لاعِ

(١) زيادات ر: الزبير أخو عبدالله بن عبدالمطلب شقيقه.

(٢) ر، س: «أرحامكم» وفى زيادات ر: «كذا أنشد: أرحامكم، ويروى: أحسابكم».

(٣) زيادة من ر.

[من كلام زياد]

قال: وحدثنى مسعود فى إسناد ذكره قال: قال زياد لحاجبه: ياعجلانُ، إنى وليتك هذا الباب، وعزلتك عن أربعةٍ. عَزَلْتُكَ عن هذا المنادى إذا دعا للصلاة فلا سبيلَ لك عليه، وعن طارق الليل فَشَرٌّ ماجاء به، ولو جاء بخير ماكنت من حاجته، وعن رسول صاحب الثغر فإن إبطاء ساعةٍ يُفْسِدُ تدبير سنة، وعن هذا الطباخ إذا فَرَغ من طعامه.

قال: وحدثنى مسعود قال: قال زياد: يُعْجِبُنى من الرجل إذا سيمَ خُطَّةَ الضَّيْمِ أن يقول: «لا» بِملْءِ فيه، وإذا أتَى نادىَ قومٍ علم أيْنَ ينبغى لِمثلهِ أن يَجْلِسَ فَجلسَ، وإذا ركب دابةً حملها على ماتحب ولم يَبْعَثْها إلى مَاتكره.

[بلاغة جعفر بن يحيى]

وكَتب إلى جعفر بن يحيى: إن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال، فَوَقَّعَ جعفر: هذا رجل منقطع عن السلطان، وبين ذؤْبانِ العَربِ بحيثُ العَدد والعدَّة، والقُلُوبُ القاسية، والأنوف الحَميَّة، فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه، فإن نفقات الحروب يستظهر لها، ولا يستظهر عليها.

ورفع قوم إليه[1] شكية عاملهم. فوقَّع فى قصتهم[2] : ياهذا، قد كثر شاكوك، [وقَلَّ حامدوك] [3]، فإمَّا عَدَلْتَ، وإما اعتزلت.

وزعم الجاحظ قال: قال ثُمامة[4] بن أشْرَسَ النُّمَيْرى: ما رأيتُ رجلا أبلغَ من جعفر بن يحيى والمأمون.

وقال مويْسُ بن عِمران: ما رأيتُ رجلا أبْلَغَ من يَحْيى بن خالد، وأيوب بن جعفر.

وقال جعفرُ بن يحيى لكُتَّابِهِ: إن قدَرْتُمْ أن تكون كُتُبُكُمْ كلها تَوْقيعاتٍ فافعلوا.

(١) ر، س: «وأكثر الناس شكية عامل»

(٢) كلمة «قصتهم» لم ترد فى س.

(٣) تكمله من ر.

(٤) س: «ثمامة الأشرس».

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

وقال رسول الله ﷺ : «لو تكاشَفتُم ماتَدَافنتم».

يقول: لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه.

وقال عليه السلام: «اجتنبوا القُعود على الطرُقات، إلا أن تضْمَنوا أربعا: رَدَّ السلام، وَغضّ الأبْصَار، وإرشَادَ الضالَ، وَعَوْنَ الضعيف».

وقالت هِنْد بنت عُتْبَة: إنما النساء أغْلالٌ، فليختر الرجلُ غُلا لِيَده.

وذكرت هند بنت المُهلّبِ بن أبى صُفْرَةَ النساءَ فقالت: مازُيِّنَّ بشىء كأدَب بارعٍ، تحته لُبٌّ ظاهر.

وقالت هند بنت المُهلَّب بن أبى صُفْرَة [أيضا][1]: إذا رأيتم النِّعَمَ مُستدرَّة فبادروا بالشُكر قبل حلول الزَّوال.

وقال رسول الله ﷺ: «افصلوا بين حَديثكم بالاستغفار».

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: قَيدوا النعَمَ بالشكر، وقَيِّدوا العِلْم بالكتاب.

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه[2]: العَجَبُ لمَن يَهْلكُ والنجَاة معه. فقيل: ما هى يا أمير المؤمنين؟ قال: الاستغفار.

وقال الخليل بن أحمد: كن على مُدارسة ما فى قلبك أَحْرَصَ منكَ على حفظ ما فى كُتُبك.

وقال ابن أحمد - يعنى الخَليل: اجْعَلْ ما فى كُتُبكَ رأس مال، وما فى صَدْرك للنفقة.

وقيل لنَصر بن سَيار: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانةُ الخفيّة.

وقال نصر بن سيار: لولا أن عمر بن هُبَيْرةَ كان بَدَويًّا ما ضَبَط عمال العراق وهو لا يكتب.

---

(١) تكملة من ر.

(٢) ر: «رضوان الله عليه».

وفادى رسول الله ﷺ من رأى فِدَاءهُ من أَسْـرَى بَدْرٍ، فمَنْ لم يكن له فداءٌ أمره أن يُعلم عشرة من المسلمين الكتابة، فَفَشَت الكتابة بالمدينة.

ومن أمثال العـرب: خير العلم ما حـوضر به، يعنى[1]: ما حفظ وكان[2] للمذاكرة.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ أمَّـتى صالحًا أمْرُها ما لم تَعُـدَّ الْفَىْءَ مَغْنَمًا، والصدقةَ مغْرَما».

وقال علىٌّ بن أبى طالب عليـه السلام: يأتى على الناس زمان لا يُقَـرَّبُ فيه إلا الماحلُ[3]، ولا يُظرَفُ فيه إلا الفـاجرُ، ولا يُضَعَّفُ فيـه إلا المُنْصفُ، يتخذون الْفيْءَ مَغْنَما، والصـدقة مَغْرَمًا، وصلة الرحم منًّا، والعـبادة استطالَةً على الناس، فعند ذلك يكون سلطانُ النساء، ومُشَاوَرَةُ الإماء، وإمارةُ الصبيان».

[نبذ من أخبار الحجاج]

ويروى عن محمـد بن المُنْتَشرِ بن الأجْدَعِ الهَمداني، قـال دَفَعَ إلى الحجاج أزاد مَرْد بن الهـربذْ، وأمرنى أن أستـخرج منه وأُغلِّظ عليه، فلمـا انطلقتُ به قال لى: يا محمد، إن لك شَرَفًا ودينًا، وإنى لا أُعْطى على الْقَسـرِ شيئًا، فاسْتأْدنى[4] وارفُقْ بى، قال: ففعـلتُ، نَأَدَّى إلىَّ فى أسبوع خمسمـائة ألف، قال: فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه، وانتزعـه من يَدَىَّ، ودفعهُ إلى رجل كان يتولى له العذابَ، فَدَقَّ يديه ورجليه، ولم يُعْطِهِمْ شيئا.

قال محـمد بن المنتشر: فإنى لأمُـرُّ يوما فى السوق إذا صائحٌ: يا مـحمد، فالتفت فإذا به مُـعَرّضًا على حمَار، مَدْقوقَ اليدين والرجلين، فَـخفتُ الحجاج إن أتيتـه، وتذممْتُ منه، فَـملتُ إليْـه، فـقـال لى: إنك وَلِيتَ منى مـا ولِىَ هؤلاء فأحسنْت، وإنهم صنعوا بى ما ترى ولم أُعطهم شيـئًا، وهاهنا خمسمائة ألف عند فلان، فخذهـا فهى لك، قال: فقلت: ما كنت لآخذ منك على مـعروفى أجرًا، ولا لأرْزأك على هذه الحال شيئا، قال فـأما إذ أبَيْتَ فاسمع أُحَدِّثك: حدثنى بعضُ

---

(١) ر «بمنى». (٢) ر «مكان».

(٣) زيادات ر «الماحل: الواشى، يقال: محل فلان بفلان إذا وشى به ومكر».

(٤) اسأدنى: أى طلب منى الأداء.

آهل دينك عن نبيك - ﷺ - كثيراً. قال: إذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته، وجَعَلَ المالَ فى سُمَحائهم. واستَعْمل عليهم خِيارهم، وإذا سَخط عليهم استعمل عليهم شرارهم، وجعل المال عند بُخلائهم، وأمطرهم المطر فى غير حِينه. قال: فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسولُ الحجاج، فأمرنى بالمسير إليه، فألفيته جالسًا على فرشه والسيف منتضى فى يده، فقال لى: ادْنُ، فدَنوْتُ شيئًا، ثم قال: ادْنُ، فدنوت شيئا، ثم صاح الثالثة: ادْن لا أبالك! فقلت: ما بى إلى الدُنُوِّ من حاجة، وفى يد الأمير ما أرى. فأضْحكَ الله سِنَّه، وأغْمَدَ سيفهُ عنى، فقال لى: اجْلسْ، ما كان من حديث الخبيث؟ فقلتُ له: أيها الأمير، والله مَاغَشَشْتُكَ مُنْذُ استنصحتنى، ولا كَذَبْتُكَ منذ استَخْبرتَنى، ولا خُنْتُكَ منذ ائتمنتنى. ثم حدثتهُ الحديث، فلما صِرْت إلى ذكر الرجل الذى المالُ عنده أعْرَضَ عنى بوجهِه، وأومأ إلىَّ بيده، وقال: لا تُسَمِّه، ثم قال. إن للخبيث نفسًا، وقد سمع الأحاديثَ.

ويقال: كان الحجاج إذا استَغْرَبَ[1] ضحكا[2] وَالَى بين الاستغفار، وكان إذا صَعدَ المْنبرَ تَلَفع بمطرَفه[3] ثم تكلم رُوَيْدًا فلا يكاد يُسْمَعُ، ثم يَتزَيَّد فى الكلام، حتى يُخْرِجَ يده من مِطرَفِه ويَزْجُرُ الزَّجْرَةَ فَيُفْزِع بها أقْصَى مَنْ فى المسجد. وكان يُطْعِمُ فى كل يوم ألف مائدة، على كل مائدة ثَريدٌ وجَنْبٌ من شواء وسمكَة طَرِيَّة، ويُطافُ به فى محفَّة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس، وعلى كل مائدة عشرة، ثم يقول: يا أهل الشأم، اكْسِروا الخبز لئلا يُعادَ عليكم. وكان له ساقيان، أحدهما يسقى الماء والعسلَ، والآخر يسقى اللبن.

ويروى أن لَيْلَى الأخْيَلِية قدمت عليه فأنشدَته:

إذا وردَ الحَجَّاجُ أرْضًا مَريضة ... تَتَبعَ أقْصَى دائها فشَفاها
شَفاها من الداَّء العُقامِ الذى بها ... غُلام إذا هزَ القَناةَ ثناها[4]

---

(١) اسنعرب ضحكا بالع فى الصحك.

(٢) ومں هنا وقع خرم فى سحة الأصل، والنص، الذى أثبتناه هو نص «ر» إلى آخر الخرم.

(٣) المطرف رداء من حر

(٤) ريادات ر · «العقام، بالفتح والضم، والضم أفصح». وفى س. العصال.

فقال لها : لا تقولى : غلام، قولى: هُمامٌ، ثم قال لها: أي نسائى أحَب إليك أن أنْزلَك عندها الليلة؟ قالت: ومَنْ نسَاؤُكَ أيها الأمير؟ قال أمُّ الجلاسِ بنت سعيد بن العاصى الأمَويَّةُ، وهنْدٌ بنت أسماء بن خارجة الفَزارِيَّةُ، وهند بنت المُهلَّب بن أبى صُفْرَةَ العَتَكِيَّةُ، فقالت: القَيْسيَّةُ أحبُّ إلى. فلما كان الغدُ دخلْت عليه فقال: ياغلام أعطها خمسمائة، فقالت: أيها الأمير، اجعلها أدما، فقال قائل: إنما أمر لك بشاء، قالت: الأمير أكرم من ذلك، فجعلها إبلا إناثا استحياء، وإنما كان أمرَ لها بشاء أولا. والأُدْمُ[١]: البيض من الإبل وهى أكرمها.

ويروى عن بعض الفقهاء[٢] قال: دعانى الحجاج فسألنى عن الفريضة المخَمَّسة وهى أمٌ وجَدٌ وأخت، فقال لى : ما قال فيها الصِّدِّيق رحمه الله قلتُ؟ : أعْطَى الأمَّ الثلث والجدَّ مابقى لأنه كان يراه أبا، قال :فما قال فيها أمير المؤمنين؟ ـ يعنى عثمان رحمه الله ـ قلت: جعل المال بينهم أثلاثا، قال: فما قال فيها ابن مسعود؟ قال: قلتُ أعْطَى الأختَ النصف، والأم ثلث مابقى والجد الثلثين لأنه كان لا يفضل أما على جد، قال: فما قال فيها زيد بن ثابت؟قال: قلت أعطى الأم الثلث، وجعل ما بقى بين الأخت والجد؛ للذكر مثل حظ الأنثيين، لأنه كان يجعل الجد كأحد الإخوة إلى الثلاثة، قال: فَزَمَّ بأنفه ثم قال :فما قال فيها أبو تُرابِ ؟قال :قلت أعْطَى الأم الثلث والأخت النصف والجد السدس، قال: فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه فقال: فإنه المرء يُرغَبُ عن قوله[٣].

وجلس[٤] الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة: منهم محمد بن عُمَيْر بن عُطاردِ بن حاجبِ بن زُرارَةَ، وحَجارُ بن أبْجَرَ بن بُجَيْر العِجْلىُّ، فأقبل فى وسَط من الطعام على محمد بن عُمير بن عطارد فقال: يامحمد، أيدعوك قُتَيْبَةُ بن مُسْلم إلى نُصرتى يوم رُسْتُقْباذَ[٥] فتقول: هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل، لا جَعَلَ الله لك فيه ناقة ولا جملا! ياحرسى، خذ بيده وجرد سيفك

---

(١) س. «الأدم» بدون الواو

(٢) زيادات ر. «هو الشعبى».

(٣) قال المرصفى: «إنما حمله على ذلك بغضه لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه».

(٤) س. «وجعل».

(٥) ارستقباذ: موضع بفارس.

فاضرب عـنقه، فنظر إلى حجار بن أبجـر وهو يبتسم، فدخلـته العصبـية، وكان مكان حجار من ربيـعة كمكان محمد بن عـمير من مضر، وأتى الخَبَـازُ بفُرنية[1] فقال: اجْعَلْها مما يلى محمدا فإن اللبن يعجبه، ياحَرَسِىُّ، شم سيفك وَانْصَرِفْ.

وكان محمد شريفا، وله يقول الشاعر:

عِلمَ القــبـائلُ من مَـعَـدَّ وغَـيْـرِها أنَّ الجَـوادَ مـــحـــمـــدُ بـن عُطارِدِ

وذُكِرتْ بنو دارِم يـوما بحضـرة عبـدالمَلك، فقـالوا: قوم لهم حظ، فـقال عبـدالملك: أتقولون ذلك وقد مـضى منهم لقيط بن زرارة ولا عـقب له، ومضى القعقـاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له، ومـضى محمد بن عـميرْ بن عطارد ولا عقب له، والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا.

قوله: «شم سيفك»، يقول: اغمدْهُ، ويقال: شمْتُ السيفَ: إذا سَلَلْتَهُ، وهو من الأضداد، ويقال: شِمْتُ البرقَ إذا نظرت من أى ناحية يأتى.

قال الأعشى:

فقلت للـشرب فى دُرْنَى[2] وقـد ثملوا شيـمُوا، وكَيْفَ يَشيمُ الشـاربُ الثَّمِلِ!

وقال الفرزدق:

بأيدى رجـال لم يشـيـمـوا سيـوفـهم ولم تكـثـر القــتلـى بهـا حـين سلت

وهذا البيت طريف عند أصـحاب المعانى، وتأويل لم يـشيموا: لم يغـمدوا ولم تكثر القـتلى، أى لم يغمدوا سـيوفهم إلا وقـد كثرت القـتلى [بها][3] حين سلت.

[على بن جبلة والحسن بن سهل]

وحدثنى الحسن بن رجـاء قال: قَدِمَ علينا علىُّ بن جبلـة إلى عسْكَر الحسن ابن سَهْلٍ والمأمون هناك بانيـا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعـروفة ببوران،

(١) الفرنية: الخبزة المستديرة، منسوبة إلى الفرن.
(٢) درنى: بلد باليمامة.
(٣) تكملة من س.

فقال الحسن: ونحن إذ ذاك نُجرى[1] على نيف وسبعين ألف ملاج، وكان الحسن ابن سهل يسهر مع المأمون، وكان المأمـون يتصبح فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتبـاهه، فلما ورد على قلت: قد ترى شـغل الأمير، قال: إذن لا أضـيع معك. قلت: أجل. فـدخلت على الحسن بن سـهل فى وقت ظهوره فـأعلمتـه مكانه، فقـال: ألا ترى ما نحن فـيه؟ قلتُ: لست بمشغـول عن الأمر له، فـقال: يعطى عشرة آلاف درهم إلى أن نَتَفَرَّغَ له، فـأعلمت ذلك علىَّ بن جَبَلة، فقال فى كلمة له:

أعْطَيْـتـنى ياولىِ الحق مُـبْـتَـدئًا   عطيـة كـافَـأَتْ مَـدْحى ولـم تَرَنى
مـاشِـمْتُ بَرقك حـتى نلتُ رَيقَـهُ   كـأنَمـا كُنْتَ بـالجَـدْوَى تُبَـادرُنى

(1) نجرى: نعطى.

باب

المفضل بن المهلب بن أبى صفرة فى الشجاعة والنجدة

قال أبو العباس: قال المفضل بن المُهلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ(١):

هل الجُودُ إلا أن تجُودَ بأنفُسٍ ... على كلِّ ماضى الشَّفرَتَين قضيب
وماخَيْرُ عيْش بعد قتل محمد ... وبَعْد يزيد والحَرُوبِ حبيب
ومَنْ هرَّ أطراف القَنَا خَشيَةَ الرَّدَى ... فليس لمجَد صالحٍ بكسوب
وماهىَ إلا رَقْدَةٌ تُورِثُ العلا ... لِرَهْطِكَ ماحَنَّتْ رَوَائمُ نيب

قوله:

ومن هر أطراف القنا خشية الردى

يقول: مَنْ كَرِهَ، قال عَنْتَرَة بن شدَّاد:

حَلَفْتُ لهم والخَيلُ تَرْدَى بنا مَعا ... نفارقهم حتى يهروا العواليا
عَوالىَ زُرْقًا من رماحِ رُدَيْنةٍ ... هريرَ الكلاب يَتَّقِينَ الأفاعِيا

والردى: الهلاك، وأكثر ما يستعمل فى الموت. يقال: رَدِىَ يَرْدَى رَدًى، قال الله عز وجل: ﴿وما يُغْنى عنه مالُه إذا تَرَدى﴾(٢)، وهو «تَفَعَّل» منَ الرَّدَى فى أحد التفسيرين، وقيل: إذا تردى فى النار، أى إذا سقط فيها.

وقوله: «الحُرون» فإن حَبيب بن المُهَلْبِ كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يَريمُ مكانه، فكان يُلَقبُ الحَرونَ(٣).

وقوله:

وما هى إلا رقدة تورث العلا

فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب، وذلك أنه قال فى يوم العقر ـ وهو اليوم الذى قتل فيه: قَاتَلَ الله ابن الأشعث! ما كان عليه لو غَمَّضَ عينيه ساعة للموت، ولم يكن قتل نفسه. وذلك أن ابن الأشعت قام فى الليل وهو فى

(١) زيادات ر «بصف الشجاعه والنجدة».
(٢) سوره الليل ١١
(٣) س: «بالحرون»

سطح، للبول، فزعموا أنه ردى نفسه. وغير أهل هذا القول يقولون: بل سقط منه بِسِنَةِ النوم.

وقوله: «تورث العلا لرهطك» فالمعنى تورث العلا رهطَكَ، وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة، تقول هذا ضارب زيدا، وهذا ضارب لزيد؛ لأنها لا تغير معنى الإضافة إذا قلت: هذا ضارب زيد وضارب له. وفى القرآن: ﴿وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أول المسلمينَ﴾(١). وكذلك: ﴿إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.(٢) ويقول النحويون فى قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الّذِى تَسْتَعجِلُونَ﴾(٣) إنما هو «رَدِفَكُمْ».

والنِّيبُ: جمع ناب، وهى المُسِنَّةُ من الإبل، وتقديرها «فُعْلٌ» ساكنَة، وَأَبْدَلَتْ من الضمة كسرة لِتَصِحَّ الياءُ، كما قلتَ فى أَبْيَض: بِيضٌ، وإنما هو مثل أحمر وحُمرٍ، وكذلك أَشْيَبُ وشِيبٌ، فتقدير ناب ونيب إذا جاء على «فَعلٌ» و «فُعْلٍ» تقدير أَسَدٍ وأُسْدٍ، ووَثَن ووُثْن، ونابٌ تقديرها «فعَلٌ» وإنما انقلبت الياء ألفًا فسكنت، وإنما تنقلب إذًا كانت فى موضع حركة. والرَّوائم قد مضى تفسيرها.

[شيخ من الأعراب وامرأته]

وأنشدنى الزّيادى قال: أنشدنى أبو زيد، قال: نَظَرَ شَيخٌ من الأعْرَابِ إلى امرأته تَتَصَنَّعُ وهى عجوز فقال:

عجوزٌ تُرَجّى أن تكون فَتِيَّةً ... وقد لَحَبَ الجَنْبَانِ واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تدُسُّ إلى العَطار سلعة بيتِهَا ... وهلْ يُصْلِحُ العطارُ ما أفْسَدَ الدَّهْرُ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى غير أبى العباس فى شعر هذا الأعْرابى:

(١) سوره الزمر ١٢

(٢) سورة يوسف ٤٣.

(٣) سورة النحل ٧٢.

ومــاغَـرنى إلا خِــضــابٌ بِكفّــهــا   وكُـحْلٌ بِعــينَيْــهــا وأثوَابُهــا الصــفْــرُ
وجــاءوا بهـا قَــبل المحــاق بلـيلة   فكان مُــحَـاقًــا كله ذلك الشــهْــرُ]

* * *

قال: فقالت له امرأته[١]:

ألم تَـر أنّ النـاب تُحْـلَبُ عُـلْبَــــةً   ويُتْــرَكُ ثِلب، لاضِــرابٌ ولاظَهْــرُ!

قال: ثـم استـغاثت بالنســاء. وطلب الرجال فـإذا هم خلوفٌ[٢]، فاجتمع النساء عليه فَضَرَبْنَهُ.

قوله: «قـد لَحِبُ الجنبان»، يقول: قَل لحـمهما، يقـال: بعير ملحـوٌّ، وقد لَحِبَ مثل عرِق.

وقوله:

* تَدُسُّ إلى العطار سلعة بيتها *

يريد السويق والدقيقَ وما أشبه ذلك، وكل عَرَضٍ فالعرب تقول له: سلْعة، أنشدنى عُمارةُ بن عَقيلٍ شعـرًا يمدح به خالد بن يزيد بن مَزيدِ الشيبانىَّ ويَذُمُّ تميم ابن خزيمة بن حازم النهشلى:

أَأَتْـرُكُ إنْ قَلَّـت دَرَاهِـمُ خــالــد   زيـارتـه؟ إنـى إذا للـئـيـم!
وَقـدْ يُـسْلِعُ المرءُ[٣] اللَّـئيمَ اصْطنَاعَـهُ   ويَعْــتَــلُّ نَقْــدُ المـرْء وَهْوَ كَــريمُ
فـتى وَاسِـطٌ فى ابْنَىْ نزَارِ، مُـحَـبَّبٌ   إلىَ ابْنَىْ نزَار، فى الخُطُوب عَـمـيمُ[٤]
فَلَـيْت بِبُــرْدَيْه لَـنَا كَــانَ خــالدٌ   وكَــان لِبكْرٍ فى الثَّــرَاء تَـمِـيمُ
فَـيُـصْبِحَ فِـينَا سَـابـقٌ مُـتَـمـهّلٌ   أغَــرُّ، وَفى بَكْرٍ أَغَمُّ بَـهِـيمُ

قوله:

* وقد يُسْلِعُ المَرْءُ اللئيمَ اصطناعه *

---

(١) س: «فقالت المرأة».   (٢) خلوف: غائبون.
(٣) زيادات ر: «من رفع «المرء» فصب اصطناعه» وأما على تفسير أبى العباس فبنصب «اصطناعه» لاغير».
(٤) فتى واسط فى قومه: شريف فيهم.

وقوله: «أغم بهيم» فالغَمَمُ كثرة شعر الوجه والقفا، قال هُدْبة بن خَشْرَمٍ العُذرىُّ:

فَلاَ تَنْكِحِى إن فَرَّقَ الدَّهرُ بَيْنَنَا أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجهُ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

والعرب تَكْرَهُ الْغَمَمَ. والبهيمُ: الذى لا يَخْلِطُ لونَهُ غيرُهُ من أىِّ لون كان.

وقولها:

* ألم تر أن الناب تحلب علبة *

تقول فيها منفعة على حال، والعُلْبَة: إناء لهم من جلود يَحْلُبون فيه، من ذلك قوله:

لَمْ تَتَلَفَّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ، وَلَمْ تُغْذَ دَعْدُ بالْعُلَبِ

ومن أمثال العرب: «قد تُحْلَبُ الضَّجُور الْعُلْبَةَ»، يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال يُنال منه الشيء القليل، والضجور: الناقة السيئة الخُلُق، إنما تُحْلَبُ حين تَطْلُع عليها الشمس فتطيب نفسها، والثَّلْبُ: الذى قد انتهى فى السنِّ من الإبل.

[من أقوالهم فى الفقر والغنى]

وقال آخر:

لَمْ أَرَ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْمَالِ أَرْفَعَ لِلرَّذْلِ
لَمْ أَرَ عِزًّا لامْرِئٍ كَعَشِيرَةٍ وَلَمْ أَرَ ذلًا مِثْلَ نَأْىٍ عَنِ الأَصْلِ
لَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلى امْرِئٍ إذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ

وقال آخر:

لَعَمْرِى، لَقَوْمُ الْمَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّةٍ عَلَيْهِ، وإنْ عَالَوْا بِهِ كلَّ مَرْكَبِ
مِنَ الجَانِبِ الأَقْصَى، وإنْ كانَ ذَا غِنًى جَزِيلٍ وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّبِ
وإنْ خَبَّرَتْكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلى مَا حَوَتْ أَيْدِى الرِّجَالِ فَكَذِّبِ]
إذَا كُنْتَ فِى قَوْمٍ عِدًا لَسْتَ مِنْهُمُ فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وطَيِّبِ

العدا: الغرباء فى هذا الموضع، ويقال للأعداء عدا، والعداة الأعداء لاغير.

وقال أعرابى من باهلة:

سَأُعْمِلُ نصَّ العيس حتّى يكُفَّنى ... غنَى المَال يَوْمًا أوْ غِنَى الحَدَثان
فَلَلْمَوتُ خيرٌ مِنْ حَيَاة يُرَى لهَا ... عَلَى المَرْءِ ذى العلْيَاء مَسٌّ هَوَانِ
مَتَى يَتَكلَّم يُلْغَ حُكْمُ مَقَاله ... وإنْ لَم يَقُلْ قَالُوا عَديمُ بَيَانِ
كَأنَّ الغِنَى فى أَهْلِه بُورِكَ الغِنَى ... بغَيْرِ لسَانٍ ناطقٌ بِلسَانِ

[من أخبار حارثة بن بدر الغداني]

ونظير هذا الشعر ما حدثنا به فى أمر حارثَةَ بن بَدْر الغُدَانى، فإنا حُدِّثْنا عن حارثة بن بدر، وكان رَجُلَ بنى تَميمٍ فى وقته، وكان قَدْ غَلَبَ على زياد، وكان الشرابُ قد غَلَبَ عليه، فقيل لزياد: إن هذا قد غَلَبَ عليك وهو مُسْتَهْتَرٌ[١] بالشراب، فقال زياد: كيف لى باطراحِ رجلٍ هو يُسايرُنى مُنذُ دخلتُ العراق، لم يُصكك ركابَى ركابُهُ، ولا تَقدمَنى فنظرتُ إلى قفاه، ولا تأخرَ عنى فلويْتُ عُنُقى إليه، ولا أخَذَ علىَّ الشمسَ فى شتاء قطُّ، ولا الرَّوْحَ فى صيف قط، ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لم يحسن غيرَه. فلما مات زياد جفاه عبيد الله، فقال له حارثة: أيها الأمير، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة[٢]! فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة كان قد برع بروعا لا يلحقه معه عيب، وأنا حَدَثٌ، وإنما أُنْسَبُ إلى مَنْ يَغْلبُ علىّ، وأنت رجل تديم الشراب، فمتى قَرَّبْتُكَ فظهرتْ رائحةُ الشراب منك لم آمَنْ أن يُظَنَّ بى، فَدَعِ النَّبيذَ وكُنْ أوَّلَ داخل علىَّ وآخر خارج عنى، فقال له حارثة: أنا لا أَدَعُهُ لمن يملك ضَرّى ونَفْعى، أفأدعه للحال عندك؟ قال: فاخْتَرْ من عملى ماشئتَ، قال: تُوَلِّينى رامهرمز[٣]، فإنها أرض عذَاةٌ[٤]؛ وسُرَّقَ[٥] فإن بها شرابًا وُصِفَ لى. فولَّاهُ إياهما، فلما خرج شيَّعهُ الناس، فقال أَنَسُ بن أبى أُنَيْسٍ:

(١) مستهر بالشراب مولع به. (٢) كنية زياد.
(٣) رامهرمز . مدينه فى بلاد الفرس. (٤) أرض غذاة طيبه
(٥) سرق إحدى كور الأهواز

أحَـــارِ بْنَ بَدْرٍ قَـــد وَليتَ إمـــارَةً فكُنْ جُـرَذًا فـيـهـا تَخُـونُ وتَسْـرِقُ
ولا تَحْـقِـرَنْ يَاحَـار شَـيْـئًـا وجَـدْتَهُ فَـحظُّـك من مُلْك العـراقَـيْنِ سُـرَّقُ
وباه تميــمًـــا بالـغنَـى إنَّ للغـنَى لسَـــانًا به الْمَـرْءُ الْـهَـيُـوبَـةُ يَنْطق[1]
فــإِنَّ جَـمـيـعَ النَّاسِ، إمَّـا مُكَذَّبٌ يَقــولُ بمَا يَهـوَى وإمـا مُـصَـدَّقُ
يَقــولـونَ أقْــوَالاً ولاَ يَعْلَمـــونَهَـــا ولوْ قـيلَ: هَاتُوا حقـقُوا لَمْ يُحَـقِّقُـوا

ورثَى حارثةُ بن بدر زيادا ـ وكان زياد مات بالكوفة، ودفن بالثّويَّة ـ فقال:

صَلَّـى الإِلهُ عَلَى قَـبْــرٍ وَطَهَّــرَهُ عند الثَّـويَّةِ يَسْـفـى فَـوقَـهُ الْمُورُ
زفَّتْ إلَيْـه قُـرَيْشٌ نَعْشَ سَـيِّـدها فَـثَمَّ كُلُّ التُّـقَى وَالْبِـرِّ مَـقْـبُـورُ
أبَا الْمُغـيــرَةِ وَالدُّنيـا مُـفَـجِّعَـةٌ وَإنَ مَنْ غَـرَّت الـدُّنيَـا لَمغـرُورُ
قَـدْ كَـانَ عنْدَكَ بـالْمَعْـرُوف مَـعْـرِفة وَكَـــانَ عنْـدَكَ للنَّـكْرَاء تَنْـكِيــرُ
وَكنْت تُغْـشَى وَتُـعْطى المالَ منْ سَعَة إنْ كـاَن بَيْتكَ أَضحى وَهُوَ مَـهْجُـورُ
النَّاسُ بَعْــدَكَ قَـدْ خَـفَّتْ حُلُومُـهـمْ كَـأنَّمـا نَفَـخَتْ فـيـهَـا الأعَـاصيـرُ

ونظيـر هذا قول مهـلهل يرثى أخاه كليـبا، وكـان كليب إذا جلس لم يرفع بحضرته صوت، ولم يستب بفنائه اثنان:

ذَهَبَ الخــيــارُ من المَعــاشـرِ كـلِّهِمْ واســتَبَّ بَعْــدكَ يَاكـلَيبُ المْجـلسُ
وَتَقــاولُوا فــى أمْـرِ كُـل عَظِيــمَـــةٍ لَوْ كُنْتَ حـاضِـرَ أمْـرِهِـمْ لَمْ يَنْبِسُـوا

قول حـارثة: «الثويَّة» فهى بناحيـة الكوفة، ومن قال الثُّـويَّة: فهو تصغـير الثَّويَّة، وكل ياء اتَصَلَتْ بها ياء أخرى فوقعت مُعْتَلةً طرفًـا فى التصغير فوليتْها ياء التصغير فهى محـذوفةٌ، وذلك قولك فى عطاء: عُطَىٌّ، وكان الأصل عُطَيِّيٌّ، كما تقول فى سحاب: سُحَيب، ولكنها تحذف لاعتلالها، واجتماع ياءين معها، وتقول فى تصغير أحْـوَى: أحيٌّ، فى قول من قال فى أسْوَدَ: أُسَيد، وهـو الوجه الجيد، لأن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحـركة قلَبَتْها ياء، كقولك: أيام، والأصل «أيوام»، وكذلك سيد، والأصل سيود، ومن قال فى تصـغير أسود: أسيود، فهو جائز، وليس كالأول، قال فى تصغير أُحْوَى أُحَيْوٍ يافتى، فتثبت الياء، لأنه ليس فيها ما يمنعها من اجتمـاع الياءات، ومن قال أسود، فإنما أظهر الواو؛ لأنها كانت

(1) الهيوبة: الجبان.

فى التكير متحركة، ولا تقول فى عجـوز إلا عجيزة لأنها ساكنة، وإنما يجوز هذا على بعد إذا كانت الواو فى موضع العين من الفـعل، أو ملحقة بالعين، نحو واو جدول، وإنما استجازوا إظهارها فى التصغيـر للتشبيه بالجمع، لأن ما جاوز الثلاثة فتصغيـره على مثال جمعه، آلا تراهم يقولون فى الجـمع: أساود وجداول. فهذا على التشبـيه بهذا. فإن كانت الواو فى موضع اللام كـانت منقلبة على كل حال، تَقُولُ فى غَزْوة: غُـزَيَةٌ، وفى عُرْوة: عُرَيَّةٌ، فهذا شـرح صالح فى هذا الموضوع، وهو مستقصى فى الكتاب المقتضب.

وقوله: «يسفى فوقه المور»، فمعناه أن الريح تَسْفيه، وجعل الفعل للمور وهو التراب، وتقـول: سَقاكَ اللهُ الغَـيْثَ، ثم يجوز أن تجعل الفـعل للغيث، فتـقول: سقاك الغيث يافتى، وقال علقمة بن عبدة:

سَـــقَـاكَ يَمَـــان ذُو حَـيِيٍ وَعَـــارِضٌ تَرُوحُ بِـهِ جُنْـحَ الْعَــــــشِـىِّ جَنُـوبُ

وقوله:

* زفّت إليه قريش نعش سيدها *

يقال: زفـفت السرير، وزَفَـفتُ العروسَ. وحدثنى أبو عـثمـان المازنىُّ قال: حدثنى الزيّادى قـال: سمعت قومـا من العرب يقولون: أزفَـفْتُ العروس، وهى لغة.

وقوله: «نَعْشَ سيدها» يريد موضعه من النَّسَبِ، لأنه نسَبه إلى أبى سُفْيَان. وكان رئيس قريش قبل مَبْعَث النبى ﷺ، وله يقول رسول الله ﷺ: «كل الصيد فى بطن الفرا». وكان عـمر بن الخطاب رضى الله عنه يفرش فراشـا فى بيته فى وقت خلافته فلا يجلس عليه إلا العباس بـن عبدالمطلب وأبو سفيان بن حرب، ويقول: هذا عم رسول الله ﷺ، وهذا شـيخ قريش. وكان حرب بن أميـة رئيس: قريش يوم الفجار، فكان آل حرب إذا ركبوا فى قـومهم من بنى أُمَيَّةَ قُدِّمُوا فى المَواكبِ، وأُخْلِيَتْ لهم صُدورُ المجـالس، إلاَّ رَهْط عثمان رضى الله عنه، فإن الـتقديم لهم فى الإسلام بعثمان. وكان أبو سفيان صاحبَ العير يوم بَدْرٍ، وصاحبَ الجيش يوم

أُحُد وفى يوم الخَنْدَقِ، وإليه كانت تَنْظُرُ قريش فى يوم فتح مكة، وجَعَلَ له رسول الله ﷺ أنه من دخل فى داره فهو آمن فى حديث مشهور.

وقوله:

كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصير

هذا مَثَلٌ، وإنما يراد خفّة الحُلوم. والإعْصارُ ـ فيما ذكر أبو عبيدة: ريح تَهُبُّ بشدّة فيما بين السماء والأرض. ومن أمثال العرب: «إن كنت ريحا فقد لاقيتَ إعصارًا»، يُضْرَبُ للرجل يكون جَلْدًا فيُصادفُ مَنْ هو أجْلَدُ منه، قال الله عزّوجل: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾(1).

وقال رسول الله ﷺ: «كلُّ الصَّيْد فى بطْنِ الفَرَا»، يعنى الحمارَ الوحشيَّ. وذلك أن أجلَّ شيء يصيده الصائدُ الحمارُ الوحشيُّ، فإذا ظفرَ به، فكأنه قد ظفر بجملة الصيد، والعرب تختلف فيه، فبعضهم يَهْمِزُهُ فيقول: هذا فرأٌ، كما ترى، وهو الأكثر، وبعضهم لا يهمزه، ومن أمثالهم، «أنْكحْنا الفَرَا، فسَنَرى»، أى زَوَّجْنا من لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبة، وجَمْعُهُ فى القولين جميعا «فِراءٌ» كما ترى، ونظيره: جَمَلٌ وجِمَالٌ، وجَبَلٌ وجِبَالٌ، قال الشاعر(2).

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كإيزاغ المخاض تبورها

الإيزاغُ: دَفْع الناقة ببولها، يقال: أوْزَغَتْ به إيزاغًا، وأزْغَلَتْ به إزغالا، وذلك حين تَلقح، فعند ذلك يقال لها: خلفة، وللجميع المخاضُ، وقد مرّ هذا. والبَوْرُ: أن تُعْرَضَ على الفحل ليُعْلَمَ: أهى حامل أم حائل؟

[ضابئ البرجمى وهو فى السجن]

وقال ضابىء بن الحارث البُرْجُمىُّ(3):

وَمَنْ يَكُ أمْسَى بالمدينَة رَحْلُهُ فإنِّى وقَيَّارًا بها لَغَرِيبُ
وما عَاجِلاَتُ الطَّيْرِ تُدْنِى مِنَ الْفَتَى نَجاحًا ولا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ
ورُبَّ أُمُورٍ لاتَضِيرُكَ ضَيْرَةً ولِلْقَلْبِ من مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ
ولا خَيْرَ فِيمَنْ لا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

(1) سورة البقرة ٢٦٦.

(2) هو مالك بن زغبه الباهلى.

(3) زيادات ر «من السجن».

قوله:

* فإني وقيارا بها لغريب *

أراد: فإني لغريبُ بها وقياراً، ولو رفع لكان جيداً، تقول: إن زيداً منطلقٌ وعَمْرًا وعَمْرٌو، فمن قال: «عمـراً» فإنما ردّه على زيد، ومن قال: عمرو فله وجهان من الإعراب: أحـدهما جيـد، والآخر جائز، فـأما الجيـد فأن تَحْملَ عـمرا على الموضع، لأنك إذا قلت: إن زيدا منطلق فمـعناه زيد منطلق فرددته على الموضع، ومثل هذا لست بقائم ولا قاعدا، والبـاء زائدة، لأن المعنى لست قائما ولا قاعدا، ويقرأ على وجـهين: ﴿إنَ اللهَ بريءٌ منَ المُشْـرِكـينَ ورَسُـولُهُ﴾[1]، ﴿ورَسُولَهُ﴾، والوجه الآخر أن يكون مـعطوفا على المضمر في الخبـر، فإن قلت إن زيدَا منطلق هو وعمرو حـسن العطف لأن المضمر المرفوع إنما يحسـن العطف عليه إذا أكدته، كمـا قال الله تعـالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وربُّكَ فَـقَـاتلاَ﴾[2] و﴿اسْكُنْ أَنْـتَ وزَوْجُكَ الجَنَّة﴾[3] وإنما قَبُحَ العطف عليه بغير تأكـيد لأنهَ لا يخلو من أن يكون مُسْتكنًّا في الفعل بغيـر علامة، أو في الاسم الذى يَجْرِى مَجْـرَى الفعل، نحو إن زيدا ذَهَبَ وإن زَيدا ذاهبٌ فلا علامة له، أو تكونَ له عـلامةٌ يتغير لها الفعل عـما كان عليه نحو ضَرَبْتُ، سكّنْتَ الباء التى هى لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا يَنْفَكَ أحدُهما عن صاحبه فهما كالشيء الواحد، ولكنَّ المنصوبَ يَجوزُ العطفُ عليه، ويَحْسُن بلا تأكيد، لأنه لا يُغَيِّرُ الفعل إذْ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه، نحـو ضَـرَبْتُك وزيداً، فـأما قـول الله عـز وجل: ﴿لَوْ شَـاءَ اللهُ مَـا أَشْـرَكْنَا ولَا آبَاؤُنا﴾[4]، فإنما يحسن بغيـر توكيد لأن «لا» صارت عوضا، والشـاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن في الكلام. قال عمر بن أبي رَبيعة:

قُلْتُ إذ أَقْـبَلَـتْ وزُهْرٌ تَـهَـادَى ... كنِعَـاجِ المَلاَ تَـعَـسَّـفْنَ رَمْـلاَ

وقال جرير:

ورَجَـا الأخَـيْطِلُ مِـنْ سَـفَـاهة رأيهِ ... مَـا لَـمْ يَكُـنْ وأَبٌ لـهُ لِـينَـالاَ

فهذا كثير. فأما النعت إذا قلت إن زيداً يقومُ العاقلُ فأنت مـخير إن شئت

---

(1) سورة التوبة ٣.
(2) سورة المائدة ٢٤ .
(3) سورة البقرة ٣٥
(4) سورة الأنعام ١٤٨

قلتَ العاقلَ فجعلته نعتا لزيد، أو نصبته على المَدْحِ وهو بإضمار أعنى، وإن شئت رفعت على أن تبدله من المضمر في الفعل، وإن شئت كان على قطع وابتداء، كأنك قلت إن زيدا قام، فقيل من هو؟ فقلت: العاقلُ، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ﴾(١)، أي هو النار. والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾(٢) وعَلاَّمَ ﴿الغيوبِ﴾.

وقوله:

وماعَاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنْ الْفَتَى نَجَاحًا

يقول: إذا لم تَعْجَل له طَيْرٌ سانحَةٌ فليس ذلك بِمُبْعِد خيرا عنه، ولا إذا أبْطَأَتْ خابَ، فعاجلُها لا يأتيه بخير، وآجلُها لايَدْفَعُهُ عنه، إنما له ما قُدِّرَ له، والعرب تَزْجُرُ على السَّانِحِ وتَتَبَرَكُ به، وتَكْرَهُ البارِحَ وتَتَشَاءم به، والسانِحُ: ما أراكَ مَيَاسِرَهُ فَأَمْكَنَ الصائدَ، والبارحُ: ما أراكَ ميَامنَهُ فلم يمكن الصائدَ، إلا أن يَنْحَرِفَ له، وقد قال الشاعر:

لاَ يَعْلَمُ المَرْءُ لَيْلاً مَا يُصَبِّحُهُ إلاّ كَوَاذِبَ مِمّا يُخْبِرُ الْفَالُ
والفَالُ والزَّجْرُ والْكُهَّانُ كّلهُمُ مُضَلَّلُونَ، ودُونَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وقوله:

ورُبَّ أُمُورٍ لاتَضِيرُكَ ضَيْرَةً وللقلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ(٣)

فإن العرب تقول: ضارَهُ يَضيرُهُ ضيرةً. ولا ضَيْر عليه، وضرهُ يَضُرُهُ، ولا ضَرَرَ عليه [ولا ضُرّ عليه](٤)، ويقال: أصابه ضُرٌّ، وأصابه ضَرٌّ بمعنى، والضُّرُّ مصدر، والضَّرُّ اسم. وقد يكون الضُّرُّ من المرض، والضَّرُّ عامًّا، وهذا معنى حَسن، وقد قال أحد المحدثين، وهو إسماعيل بن القاسم أبو العَتاهِيَة:

وَقَدْ يَهلكُ الإنْسَانُ مِنْ بَابِ أَمْنِهِ ويَنجو بإذن الله مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ

(١) سورة الحج ٧٢.
(٢) سوره سبأ ٤٨.
(٣) المخشاة الخشية. والوجيب. خفقان القلب واضطرابه.
(٤) الزيادة من س.
(٥) سوره النساء ١٩

وقال الله عز وجل: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(1).

وقال رجل لمعاوية: واللهِ لقد بايَعْتُكَ وأنا كاره، فقال معاوية: قد جَعَلَ اللهُ في الْكُرْهِ خيرًا كثيرًا.

وقوله:

وَلاَخَيْرَ فِيمنْ لاَ يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوبُ

نظيره قول كثير:

أَقُولُ لَهَا، يَاعَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

وكان عبدالملك بن مَرْوانَ يقول: لو كان قال هذا البَيْتَ في صِفَةِ الحَرْبِ لكان أشْعَرَ الناس.

وحكي عن بعض الصالحين أن ابنًا له مات فلم يُرَ به جَزَعٌ، فقيل له في ذلك، فقال: هذا أمر كنا نَتَوَقَّعُهُ، فلما وَقَعَ لم نُنْكِرْهُ.

باب

[جرير بن عبد الله البجلي عند معاوية]

قال أبو العباس: وجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه جَرِيرَ بن عبد الله البجَلِيَّ إلى معاوية رحمه الله يأخُذُهُ بالبيعة له، فقال له: إنَّ حَوْلِي مَنْ تَرَى من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ولكنّي اخْتَرْتُكَ لقول رسول الله ﷺ فيك: «خَيْرُ ذي يَمَنٍ»، إيت مُعاوية فَخُذْهُ بالبَيْعَة، فقال جَرِيرٌ: والله يا أمير المؤمنين ما أدَّخِرُكَ من نُصْرَتِي شيئًا، وما أَطْمَعُ لك في مُعاويةَ، فقال عليٌّ رضي الله عنه: إنما قَصْدِي حُجةٌ أُقيمُها عليه، فلما أتاه جَرِيرٌ دافَعَهُ معاوية، فقال له جَرِيرٌ: إنَّ المُنافِقَ لا يُصَلِّي حتى لا يَجِدَ من الصلاة بُدأ، ولا أَحْسِبُكَ تُبايعُ حتى لا تَجِدَ من البَيْعة بُدًا! فقال له معاوية: إنها ليست بَخدْعة الصَّبِيِّ عن اللَّبَنِ إنه أمر له ما بعده، فأَبْلِعْنِي ريقي. فناظَرَ عمرًا، فطالت المناظرة بينهما، وألَحَّ عليه جرير، فقا له معاوية: أَلْقاك بالفَصْلِ في أوّل مَجْلِسٍ إن شاء الله تعالى.

ثم كتب لعمرو بمصر طُعمةً، وكَتَبَ عليه «ولا يَنْقضُ شرْطٌ طاعةً»، فقال عمرو: يا غلامُ اكتبْ: ولا تَنْقُضُ طاعةٌ شَرْطًا، فلما اجتمع له أمْرُهُ رَفَعَ عقيرتَه[1] يُنْشِدُ لِيُسْمِعَ جَرِيراً:

تطَاوَلَ لَيْلِي وَاعْتَرَتْنِي وسَاوسي ... لآت أتى بالتُّرَهَاتِ البَسَابس[2]

أَتَانِي جَرِيرٌ وَالحَوَادثُ جَمَّةٌ ... بتلْكَ الّتي فيهَا اجْتدَاعُ المَعَاطسِ

أُكَايِدُهُ وَالسَّيْفُ بَيْنِي وبَيْنَهُ ... وَلَسْتُ لأَثْوَابِ الدَّنيِّ بِلابَسِ

إن الشَّأْمُ أَعْطَتْ طاعَةً يَمنيَّةً ... تَوَاصَفَهَا أَشْيَاخُهَا فِي المجَالسِ

فَإِنْ يَفْعَلُوا أَصْدِمْ عَلِيًّا بجبهَة[3] ... تَفُتُّ عَلَيْهِ كلَّ رَطْبٍ ويَابس

وإنِّي لأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ ... وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ العِرَاقِ بِيَائِسِ

[كتاب معاوية إلى علي]

وكتب إلى علي رضي الله عنه:

---

(١) العقيرة: الصوت.

(٢) البسابس في الأصل: القفر الواسع، يريد الأباطيل.

(٣) زيادات ر: «الجبهة: جماعة الخيل».

بسم الله الرحمن الرحيم، من مُعاوية بن صَخْر إلى علىّ بن أبى طالب: أما بعد: فلَعَمْـرِى لَوْ بايَعَكَ القومُ الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثـمان كنت كأبى بكر وعمر وعثـمان رضى الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريت بعثـمان المهاجرين، وخذَّلْتَ عنه الأنصارَ، فأطاعك الجاهلُ، وقَوِىَ بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حـتى تدفع إليهم قَتَلَةَ عثـمان، فإن فعلتَ كانت شُـورَى بين المسلمين. ولَعَمْرِى ما حجتك على كحجتك على طَلْحَة والزُّبَيْر؛ لأنهما بايَعاكَ ولم أبَايِعْكَ. وما حجتك على أهل الشام كحـجتك على أهل البصرة؛ لأن أهل ابصرة أطاعوك ولم يُطِعْكَ أهلُ الشـام. وأما شَـرَفُكَ فى الإسلام، وقَرابَتُـكَ من رسول الله ﷺ وموضعك من قريش فـلَسْتُ أدْفَعُهُ. ثم كتب إليه فى آخر الكتـاب بشِعر كعب بن جعيل، وهو:

أرَى الشَّـــأمَ تَكْرَهُ مُـلْكَ الـعِـــرَاقِ ... وأَهْــلَ العِــــرَاقِ لَــهُمْ كَــارِهِينَــا
وَكُـــلاً لِصَــاحِـبِـــه مُبْـغِـضًــا ... يَرَى كُــلَّ مَــا كَــانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا
إذَا مَـــا رَمَـــوْنَا رَمَـــيْنَـاهُمُ ... وَدنَّاهُــمُ مِــثْـلَ مَــايُقْـــرِضُـــونَا
فَـــقَــــالُوا: عَلِـىٌّ إمَـــامٌ لَـنَا ... فَـقُـلْنَا رَضِـــينَا ابْنَ هِـنْد رَضِــينَا
وقَـــــالُـوا: نَـرَى أنْ تَـدِينُـوا لَـهُ ... فَـــقُـلْـنَا: ألاَ لاَ نَـرَى أنْ نَـدِينَا
وَمِنْ دُونِ ذلِـكَ خَـــرْطُ الْقَـتَـــادِ ... وَضَـــرْبٌ وَطَـعْنٌ يُقِـــرُّ العُـيُـــونَا

وأحسن الروايتين: «يفض الشئونا»، وفى آخر هذا الشعر ذم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أمسكنا عن ذكره.

قوله: «ولكنَّكَ أغْرَيْت بعـثمان المهاجرين» فهو من الإغْـرَاء وهو التحضيض عليه، يقال أغْـرَيْتُهُ به، وآسَدْتُهُ عليه، وآسَدْتُ الكلب على الصـيد أُوسدهُ إيسادًا، ومن قال: أشْلَيتُ الكلـب فى معنى أغْرَيْتُ فـقد أخطأ، إنما أشْلَيْتُـهُ دَعوتُهُ إلىَّ، وآسَدْتُه أغْرَيْتُهُ.

وقول ابن جُعَيْل:

* وأهلَ العراق لهم كارهينا *

محمول على «أرى»، ومن قال:

* أهلُ العراق لهم كارهونا *

فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عَطَفَ جملة عَلَى جملة بالواو، ولم يحمله على أرى. ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقًا، وعمروٌ منطلقٌ الساعةَ، خبَّرْتَ بخبر بعد خبر، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا، فيكون معناها «إذْ» كما تقول رأيت زيداً قائمًا وعمرو منطلق، تريد إذ: عَمْرو منطلق. وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا المعنى، وهو قول الله عز وجل: ﴿يَغشَى طَائفةً منْكمْ وَطائفَةٌ قَدْ أَهمَّتْهُمْ أَنْفُسُهمْ﴾[1]، والمعنى - والله أعلم: إذ طائفةٌ فى هذه الحَال - وكذلك قراءة من قرأ: ﴿ولو أن مَا فى الأرْض منْ شَجرَة أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يُمدُّهُ منْ بَعْده سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[2]، أى والبَحْرُ هذه حاله، ومن قرأ ﴿وَالْبَحْرَ﴾ فعلى «أنَّ».

وقوله:

* ودنَّاهُمُ مثل ما يقرضونا *

يقول جزيناهم. وقال المفسرون فى قوله عز وجل: ﴿مَالك يَوْم الدِّين﴾[3]. قالُوا: يومَ الجزاء والحساب، ومن أمثلة العرب: «كما تَدين تُدانُ»، وأنشد أبوعبيدة[4]:

واعْلَمْ وأَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زائلٌ ... واعْلَمْ بِأَنَّ كما تَدينُ تُدَانُ

وللدّين مواضع: منها ما ذكرنا، ومنها الطاعة ودينُ الإسلام من ذلك يقال: فلان فى دين فلان، أى فى طاعته، ويقال: كانت مكة بلدا لقاحًا، أى لم يكونوا فى دين مَلك، وقال زُهَيْرٌ:

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فى بَنى أسدٍ ... فى دِينِ عَمْرٍو وحالَت بَيْنَنَا فَدَكُ

فهذا يريد: فى طاعة عمرو بن هند، والدِّينُ: العادةُ، يقال: ما زال هذا دِينى ودأْبى وعادتى ودَيْدَنى وإِجْرِيَّاى، قال المُثقِّب العَبْدِى:

---

(١) سورة آل عمران ١٥٤

(٢) سورة لقمان ٢٧.

(٣) سورة الفاتحة ٤.

(٤) زيادات: «الشعر ليزيد بن الصعق الكلابى وله خبر». وقد أورد هذا الخبر المرصفى فى رغبة الآمل: ٣. ٢١٤، ٢١٥.

تَقُولُ إذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِى ... أهَذا دِينُهُ أبَدًا وَدِينى!
أَكُلَّ الدَّهْرِ حَلٌ وَارْتِحَالٌ ... أمَا تُبْقى عَلَىَّ وَمَا تَقِينى!

وقال الكُمَيْتُ بن زيْد:

عَلَى ذَاكَ إجْرِيَّاىَ وَهْىَ ضَرِيبَتى ... وَإن أَجْلَبُوا طرّاً عَلَى وأَحْلَبُوا[1]

وقوله:

* فقلنا رضينا ابَن هند رضينا *

يعنى معاوية بن أبى سُفيانَ، وأمُهَ هِنْد بنت عُتْبَةَ بن رَبيعة بن عبْدِ شمْسِ ابن عبد مَناف.

وقوله: «أن تَدينوا له» أى أن تطيعوه وتَدخلوا فى دينه: أى فى طاعته:

وقوله:

* ومن دون ذلك خرط القتاد *

فهذا مثل من أمثال العرب، والقَتادُ: شُجَيْرَةٌ شاكة غليظة أصول الشَّوْك، فلذلك يضْرَبُ خَرْطهُ مَثَلاً فى الأمر الشديد، لأنه غاية الجَهد. ومن قال: «يَفُضَّ الشئونا»، فَيَفُضُّ يُفَرّقَ، تقول: فَضضْت عليه المال. والشئون، واحدها شَأْنٌ، وهى مَوَاصِلُ قبائل الرأس، وذلك أن للرأس أربع قَبَائل، أى قِطَعٌ مَشْعوبٌ بعضُها إلى بعض، فموضع شُعَبِها يقال له: الشئون، واحدها شَأْنٌ،وزعم الأصمعى قال: يقال إن مجارى الدموع منها، فلذلك يقال: استَهَلَتْ شئونه، وأنشد قول أوْس بن حَجَر:

لاتَحْزُنِينِى بِالفِرَاقِ فَإنَّنِى ... لاتَسْتَهِلُّ مِنَ الفِرَاقِ شُئُونِى

وَمَنْ قال «يقرُّ العيونا»، ففيه قولان: أحدهما للأصمعىّ، وكان يقول: لا يجوز غيره، يقال: قَرَّتْ عينُه وأقَرَّها اللهُ، وقال: إنما هو بَرَدَتْ منَ القُرِّ، وهو خلاف قولهم: سَخِنَتْ عينه وأسخنها الله، وغيره يقول: قَرَّتْ هَدَأَتْ، وأقَرَّها الله أهْدَاها اللهُ، وهذا قَول حسن جميل، والأول أغرب وأطْرَفُ.

---

(١) اجرياى: عادتى. وأجلبوا: صاحوا. وأحلبوا: تألبوا.

[لمعاوية جواب على بن أبى طالب]

فكتب إليه أمير المؤمنين عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من على بن أبى طالب إلى مُعاوية بن صَخْر، أما بعد: فإنه أتانى منك كتابُ امْرِئٍ ليس له بَصَرٌ يَهْديه، ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ، دعا الهوى فأجابه، وقادَهُ فاتَّبعه، زَعَمْتَ أنك إنما أَفْسَدَ عليك بَيْعتى خطيئتى فى عثمان. ولَعَمْرى ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا، وأصْدرْتُ كما أصْدروا، وما كان الله لِيجْمَعَهُمْ على ضلال، ولا لِيَضْرِبَهُمْ بالعَمى!.

وبعد، فما أنت وعثمانُ! إنما أنتَ رجل من بنى أُمَيَّة، وبنو عثمان أوْلَى بمطالبة دمه، فإن زعمتَ أنك أقوى على ذلك، فادْخُلْ فيما دَخَلَ فيه المسلمون، ثم حاكِمِ القومَ إلىّ. وأما تمييزك بينك وبين طلْحَة والزُّبيْر وأهل الشام وأهل البَصْرة. فلعمرى ما الأمْرُ فيما هنَاكَ إلا سَواءٌ، لأنها بَيْعةٌ شاملة، لا يُستَثْنى فيها الخيارُ، ولا يُسْتَأنَفُ فيها النَّظَرُ. وأما شرفى فى الإسلام، وقرابتى من رسول الله ﷺ، وموضعى من قرَيْشٍ، فلعمرى لو اسْتَطَعْتَ دَفْعهُ لدفعته».

ثم دعا النَّجاشيَّ أحد بنى الحارث بن كعب فقال له: إن ابن جُعَيْلٍ شاعر أهل الشأم، وأنت شاعرُ أهل العراق، فأجِبِ الرجلَ، فقال: يا أمير المؤمنين، أسْمِعْنِى قوله، قال: إذاً أُسْمِعك شعْرَ شاعرٍ، فقال النجاشى يجيبه:

دَعَا يَامُعَاوىَ مَا لَنْ يَكُونا ... فَقَد حَقَّقَ اللهُ مَا تَحْذرُونا
أتَاكُمْ علىٌّ بأهْلِ العِرَاقِ ... وأهْل الحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا!

وبعد هذا ما نُمْسك عنه.

قوله: «ليس له بصَرٌ يهديه»، فمعناه يقوده، والهادى: هو الذى يتقدم فيَدُلُّ، والحادى: الذى يتأخر فيسوق، والعنق يسمى الهادى لتقدمه، قال الأعشى:

إذَا كَانَ هَادِى الفَتَى فى البِلا ... دِ صَدْرَ القَنَاة أَطَاع الأَمِيرَا

يصف أنه قد عمى فإنما تهديه عَصًا، ألا تراه يقول:

وهَابَ الْعِثَارَ إذَا مَا مَشَى ... وخَالَ السُّهُولَةَ وعْثًا وعُورا

وقال القُطامى:

إنِّى وإنْ كـــانَ قَـــوْمِى لـيْسَ بَيْنـهُمُ ... وبيْنَ قَـــوْمِك إلا ضَـــرْبةُ الـهَـــادِى

وقال أيضًا:

قَـرَّبْنَ يَقْـصُـرْنَ مِـنْ بُزْلٍ مُـخـيَّسـةٍ ... ومِنْ عِـرَابٍ بَعـيـداتٍ مِنَ الحـادِى

وقوله: «ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ» قد أبانَ به الأوّلَ.

وقـوله: «دعاه الهَـوى» فالهـوى من «هويتُ» مـقصـور، وتقديره «فَـعَلٌ»، فانقلبت الـياء ألفًا، فلذلك كـان مقصـورًا، وإنما كان كـذلك لأنك تقول: هَوِىَ يَهْوَى، كما تقول: فَرِقَ يَفْرَقُ وهُو هَوٍ، كما تقول: هُوَ فَرِقٌ، كما ترى، وكان المصدر على «فَعَلٍ» بمنزلة الفَرَقِ والحَذرِ والبَطَرِ؛ لأن الوزن واحد فى الفعل واسم الفاعل، فأمـا الهواءُ، من الجَـوِّ فممـدود، يَدُلُّك على ذلك جمعـه إذا قلت: أَهْوِيةٌ، لأن أفْعلة إنما تكون جمع فَعَـال وفعال وفُعول وفَعيل، كما تقـول قَذَال وأَقْذلَةٌ وحمار وأَحمرةٌ، فَـهواءٌ كذلك، والمقصـور جمعُه أهواء فاعلم، لأنه عـلى فَعَلَ، وجمع فعل أفعالٌ، كما تقول: جَمل وأجْمَال وقَتَب وأقتاب، قال الله عز وجل: «واتَّبَعُوا أهواءَهُمْ»(١). وقوله هذا هواء يافتى فى صفة الرجل إنما هو ذَمٌّ، يقول: لا قَلْبَ له، قال الله عز وجل: ﴿وأفْئدتُهمْ هواءٌ﴾(٢) أى خالية، وقال زُهَيْرٌ:

كـأنَّ الرَّحْلَ مِـنْهَـا فَــوْقَ صَـعْلٍ ... مِنَ الـظِّلْمَـــانِ جُـــؤْجُـــؤُهُ هَوَاءُ

وهذا من هَواء الجوّ، قال الهُذلى(٣):

هَوَاءٌ مِـثلُ بَـعْلِكِ مُـسْـتَـمِـيتٌ ... عَلَى مَـافِـى وِعَـائِكِ كـالخَـيَـالِ

وكل واو مكسورة وقـعت أولا فهمـزها جائز يُنْشدُ: «على مـا فى إعائكِ»، ويقال: وسادةٌ وإسادةٌ ووِشاحٌ وإشاحٌ.

وأما قوله: «فما أنتَ وعثمانُ» فالرفع فيه الوجه لأنه عطف اسما ظاهرا على اسم مضمر منفصلٌ وأجراه مجـراه، ولس ههنا فعلٌ، فَيُحْمَلَ على المفعول، فكأنه قال: فما أنت وما عثمان، هذا تقديره فى العربية، ومعناه لَسْتَ منه فى شىء، قد

---

(١) سورة محمد ١٤.
(٢) سورة إبراهيم ٤٣.
(٣) هو حبيب الأعلم، وانظر ديوان الهذليين ٢: ٨٣.

ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازاً حسنًا وجَعَلَهُ مفعولا معه، وأضمر كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده: ما كنت وفلانًا. وهذا الشعر كما أصف لك ينشد:

وأنت امرُؤ من أهل نجْدٍ وأهلُنا تَهامٍ وما النَّجْدىُّ والمُتَغَوِّرُ!

وكذلك قوله[1]:

تُكَلِّفُنى سَوِيقَ الكَرْمِ جَرْمٌ ومَا جَرْمٌ وما ذاكَ السَّوِيقُ!

فإن كان الأول مضمراً متصلا كان النصبُ، لِئَلا يُحْمَلَ ظاهر على مضمر، تقول: مالَكَ وزيدًا، وذلك أنه أَضْمَرَ الفعْلَ، فكأنه قال فى التقدير: ومُلَابَسَتَكَ زيدًا، وفى النحو تقديره: مع زيد. وإنما صَلَحَ الإضمار لأن المعنى عليه إذا قلت: مالَكَ وزيدًا! فإنما تنهاه عن ملابسته، إذا لم يجز «وزيدٍ» وأَضْمَرتَ لأن حروف الاستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غيرِ إضمار، نحو قولك: مازلت وعبد الله حتى فعل، لأنه ليس يريد: ما زِلْتُ وما زال عبدُالله، ولكنه أراد: وما زلتُ بعبدالله. فكان المفعول مخفوضا بالياء، فلما زال ما تخفضه وصل الفعل إليه فنصبه، كما قال تعالى: ﴿وَاخْتَار مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا﴾[2]، فالواو فى معنى مع، وليست بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع، فعلى هذا ينشد هذا الشعر[3]:

فمَالَكَ والتلَدُّدُ حولَ نَجْدٍ وقد غَصت تِهامة بالرجال[4]

ولو قلت: ما شأنُك وزيدا! لاختير النصب، لأن زيدًا لا يلتبس بالشأن، لأن المعطوف على الشيء أبدًا فى مثلِ حاله، ولو قلت: ما شأنُكَ وشأنُ زيد لرفعتَ، لأن الشأن يعطف على الشأن، وهذه الآية تفسرُ على وجهين من الإعراب: أحدهما هذا، وهو الأجود فيها، وهو قوله عز وجل: ﴿فأَجْمعوا أمْرَكُمْ وَشركَاءكُمْ﴾[5] فالمعنى والله أعلم: معَ شركائكم، لأنك تقول: جمعت

---

(١) زيادات ر: «هو الأعجم».

(٢) سورة الأعراف ١٥٥.

(٣) زيادات ر: «هو مسكين الدارمي».

(٤) التلدد: التلفت يمينا وشمالا.

(٥) سورة يونس ١٧.

قومى، وأَجْمـعتُ أمرى. ويجوز أن يكون لَمَّا أَدْخَلَ الشركـاء مع الأمر حمله على مثل لفظه؛ لأن المعنى يرجع إلى شيء واحد. فيكون كقوله[1].

يَـا ليْـتَ زَوْجَكِ قَــدْ غَــدَا   مُـتَـقَـلِّدًا سَـيْـفًـا ورُمْـحًـا

وقال آخر:

* شرَّابُ ألبَانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ *

وهذا بيِّنٌ.

[خالد بن يزيد بن معاوية عند عبد الملك بن مروان]

ويروى أن عبدالله بن يَزِيدَ بن مُعاوية أتى أخـاه خالدًا، فقال: يا أخى، لقد هَمَمْتُ اليومَ أن أَفْتُكَ بالوليد بن عبـدالملك فقال له خالد: بئس والله ما هَمَمْتَ به فى ابن أمير المـؤمنين، ووَلِىّ عَهْدِ المسلمين! فـقال: إن خيلى مَرَّت به فَـعَبثَ بها وأَصْغَرَنى، فقال له خالد: أنا أكفـيك. فدخل خالد على عبدالملك والوليد عنده؟ فقال: يا أمـير المؤمنين، الوليدُ ابن أمـير المؤمنين، ووَلِىُّ عَهْدِ المسلمـين، مَرَّتْ به خيل ابن عـمه عبدالله بن يـزيد فَعَبث بها، وأصـغره. وعبـدُالملك مُطرقٌ، فرفع رأسه، فقال: ﴿إن الملُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفسَدُوهَا وجَـعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون﴾[2]، فقال خالد: ﴿وإذَا أرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَـرْنَا مُتْرَفِيهَـا فَفَسَقُوا فِـيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَـوْلُ فَدَمَّرْنَاها تَدْميرا﴾[3]، فقـال عبدالملك: أفى عَـبدالله تُكَلِّمنى؟ والله لقد دَخَلَ علىّ فما أقام لسانه لحنًا! فقـال له خالد: أَفَعَلَى الوليد تُعَوِّلُ؟ فقال عبدالملك: إن كان الوَليدُ يَلْحَنُ فإن أخاه سُلَيْمانُ، فقال له خالد: وإن كان عبدالله يلحن فإن أخـاه خالد، فقال له الوليد: اسـكت يا خالد، فوالله ما تعـد فى العير ولا فى النفير، فـقال خالد: اسْمَع يا أمير المؤمنين، ثم أَقْـبَلَ عليه وقال: وَيْحَكَ فمن العير والنفيـر غيرى؟ جدى أبو سفيان صاحبُ العير، وجَـدّى عُتْبةُ بن رَبيعة صاحب النَّفِير، ولكن لو قلتَ: غنَيْماتٌ، وحُبَيّلاتٌ، والطائفُ، ورَحِمَ اللهُ عثمان لقلنا: صدقتَ!

---

(1) زيادات ر. «هو عبدالله بن الزبعرى».

(2) سورة النمل: ٣٤.

(3) سورة الإسراء: ١٦.

أما قوله: «فى العير» فهى عير قُرَيْشٍ التى أَقبَلَ بها أبو سفيان من الشأم فَنَهدَ إلَيْها رسولُ الله ﷺ ونَدَبَ إليهـا المسلمين، وقال: «لعَل الله يُنَفِّلكُموها»، فكانت وَقْعـة بَدْرٍ وساحَلَ أبُو سُـفيانَ بالعـير، فكانت الغنيـمة ببـدر، كما قـال الله عز وجل: ﴿وإذْ يَعـدُكَمُ الله إحْدَى الطائفَـتَيْن أنهَـا لَكُمْ وتَودُّونَ أنَّ غَيْـرَ ذَات الشَّـوْكَة تَكُونُ لَكُمْ﴾(١). أى غَـيْر الحـرْبَ، فلمـا ظفرَ رسَـولُ الله ﷺ بأهل بدْر، قـالَ المسلمون: انهَدْ بنا(٢) يا رسول الله إلى العير، فقال العباس رحمه الله: إنمَا وعَدَكُم الله إحْدَى الطائفتين.

وأما النفير فَمَنْ نَفَرَ من قريشٍ ليَـدْفَعَ عن العير. فجاءوا فكانت وقعةُ بَدْر، وكان شيخُ القوم عُتْبَة بن رَبيعة بن عبد شَمْس، وهو جَدٌّ خالد من قِبَلٌ جَدَّته هِنْد أُمِّ معاوية بنت عتْبةَ، ومن أمثال العرب:

لَسْتَ فى العِـيـر يَوْمَ يَحْـدُونَ بِالعِـيـر ولا فى الـنَفَــيـر يَـوْمَ النَفَــيـر

ثم اتَسعَ هذا المثل حتى صـار يقال لَمِنْ لاَ يَصْلحُ لخير ولا لشـرٍ ولا يُحفَلُ به: «لا فى العير، ولا فى النفير».

وقوله: «غنيمات، وحبيلات، يعنى أن رسول الله ﷺ لما أطرد الحكم بن أبى العاصى بن أُميةَ. وهو جَـدٌّ عبـدالمَلك بن مروان لجـأ إلى الطائف، فكان يرعى غُنَيْماتٍ، ويأوى إلى حُبَيْلَةٍ - وهى الكَرْمَة.

وقوله: «رحم الله عثمان»: أى لِرَدّه إيَّاهُ.

وقولنا «أطرده»: أى جـعله طريداً، وطَرَدَهُ: نَحّاهُ، كما تقـول حَمدْته، أى شكرته، وأَحْمَدْته، أى صادفته محموداً. وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله ﷺ فى رده متى أفْضَى الأمرُ إليه، رَوى ذلك الفقهاء.

---

(١) سورة الأنفال: ٧.

(٢) نهد ونهض كلاهما بمعنى واحد.

باب

[الرجل من بني أسد يمدح يحيى بن حيان]

قال أبو العباس: قال رجلٌ من بنى أسَدِ بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان أخا النَّخَعِ بن عمرو بن عُلَةَ بن جلْدِ بنَ مَذْحِجٍ، وهو مالك.

ألاَ جَعَلَ اللهُ اليَمانينَ كُلَّهمْ فِدًى لِفَتى الفِتْيَانِ يَحيَى بن حَيَّانِ
ولَوْلاَ عُرَيْقٌ فِيَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ لَقُلْتُ وَأَلْفًا من مَعَدٍّ بن عَدْنَانِ
ولكنَّ نَفْسِي لَم تَطِبْ بِعَشِيرَتي وطابَتْ له نَفْسى بأبناءِ قَحْطانِ

وهذا من التَّعَصُّبِ المُفْرِطِ.

وحدثنى شيخ من الأزد ثقةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت، وهو يدعو لأبيه، فقيل له: ألا تدعو لأمك! فقال: إنها تَميمِيَّةٌ.

وسُمِعَ رجلٌ يطوف البيت، وهو يدعو لأُمِّهِ ولا يذكر أباه، فعوتِبَ، فقال: هذه ضَعيفةٌ، وأبى رجل يحتال لنفسه.

وحدثنى المازنى عمن حدثه قال: رأيت رجلا يطوف بالبيت، وأُمُّهُ على عنقه، وهو يقول:

أحْمِلُ أُمِّى وهِيَ الحَمَّالَهْ تُرْضِعُنى الدِّرَّةَ والعُلالَهْ

* ولا يجازى والد فعاله *

قوله: «الدرة»، فهو اسم ما يَدُرُّ من ثَدْيَيْها، ابتداءً كان ذلك أو غير ذلك. والعُلالَةُ لا تكون إلا بَعْدُ، يقال: عَلَّهُ يَعُلُّهُ ويَعِلُّه عَلاًّ، والاسم العُلالَةُ، وكلُّ شىء كان على «فعلت» من المدغم، فمضارعه إذا كان متعدِّيا إلى مفعول يكون على يَفْعُلُ، نحوَ رَدَّهُ يرُدُّه، وشَجَّهُ يشُجُّهُ، وفَرَّه يفُرُّه. فإذا قلت: فَرَّ يَفِرُّ، فإنما ذلك لأنه غير متَعَدٍّ إلى مفعول. ولكن تقول: فَرَرْتُ الدابةَ أفُرُّه. وجاء «فَعَلَ يَفْعِلُ» من المتعدى فى ثلاثة أحرف يقال: عَلَّهُ يعُلُّه ويَعِلُّهُ، وهَرَّه يهُرُّه ويَهِرُّه: إذا كرهه، ويقال: أحَبَّهُ يُحِبُّهُ، وجاء حَبَّهُ يحِبُّهُ، ولا يكون فيه يَفْعُلُ»، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ إنَّنى وطِلابَ مِصْرٍ لكالْمُزْدادِ مما حبَّ بُعْدَا

وقال آخر:

وأُقْسِمُ لولا تَمْرُهُ ماحَبَبْتُهُ وكَانَ عياضٌ منه أَدْنَى ومُشْرِقُ

وقرأ أبو رجاء العُطارِدى: ﴿فاتَّبِعُونى يُحبكُمُ اللهُ﴾[1]، فَفَعَل فى هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من «حببت»، والآخر أنه أَدْغَمَ فى موضع الجزم، وهو مذهب تميم وقَيْس وأَسَد. وَجماعَة من الغرب يقولون: رُدُّ يا فتى، يُدْغِمون، ويُحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيُتْبِعُون الضَّمَّةَ الضمةَ. ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول: رُدَّ يا فتى، لأن الفتح أخف الحركات، ومنهم من يقول: رُدِّ يافتى فَيكْسِرُ: لأن حق التقاء الساكنين الكسر، فإذا كان الفعل مكسوراً ففيه وجهان: تقول: فرِّ يا فتى للإتباع وللأصل فى التقاء الساكنين، وتَفْتَحُ؛ لأن الفتح أخف الحركات، وإذا كان مفتوحا فالفتح للإتباع، ولأنه أَخَفُّ الحركات؛ والكسر على أصل التقاء الساكنين، نحو. عضِّ يا فتى، وعضَّ يافتى، فإذا لقيتْه ألف ولام فالأجود الكسر، من أجل ما بعده، وهى لام المعرفة، نحو:

فَغُضِّ الطَّرْفَ إنَكِ من نُمَيْرٍ [فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلابا]

ومنهم مَنْ يُجْرِيه مُجْرى الأوَّل، فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة فى الأوّل فيقول[2]:

ذُمَّ المَنازِلَ بعد مَنْزِلَة اللوَى وَالْعَيْشَ بعْدَ أولئك الأيام

ومن كان من شأنه أن يُتْبِعَ أو يكْسَر فعلى ذلك، ومما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ الله فإنَّ الله شديدُ العقاب﴾[3].

وأما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الأصلى، فيقولون: ارْدُدْ واغْضُضْ، ويقولون: افرر من زيد واعْضَضْ. لما سكن الثانى ظهر التضعيف لأنه لا يلتقى ساكنان، وكل ذلك من قولهم، وقول التميميين قياس مُطَّرِدٌ بَيِّنٌ، وقد شرحناه فى الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح.

---

(١) سورة آل عمران ٣١.

(٢) زيادات ر: «هو جرير».

(٣) سورة الحشر ٥.

[الرجل في الصبر]

وقال الآخر:

إذَا ضَيَّقْتَ أَمْرًا ضاقَ جِداً ... وَإنْ هَوَّنْتَ ما قَدْ عَزَّ هانا

فَلاَ تَهْلِكْ لشَيْءٍ فاتَ يَأْسًا ... فَكَمْ أمرٍ تَصَعَّبَ ثم لانا

سأصْبِرُ عن رَفيقي إنْ جَفاني ... على كُلِّ الأذَى إلا الهَوانا

فَإنَّ المرْءَ يَجْزَعُ في خَلاءٍ ... وَإنَّ حَضَرَ الجماعةَ أنْ يُهانا

[العبيد بن أيوب العنبري]

وقال آخر أحسبه من لصوص بني سعد:

[قال أبو الحسن: هو عبيدُ بنُ أيُّوب العَنْبَري، وأنشد هذا الشعر ثعلب]:

فإنِّي وتَرْكي الإنْسَ من بعد حُبِّهِمْ ... وصَبْرِيَ عَمَّنْ كنْتُ ما إنْ أُزَايلُه

لكالصَّقْر جَلَّى بعد ما صادَ قُنْيَةً ... قديرًا ومَشْوِيًّا عَبِيطًا خَرَادِلُه

أهابوا به فازدادَ بُعْدًا وصَدَّهُ ... عن القُرْبِ منهم ضَوْءُ بَرْقٍ ووابله

ألَمْ تَرَني صاحَبْتُ صَفْراءَ نبعةً ... لها رَبَذِيٌّ لَمْ تُفَلَّلْ مَعابِلُه

وطال احْتِضاني السيفَ حتى كأنما ... يُلاَطُ بكَشْحِي جَفْنُهُ وحَمَائله

أخو فَلَوات صاحَبَ الجنَّ وانتحى ... عن الإنْسِ حتى قد تَقَضَّتْ وسائله

له نَسَبُ الإنْسِيِّ يُعْرَفُ نَجْرُهُ ... وللجنِّ منه شَكْلُهُ وشمائِلُه

قوله:

* وصَبْرِيَ عَمَّنْ كنْتُ مَا إن أزايله *

إن: زائدة، وهي تُزَاد مُغَيِّرةً للإعراب، وتزاد توكيدًا، وهذا موضع ذلك، فالموضع الذي تُغَيِّرُ فيه الإعراب هو وقوعها بعد «ما» الحجازية، تقول: ما زيدٌ أخاك، وما هذا بَشَرًا، فإذا أَدْخَلْتَ إن هذه بطل النصب بدخولها، فقلت: ما إن زيدٌ منطلق، قال الشاعر(١):

ومَا إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ ولكن ... منايانا ودَوْلةُ آخرينا

---

(١) زيادات ر: «هو فروة بن مسيك».

فزعم سيبويه أنها مَنَعَتْ «ما» العَـمَلَ كما منعت «ما» إنَّ الثقيلة أن تنصب، تقول: إن زيدًا منطلق، فإذا أدخلتَ «ما» صارت من حروف الابتداء، ووقع بعدها المبتدأ وخبره والأفعال، نحو: إنما زيد أخوك، و﴿وإنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[1] ولولا «ما» لم يقع الفعل بعد «إنَّ» لأن «إن» بمنزلة الفعل، ولَا يلي فعلٌ فعلاً لأنه لا يَعْمَلُ فيه، فأما كان يقوم زيدٌ، وكَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ منهم، ففي كان وكاد فاعلان مكنيَّان.

و«ما» تُزاد على ضربين: فأحدهما أن يكون دخولها في الكلام كإلغائها، نحو ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[2] أي فبرحمة، وكذلك: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[3] وكذلكَ: ﴿مَثَلاً مَا بَعُوضَةً﴾[4] وتَدْخُلُ لتغيير اللفظ، فَتُوجِبُ في الشيء ما لولا هي لم يقع، نحو ربَّمَا يَنْطَلِقُ زيد، و﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[5] ولولا «ما» لم تَقَعْ رُبَّ على الأفعال، لأنها من عوامل الأسماء، وكذلك جئتُ بعد ما قام زيد، كما قال المَرَّار[6]:

أَعَـلاَقَـةً أمَّ الْوُلَيِّـدِ بَعْـدَ مَـا أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالنَعَامِ الْمُخْلِسِ[7]

فلولا «ما» لم يقع بعدها إلا اسم واحد، وكان مخفوضا بإضافة «بعد» إليه، تقول: جئتك بَعْدَ زيدٍ.

وقوله: «كالصَّقْرِ جلَّى»، تأويل التَّجَلِّي أن يكون يُحِسُّ شَيْئًا فَيَتَشَوَّقُ إليه، فهذا معنى «جلَّى»، قال العجاج:

تَجَلِّي البازِي إذا البازِي كَسَرْ

أي نَظَرَ. ويقال: تَجَلَّى فلانٌ فلانةً تَجَلِّيًا، واجتلاها اجتلاءً، أي نَظَرَ إليها وتأملها، والأصل واحد.

وقوله: «قَدِيرًا»، هو ما يُطْبَخ في القِدْرِ، يقال: قَدِير ومَقْدور، كقولك: قَتِيلٌ ومَقْتولٌ.

---

(1) سورة فاطر ٢٨.
(2) سورة آل عمران ١٥٩.
(3) سورة نوح ٢٥.
(4) سورة البقرة ٢٦.
(5) سورة الحجر ٢.
(6) زيادات ر: «هو المراد الفقعسي».
(7) العلاقة: الحب. والوليد: تصغير الوليد، والأفنان في الأصل: الغصون، وأراد بها هاهنا خصل الشعر

وقوله: «عبيطًا خَرَادله»، فالعَبِيط الطَّرِىُّ، يقال: لحم عَبِيط إذا كان طَرِيًّا، وكذلك دَم عبيطٌ، ويقال اعتَبَطَ فلانٌ بكْرَتَهُ إذا نَحرَها شابةً من غير عِلّةٍ، وكذلك اعتُبِطَ فلان إذا مات شابا، قال أُمَيَّةُ[1]:

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا   لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فَالمَرْءُ ذَائقها

وحدثنى الزيادى إبراهيم بن سُفيان بن أبى بكر بن عبدالرحمن بن زياد، قال: تَحَدَّثَ رجل من الأعراب، قال نزلتُ برجل من طَيِّئٍ، فَنَحَرَ لى ناقةً فأكلتُ منها، فلما كان الغد نحر أخرى، فقلتُ: إنَّ عندك من اللحم ما يُغنى ويكْفى، فقال: إنى والله لا أُطْعِمُ ضيفى إلا لحما عَبِيطًا، قال: وفَعلَ ذلك فى اليوم الثالث ـ وفى كل ذلك آكل شيئًا، ويأكل الطائى أكْلَ جماعة ـ ثم نُؤْتَى باللبن فَأشربُ شيئًا، ويشْرَبُ عامةَ الوَطب[2]، فلما كان فى اليوم الثالث ارْتَقَبْتُ غَفْلَتَهُ فاضْطَجَعَ، فلما امتلأ نومًا استَقْتُ قطيعًا من إبله فأقبَلْتُهُ الْفَجَّ[3]، فانتبه واخْتَصرَ علىَّ الطريقَ حتى وقف لى فى مَضيق منه، فَألْقَمَ وتَرَهُ فُوقَ[4] سَهْمه، ثم نادى بى: لتَطبْ نَفْسُكَ عنها! قلت: أرنى آيةً، فقال: انظر إلى ذلك الضَّبِّ، فإنى واضعٌ سَهْمى فى مَغْرِز ذَنَبِه، فرماه فَأنْدَرَ ذَنَبه[5] فقلتُ: زِدْنى، فقال: انظر إلى أعلى فَقَاره، فرماه فأثْبتَ سهمه فى الموضع، ثم قال لى: الثالثةُ والله فى كَبِدكَ! فقلت: شَأْنَكَ بإبلكَ! فقال: كلا حتى تسوقَها إلى حَيْثُ كانَتْ. قال: فلما انتهيت بها قال: فَكَّرْتُ فيكَ فلم أجد لى عندك تِرَةً تُطالبنى بها. وما أَحْسبُ الذى حملك على أخذ إبلى إلا الحاجةَ. قال: قلتُ هو والله ذاك. قال: فاعمد إلى عشرين من خيارها فخذها، فقلت: إذًا والله لا أفعل حتى تَسْمَعَ مَدْحَكَ: والله ما رأيتُ رجلا أكْرَمَ ضيافةً، ولا أهْدَى لسبيلٍ، ولا أرْمَى كَفًّا، ولا أوْسَعَ صَدْرًا، ولا أرغَبَ[6] جوفًا، ولا أكْرَمَ عَفْوًا منك قال: فاستحيا فصرَفَ وجهه عنى، ثم قال: انصرِف بالقَطيع مُباركًا لك فيه.

وقوله: «خرادله» يعنى قِطَعُه، يقال: ضَرَبه ضربا خَرْدَلَهُ، وتأويله قطَّعَهُ، كما قال:

---

(١) زيادات ر: «ابن أبى الصلت، والصحيح أنه لرجل من الخوارج، عن الأصمعى»

(٢) الوطب: سقاء اللبن.

(٣) الفج: الطريق الواضح

(٤) الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر.

(٥) أندرذنبه: قطعها.

(٦) من الرغب، وهو سعه البطن وكثرة الأكل.

* والْضَرْبُ يَمْضى بيننا خَرَادِلاً *

وقولـه: «أهابوا به» يقول: دَعَـوه، يقال أَيَّهَ بِهِ، وأَهَابَ بِهِ: أى نـاداه. قال القُرَشيُّ:

أَهَابَ بِأَحْـزَانِ الفُـؤَادِ مُـهِـيبُ ومَـاتَتْ نُـفُـوسٌ للهَـوَى وقلوبُ

وقـوله: «ضَوْءُ برْقٍ ووابلهُ»، أراد صَـدَّهُ عنهم ضَـوْءُ برقٍ ووابلُهُ، فأضـاف الوابل من المطر إلى البـرق. وإنما الإضافـة إلى الشىء على جهـةِ التضـمين، ولا يضاف الشىء إلى الشىء إلا وهو غيره أو بعضهُ، فالذى هو غيره: غلام زيد ودارُ عـمرو، والذى هو بعـضه: ثَوْبُ خَـزٍّ، وخـاتَم حَدِيدٍ، وإنما أضـاف الوابل إلى البرق، وليس هُوَ لَه، كـما قلت: دار زيد، على جهـةِ المجاورة، وأنهما راجـعان إلى السحابة، وقد يضاف ما كان كذا على السعة، كما قال الشاعر:

حـتى أَنَـخْتُ قَلُـوصى فى دِيـاركُم بخيـر مَنْ يَحتَـذِى نَعْـلاَ وحـافـيهـا

فأضاف الحافى إلى النعل، والتقدير: حافٍ منها.

وقوله:

* ألم ترنى صاحبت صفراء نَبْعَةً *

فالنَّبْعُ خـير الشجـر للقسى، ويقال: إن الـنَّبعَ والشَّوْحَط والشَّريانَ شـجرةٌ واحدة، ولكنها تختـلف أسماؤها وتَكرُمُ وتَحْسُنُ بمنابتها، فـما كان فى قُلَّةِ الجبل منها فهـو النَّبْعُ، وما كان فى سَفْـحِهِ فهو الشَـوْحَطُ، وما كان فى الحضـيض فهو الشَّرْيان.

وقوله: «لها رَبَذِى» يريد وَتَرًا شديد الحركة عند دفع السهم، يقال: رجل رَبذ اليد إذا كان يكثر التـحريك ليديه والعبَثَ بهما، ويوصف به الفـرس لكثرة حركة قوائمه، وكـان الأصل رَبذًا لأنه «رَبِذ»، ولكن ما كان من «فَعِلٍ» فَنُـسِبَ إليه فتح موضع العـين منه استثقـالاً لاجتماع ياءى النسَبِ وكـسرة اللام، لأن ياءى النسب تَكْسران ما تَلِيَانه، فلم يَدَعُوا مع ذلك العَـيْنَ مكسورة، تقول فى النسب إلى النَّمرِ ابن قاسط: نَمَرِىٌّ، وإلى الحَبِطات: حَبَطىٌّ، وإلى شَقِرةَ ـ وهو الحرث بن تميم ابن مرٍ ـ : شَقَرِىٌّ، وفى النسب إلى عَمٍ عَمَوِىٌّ يافتى.

وقوله: «لم تُفَلَلْ مَعابِلُه»، يريد لم ينكسر حَدُّها، من الفُلُول.

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر سأل عبدالملك أن يرُدَّ عليه سيف أخيه عبدالله بن الزبير فأخرجهُ إليه في سيوف مُنْتَضَاة، فأخذه عروة من بينها، فقال له عبدالملك: بم عَرَفْتَهُ؟ فقال: بما قال النابغةُ:

ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أنَّ سُيوفَهم ... بِهِنَّ فُلولٌ من قِراع الكتائب

والمِعبَلة: واحدة المعابل، وهى سهم خفيف، قال عَنْتَرَةُ:

وآخَرَ منهمُ أَجْرَرْتُ رُمْحى ... وفى البَجْلىِّ مِعْبَلَةٌ وقِيعُ(١)

بإسكان الجيم لا غير.

***

[قال أبو الحسن: بَجيلة: قبيلة من بنى الهُجَيْم، من اليَمَن].

(١) الوقيع، من وقـع المدية ونحوها يقعـها وقـعا: أحدها. والبـجلى: منسوب إلى بجلة، لـقب مالك بن ثعلبة.

باب

[لبعض الشعراء يحرض على خالد بن يزيد]

قال أبو العباس: تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هُن شرَفُ مَنْ هُنَّ منه، منهنَّ أُمُّ كُلثُوم بنت عبدالله بن جَعْفَرِ بن أبى طالب، وآمنةُ بنت سعيد بن العاصى بن أُمّيةَ، ورَمْلةُ بنت الزُّبيْرِ بن العَوَّام بن خُويْلد بن أسَدَ بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ، ففى ذلك يقول بعض الشعراء يُحَرِّضُ عليه عبدالملك:

عَلَيْكَ أَمِيرَ المؤمنين بخالد ... فَفى خالد عما تُحبُّ صُدودُ
إذا مانَظَرْنا فى مَناكِحِ خالدٍ ... عَرَفْنا الذى يَنْوِى، وأين يُرِيدُ؟

فَطَلّق آمنة بنت سعيد، فتزوجها الوليد بن عبدالملك، ففى ذلك يقول خالد:

فتاةٌ أبوها ذو العصابة، وابنُهُ ... وعثمانُ، ما أكفاؤها بكثير
فإن تفتلتْها والخلافةَ تنقلب ... بأكْرَم عِلْقَىْ مِنْبَرٍ وسَرير

قوله: «أبوها ذو العصابة» يعنى سعيد بن العاصى بن أُمَيَّةَ، وذلك أن قومه يذكرون أنه كان إذا اعْتَمَّ لم يَعْتَمَّ قُرَشِيٌّ إعظامًا له، ويُنْشدون:

أبو أُحَيْحَةَ مَنْ يَعْتَمَّ عِمَّتَهُ ... يُضْرَبْ وإن كان ذا مالٍ وذَا عَدَدِ

ويزعم الزُّبيْرِيُّونَ أن هذا البيت باطل موضوع.

وقوله: «فإن تفتلتها»: يقول: تأخذها فجاءةً، ومن ذلك قول الشاعر:

مَنْ يَأْمَنِ الأيَامَ بَعْدَ ... صُبَيْرَةَ القُرَشِيّ مَاتا(١)
سَبَقت منِيَتُهُ المَشيبَ ... وكان مِيتَتُهُ افْتِلاتا

وفى الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أُمى افْتُلِتَتْ، أى ماتت فجاءةً.

(١) زيادات ر: «صبيرة، بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة، وبالضاد معجمة، رواية عاصم، على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين» رواية ابن سراج برفع «يأمن»، على الاستفهام».

[لخالد بن يزيد فى رملة بنت الزبير]

ويروى أن آمنة لَبِثَتْ عند الْوَلِيد، فلما هَلَكَ عبدُالملك سَعَى بها ساعٍ إلى الوليد. قال أبو العباس: وبلغنى أنها سَعَتْ بها إحدى ضَرَّاتها إلى الوليد بأنها لم تَبْك على عبدالملك كما بَكَى نظائرها، فقال لها الوليد فى ذلك، فقالت: صَدَقَ القائلُ، أكُنْتُ قائلةً؟ ماذا أقول! ياليْتَهُ كان بَقِىَ حتى يَقْتُلَ أخًا لى آخر كعمرو بن سعيد!

وفى رَمْلَةَ بنت الزُّبَيْرِ يقول خالد:

تَجولُ خلاخيل النساء ولا أرَى ... لرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجُول ولا قُلْبا[1]
فلا تُكْثِرُوا فيها المَلاَمَ فإنّنى ... تَخَيَّرْتُها منهم زُبَيْرِيَّةً قَلْبا[2]
أَحِبُّ بنى الْعَوَّام طُرًّا لِحُبِّها ... ومن أجْلِها أَحْبَبْتُ أَخْوَالَها كَلْبا

وزِيدَ فيها:

فإنْ تُسْلِمى أُسْلِم وإن تَتَنَصَّرى ... يُعلِّق رجالٌ بين أعينهمْ صُلُبا

فيروى أن عبدالملك ذُكِر له هذا البيتُ، فقال له: يا خالد، أتَرْوِى هذا البيتَ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، على قائله لعنة الله!

[زواج الحجاج بن يوسف بابنة عبدالله بن جعفر ثم طلاقه لها]

وذكر العُتْبىُّ أن الحَجَّاجَ بن يوسف بن الحَكَمِ الثَّقَفِىَّ لما أكْرَهَ عبدَالله بن جعفر على أن زوجه ابنته استأجله فى نقلها سنة، فَفكَّرَ عبدالله بن جعفر فى الانفكاك منه، فألقى فى رُوعِه خالد بن يَزِيدَ، فَكَتَبَ إليه يُعْلِمُهُ ذلك، وكان الحجاج تَزَوَّجها بإذن عبدالملك، فورد على خالد كتابه ليلاً، فاستأذن من ساعته على عبدالملك، فقيل له: أفى هذا الوقت؟ فقال: إنه أمرٌ لا يُؤَخَّرُ، فَأُعْلِمَ عبدالملك بذلك. فَأذِنَ له، فلما دخل عليه، قال له عبدالملك: فيمَ السُّرَى ياأباهاشم؟ قال: أمْرٌ جَليلٌ لم آمن أن أؤخره، فَتَحْدُثَ علىّ حادثةٌ فلا أكونَ قَضيْتُ حق بَيْعَتِكَ، قال: وما هو؟ قال: أتَعْلَمُ أنه ما كان بين حَيَّيْنِ من العداوة

(١) القلب هنا: السوار.

(٢) امرأة قلب، بفتح القاف: خالصة النسب.

والبَغْضَاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سفيان؟ قال لا: فإن تزويجى إلى آل الزبير حلل ما كان لهم فى قلبى، فما أَهْلُ بيت أَحَبُّ إلىَّ منهم. قال: فإن ذلك لَيَكونُ، قالَ: فكيف أَذِنْتَ للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم، وأنت تَعْلَمُ ما يقولون ويقال فيهم، والحجاج من سلطانك بحيث علمت! قال: فجزاه خيرا، وكتب إلى الحجاج بِعَزْمَة أن يطلقها فطلقها، فغدا الناس عليه يُعَزُّونَهُ عنها، فكان فيمن أتاه عمرو بن عُتْبَةَ بن أبى سُفيان، فَأَوْقَعَ الحَجَّاجُ بخالد، فقال: كان الأمر لآبائه فَعَجَزَ عنه حتى انتُزِعَ منه. فقال له عمرو بن عتبة: لا تَقُلْ ذا أيها الأمير، فإنّ لخالد قديما سَبَقَ إليه، وَحَديثًا لم يُغْلَبْ عليه، ولو طَلَبَ الأمر لطلبه بِجَد وجد، ولكنه علم علما، فَسَلَّمَ العلْمَ إلى أهله، فقال الحجاج: يا آل أبى سفيان، أنتم تحبون أن تَحْلُمُوا ولا يكون الحلْمُ إلا عن غضب، فنحن نُغْضبُكمْ فى العاجل ابتغاء مَرْضَاتكُم فى الآجلِ، ثم قال الحجاج: والله لأتزوجَنَّ مَنْ هو أَمَس به رَحِمًا، ثم لا يُمَكِّنُهُ فيه شىء، فتزوَّج أم الجُلاسِ بنت عبدالله بن خالد بن أسِيد.

أما قوله: «ألقى فى رُوعه»، فإن العرب تقول أُلقِىَ فى رُوعى، وفى قلبى وفى جخيفى وفى تامورى كذا كذا، ومعناه كله واحد، إلا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «إن رُوحَ القدُس نَفَثَ فى رُوعى»: فالروع والجَخيفُ غير مختلفين، والعرب تقول: أذْهَبَ الله قَلْبَهُ، ولا قلب له. ولا تقول: لا رُوعَ له؛ فكَأنَّ الروعَ هو متصل بالقلب، وعنه يكون الفهم خاصة، ويقال: رأيت قَلْبَ الطائر. ولا يقال: رأيت رُوعَ الطائر، والتامورُ عند العرب: بقية النَّفْسِ عند الموت، وبعضهم يُفصحُ عنه فيجعله دم القلب خاصة الذى يبقى للإنسان ما بقِىَ، يقال: ضَعْهُ فى تامورِكَ وفى قَلْبك وفى رُوعكَ وفى جَخيفكَ. والذماءُ، ممدود: مثلُ التامور سَوَاءٌ، تقول العرب: ليس فى الحَيوان أطولُ ذَمَاءً من الضب، وذلك أنه يُذْبَحُ ثم يُطرَحُ فى النار بعد أن ظنَّ أنه قد بَرَدَ فربما سَعَى من النار.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال رجل لإبراهيم بن أَدْهَم: عظْنى، فقال: اتَّخِذ الله صاحِبًا وذر الناس جانبا.

قال سعيد بن المُسَيَّب: كنت بين القبر والمنْبَر مُفكِّرًا، فسمعت قائلا يقول ولم أره: اللُّهمَّ إنى أسألك عملا باراً. ورزقا داراً. وعيشا قاراً.(١)

قال سعيد: فلزِمتُهنَّ فلم أر إلا خيرا.

وقال الأَصْمَعِيُّ: كان من دعاء أبى المُجيب: اللهم اجْعَلْ خير عملى ما قارَبَ أَجَلى.

قال: وكان يقول فى دعائه: اللهم لاتَكِلْنَا إلى أنفسنا فَنَعْجِزَ، ولا إلى الناس فَنَضيعَ.

[أعرابى فى حلقة يونس]

قال وحدثنى أبو عثمان المازنىُّ قال: حدثنى أبو زيد قال: وقف علينا أعرابىّ فى حَلقة يونس النحوى فقال: الحمد لله كما هو أهله، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه، خرجنا من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ، ثلاثين رجلا ممن أَخْرَجَتهُ الحاجة، وحُمِلَ على المكروه، لا يُمَرِّضُونَ مَريضَهُمُ، ولا يَدْفنون ميِّتهم، ولا ينتقلون من مَنْزِلٍ إلى منزل وإن كرهوه. والله يا قوم لقد جُعْتُ حتى أكَلت النَّوَى المُحْرَقَ، ولقد مَشَيْتُ حتى انْتَعَلْتُ، وحتى خَرَجَ من قدمىَّ بَخَصٌ ولحم كثير، أَفَلاَ رَجُلٌ يَرْحَمُ ابن سبيلٍ، وفَلَّ طَرِيقٍ، ونضْوَ سفر! فإنه لا قليلَ من الأجْرِ، ولا غنًى عن ثواب الله عزَّ وجل، ولا عَمَلَ بعد الموت،وهو الذى يقول جَلَّ ثَنَاؤهُ: ﴿مَنْ ذَا الذى يُقرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسنًا فَيُضَاعِفَهُ لهُ﴾(٢). مَلِىّ وَفىُّ ماجِدٌ واجِدٌ جَوادٌ، لا يَستَقرِضُ من عوَزٍ، ولكنه يَبْلو الأخيار.

قال: فبلغنى أنه لَمْ يَبْرَحْ حتى أخذ ستين ديناراً.

قوله: «بخص»، يريد اللحم الذى يَرْكَبُ الْقَدَمَ، هذا قول الأصمعىّ، وقال غيره: لحم يَخلطهُ بياض من فساد يَحلُّ فيه، ويقال: بَخَصْتُ عينَه، بالصاد، ولا يجوز إلا ذلك، ويقال بَخَسْتهُ حَقَّهُ، بالسين: إذا ظلمته ونَقَصتَهُ، كما قال الله عزوَّجلَّ: ﴿ولاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾(٣)، وفى المَثَلِ: «تَحْسَبُهَا حَمْقَاءَ وهى بَاخِسٌ». ويَدُلُّ على أنه اللحم الذى قد خالطه الفساد قولُ الراجز:

(١) قارا. مستقرا.

(٢) سورة البقرة ٢٤٥.

(٣) سورة الأعراف ٨٥.

[قال أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش: الراجز هو أبو شُرَاعة]

ياقُـدَمَيَّ لا أرى لـى مَـخْلَصـا ... مما أَرَاهُ أو تَـعُـودا بخَـصـا[1]

وقوله «فل» فالفل فى أكثر كلامهم: المنهزم الذاهب.

وفى خبـر كَعْبِ بن مَعْدَان الأشـعرى[2] «إنا آثرنا الحَـدَّ على الفَـلِّ» يعنى مجاهدتهم عَبْـدَ ربِّهِ الصَّغير؛ لأنه كان مُقْبِلاً علـى حربهم وتَرْكَهُمْ قَطَرِيًّا لأنه كان منهزما.

[خبر الحجاج بن علاط السلمى مع قريش]

وفى حديث الحـجاج بن عـلاط السُّلَمىِّ. وكان قد أسلم ولم تـعلم قريش بإسلامه، فاستأذن رسولَ الله ﷺ يوم خَيْبَرَ فى أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال، وكـانت له هناك أموال مـتفرقـة، وهو غريب بينهم - إنمـا هو أَحَدُ بنى سُلَيْمِ بن منصـور، ثم أحد بنى بَهْزٍ - فَـأَذِنَ له رسولُ الله ﷺ، فقـال: يا رسول الله، إنى أحتاج أن أقول، قال: «فَقُلْ».

قال أبو العباس: وهذا كلامٌ حَسَنٌ ومـعنىً حَسَنٌ، يقول: أقول - على جهة الاحـتيـال - غيـرَ الحَق، فأذن له رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لأنه من باب الحيلة، وليس هو من باب الفساد ، وأكثر مـا يقال فى هذا المعنى تقول، كما قال المولى عز وجل : ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾[3]، فصار إلى مكة فقالت قريش: هذا لعَمر الله عنده الخبـر، قال: فقـولوا، فقالوا: بلـغنا أن القاطع[4] قد يخـرج إلى أهل خيبر، فقـال الحجاج: نَعَم، فقتلوا أصحابه قتلا لـم يُسْمَعْ بمثله، وأخذوه أسيراً، وقالوا: نَرَى أن نُكارِمَ به قريشًا، فَنَدْفَعَـهُ إليهم، فلا تنال لنا هذه اليد فى رِقَابِهِمْ. وإنما بَادَرْتُ لجمع مالى لَعلِّى أُصيبُ به من فل محمد وأصحابه قبل أن تسبِقَنى إليه

---

(١) قال المرصفى: «يريد دواتى بخس».

(٢) زيادات ر: «الأشقرى، بالقاف لاغير». وخبر كعب هو حديثه مع الحجاج بـن يوسف، وكان قد وجهه المهلب بن أبى صفوة الأزدى يبشره بمناهدته الخوارج وفراغه لهم.

وانظر رغبة الآمل ٥ :٢٨).

(٣) سورة الطور ٤٤.

(٤) يصفون محمدا بقطع الأرحام، وحاشاه.

التِّجارُ ويتصل بهم الحديثُ. قال: فاجتهدوا فى أن جمعوا إلىَّ مالى أَسْرَعَ جَمْعٍ، وسُرُّوا أكثر السرور، وقالوا بلا رَغْمٍ [1]، وأتانى العباس وهو كالمرأة الواله[2] فقال: وَيْحَكَ يا حجاج ما تقول! قال: فقلتُ: أكاتمٌ أنت علىَّ خَبَرى؟ فقال: إى والله! قال: فقلتُ: فالْبَثْ علىَّ شيئًا حتى يخفَّ مَوْضعى. قال: فسرتُ إليه، فقلتُ. الخبر والله على خلاف ما قلتُ لهم، خَلَّفْتُ رسولَ الله ﷺ وقد فَتَحَ خيبَرَ، وخَلَّفْتُهُ والله مُعْرِسًا بابنة مَلِكهم، وما جئتُكَ إلا مُسْلِمًا، فاطْوِ الخبر ثلاثًا حتى أُعْجِزَ القوم، ثم أَشِعْهُ، فإنه والله الحق، فقال: العباس: وَيْحَكَ، أَحَقٌّ ما تقولُ؟ قلتُ: إى والله! قال: فلما كان بعد ثلاثة تَخَلَّقَ العباسُ، وأخَذَ عصاه وخرج يطوف بالبيت. قال: فقالت قريش: يا أبا الفضل، هذا والله التَّجَلُّدُ لَحرِّ المصيبة! فقال: كَلا، ومن حَلَفْتُمْ به! لقد فتحها رسول الله ﷺ، وأَعْرَسَ بابنة ملكهم! فقالوا: مَنْ أتاك بهذا الحديث؟ فقال: الذى أتاكم بخلافه، ولقد جاءنا مُسْلِمًا، ثم أتت الأخبارُ من النواحى بذلك، فقالوا: أَفْلَتَنَا الخبيثُ، أولىَ له[3].

وأصل الفَلِّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدةَ[4] إذا كسرتَ حدَّها. والنِضْوُ: البالى المجهود، ويقال ناقة نِضْوٌ: إذا جَهَدَها السيرُ، وجمعه أنْضَاءٌ، وفلان نضْوٌ من المرض.

وقوله: «لا يستقرض من عَوَزٍ»، فالعَوَزُ: تعذُّرُ المطلوب، يقال: أعْوَزَ فلان فهو مُعْوِزٌ إذا لم يجد، والمَعاوِزُ فىَّ غير هذا الموضع: الثياب التى تُبْتَذَلُ ليُصانَ بها غيرها.

وقوله: «ولكن ليبلو الأخيار»، يقال: الله يَبْلُوهم ويبتليهم ويختبرهم فى معنى، وتأويله: يمتحنهم، وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان، قال الله جل ثناؤه: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[5].

قال: وحدثنى أبو عثمان المازنى قال: رأيت أبا فرعون العَدَوِىَّ، ومعه

---

(١) الرغم هنا: الكره.

(٢) الواله . الحزينة.

(٣) أولى له: كلمة تهديد وتوعد، غلبت فى الدعاء بالعسر.

(٤) الحديدة: وصف للسكين يقال سكين حديدة، وحادة.

(٥) سورة هود٧.

ابنتاه، وهو فى سكة العَطَّارين بالبصرة يقول:

بُنَيَّتَيَّ صَابِرا أباكما إنَّكُمَا بعَيْنِ مَنْ يَرَاكُمَا
اللهُ رَبِّى سَيِّدِى مولاكما ولو يشاءُ عَنْهُمُ أَغْنَاكُمَا

وكان أبو فرعون، وهو من بنى عَدِىٍّ بن الرِّباب بن عبد مَنَاةَ بن أُد، وقال اليزيدى: هو مولاهم، وكان فصيحًا، وقَدِمَ قوم من الأعْراب البصرة منْ أهله، فقيل له: تَعَرَّض لمعروفهم، فقال:

ولَسْتُ بسائِلِ الأعْرَابِ شيئًا حَمِدْتُ الله إذْ لَمْ يأكلونى

[حديث رجل من الصيارفة افتقر]

وروى الأسدى أنه افتقر رجل من الصَّيارفة بإلحَاحِ الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لهم لَدَيْه، وتَعَذُّرِ أمواله التى كانت له عند الناس، فسأل جماعةً من الجيران أن يصيروا معه إلى رجل(1) من قريش كان موسرًا من أولاد أجوادهم لِيَسُدَّ من خَلَّته، فصاروا إليه، فجلسوا فى الصَّحْنِ، فخرج إليهم يخطرُ بقضيب فى يده، حتى ثَنَى وسَادَةً فجلس عليها، فذكروا حاجتهم وخلة صاحبهم، مع قَديم نعمته وقريب جِوَارِه، فَخَطَرَ بالقَضيب، ثم قال مُتَمَثِّلاً(2):

إذا المالُ لم يوجِبْ عليكَ عَطَاءَهُ صَنيعةُ تَقْوى أو صَدِيقٌ تُوامِقُهُ(3)
بَخِلْتَ وبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقوةٌ فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلا حَقَائِقُهْ

ثم أقبل على القوم، فقال: إنا والله ما نجمد عن الحق، ولا نَتَدَفَّقُ فى الباطل، وإنَ لنا لحُقوقًا تَشْغَلُ فُضول أموالنا، وما كل مَنْ أفْلَسَ من الصيارفة احتَلنا لجَبْرِهِ، قوموا رحمكم الله! قال: فابْتدَرَ القومُ الأبوابَ.

قوله: «فلم يفتلذك المال»، يقول: لم يُقتطعْ منك، يقال فَلَذَ له من العطاء، أى قَطَعَ له، وقال رسول الله ﷺ يوم بَدْرٍ حين قال الغلامان: فى القوم عُتْبَةُ بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم ابنُ هشام، وأُمَيَّةُ بن خَلَف وفلان وفلان، فقال رسول الله ﷺ: «هذه مكة قد ألْقَتْ إليكم أفلاذ كَبِدها».

---

(1) هو ابن عمران الطلحى.

(2) زيادات ر: «الشعر لنصيب؛ وقيل لكثير، والأول أثبت».

(3) توامقه: توده.

وقال أبو قُحافةَ أعْشَى باهلةَ - يعنى المُنْتَشِر بن وَهْب الباهلىَّ:

تكْفـيـه فِـلْذَةُ كِـبْـد إنْ أَلَمَّ بهَـا ... من الشَّـواء ويكْفِـى شـربَهُ الـغُـمَـرْ

[رجل من أزد شنوءة بين يدى عتبة بن أبى سفيان]

قال عبدالملك بن عُمَيد: استعمل عُتْبَةَ بن أبى سُفيان رجلا من آله على الطائف، فَظَلَمَ رجُلاً من أَزْدِ شَنوءةَ، فأتى الأزْدِىُّ عُتْبَةَ، فَمَثَلَ بين يديه، فقال:

أَمَـرْتَ مَـنْ كـان مظلومـا ليـأتيكم ... فـقـد أتـاكم غَـريبُ الدارِ مَـظْلومُ

ثم ذكر ظُلاَمتـهُ، فقال له عتبة: إنـى أراك أعرابيا جافيا، والله مـا أَحْسبك تدْرى كم تصلى فى كل يوم ولَيلة! فقال: أرأيتَ إن أنبأتُكَ ذلك: أتجعل لى عليك مسألة؟ قال نعم، فقال الأعرابىّ:

إنَّ الـصَّـلاَةَ أَرْبَـعٌ وأَرْبَـعُ ... ثـم ثلاثٌ بـعـدهنَّ أربـع

ثم صَلاَةُ الفَجْرِ لاَ تَضيَّعُ

فقال: فاسأل. فقال: كم فقارُ ظَهرِكَ؟ فقال: لا أدرى، فقال: أَفَتَحْكُم بين الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك! قال: رُدُّوا عليه غُنَيْمتَهُ.

قوله «فَقار» إنما هو جمع فَقارة، ويقال فِقْرَةٌ. فمن قال فى الواحد فِقْرَةُ قال فى الجميع: فِقَرٌ، كقولك: كِسْرَةٌ وكِسَر، ومن قال للواحدة: فَقارة، قال للجميع: فَقارٌ. كقولكَ دَجاجةٌ ودجاج، وحَمَامةٌ وحَمَامٌ.

[أعرابى عند معاوية]

وشهـد أعرابى عند مـعاوية بشىء كرهه. فـقال له معـاوية: كَذَبْتَ! فـقال الأعرابىّ: الكاذب والله مُتَـزَمِّلٌ فى ثيابك. فقال معـاوية - وتبَسَّمَ: هذا جزاء مَنْ عَجِلَ.

[حديث السواقط]

قال أبو العـباس: قرأت على عبـدالله بن محمد المعـروف بالتَّوَّزِىِّ عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْـمَرِ بن المُثَنى التَّيْمِىّ، قال: كانت السَّواقطُ تَرِدُ اليَمـامةَ فى الأَشهر الحُرُم لِطلب التمـر، فإن وافقتْ ذلك، وإلا أقامت بالـبلد إلى أوانه، ثم تخرج منه فى

شـهرٍ حَـرامٍ، فكان الرجل منهم إذا قـدِم يأتى رجلا من بـنى حَنيفـةَ، وهم أهل اليَمامة، ـ أعنى بنى حنيفـة بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ بن بكْر بن وائلِ بن قَاسط ابن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْـمِىٍّ بن جَديلة بن أَسَـد بن رَبيعة بن مـزَارٍ ـ فَيكْتُبُ له على سَهْـمٍ أو غيرِه: «فـلان جار فلاَن» ـ والسـواقط: مَنْ وَرَدَ اليمـامة من غـير أهلها، وقد كان النُّعْمَان بن المُنْذِر أرَاد أن يُجْلِـيَهُمْ منها، فأجارهم مُرارة بن سُلْمِىّ الحَنَفِى. ثم أحد بنى ثَعْلَبَةَ بن الدَّوْل بنِ حنيفة، فَسَوَّغَهُ المَلِكُ ذلك، فقال أَوسُ بن حَجَرٍ يحُضُّ النُّعْمَان عليه:

زَعَـم ابن سـلـمـىّ مـــــرارة أنـه مــــولَى السَّـــواقط دون آل المُـنْذِرِ
مَنَعَ اليـمَـامـة حَـزنَهَـا وسُـهـولهـا من كـل ذى تاجٍ كَـريم المَـفْـخَــرِ

وذكر أبو عبـيدة أن رجلا من السواقط من بنى بكر بن كلاب قَدمَ الـيْمَامة، ومعه أخ له، فَكَتَبَ له عَمْيرُ بن سُلْمى أنه له جار ـ وكان أخو هذا الكلابى جَميلاً ـ فقال له قَـرِينٌ، أخو عميـر: لا تَرِدَنَّ أبياتنا بأخيك هذا، فرآه بَعْـدُ بين أبياتهم، فقتله.

قال أبو عبيدة: وأما المَوْلى(١) فَذُكِرَ أن قَرِينًا أخا عُميْرٍ كان يتحدث إلى امرأة أخى الكلابىّ، فَعَثَرَ عليه زوجُها فخافه قَرِينٌ عليها فقتله، وكان عمير غائبا، فأتى الكلابى قبر سلمى أبى عمير وقرين. فاستجار به وقال:

[قال أبو الحسن الأخفش، قـال أبو العبـاس: قَرِينٌ، ووجدتـه بخط دَماذَ، صاحب أبى عبيدة قُرَيْنٌ].

وإذا استَـجَرْتَ مـن اليمـامة فـاستَـجِرِ زيْدَ بـن يَرْبـوعٍ وآلَ مُـــجَــمِّـعِ
وأتيت سُـلْـمِـيًّـا فَـعُـذْتَ بـقـبـره وأخـو الـزمـانة عــائذ بالأمـنع(٢)
أقَـرِيـنُ إنكَ لو رأيتَ فـــوارسي بعـــمـــايتين إلى جَــوانب ضَـلْفَعِ(٣)
حَـدَّثْتَ نَفْـسَكَ بالـوفـاء ولَـمْ تكُنْ للغــــدر خـــائنـة مـغل الإصــبع

فَلَجأ قَـرِينٌ إلى قتادة بن مَسْلمـة بن عُبَيْد بـن يَرْبوع بن ثَعْلَبَةَ بن الدُّولِ بن حنيفة، فـحمل قتادة إلى الكلابى دِيات مُضَـاعَفَةً، وفعلتْ وُجوهُ بنى حَنيـفةَ مثل

(١) السواقط هنا: اللئام. (٢) هو الذى أجاره عمير.
(٣) الزمانة: العاهة، يريد بها هنا الضعف. والأمنع: الذى به قوة تمنع من يريده بسوء.
(٤) عماية: جبل بنجد، وإنما ثناه بما حوله.

ذلك، فأبى الكلابيُّ أن يَقْبَلَ، فلما قَدِمَ غمير قالت له أُمُّهُ وهى أم قرين: لا تَقْتلْ أخاك، وسُق إلى الكلابى جميع ماله، فأبى الكلابيُّ أن يقبل، وقد لَجأَ قَرينٌ إلى خاله السَّمين بن عبدالله فلم يَمْنَع عميراً منه، فأخذه عُمَيْرٌ فمضى به حتى قَطَعَ الوادى فَرَبَطَهُ إلى نخلة، وقال للكلابى: أما إذْ أَبَيْتَ إلا قتله فَأمْهِلْ حتى أقطعَ الوادى، وارْتَحِلْ عن جِوارى فلا خير لك فيه، فقتله الكلابى، ففى ذلك يقول عُمير:

قَتَلْنَا أخانا للوفاء بجارنا وكان أبونا قد تُجيرُ مقابِره

وقالت أم عمير:

تَعُدُّ معاذِراً لاعُذْرَ فيها وَمَنْ يَقْتُلْ أخاه فقدْ ألامَا

وقوله:

«ولم تكن للغدر، خائنة»، ولم يقل خائنا. فإنما وَضَعَ هذا فى موضع المصدر، والتقدير: ولم تكن ذا خيانة.

وقوله «للغدر» أى من أجل الغدر، وقال المفسرون والنحويون فى قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(١)، أى لشديدٌ من أجل حب الخير، والخير ههنا: المال، من قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾(٢).

وقوله «لشديدٌ»: أى لبخيل، والتقدير والله أعلم: إنه لبخيل من أجل حبه للمال، تقول العرب: فلان شديد وَمُتَشَدِّدٌ أى بخيل، قال طَرَفَة:

أرى المَوْتَ يَعْتَامُ الكرام ويَصطفى

عَقيلةَ مال الفاحِش المُتَشَدِّدٌ(٣)

وقَلما يجىء المصدر على فاعِل،.فمما جاء على وزن «فاعِلٍ»: قولهم عُوفِيَ عافيةً، وَفلِجَ فالجًا، وَقُمْ قائما، أىْ قُم قِيَامًا، وكما قال:

---

(١) سورة العاديات ٨

(٢) سورة البقرة١٨

(٣) يعتام : يختار، وعقيلة المال: أكرمه: والفاحش : السيئ الخلق.

ولا خارجًا من فيَّ زُور كلام

أى وَلاَ يَخْرُجُ خروجا، وقد مضى تفسير هذا.

وَالُمغِلُّ الذى عنده غُلولُ، وهو ما يُخْتَانُ وَيحْتَجنُ، ويستعمل مستعارا فى غير المال، يقال: غَلَّ يَغُلُّ كقولِ الله عز وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾(١). ويقال: أَغَلَّ فهو مُغلٌّ إذا صُودف يَغُلّ، أو نُسِبَ إليه، ومن قرأ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ﴾(٢). فتأويله أن يأخذ ويَستأثِرَ، ومن قرأ ﴿يُغَلَّ﴾ فتأويله على ضربينَ يكون أن يقال ذلك فيه، ويكون وهو الذى يختار أن يُخَوَّنَ، فإن قال قائل كيف يكون التقدير، وقد قال: ما كَان لنبى أن يُغَلَّ فُيغَلَّ لغيره، وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقومَ عمروٌ؟ فالجواب أنه فى التقدير على معنى. ما ينبغى لنبى أن يُخَوَّنَ، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلا بِإِذْنِ الله﴾(٣). ولو قلت: ما كان لزيد أن يقومَ عمروٌ إليه لكاَن جيدا، على تقديركَ: ما كان زيد ليقوم عمرو إليه، كما قلنا فى الآية.

والإصْبَعُ، أفصح ما يقال وقد يقال: أَصْبَعٌ وإِصْبع! وأَصبُع. موضعها هاهنا موضع اليد، يقال: لفلان عليك يَدٌ، ولفلان عليك إصْبَعٌ، وكلّ جيِّدٌ، وإنما يَعنى هاهنا النعمة.

وأما قوله:

* قتلنا أخانا للوفاء بجارنا *

فيكون على ضربين: أحدهما أن يكون فَخَّمَ نفسه وعظمها، فذكرها باللفظ الذى يُذْكَرُ الجميع به، والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كِبْرًا، ولا ينبغى على حكم الإسلام أن يكون هذا مستعملا إلا عن الله عز وجل، لأنه ذو الكبْرياء، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيلةِ القَدْرِ﴾(٤). و﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾(٥)، وكل صفات الله على الصفات وأَجَلِّهَا، فما اسْتُعْمِلَ فى المخلوقين على تلك الألفاظ

(١) سورة آل عمران ١٦١.

(٢) قال المرصفى: يريد أنه مأخوذ من غل الثلاثى المبنى للمفعول، وتأويله : أن يؤخذ.

(٣) سورة آل عمران ١٤٥.

(٤) سورة القدر ١.

(٥) سورة النساء ١٦٣.

وإن خالفتْ فى الحكم فَحسنٌ جميل، كقولك: فلان عـالم، وفلان قادرٌ، وفلان رحيم، وفـلان وَدَودٌ، إلا ما وصـفنا قَبْلُ من ذكـر التَّكَبُّرِ، فإنـك إذا قلت: فلان جَبَّـار أو متكبـر كان عليـه عيبًـا ونقصًـا، وذلك لمخالفـة هاتين الصفـتين الحق، وبُعْدهمـا من الصواب، لأنهما للمـبدئ المُعيد الخـالق البارئ، ولا يليق ذلك بمن تكسِرَه الجَوعةُ، وتُطغيه الشَّبْـعَةُ، وتَنْقُصُهُ اللحَظةُ، وهو فى كل أموره مُدَثَّرٌ، وأَمَّا القول الآخر فى البيت وهو «قتلنا أخانا»، فمعناه أنه له ولمن شايَعَهُ من عَشيرته.

وأما قولها:

* ومن يقتل أخاه فقد ألاما *

تقول: أتى ما يُلامُ عليه، يقال: ألام الرجلُ إذا تَعَرض لانْ يُلامَ.

باب

[مما أنشد أبو محلم السعدى]

قال أبو العباس: أنشدنى السَّعْدِىُّ أبو مُحَلِّم:

إنَّا سَأَلْنا قَومَنا فَخِيارُهُمْ   مَنْ كَانَ أفضَلَهُمْ أبوه الأوَّلُ
أَعْطَى الذى أَعْطَى أبوه قَبْلَهُ   وتَبَخَّلَتْ أبناءُ مَنْ يَتَبَخَّلُ

وأنشدنى أيضًا:

لطَلْحَةُ بنُ حَبِيب حين تَسأَلُهُ   أنْدَى وأكْرَمُ من فنْد بن هَطال
وبيتُ طَلْحَةَ فى عِزٍّ ومَكْرُمَة   وبيتُ فنْد إلى ربق وأَحْمَال[1]
ألاَ فَتًى من بنى ذُبْيَانَ يَحْمِلُنى[2]   وليس يَحْمِلُنى إلاَّ ابْنُ حَمَّال
فقلتُ طَلْحَةُ أوْلَى مَنْ عَمَدْتُ له   وجئت أَمْشِى إليه مشىَ مُخْتَال
مُسْتَيقنًا أنَّ حَبْلى سوف يُعْلِقه   فى رأس ذَيَّالَةٍ أو رأس ذَيَّالِ

قوله: «إلى ربق وأحمال»، إنما أراد جمع حَمَلٍ على القياس، كما تقول فى جميع باب فَعَلٍ: جَمَلٌ وأَجْمَالٌ، وصَنَمٌ وأصنامٌ.

وقوله:

* ألا فتى من بنى ذُبيان يحملنى*

يعنى ذُبْيَانَ بن بَغِيضِ بن رَيْث بن غَطَفَانَ بن سعد بن قَيْسِ بن عَيْلان بن مُضَرَ، وأنشد بعضهم.

* وليس حامِلنى إلا ابن حمال *

وهذا لا يجوز فى الكلام، لأنه إذا نُوِّنَ الاسمُ لم يتصل به المضمر؛ لأن المضمر لا يقوم بنفسه، فإنما يقع معاقبًا للتنوين، تقول: هذا ضاربٌ زيدًا غَدًا، وهذا ضاربُكَ غَدًا، ولا يقع التنوين ها هنا، لأنه لو وقع لانفصل المضمر، وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿إنَّا مُنجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾[3]. وقد رَوَى سيبويه بيتين محمولين

(١) ربق: جبل فيه عدة عرا تشد به إلبهم، وأحمال: جمع حمل بالفتح، وهو الخروف وفيه أيضا أجمال جمع جمل.

(٢) يحملنى. من حمله إذا أعطاه ما يحمله من الدواب.

(٣) سورة العنكبوت ٣٣.

على الضرورة، وكلاهما مصنوع، وليس أحد من النحويين المُفَتشينَ يُجيزُ مثل هذا في الضرورة، لما ذكرتُ من انفصال الكناية، والبيتان اللذان رواهما سيبويه:

هُمُ القَائِلُونَ الخَيرَ والآمِرُونَه   إذا ماخَشَوا يومًا من الأمْرِ مُعْظَما

وأنشد:

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ مُحْتَضِرُونَهُ   جَمِيعًا وأيدي المعْتَفِينَ رَوَاهِقُه[1]

وإنما جاز أن تُبَيِّنَ الحركةَ إذا وَقَفْتَ في نون الاثنين والجميع لأنه لا يلتبس بالمضمر، تقول: هما رَجُلانه، وهم ضَاربونه، إذا وَقَفْتَ، لأنه لا يلتبس بالمضمر إذ كان لا يقع هذا الموقع، ولا يجوز أن تقول ضربتُه، وأنت تريد ضَرَبْتُ، والهاء لبيان الحركة، لأن المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لبسا، فأما قولهم: ارمه واغْزُه فَتُلْحِقُ الهاءَ لبيان الحركة، فإنما جاز ذلك لما حذفْتَ من أصل الفعل، ولا يكون في غير المحذوف.

وقوله: «في رأس ذيالة»، يعني فرسًا أنثى أو حصانًا، والذَّيَّالُ: الطويل الذَّنَبِ، وإنما يُحْمَدُ منه طول شعر الذَّنَب، وقِصَرُ العَسيب[2]، وأما الطَّويلُ العَسِيبِ فمذموم، ويُقال ذلك للثوْر أيضًا، أعنى ذَيَّالا، قال امْرُؤُ القَيْسِ:

فجالَ الصُّوارُ واتَّقَيْنَ بِقَرْهَبٍ   طَويلِ القَرا والرَّوق أخْنَسَ ذَيَّال[3]

ويقال أيضًا للرجل: ذَيَّالٌ، إذا كان يَجُرُّ ذَيْلَهُ اختيالا، ويقال له: فَضْفَاضٌ في ذلك المعنى.

[من كلام عمر بن عبدالعزيز لمؤدبه]

ويروى عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لمؤَدِّبه: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تُؤَدِّبُني؟ فقال: أحسن طاعة. قال: فَأَطعْني الآنَ كما كنتُ أُطيعُكَ إذ ذاك. خُذْ من شاربِك حتى تَبْدُو شَفَتَاكَ، ومن ثوبكَ حتى تَبْدُوَ عَقِبَاكَ.

وقال رسول الله ﷺ: «فضل الإزار في النار».

---

(١) يرتفق: يتكئ على يده. المعتفون: طلاب المعروف. ورواهقه: دانية منه.

(٢) العسيب: مستدق عظم الذنب.

(٣) الصوار: القطيع من بقر الوحش. والقرهب: الثور المسن الضخم. والقرا: الظهر. والروق: القرن.

[الرجل يخاطب آخر اسمه ددا]

وقال آخر[1]:

مـــا لــدَد مـــا لدَد مـــالَـهُ ... يَبْكي وقَـــدْ أنْعَـــمْتُ مـــا بـالَهُ
مـــالى أراهُ مُطْرِقًـــا سَـــامِـيًّـــا ... ذَا سِنَة يُـوعِـــــــدُ أَخْـــــوالَـهُ
وذاك مـنـه خـلـق عـــــــادة ... أَنْ يَفْـــــعَلَ الأمْــــر الذى قَـــالَهُ
إن ابن بيـــــضـــاء وترك الـندى ... كـــالعَـــبْــد إذ قَـــيَّــدَ أَجْـمَـــالَهُ
آلـيت لا أدفـن قــــتـــــلاكـم ... فــــدخِّـنوا المرْءَ وَسِـــرْبالَـهُ
والدرع لا أبـغى بـهـــا نثـــرة ... كلُّ امْـــرِىء مُــسْــتَـوْدَعٌ مَـــالَهُ
والرمـح لا أمـــــلأ كــــفى بـه ... وَالـلُّـبْـــــــــدُ لاَ أَتْـبَـعُ تَـزْوالَـهَ

قـوله: «مالدد» يعنى رجـلا، وَدَدٌ فى الأصل. هو اللَّهـوُ، قال رسـول الله ﷺ: «لست من دَد ولا دَد منى»، وقـد يكون فى غـير هـذا الموضع مأخـوذا من العادة، وهذه الـلاَّم الخافضـة تكون مكسورة مع الظاهر ومـفتـوحة مع المضــمر، والفتح أصلهـا، ولكن كِسرتْ مع الظـاهر خوف اللّبسِ بلام الخبـر،تقول إنَّ هذا لِزَيْد، فيعلم أنه شىء فى ملك زيد، فإن قلت: إن هذا لَزَيْد فى الوقف، علم قبل الإدْرَاج أنه زَيْد، ولو فتحتَ المكسورة لم يُعْلم المْلكُ من المعنى الآخر فى الوقف، وأما المضمـر فبَيِّنٌ فيه، لأن علامـة المخفوض غيرَ علامـة المرفوع، تقول: إن هذا لَكَ، وَإن هذا لأنْتَ.

وقوله:

* . . وقد أنعمت ما باله *

فـ«ما» زائدة، والبالُ هاهنا: الحـال، وللبال موضع آخر، وحقيـقته الفِكْرُ، تقول: ما خطر هذا على بالى.

وقوله: «مطرقا ساميا» فالسـامى الرافع رأسه، يقال: سَمَا يَسْمو إذا ارتفع، والمطْرِقُ: الساكت المفَكِّرُ المنكِّسُ رَأْسَهُ، فإنما أراد ساميًا بنفسه.

وقوله: «ذا سِنَة» يقول: كأنه لطول إطراقه فى نَعْسَة. وقوله:

---

(١) نسبه المرصفى إلى سلمة بن ذهل التيمى.

* كالعبد إذ قَيَّد أجماله *

يريد أنه غير مُكتَرِت لاكتساب المَجْدِ والفضل، وذلك أن العبد الراعى إذَا قَيَّدَ أجماله لَفَّ رأسهُ ونام حَجرةً، وهذا شبيه بقوله:

* واقْعُدْ فَإنَّكَ أنْت الطاعمُ الكاسى *

وقوله:

* فدخنوا المرء وسرباله *

يروى أنه طَعنَ فارسًا منهم فأَحْدَثَ، فقال: نَظِّفُوهُ فإنى لا أَدْفِن القتيلَ منكم إلا طاهرًا، وقوله:

* والدرع لا أبغى بها نثرة *

فالنَّثْرَةُ: الدرْعُ السابغة، يقول: دِرْعى هذه تكفينى، وقوله:

* كل امرئ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ *

أى مُسْتَرْهَنٌ بأَجَلِه، وهو كقول الأَعْشَى:

كنْتَ المَقَدَّمَ غَيْرَ لابسِ جُنَّة ... بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أبطالها
وعَلِمْتَ أنّ النفسَ تَلْقَى حَتْفَها ... ما كان خالقُها الفَضيلُ قَضَى لها

وقوله:

* الرمح لا أملأ كفى به *

يُتأَوَّلُ على وجهين: أحدُهما أنّ الرمح لا يملأ كفى وحده، أنا أقاتل بالسيف وبالرُّمْحِ وبالقَوْسِ وغير ذلك، والقول الآخر أنى لا أملأ كفى به إنما أخْتَلِسُ به اختلاسًا، كما قال الشاعر:

ومدججٍ سَبَقَتْ يَدَاىَ لَهُ ... تَحْتَ الغُبارِ بطَعْنة خَلْس

وقوله:

* واللبد لا أتبع تَزْواله *

يقول: إن انْحَلَّ الحِزامُ فمال اللبد لم أَمِلْ معه، أى أنا فارس ثَبتٌ.

[الفرزدق وقد نزل به ذئب فأضافه]

وقال الفَرَزْدَقُ، ونزل به ذِئبٌ فأضافه:

وأطْلَسَ عسَّال وما كان صاحبًا رَفَعْتُ لناري مَوْهِنًا فأتانى
فَلمَّا دنا قلتُ ادْنُ دُونَكَ إننى وَإيَّاكَ فى زادى لَمُشْتَرِكَان
فَبِت أُقَسِّد الزادَ بينى وبينه على ضَوْءِ نَار مَرَّةً ودُخَانَ
وقلتُ له لما تَكَشَّرِ ضاحكا وقائمُ سَيْفى من يدى بِمكان
تَعَشَّ فَإن عاهَدتَنى لاتخونُنى نَكُنْ مثلَ مَنْ يَاذئب يَصْطَحِبَان
وأَنْتَ امرؤ ياذئبُ والغَدرُ كُنتما أُخَيين كانا أُرْضِعَا بلِبان
ولو غَيْرَنَا نَبَّهْت تلْتَمِسُ القِرى رَمَاكَ بِسَهْمٍ أو شَبَاةِ سِنَانِ

قوله: «وأطلسَ عسال»، فالأطلَسُ الأغْبَرُ. وحدثنى مسعود بن بشْرٍ قال: أنشدنى طاهر بن على الهاشِمى قال: سمعت عبدالله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة الذئب:

بَهمُ بنى مُحَارِب مُزْدارُهُ[(١)] أَطْلَسُ يخفى شَخْصَهُ غبَارُهُ

* فى شِدْقه شفرته وناره *

قوله: «يُخفى شخصَه غبارُه»، يقول: هو فى لون الغبار، فليس يتبيَّنُ فيه. وقوله: «عَسَّال»، فإنما نسبه إلى مَشْيَته، يقال: مَرَّ الذِّئبُ يَعْسِلُ، وهو مَشْىٌ خفيف كالهَرْوَلَة، قال الشاعر[(٢)] يَصِفُ رمحا:

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَعْلَبُ

وقال لبيد:

عَسَلانَ الذئبِ أَمْسَى قَارِبًا بَرَدَ اللَّيْلُ عليه فَنَسَلْ

قال أبو عبيدة: نَسَلَ فى معنى عَسَلَ، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا هُمْ منَ الأَجْدَاث إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾[(٣)]. وخَفَضَ بهذه الواو لأنها فى معنى «رُبَّ»، وإنما

---

(١) البهم: واحدتها بهمة، وهى الصغيرة من أولاد الغنم.
(٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلى، وانظر ديوان الهذليين جـ١ ص ١٩٠.
(٣) سورة الأنبياء ٩٦.

جاز أن يُخْفَضَ بهـا لوقوعها فى معنى «رب»؛ لأنهـا حرف خفض، وهى ـ أعنى الواو ـ تكون بدلا من الباء فى القَسم لأن مخرجها فى مخْرَج الباء من الشفَة، فإذا قلت: والله لأفْعَلَنَّ، فَمعناه: أُقْسِمُ بالله لأفعلنَّ، فإن حذفتها قلت: اللهَ لأفعلن، لأن الفـعل يقع على الاسم فـينصـبه، والمعـنى معنى «البـاء» كـمـا قال الله عـزَّ وجلَّ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾[1]. وَصَلَ الفعل فَعَملَ، والمعنى معنى «مِنْ» لأنها للتبعيض، فقـد صارت «الواو» تَعْملُ بلفظها عَمَلَ «الباء» وتكون فى معناها، وتعمل عمل «ربّ» لاجتماعهما فى المعنى للاشتراك فى المَخْرَج.

وقوله: «رفـعتُ لنارى»، من المقلوب، إنما أراد رَفَـعْتُ له نارى والكلام إذا لمْ يَدْخله لَبْسٌ جاز القلب للاختـصار، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[2]. والعصبةُ تَنوءُ بالمفاتيح، أى تستقل بها فى ثقَل، ومن كلام العرَب: إن فلانَة لَتنوء بها عَجيزتُها، والمعنى لَتنوءُ بعجيزتها، وأنشد أبو عبيدة الأخْطل:

أَمَّـــا كُلَيْبُ بـنِ يَرْبُوعٍ فـليس لهـــا ... عند التَّـفـاخُـرِ إيـرادٌ ولا صَـــدَرُ
مُـخـلَّفُـون ويَقْـضى الناسُ أَمْـرَهُمُ ... وَهُمْ بغَـيْب وفى عَـمْـيَاءَ ماشَعَـرُوا
مِـثْـلُ الْقَنَافـذِ هَـدَّاجُـون قـد بَلَغَتْ ... نَجْـرَانُ أَو بَـلَغتْ سَـوآتِهِـمْ هَجَــرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَّعَة.

ويروى أن يونس بن حَـبيبٍ قـال لأبى الحسن الكسـائىِّ: كيف تُنْشِـدُ بيت الفَرزدَق؟ فأنشده:

غَـــدَاةَ أَحِـلَّتْ لابن أَصْـــرَمَ طَـعْنَةٌ
حُصَيْنٍ عَبيطاتِ السَّدائفِ وَالخَمْرُ[3]

فقال الكسائى لما قال:

«غداة أحلت لابن أصرم طعنة ... حصيْن عبيطات السدائف ...»

تم الكلام. فَـحَمَلَ الخمـر على المعنى، أراد: وحَلَّتْ له الخَـمْرُ، فـقال له

(١) سورة الأعراف ١٥٥. (٢) سورة القصص ٧٦.

(٣) هو حصين بن أصـرم، من بنى ضبـة، وكان نذر ألا يأكل لحمـا ولايشرب خمـرا حتى يقـتل ابن الجون الكندى. والسدائف: جمع سديف وهو السنام، والعبيطات: الطرية.

يونس: ما أحْسَنَ ما قلتَ! ولكن الفرزدق أنْشَدَنيه على القَلْبِ، فنصب الطعنةَ ورفع العبيطاتِ والخمر على ما وصفنا من القَلْب. والذى ذهب إليه الكسائىُّ أحسن فى مَحْضِ العربية، وإن كَان إنشاد الفرزدق جيِّدًا.

وقوله: «فلما دنا قلت ادنُ دونك» أمرٌ بعد أمرٍ، وحَسُنَ ذلك لأن قوله: «أدْنُ» للتقريب، وفى قوله: «دونك»، أمرُه بالأكل؛ كما قال جَرير لعَيَّاش بن الزبرقان:

أعَيَّاشُ قد ذاق القُيونُ مَوَاسِمِى[1] وأوْقَدْتُ نارى فادْنُ دونك فاصْطَلِ

وقوله:

على ضوء نارٍ مرةً ودخانِ

يكون على وجهين: أحدهما على ضوء نار، وعلى دخان، أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خَبَتْ. وجائز أن يَعْطِفَ الدخان على النار، وإن لم يكن للدخان ضياءٌ، ولكن للاشتراك، كما قال الشاعر:

يَالَيْتَ زَوْجَكِ قد غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا ورُمْحَا

لأن معناهما الحَمْل، وكما قال:

شَرَّابُ ألبَانٍ وتَمرٍ وأَقِط

فأدْخَلَ التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحُلوقِ وهذه الآية تُحْمَل على هذا: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ﴾[2].

والشُّوَاظُ: اللهَبُ لا دخان له، والنُّحَاس: الدخان. وهو معطوف على النار، وهى مخفوضة بالشواظ لما ذَكَرْتُ لك، قال النابغةُ الجَعْدىُّ:

تُضِىءُ كَمِثْلِ سِرَاجِ الذُّبا لِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيه نُحاسَا

وقوله:

* نكُن مثل مَنْ يادئب يصطحبان[3]*

(١) زيادات ر: «جمع ميسم، وهو حديدة يصنع بها البيطار». (٢) سورة الرحمن ٣٥.

(٣) زيادات ر: «من يجوز أن تكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان، وأن تكون بمعنى الذى، ويصطحبان: صلته».

فـ«من» تقع للواحد والاثنين والجـميع والمؤنث على لفظ واحد، فـإن شئت حَمَلتَ خبـرها على لفظها فقلتَ: مَنْ فى الدار يُحِبُّكَ، عَنَيْتَ جَمـيعًا أو اثنين أو واحدا أو مـؤنثًا. وإن شئت حَـمَلْتَهَ على المعنى فـقلتَ: يُحِبَّـانكَ، وتَحِبُّكَ ـ إذا عَنَيْتَ امـرأة ـ ويَحِبُّـونَكَ ـ إذا عنيت جـميـعـا ـ كل ذلك جائز جـيد، قـال الله عزوجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ به وَمِـنْهُم مَنْ لاَ يُؤْمِنُ به﴾[1]. ﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى ولا تَفْـتِنِّى﴾[2]. وقَــال ـ فَـحَـمَلَ على المَعني: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُون إِلَيكَ﴾[3]. وقَرأَ أبو عمرو: ﴿وَمَنَ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لله وَرَسُولِه وتَعْـمَلْ صَالِحًـا﴾[4]، فَحَمَلَ الأول على اللفظ والثانى على المعنَى. وفى القرآن: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّه﴾.

فهذا كله على اللفظ، ثم قال: ﴿وَلاَ خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على المعنى.

وقوله: «أو شباة سنان» فالشَّبا والشباةُ واحد وهو الحد.

[فى وصف الجود والحث على المبادرة به]

ومما يُسْتَحْسَنُ فى وصف الجود والحَثَّ على المبـادرة به، وتعريف حد العاقبة فيه، قولُ النَّمرِ بن تَوْلَبٍ العُكْلىِّ، أحد بنى عُكْلٍ بن عبد مَنَاةَ بن أُدِّ بن طابِخَةَ بن إلْيَاس[5] بن مُضَرَ:

أَعَـاذِل إن يُصْبِحْ صَـدَاىَ بقَـفْـرَةَ ... بَعِـيـدًا نَآنى صَـاحِـبى وقَـريبى
تَرَىْ أنَّ مـا أَبْقَـيْتُ لـم أَكُ رَبَّهُ ... وأنَّ الذى أنْفَـقْـتُ كَـانَ نَصِيـبى
وذى إبلٍ يَسْـعَى ويحْـسَبُـهـا له ... أخى نَصَبٍ فى رَعْـيِـهـا ودُءوبِ
غَـدَتْ وغَـدَا رَبٌّ سِـوَاه يَقُـودُها ... وبُدِّلَ أحـجـاراً وَجَـالَ قَلِـيبِ

(1) سورة يونس ٤٠.
(2) سورة التوبة ٤٩.
(3) سورة يونس ٤٢.
(4) سورة الأحزاب ٣١.
(5) زيادات ر. «قال ابن السراج: من رواه إلياس فقد أخطأ، إنما هو ابن اليأس بوصل الألف وكسر السين، والألف واللام للتعريف، والاسم «يأس» مشتق من يئست

قوله: «إن يصبح صداى بقفرة» فالصَّدَى على ستة أوجه: أحدها ما ذكرنا، وهو ما يبقى من الميت فى قبره، والصَّدى: الذَّكَرُ من البُوم، قال ابن مُفرِّغ[1]:

شَرَيْتُ بُرداً ليتني من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامه[2]
هتافة تدعو صدى بين المُشقَّرِ واليمامه

ويقال: فلان هامةُ اليومِ أو غَد، أى يموت فى يومه أو فى غده. ويقال ذلك للشيخ إذا أَسَنَّ، والمريضِ إذا طالت عِلَّتُهُ، والمُحتَقر[3] لمدة الآجال. وفى الحديث أن حِسْلاً[4] - أبا حُذَيْفَة بن حِسْلِ بن اليمان - قال لشيخ آخر تَخَلَّفَ معه فى غزوة أُحُد: انْهَضْ بنا نَنْصُرْ رسول الله ﷺ، فإنما نحن هامةُ اليوم أو غَدٍ - وكانا قد أسنَّا. والصَّدَى: حشوة الرأس. يقال لذلك: الهامة، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قُتل فلم يُدْرَكْ به الثَّأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبُومة وهى الهامةُ - والذكر: الصَّدَى - فيصيح على قبره: اسقونى اسقونى! فإن قُتِلَ قاتلُه كفَّ ذلك الطائر. قال ذو الإصبَع[5] العَدْوانىُّ أَحَدُ بنى عَدْوان بن عمرو بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَر:

يا عَمْرُو إلاَّ تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصَتِى أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُول الهامَةُ اسْقُونى

والصَّدَى: ما يَرْجِعُ عليك من الصوت إذا كنت بمُتَّسَعٍ من الأرضِ، أو بقُرْبِ جبل، كما قال:

إنى على كُلِّ إيسارِى ومَعْسَرَتى أَدْعو حُنَيفًا كما تُدْعى ابنة الجَبَلِ

يعنى الصَّدَى، وتأويله أنه يجيبنى فى سرعة إجابة الصَّدَى. وقال آخر:

كأنِّى إذْ دَعَوْتُ بنى سُلَيْمٍ دَعَوْتُ بدعْوَتى لَهُمُ الجبالا

---

(1) زيادات ر. «اسمه ربيعة، وسمى مفرغا لأنه شرب سقاءين ففرغهما».

(2) شريت هنا: بعت

(3) زيادات ر: رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع «المحتقر» يرفعه بالابتداء ويضمر الخبر، فيكون التقدير: «المحتقر لمدة الآجال، يقال ذلك له، ورواية ابن سراج بالخفض على العطف».

(4) زيادات ر: «حسل أبو حذيفة، هو حسل بن جابر، وهو اليمان، والشيخ الذى تخلف معه ثابت بن وقش الأنصارى»

(5) زيادات ر: «هو حرثان من محرث، سمى بذى الإصبع؛ لأنه كان له إصبع زائدة، وقيل: لأن حية عضته فى إصبعه».

والصَدأُ، مهموز: صَدَأ الحديد وما أشبهه، قال النابغة الذُّبيانى:

سَــهِكينَ من صــدإِ الحــديد كَــأَنَّهُمْ   تَحْــتَ السَّنَــوَّرِ جِنَّةُ البَــقَّــــار[1]

وقال الأعشى:

فَــأَمــــا إذَا ركــبــوا فـــالــوُجــو   هُ فى الرَّوْعِ مِن صَــدإِ الْبَـيْض حُمُ[2]

والصَّدَى: مـصدَر الصدى، وهو العطشــان، يقال: صَدِىَ يَصْـدَى صَدًى، وهو صَدٍ، قال طَرَفة:

ستَعْلَم إنْ متْنَا صَدًى أيُّنَا الصَّدِى[3]

وقال القُطامىّ:

فَــهُنَّ يَنْبِــذنَ مـن قـــولٍ يُصِــبْنَ به   مَــوَاقِعَ المــاءِ من ذى الغُلَّــةِ الصــادى

تأويل قوله: «أنآنـى» يكون على ضربين، يكون أَبْعَـدَنى، وأحسنُ [من][4] ذلك أن يقول: «أنـآنى». وقد رُوِيَتْ هذه اللغـة الأخرى، وليست بالحَسَنَة، وإنما جاءت فى حـروف: يقال: غاضَ الماءُ وغـضْتُه، ونَزَحَت البـئرُ ونزَحْتُـها، وهَبَطَ الشيءُ وهَبَطْتُه، وبنوتميم يقولون: أَهبَطْتُهُ، وأَحْـرُفٌ سوى هذه يسيرة. والوجه فى «فَعلَ أَفْعَلْتُه»، نحو دَخَلَ وأَدْخَلْتُـهُ، ومات وأماتَهُ الله، فهذا الباب المُطَّرِدُ. ويكون «نآنى» فى موضع «نـأى عنى» كما قـال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا كَـالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[5]، أى كالوا لهم أو وزنوا لهم.

وقوله: «ودءوب»، يـقول: وإلْحَاح عليـه، تقول: دَأَبْتُ على الـشئ، قال الشاعر[6]:

دَأَبْتُ إلى أنْ يَـنبت الظِّـلُّ بَعْــدَمَــــا   تَقَــاصَـرَ حـتى كــاَدَ فى الآل يَمـصَحُ

وقوله جل ثناؤه: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾[7] يقول: كعادتهم وَسنتِهِمْ، ومثله الدِّينُ والدَّيْدَنُ، وقد مرّ هذا.

---

(١) سهكين، من السهك، وهو ريح صدإ الحديد. والسنور هنا: الدروع، وجنة البقار: موضع رمل عالج.

(٢) حم: جمع أحم، وهو الأسود من كل شيء.

(٣) زيادات ر: «ويروى: «صدى أينا» بخفض «أينا» على الإضافـة: فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء، والصدى: الخبر».

(٤) تكملة من س.

(٥) سورة المطففين ٣.

(٦) زيادات ر: «هو الراعى».

(٧) سورة آل عمران ١١.

وقوله:

وَبُدِّلَ أحجارا وجالَ قليبِ

فالجال الناحية، يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك: جالٌ وجُولٌ، وقال مُهَلْهِلٌ:

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أشطانُ بِئرٍ بَعيدٍ بَيْنُ جالَيْهَا جَرُورِ[1]

ويقال: رجل ليس له جُولٌ، أى ليس له عقل، وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائىّ:

أَماوِىَّ إنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ من الأرضِ، لا ماءٌ لَدَىَّ ولا خَمْرُ
تَرَىْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبَّهُ وأَنَّ يَدِى مِمَّا بَخِلْتُ به صِفْرُ

[الحارث بن حلزة اليشكرى فى الجود]

وقال الحارث بن حِلزة اليَشْكُرِىُّ فى هذا المعنى:

قُلْتُ لِعَمْرٍو حين أَرْسَلْتُهُ وَقَدْ حَبَا من دُونِنا عَالِجُ
لاتَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِها إنكَ لاَ تَدْرِى مَنِ النَّاتِجُ
وَاصْبُبْ لأضْيَافِكَ أَلْبَانَهَا فَإِنَّ شَرَّ اللبن الوالِجُ

قوله:

لا تكسع الشَّول بأغبارها

فإن العرب كانت تَنْضحُ على ضُروعها الماء البارد ليكون أَسْمَنَ لأولادها التى فى بطونها. والغُبر: بقية اللبن فى الضَّرْعِ، فيقول: لا تُبْق ذلك اللبن لِسِمَنِ الأولاد، فإنك لا تدرى من يَنْتجُها، فلعلك تموت، فتكونُ للوارث أو يُغارُ عليها.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول بن آدم مالى مالى، ومالكَ من مالِكَ إلا ما أكلت فَأَفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو أعطيتَ فَأَمْضَيْتَ».

(١) الأشطان: جمع شطن، وهو الحبل الشديد الفتل. وجرور: نعت للبئر: وهى التى يدق عمقها حتى يجر دلوها على شفيرها.

ويروى عن بعضهم أنه قال: إنى أُحِبُّ البقـاء، وكالبقاء عندى حُسْنُ الثناء.

وأنشد أبو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحظ:

فــإذَا بَلَغْـتم أَرْضَكُمْ فَـتَـحَـدَّثوا ومن الحـديث مَـتـالفٌ وخُـلودٌ

وأنشد:

فــأثـنُوا عـلينـا لا أبا لأبـيكُـمُ بأفـعـالـنا، إنَّ الثناء هُوَ الخُـلْدُ

وقال معـاوية لابن الأشْعَث بن قَيْس: مـا كَان جَدُّكَ قَيْسُ بن مَـعدى كَرِبَ أَعْطَى الأعْشَى؟ فـقال: أعطاه مـالاً، وظَهْرًا، ورَقِيـقًا، وأشيـاء أُنْسِيـتُهَا، فـقال معاوية: لكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنْسَى!

وقـال عمـر بن الخَطَّاب رضـى الله عنه لابنة هَرِمِ بن سِنان المُرِّىِّ: مـاوَهَبَ أبوك لزُهَيْر؟ فقالت: أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر. فقـال عمر: لَكن ما أعطاكموه لا يُفْنِيه الدَّهْرُ.

وقـال المفـسـرون فى قـول الله عـزَّ وجل عن إبراهـيم صلوات الله عليـه: ﴿واجْـعَل لى لسَـان صـدْق فى الآخـرين﴾(١) أى ثَنَاءً حـسنـا، وفى قـوله تعالى: ﴿وتَركْنَا عَلَيْـه فى الآخَـرين سَـلامٌ على إبْرَاهيم﴾(٢) أى يقـال له هذا فى الآخرين، والعـرب تَخْذفُ هذَا الفعلِ من «قـال» «ويقول» استـغناءَ عنه، قال الله عزَّوجلَّ: ﴿فَأَمَّا الَّذينَ اسْوَدَّت وُجُوهُهُمْ أَكَفَرتُمْ بَعْدَ إيمَانكُمْ﴾(٣)، أى فقال لهم. ومثله: ﴿والَّذينَ اتَّخذُوا منْ دُونه أَوْلِيَاءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلا ليُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾(٤) أى يقولون، وكذلك: ﴿والمَلاَئكَةُ يَدْخلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كلِّ باب سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾(٥).

---

(١) سورة الشعراء ٨٤. (٢) سورة الصافات ١٠٨، ١٠٩. (٣) سورة آل عمران ١٠٦

(٤) سورة الزمر ٣. (٥) سورة الرعد ٢٣، ٢٤.

(٥) زيادات ربعد ذلك ما يأتى: «حدثـنا يموت بن المزرع البصرى قال: حدثنا رفيع بن سلمـة المنبز بدماذ قال: حدثنا أبو عيـادة قال: قال الحجاج يوما لعـمائر العرب وهم فى مجلسه: مـا أحسب هذا المزونى بناصحنا فى حربنا - يعنى المهلب - والرأى مشترك، فقالوا: الرأى للأمير- أصلحه الله - أن يكتب إلى ابن الفجاءة : بإطعامه بعض الأرضين، فإذا هو نخع بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحـيلة فيه، فقال: وفقكم الله، وكتب إلى ابن الفجاءة، وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى . نسخة الكتاب.

«بسم الله الرحمن الرحيم: من الحجاج بن يوسف إلى قطرى بن الفجاءة، سلام عليك، الموحد الله، والمصلى عليه محمد عليـه السلام. أما بعد، فإنك كنت أعرابيا بدويا تستطعم الكـسرة، وتحف إلى التمرة، ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق، وأعـرضت عن كتاب الله، ومرقت من سنة رسول الله ﷺ، فـارجع عما =

. . . .

= أنت عليه بما زين لك، وادعونى فقد آن لك».

فلما أوصل الغضبان الكتاب إلى قطرى قال. يا غلام، ازبر هذه الصحيفة، فتلا عليه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء، فقال: يا غضبان ألفيتنى محزونا، وأنشأ يقول:

فيا كبدا من غير جوع ولا ظمأ ... ويا كبدا من وجد أم حكيم
فلو شهدتنى يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى فى الحرب غير لئيم
غداة طفت علماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول حدها ... وآب عميد الأزد غير ذميم

ـ يعنى المهلب، وأم حكيم هذه: امرأة من الخوارج قتلت بين يديه، ثم قال: يا غلام، اكتب، «بسم الله الرحمن الرحيم» من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف. سلام على من اتبع الهدى. ذكرت فى كتابك أنى كنت يدويا أستطعم الكسرة، وأبدر إلى النمرة، وبالله لقد قلت زورا، بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه؛ إذ أنت سايح فى الصلالة غرق فى غمرات الكفر، ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من حزبك من نال الشيع، واتكأ فاندع! أما والله لئن أبرر الله صفحتك، وأظهر لى صلعتك، لتنكرن شيعك، ولتعلمن أن مفارعة الأبطال، ليس كنسطير الأمثال».

بابـ

[من خطبة لعلى بن أبى طالبـ]

قال أبو العباس: قال عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى خُطْبة له: أيها الناس، اتقوا الله الذى إن قلتم سَمِعَ، وإن أضمرتم عَلِم. وبادِرُوا الموت الذى إنْ هَرَبْتُمْ منه أدرككم، وإن أقمتم أخَذَكم.

[خطبة الحجاج حين قدم أميرا على العراق]

قال: وحدثنى التَّوَّزى فى إسناد ذكره آخرهُ عبدُالملك بن عُمَيْر الليثىُّ، قال: بينما نحن فى المسجد الجامِع بالكوفة، وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسَنَة، يَخْرُجُ الرجلُ منهم فى العشرة والعشرين مِنْ مَوَاليه، إذْ أتى آت فقال: هذا الحجاج قَدِمَ أميرًا على العراق. فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمًّا بعمامة غَطَّى بها أكثر وجهه، مُتَقَلِّدًا سيفا، مُتَنَكِّبا قوسًا، يَؤُمُّ المِنْبَر، فقام الناس نحوه، حتى صَعَدَ المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قَبَّحَ الله بنى أُمَيَّةَ حيث تَسْتَعْمِلُ مثل هذا على العراق! حتى قال عُمَيْرُ بن ضابئ البُرْجُمى: ألا أَحْصِبُهُ لكم؟ فقالوا: أَمْهِلْ حتى نَنْظُرَ، فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ اللِّثَامَ عن فِيه ونَهض وقال[1]:

أنـا ابْنُ جَـلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنايا   متى أَضَعِ العِمامَةَ تَعْرِفُونى

ثم قال: ياأهلَ الكوفة، إنى لأرَى رءُوسا قد أَيْنَعَتْ وحان قِطَافُها، وإنِّى لَصَاحِبُهَا، وكأنى أنظر إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى، ثم قال[2]:

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَمْ   قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ
ليس براعى إبلٍ ولاَ غَنَمْ   ولاَ بِجَزَّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

ثم قال:

قد لَفَّها اللَّيلُ بِعَصْلَبِىٍّ   أَرْوَعَ خَرَّاجٍ من الدَّوِّىِّ
مُهَاجِرٍ ليس بأَعْرَابِىِّ

وقال:

قد شَمَّرَت عن ساقها فَشُدُّوا   وجَدَّت الحربُ بكم فَجِدُّوا

---

(١) زيادات ر: «هو لسحيم بن وثيل الرياشى».   (٢) زيادات ر: «الشعر لرويشد بن رميض العنبرى».

وَالْقَــوْسُ فــيــهــا وَتَرٌ عُــرُدُّ ... مِــثْلُ ذِراعِ البَكْرِ أو أشَــدُّ

* لا بُدَّ مما ليس منه بُدُّ *

إنى والله يا أهل العراق ما يُقَعْقَعُ لى بالشّنان، وَلاَ يُغْمَزُ جانبى كتَغْماز التِّين. ولقد فُررْت عن ذكاء، وَفُتِّشتُ عن تَجْربة، وإن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - نَثَرَ كنَانَتَهُ بين يديه، فَعَجَمَ عيدانها، فوجدنى أمَرَّهَا عُودًا. وأصلبَها مَكْسرًا، فرماكم بى. لأنكم طالما أوْضَعْتُم فى الفتنة، واضطجعتم فى مَرَاقد الضلال. والله لأحْزِمَنَّكُم حزمَ السَّلَمة، ولأضربنكم ضرب غَرَائب الإبل، فإنكم لَكَأَهْلِ قرية كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رَغَدًا من كل مكان، فكَفَرت بأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لبَاس الجوع والخوف بما كانوا يَصْنَعونَ. وإنى والله ما أقول إلاَّ وَفَّيتُ، ولا أهُمُّ إلا أمْضَيْتُ، ولا أَخْلُقُ إلا فَرَيْتُ، وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطائكم أَعْطياتكم، وأن أُوَجِّهكمُ لمحاربة عدوكم مع المُهلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ. وإنى أُقْسم بالله لا أَجِدُ رجلاً تَخلَّفَ بعد أخذ عَطائِه بثلاثة أيامٍ إلا ضربتُ عُنُقَهُ! ياغلام اقْرَأْ عليهم كتابَ أمير المؤمنين. فقرأ:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من عبدالله عبدالملك أمير المؤمنين إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين. سلامٌ عليكم». فلم يَقُل أحد منهم شيئًا، فقال الحجاج: اكففْ ياغلامُ، ثم أَقْبَلَ على الناس، فقال: أَسَلَّمَ عليكم أمير المؤمنين، فلم تَرُدُّوا عليه شيئًا! هذا أَدَبُ ابن نِهْيَةَ! أمَا وَالله لأُوَدِّبَنَّكم غير هذا الأدب أو لتَسْتَقيمُنَّ. اقْرَأ ياغلامُ كتاب أمير المؤمنين، فلما بلغ إلى قوله: «سلامٌ عليكم» لَمْ يَبْقَ فى المسجد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام(1).

ثم نَزَلَ، فَوَضَعَ للناس أَعْطِياتهم، فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يُرْعَشُ كِبرًا، فقال: أيها الأمير، إنى من الضَّعْف على ما ترى، ولى ابنٌ هو أَقْوَى على الأسْفار منى فَتَقَبلْهُ بَدَلاً منى. فقال الحجاج: نَفْعَلُ أيها الشيخ، فلما وَلَّى قال له قائل(2): أتَدْرِى مَنْ هذا أيها الأمير؟ قال: لا، قال: هذا عُمَيْرُ بن ضابِىءٍ البُرْجُمِىُّ الذى يقول أبوه:

هَمَمْتُ وَلَم أَفْعَلْ وَكِدْتُ وليتَنى ... تَرَكتُ على عثمان تَبْكِى حَلائِلُهْ

---

(1) زيادات ر: «زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج».

(2) قال المرصفى: «هو عنبسة بن سعيد بن العاصى الأموى».

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فَوَطِىءَ بطنَهُ، فكسر ضِلْعَيْنَ من أَضلاَعه، فقال: رُدُّوهُ! فلما رُدَّ، قال له الحجاج: أيها الشيخ؛ هلا بَعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمانَ بَدَلاً يوم الدار! إن فى قتلك أيها الشيخ لصلاحًا للمسلمين: ياحَرَسِيُّ، اضربَنْ عنقه. فجعل الرجل يَضيقُ عليه أمره فيرتحل، ويأمر وليّه أن يَلْحَقَه بزاده، ففى ذلك يقول عبدالله بن الزبير الأَسَدِىُّ[1]:

تَجَهَّزْ فَإمَّا أن تَزُورَ ابن ضابىء ... عُمَيْراً وإمَّا أَنْ تَزُورَ المُهَلَّبا
هما خُطَّتا خَسْف نَجَاؤُكَ منهما ... رُكوبكَ حَوْلِيًّا من الثَلْجِ أَشْهَبا[2]
فَأَضْحَى ولو كانَتْ خُراسان دُونَه[3] ... رآها مكانَ السُّوقِ أو هِىَ أَقْرَبَا

قوله: «أنا ابن جلا»، إنما يريد المُنْكَشِفَ الأَمْر، ولم يصرف «جلا» لأنه أراد الفعل فحكى، والفعل إذا كان فاعله مُضمَرًا أو مُظهَرًا لم يكن إلا حكاية، كقولك: تَأَبَّط شراً، وكما قال الشاعر:

كَذَبْتُمْ وبَيتِ الله لاَ تَأْخُذونَهَا ... بَنِى شاب قَرْناها تَصُرُّ وتَحْلُبُ

وتقول: قرأت: ﴿اقتَرَبَت السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ﴾[4] لأنك حَكَيْتَ، وكذلك الابتداءُ والخبر، تقول: قرأت: ﴿الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمين﴾.

وقال الشاعر:

وَاللهِ مَا زَيْدٌ بنامَ صاحِبُهْ[5]

وقوله:

أَنَا ابْنُ جَلا وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا

لسُحَيْم بن وثيلٍ الرِّياحِىّ، وإنما قاله الحجاج متمثلا.

وقوله: «وطلاعُ الثَّنايا» الثنايا: جمع ثَنِيّة، والثَّنيةُ: الطريق فى الجبل.

---

(١) زيادات ر: «الأسدى أسد خزيمة، وليس من أسد قريش».
(٢) حوليا: يريد مهرا أتى عليه حول من الثلج أشهبا: يريد أن لونه أشد شبهة من الثلج.
(٣) زيادات ر: «دونه عائدة على المهلب. وأقرب: ظرف، وقيل مفعول ثان».
(٤) سورة القمر ١.
(٥) بقيته كما فى زيادات ر

* ولا مخالط الليان جانبه*

والطريقُ فى الرمل قال له: الخَلُّ، وإنما أراد به أنه جَلْدٌ يَطْلُعُ الثَّنايا فى ارتفاعها وصُعوبتها، كما قال دُرَيْد بن الصِّمَّة يعنى أخاه عبدالله:

كَمِيشُ الإزارِ خارِجٌ نِصفُ ساقِهِ   بَعِيدٌ من السَّوْءاتِ طَلاعُ أَنْجُدِ

والنَّجْدُ: ما ارتفع من الأرض، وقد مَضى تفسير هذا.

وقوله: «إنى لأرى رءوسا قد أينعت»، يريد أَدْرَكَتْ، يقال: أَيْنَعت الثمرةُ إيناعًا وَيَنَعتْ يَنَعا ويُنْعًا، وَيُقرأُ: ﴿انْظَرُوا إلى ثمره إذا أَثْمرَ وَيَنْعِهِ﴾(١) و﴿ويُنْعِهِ﴾، كلاهما جائز.

قال أبو عبيدة: هذا الشعر يُخْتَلَفُ فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحْوصِ وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. [قال أبو الحسن: الصحيح أنه ليزيد يصف جارية] وهو:

ولَهَا بالماطِرِينَ(٢) إذا   أَكَلَ النَّمْلُ الذى جَمَعَا
خُرْفَةٌ حتى إذا رَبَعَتْ   سَكَنَتْ من جِلَّقٍ بِيَعَا(٣)
فى قِبابٍ حول دَسْكَرةٍ   حَوْلَهَا الزيتونُ قد يَنَعا

* * *

[قال أبو الحسن: أول هذه الأبيات:

طال هذا الهمُّ فاكْتَنَعا   وأَمَرَّ النومُ فامْتَنَعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس، ويروى «بالماطرونِ».

* * *

قال أبو العباس: وقوله:

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَم

يعنى فرسًا أو ناقة، والشعر للحُطَم القَيْسىِّ.

وقوله:

قد لَفَّهَا الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ

(١) سورة الأنعام ٩٩.
(٢) الماطرون موضع قرب دمشق. ورواه أبو العباس معربا، ورواية ياقوت «دولها بالماطر»
(٣) الخرفة: مايجتبنى من الفاكهة. وربعات: دخلت فى الربيع، وجلق: من قرى دمشق

فهو الذى لا يُبْقِى من السير شيئًا، ويقال: رجل حُطَمٌ للذى يأتى على الزاد لشدة أكله، ويقال للنار التى لا تُبْقِى: حُطَمَةٌ.

وقوله: «على ظهر وَضَمْ»، فالوَضَمُ: كل ما قُطِعَ عليه اللحم. قال الشاعر[1]:

وفتيان صدق حسان الوُجو ه لاَ يَجِدُونَ لِشىء أَلَمْ
مِنَ ال المُغَيرِة لاَ يَشْهدو نَ عِنْدَ المجَازرِ لَحْمَ الوَضَمْ

وقوله:

قد لفَّهَا الليلُ بِعَصْلَبِىٍّ

أى شديد. وأَرْوَعَ، أى ذَكِىّ.

وقوله: «خَرَّاجٍ من الدَّوِّىٍّ»، يقول: خَرَّاج من كل غَمَّاءَ شديدة[2]:

ويقال للصحراء دَوِّيَّةٌ، وهى التى لا تكاد تنْقَضى، وهى منسوبة إلى الدَّوِّ، والدَّوُّ: صَحْراء مَلْسَاء لاَ عَلَمَ بها ولا أَمارة، قال الحُطَيْئَةُ[3]:

وأنى اهْتَدَتْ وَالدَّوُّ بينى وبينها وماخلْتُ سارى اللّيل بالدَّوِّ يَهْتَدِى

والداوية: المتسعة التى تَسْمَعُ لها دَوِيًّا بالليل، وإنما ذلك الدَّوِىُّ من أخْفَاق الإبل تَنْفَسِحُ أصواتها فيها. وتقول جَهَلَةُ الأَعْرَاب: إن ذلك عَزِيفُ الجن.

وقوله:

والقوسُ فيها وتر عُرُدُّ

فهو شديد ويقال عُرُنْد فى هذا المعنى.

وقوله: «إنى والله مَا يُقَعْقَعُ لى بالشِّنان»، واحدها شَنّ، وهو الجلدُ اليابس، فإذا قُعْقِعَ به نَفَرَتِ الإبل منه، فَضَرَبَ ذلك مَثَلاً لنفسه، وقال النابغة الذبْيَانى:

كأنك من جِمَال بنى أُقَيش[4] يُقَعْقَعُ بين رجليه بشَن

وقوله: «ولقد فُرِرْتُ عن ذَكَاء»، يعنى تمام السن. والذَّكاءُ على ضربين:

---

(١) زيادات ر: «هو عمر بن أبى ربيعة».
(٢) زيادات ر: «غما، مقصور، رواية عاصم».
(٣) زيادات ر: «يصف خيالها وأنت على معنى المرأة».
(٤) زيادات ر: «أقيش. من عكل».

أحدهما تمام السنِّ، والآخر الحِدَّةُ حِدّةُ القَلْب، فمما جاء فى تمام السن قول قَيْسِ ابن زُهَيْرٍ: جَرْى المذكَّياتِ غِلابٌ»[١]، وقال زُهَيْر:

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهَدا عليه تَمامُ السِنِّ منه وَالذَكاءُ

وقوله: «فَعَجَمَ عيدانها»، يقول: مَضغَها لينظر أَيُّها أَصْلب، يقال: عَجْمتُ العود؛ إذا مضغته، وكذلك فى كل شىء قال النابِغة:

فَظَلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا فى حالِكِ اللون صَدْقٍ غير ذى أَوَدِ

والمصدر العَجْمُ، يقال عَجَمْتُهُ عَجْمًا: ويقال لنَوَى كلِّ شىء: عَجَمٌ، مفتوح، ومن أسكن فقد أخطأ، كما قال الأعْشَى:

وَجُذْعَانُهَا كَلَقِيْطِ العَجَمْ[٢]

وقوله: «طالما أوضعتم فى الفتنة»، الإيضاعُ: ضَرْبٌ من السَّيْرِ. وقوله:

فأضْحَى ولو كانتْ خراسانُ دونه

يعنى دون السفر رآها مَكان السُّوقِ للخوف والطاعة.

[خبر ضابىء البرجمى مع عثمان]

وكان من قصة عمير بن ضَابِىء أن أباه ضابئ بن الحارِثِ البُرْجُمِىَّ وَجَبَ عليه حبسٌ عند عثمان ـ رحمه الله ـ وأَدَبٌ، وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه إياه، ثم طلبوه منه ـ وكان فَحاشًا ـ فرمى أُمَّهُمْ به، فقال فى بعض كلامه:

وأُمَّكُمُ لاتتْرُكُوها وكَلْبَكم فإن عُقُوقَ الوالداتِ كَبيرُ

فاضْطَغَنَ على عثمانَ ما فَعَلَ به فلما دُعِىَ به لِيُؤَدَّبَ شَدَّ سِكِّينًا فى ساقه ليقتل بها عثمان، فُعِثرَ عليه، فأَحْسَنَ أَدَبَهُ، ففى ذلك يقول:

---

(١) زيادات ر: «ويروى: غلاء».

(٢) شدره كما فى زيادات ر:

* غزاتك بالخيل أرض العدو*

وقـائلة إنْ مَـاتَ فى السـجْنِ ضـابىءٌ　　لَنـعم الـفَــتى نَـخْلُو بـه ونْواصـلهْ
وقــائـلة لاَيَبْــعَــدَنْ ذلك الفَــتَى　　وَلاَ تَبْــعَـدَنْ أخــلاقــه وَشَـمــائلُه
وقــائـلةً لايُبْــعِــدِ اللهُ ضــابئًــا　　إذ الكَبْشُ لم يوجــد لــه مَنْ يُنَـازِلُه
وقــائلة لايُبْــعِــدَ اللهُ ضــابئًــا　　إذا الخَصْمُ لـم يوجـد له مَنْ يُـقَـاولُهُ
فــلا تُتْــبِـعنى إنْ هَلكْتُ مــلامــةً　　فلَيـس بعــارٍ قــتْلُ مَنْ لا أقــاتله
هَمَـمْتَ ولم أفـعَـلْ، وكِـدْتُ وليتنى　　تَرَكْتُ على عُـثـمـان تَبْكـى حَـلاَئله
ومــا الفَـتكُ مـا آمَرْت فـيـه ولا الذى　　تُخَـبِّــرُ مَنْ لاَ قَـيْتَ أنـك فـاعله

[حديث أبى شجرة السلمى مع عمر بن الخطاب]

قال أبو العباس: وشبيه بقوله ما حُدثنا به عن أبى شَجَرَة السّلَمىِّ - وكان من فُتَّاك العرب[1] - فأتى عُمَرَ بن الخَطَّاب - رحمه الله - يَستحمله[2]، فقال له عمر: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شـجرة السلمى، فقال له عمر: أى عـدى نفسه، ألست القائل حيث ارتددت:

وروَّيت رُمْـحى مـن كَـتـيبـة خـالد　　وَإنِّى لأرْجُــو بعــدها أن أُعَـمَّــرا[3]
وعـارَضْـتُـهَـا شَـهْبـاء تَخْطُـرُ بالقَناَ　　تَرَى الْبـيْضَ فى حافـاتهـا والسَّنَوَّرا[4]

ثم انحنى عليه عمر بالدِّرَّة، فسَعَى إلى ناقته فَـحَل عِقاليها وأقبلها حَرَّةَ بنى سُلَيْم بأحثِّ السير هربا من الدِّرَّة، وهو يقول:

قــد ضَنَّ عنـهــا أبو حَـفْصٍ بنـائله　　وكلُّ مُــخْـتَـبِط يومًــا له ورَقُ
مــازال يَضْـرِبُنى حــتى خـذيتُ له　　وحال مِنْ دون بـعضِ الرَّغْبة الـشَّفَقُ[5]

---

(١) زيادات ر: «أبو شجرة هو عمرو بن عبدالعزى، وأمه الخنساء. وقال الطبرى: اسمه سليم بن عبدالعزى»
(٢) يستحمله: يسأله أن يحمله على ركوبه.
(٣) زيادات وبروى. «أن أعمرا، بكسر الميم، ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر».
(٤) شهباء: من الشهبة: وهو بياض فى خلاله سواد. وتخطر، من الخطران؛ وهو الاهتزاز .
(٥) الشفق: من الإشفاق، وهو الخوف.

ثم التَفَتُّ إليها وَهْيَ حانيةٌ　　مِثْلَ الرتاج إذا ما لَزَّهُ الغلق[1]
أقبلتُها الخَلَّ من شَوْرانَ مجتهدًا　　إنى لأزرى عليها وهى تَنْطَلِق[2]

ويروى أنه كان يرمى المُسلمين يوم الرِّدَّةِ فلا يُغْنِى شيئًا، فجعل يقول:

ها إنَّ رَمْيِى عَنْهُمُ لَمَعْبُولْ　　فلا صَرِيحَ اليومَ إلا المَصْقُول

وقوله:

وكل مختبط يوما له ورق

أصل هذا فى الشجرة أن يختبطها الراعى، وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها، فضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله، وقال زهير:

ولَيْسَ مانعَ ذى قُربَى وذى نَسَبٍ　　يَوْمًا ولا مُعْدمٍ من خابطٍ وَرَقَا[3]

وقوله: «حتى خَذيتُ له»، يقول: خَضَعْتُ له، وأكثر ماتَسْتَعْمِلُ العامةُ هذه اللفظة بالزيادة، تقول: استخذَيْتُ له. وزعم الأصْمَعِىّ أنه شَكَّ فيها، وأنه أحَبَّ أن يَسْتَثْبِتَ: أهِيَ مهموزةٌ أم غير مهموزة؟ قال: فقلتُ لأعرابىٍّ: أتقول: اسْتخْذَيْتُ[4] أم اسْتَخذأْتُ؟ قال: لا أقولهما، قلتُ: ولِمَ؟ فقال: لأن العرب لا تَسْتَخْذى. وهذا غير مهموز[5]. واشتقاقه من قولهم: أُذْنٌ خذواء وَيَنَمة خَذْواءُ، أى مُسْتَرْخية.

* * *

[قال أبو الحسن: اليَنَمة: نبت مسترخ على وجهه الأرض تأكله الإبل فتَكْثُرَ عنه ألبانها].

* * *

(١) حانية: لاوية عنقها. والغلق اسم لما يغلق به، والرتاج: الباب الكبير واللزة الشد والإلصاق.
(٢) الخل: الطريق النافذ بين الرمال. وشوران: جبل مرتفع قرب المدينة.
(٣) زيادات ر: «قوله: ولا بعدم بالخفض؛ عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده:
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة　　ولاناعب إلا ببين غرابها
على توهم الباء فى «مصلحين» و«من» فى «خابط» زائدة.
(٤) استخذى: خضع.
(٥) هنا آخر الخرم الموجود فى نسخة الأصل.

قال الأصمعي: وقلت لأعرابيٍّ: أتَهْمِزُ الفَأرَةَ! قالَ: تهمزُها الهِرَّةُ.

وقوله: «إني لأزْرِي عليـها»، يقول: أستـحثُّها، يقال: زَرَى عـليه: أي عاب عليه، وأزْرى به أي قَصَّرَ به، فيقول: إنها لمجتَهدة، وإني لأزْرِي عليها، أي أعيب عليها لطلَبي النَّجَاءَ والسرعة، وقال الأخْطَلُ:

فظَلَّ يُـفَـدِّيهـا وظَلَّتْ كـأنـهـا عُـقـابٌ دعـاها جُنْحُ ليْـلٍ إلى وكْـرِ

وقوله: «ها إنَّ رَمْـيِي عنهمُ لمَعْبول»، يقـول: مَخْبولٌ مـردودٌ. والصَّريحُ: المَحْضُ الخالص، يقـال ذلك للبن إذا لم يَشُبْهُ مـاء، ويقال: عَربيٌّ صَـرِيحٌ ومَوْلى صريح، أي خالص.

[خطبة لعمر بن الخطاب حين سمع أن قوما يفضلونه على أبي بكر]

قال: وحدثني محمد بن إبراهيم الهاشميّ في إسناد ذكره قال: بَلَغ عمر بن الخطاب رحمـه الله أن قومـا يفضلونه على أبي بكر الصِّـدِّيق رحمـه الله، فَوَثَبَ مُغْضَبًا حتَّى صَعِدَ المِنْبَر، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

أيها الناس، إني سأُخـبِرُكُمْ عني وعن أبي بكر، إنه لما تُوُفِّي رسول الله ﷺ ارْتَدَّت العرب، ومَنَعتْ شاتَها وبعيرها، فـأجْمَعَ رأْيُنا كلنا أصحابَ محمد ﷺ أن قلنا له: ياخَليفة رسول الله، إن رسول الله ﷺ كان يقاتل العرب بالوحْيِ والملائكة يُمِدُّه اللهُ بهم، وقـد انقطع ذلك اليومَ، فَالْزَمْ بيـتك ومسجدك، فـإنه لا طاقةَ لك بقتال العرب. فقال أبو بكر الصديق: أو كلكم رأيه على هذا؟ فقلنا: نعم! فقال: والله لأن أخر من الـسماء فـتخطفني الطيـر أحب إلي من آن يكون هذا رأيي! ثم صعد المنبر، فـحمد الله وكبره وصلى على نبيه ﷺ، ثـم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، أيها الناس، أأن كثر أعداؤكم، وقل عددكم، ركب الشيطان منكم هذا المركب! والله ليظهـرن الله هذا الدين على الأديان كلهـا ولو كره المشـركون. قوله الحق، ووعده الصدق، ﴿بل نَقْذِفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغُهُ فإذا هو زاهقٌ﴾، و﴿كَمْ من فـئة قلـيلة غلبت فئـة كـبيـرة بإذن الله والله مع الصـابرين﴾. واللهَ أيهـا الناس، لو أُفْرِدْتُ من جـمبعكم لجـاهدتُهُمْ في الله حق جهاده حـتى أُبْلِيَ بنفسي

عُذْرًا أو أُقْتَلَ قتلا، والله أيها الناس لو مَنَعونى عقالا لجاهَدْتُهُمْ عليه، واستَعَنْتُ عليهمُ اللهَ وهو خيْرُ معِينٍ.

ثم نزل فجاهد فى الله حَقَّ جِهادِهِ حتى أَذْعَنَت العربُ بالحق.

قوله: «كم من فئة» فهى الجماعة، وهى مهموزة، وتخفيف الهمز فى هذا الموضع أن تُقْلَبَ الهمزةُ ياءً، وإن كانت قبلها ضمة وهى مفتوحة قَلَبْتَها واوًا، نحو جُؤَنٍ[1] تقول جُوَنٌ.

وقوله: «لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه» على خلاف ما تتأوله العامة، ولقول العامة وجه قد يجوز، فأما الصحيح فإن المُصَدِّق[2] إذَا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثَمنها قيل: أخذ عِقالاً، وإذا أَخَذَ الثَّمن قيل: أخذ نَقْداً، قال الشاعر:

أَتَانَا أبُو الَخطَّابِ يَضْرِبُ طَبْلَه[3] ... فَرُدَّ ولَمْ يَأْخذْ عِقالاً وَلا نَقْداَ

والذى تقوله العامة تأويله: لو منعونى ما يساوى عقالا، فضْلا عن غيره. وهذا وجه، والأول هو الصحيح؛ لأنه ليس عليهم عقال يُعْقَلُ به البعير فيَطْلُبُهُ فيْمْنَعَه، ولكن مجازه فى قول العامة ما ذكرنا.

ومن كلام العرب: أتانا بجَفْنةٍ يَقْعُدُ عليها ثلاثةٌ، أى لو قعد عليها ثلاثة لَصَلَح.

[من أبيات الحطيئة حين ارتد بعض العرب]

وكان ارتدادُ من ارتَدَّ من العرب أن قالوا: نُقيمُ الصلاةَ ولا نُؤْتى الزكاة، فمن ذلك قول الحُطَيْئَة:

أَلاَ كلُّ أَرْماحٍ قصارٍ أَذلَّة ... فِداَء لأَرْماحٍ نُصِبْنَ عَلى الغَمْرِ[4]
فَباسْت بَنِى عَبْسٍ وَاَسْتَاه طَيِّئٍ ... وَباسْت بَنِى دُودَانَ حَاشا بَنِى نَصْرِ
أَبَوْا غَيْرَ ضَرْبٍ يَجْثِمُ الْهامَ وَقْعُهُ ... وَطَعْنٍ كَأَفْواه المزَفَّتَةِ الحُمْرِ[5]
اَطَعْنَا رَسُولَ اللَه إذْ كَانَ بَيْنَنَا ... فَيَا لَهْفَتَا ما بالُ دِينِ أَبِى بَكْرِ!

---

(١) زيادات ر: «الجؤنة: الحقة يجعل فيها الحلى» (٢) المصدق: جابى الزكاة.

(٣) زيادات ر: «كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول».

(٤) الغمر هنا: اسم ماء. (٥) زيادات ر: «المزفتة: المطلية بالزفت، وهو القطران».

أَيُورِثُهَا بَكْرًا إذَا مَاتَ بَعْدَهُ، فَتِلْكَ وَبَيْتِ الله قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
فَقُومُوا ولاتُعْطُوا اللِّئَامَ مَقَادَةً وَقُومُوا وَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ عَلَى الجَمْرِ
فِدًى لِبَنِى نَصْرٍ طَرِيفِى وَتَالِدِى عَشِيَّةَ زَادُوا بِالرِّمَاحِ أَبَا بَكْرِ(١)

قوله: «يجثم الهام وقعه»، إنما هو مَثَلٌ، يقال: جَثَمَ الطائرُ؛ كما يقال: برك الجمل، وربض البعير.

وكان قَيْسُ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ عاملا على صَدَقَاتِ بنى سَعد، فقسم مَا كان فى يده من أموال الصدقات على بنى مِنْقَرٍ، وقالَ:

فَمَنْ مُبْلِغٌ عنى قُرَيْشًا رِسَالةً إذا مَا أتَتْهَا مُحْكَمَاتُ الوَدائعِ
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العامِ مِنْقَرًا وأيأسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامعِ

قوله: «فأجمع رأينا كلِّنا أصحابَ محمد» فإنما خَفَضَ «كُلا» على أنه توكيد لأسمائهم المضمرة، والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذى يَعْنِى به المتكلمُ نفسَهُ، أو يَعْنِى به المَخَاطَب. لا يجوز أن تقول مررتُ بى زيد، لأن هذه الياء لا يَشْرَكُهُ فيها شريكٌ فتحتاج إلى التبيين، وكذلك لا يجوز: ضربتُكَ زيدًا؛ لأن المخاطب منفرد بهذه الكاف، فأما الهاء نحو مررت به عبدالله، فيجوز لأنا نحتاج إلى أن يُعَرِّفَنا مُبَيِّنًا: مَنْ صاحب الهاء؟ لأنها ليست للذى يخاطبه فلا ينكر نفسه، وإنما يُحَدِّثُ به عن غائب فيحتاج إلى البيان.

وقوله: «أصحابَ محمد» اختصاص: وينتصب بفعل مضمر، وهو «أعنى» ليبين من هؤلاء الجماعة. كما ينشد:

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل

أراد: نحن أصحاب الجمل، ثم بين من هم؛ لأن هذا قد كان يقع على من دون بنى ضبة معه، وعلى من فوقها إلى مضر ونزار ومعدّ ومَن بعدهم. وكذلك: نحن العرب أقرى الناس للضيف، ونحن الصعاليكَ لا طاقة لنا على المروءة.

(١) زيادات ر: «قوله: «ذادوا بالرماح أبابكر» كذب، إنما خرجوا على الإبل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرت».

ويختار من الشعر[1]:

إنا بني منقر ذوو حسبٍ   فينا سراة بني سعد وناديها

وقليل هذا يدلّ على جميع هذا الباب، فافهم.

كمل الجزء الأول من كتاب الكامل بحمد الله وعونه

ويليه الجزء الثاني

(١) زيادات ر: «هو لعمرو بن الأهتم».

فهرس الموضوعات

صفحة

باب

باب

باب

باب

باب

باب

باب